مكتبة

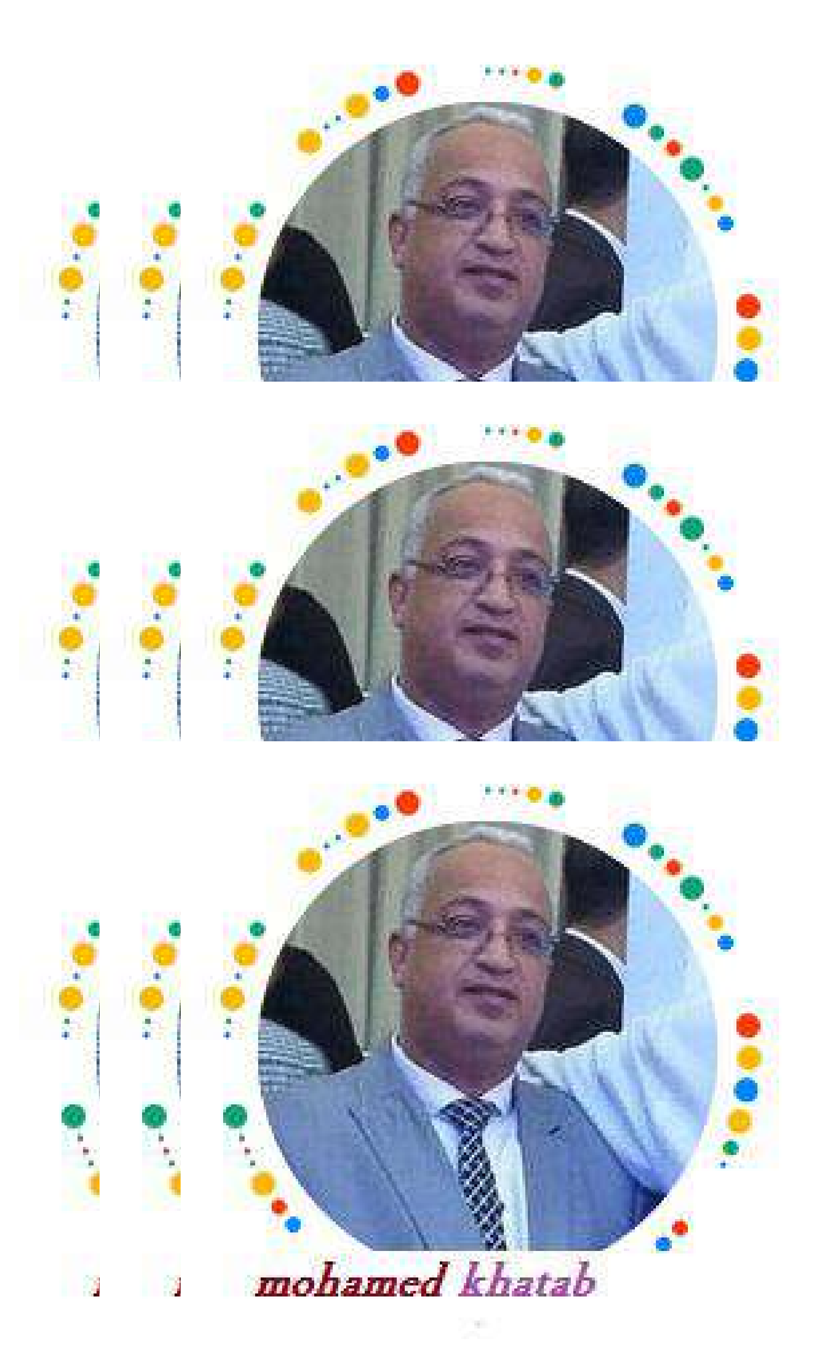
بيرس براون

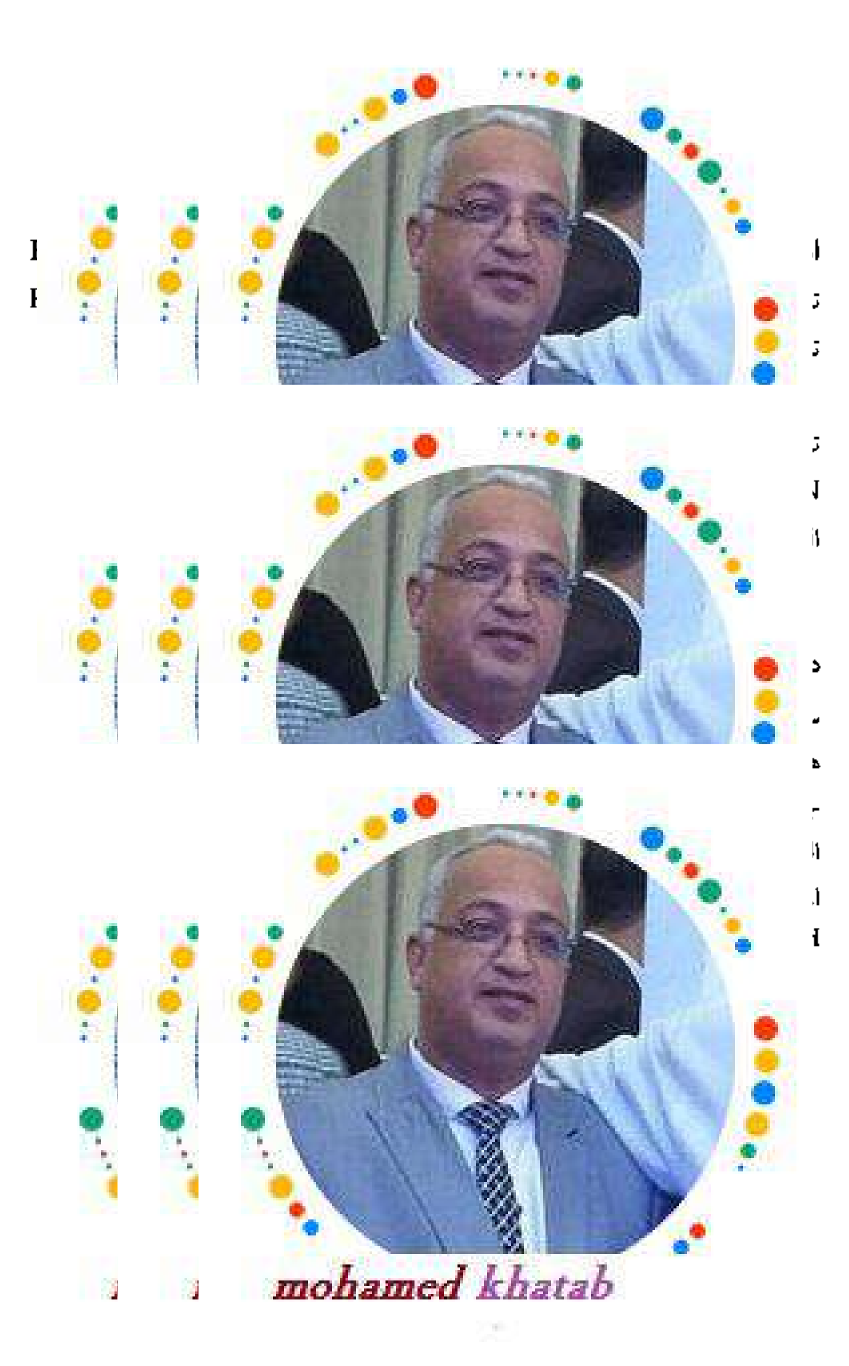
انتفاضة الحمر

رواية



ترجمة: رامي البيروتي


mohamed khatab


mohamed khatab

بيرس براون



انتفاضة الحمر

رواية

ترجمها عن الإنكليزية:

رامي البيروتي

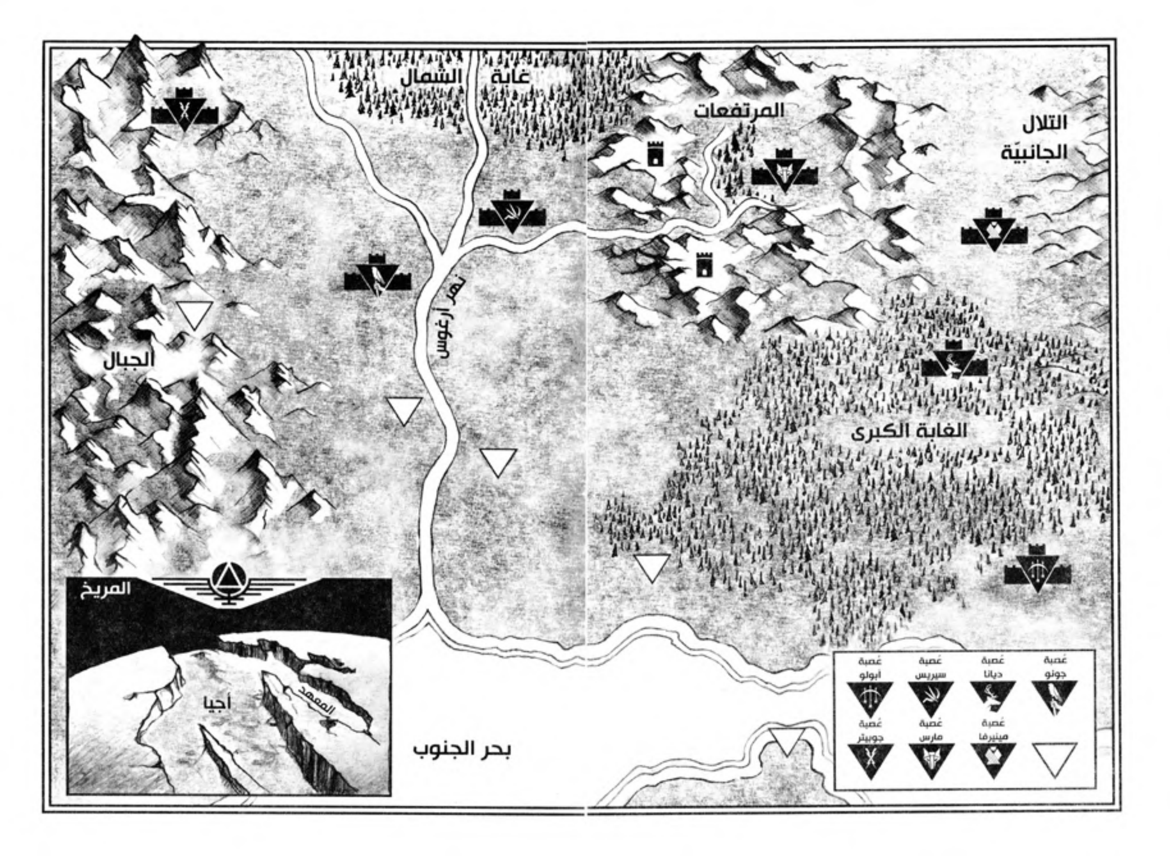
تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة
معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق.



منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

الانتفاضة الحمراء عَملٌ خياليّ. الأسماءُ، والأماكِنُ، والشَّخصيّاتُ، والأحداثُ، هي إمّا مِن مَحضِ خيالِ المؤلِّف، وإمّا استُخدِمَت على نحوٍ خياليّ. أيُّ تَطابُقٍ مَع شخصيّاتٍ واقعيّةٍ حيّةٍ، أو مُتوَفّاة، أو مَع أحداثٍ، أو أماكنَ واقعيّةٍ، هو مَحضُ مصادفة.

لوالدي الذي عَلّمَني المَشي.


غابة الشمال
المرتفعات
التلال الجانبيّة
الجبال
نهر أرغوس
الغابة الكبرى
المريخ
أجيا
المعهد
بحر الجنوب
عُصبة جونو
عُصبة ديانا
عُصبة سيريس
عُصبة أبولو
عُصبة مينيرفا
عُصبة مارس
عُصبة جوبيتر

شُكر وتَقدير

إن كانَت الكتابةُ هي عَملُ العَقلِ والقَلبِ، فعليَّ حينها أن أشكُرَ كُلّاً مِن: آرون فيليبس، وهاناه بومان، ومايك براف؛ على صَقلِهم لعَقلي بحكمَتهِم ونَصائحهِم.

الشكرُ مَوصولٌ لوالدَيّ، وشقيقتي، وأصدقائي، وعائلة فيليبس الذين كانوا بمنزلة حُرَّاسٍ على قَلبي بحُبِّهم وإخلاصِهم.

والشكر لكَ أيضاً أيّها القارئ؛ لأنّكَ ستُحبُّ بجُنونٍ سلسلة الكُتبِ هذه.

كنتُ لأعيشَ بسلام، ولكنّ أعدائي جلبوا لي الحرب.

أراقبُ ألفاً ومئتين مِن أقوى أبنائهم وبناتهم، وأنا أصغي إلى رجُلٍ ذهبيٍّ عَديمِ الرَّحمَة، يَتحدَّثُ مِن بين أعمدةٍ رُخاميّةٍ ضَخمة... إلى الوحشِ الذي أجَّجَ اللَّهبَ المُستعِر في قلبي.

– «لم يُخلق جميع البشر مُتساوين». يُعلِن الرجُلُ الطويلُ المُتسلّطُ المُفترس: «الضُعفاء خدعوكم. سيقولون بأنّه على المُذعِنين والخانِعين أن يسودوا كوكب الأرض، وبأنّه على القويّ رِعايةُ الضعيف؛ هذه هي الكذبة النبيلة للديمقراطيّة، السرطان الذي سيُسمِّمُ الجنس البشريّ».

عيناه تخترقان الطلّاب المجتمعين: «أنا وأنتم ذهبيّون. نحن قمّة المسار التطوّري. إنّنا نسمو ونعلو فوق كومة اللّحم البشريّ، ونرعى الألوان الدنيا. إنّكم تحملون هذا الإرث». يتوقّفُ قليلاً مُتفحِّصاً وجوهَ المُحتشِدين: «ولكنّ هذا لن يكون بلا ثمن. السُّلطة يُطالَب بها، والثروة تُغتنَم. الحُكم، والهَيمنة، والإمبراطوريّة ثَمنُها الدم؛ أمّا أنتم أيّها الأولاد عَديمو النُّدبَة، لا تَستحِقّون أيّ شيء؛ فأنتم لا تَعرِفون الألم. لا تَعرِفون ما الذي ضحّى به أجدادكم ليجعلوكم تتبوّأون هذه الأعالي، ولكنْ قريباً ستعرفون. قريباً سنعَلِّمكم لماذا يَحكُم الذهبيّون الجنس البشري. وأعِدُكم بأنّه لن يَنجو مِنكم سوى أولئك القادرين على الحُكم».

ولكنّي لست ذهبيّاً. أنا أحمر.

إنّه يظنُّ أنّ مَن هُم على شاكلتي ضُعفاء. إنّه يظنُّ أنّني أحمقُ واهنٌ، مُجرّد مَسخٍ بشري. لم أترعرَع في القصور، ولم أركب الخيلَ، ولم أخُض بها المُروج، ولم أتناوَل وَجباتٍ مِن لحم لسِان الطائر الطنّان، ولكنّني طُحِنتُ في أحشاء هذا العالم القاسي، مَصقولاً بالكراهية، ومُكتَسباً الصلابة بالحُبِّ.

إنّه مخطئ.

لا أحد مِنهُم سينجو.

الفصل الأول

العبد

هنالك زهرة تنمو في المرّيخ.

إنّها حمراء وعنيدة تَصلُح لتُربتنا.

تدعى هايمانتوس، وتعني «زهرة الدم».

1

غطّاسُ الجَّحيم

أوّل شيءٍ عليكَ معرفته عنّي هو أنّي ابن أبي. وعندما أتوا لأخذه، فعلتُ ما كان قد طَلبهُ تماماً؛ لم أبكِ. لا حين قامتِ الجمعيّة ببثِّ عمليّة اعتقاله على التلفاز، ولا حين قام الذهبيّون بمُحاكمَته، ولا حين قام الرماديّون بشَنقِه. لقد ضربتني أمّي لذلك. كان مِن المُفترضِ أن يكون أخي كيران هو ذلك الشَّخص الرَزين المُتحكِّم بانفعالاته؛ إنّه الأكبر، وأنا الأصغر. كان مِن المُفترضِ أن أبكي، لكنْ عوضاً عن ذلك أخذ كيران يَزعقُ كفتاةٍ، عندما قامت إيو الصغيرة بغَرسِ زهرة الهايمانتوس في حذاء أبي الأيسر، ورَكضَت عائدةً نحو أبيها. أختي ليانا كانت تُتمتِم برِثاءٍ ما بجانبي. اكتفيت بالمراقبة فقط، وقلتُ لنفسي: كم هو مُخزٍ مَوتُه، وهو يرقصُ، ولكنْ مِن دون حذاء رقص!

الجاذبيّةُ ضَعيفةٌ في المرّيخ؛ لذا عليكَ سحب الأقدام نحو الأسفل كي تَكسِر العُنق. إنّهم يَدعون الأحِبّاء يفعلون ذلك.

أشمّ رائحتي النتنة مِن داخل بِزّة الشواء التي أرتديها. هذه البِزّة مصنوعةٌ

مِن نوعٍ مِن النانو بلاستيك، وهي حارّةٌ كما يبدو مِن اسمها. إنّها تعزلني مِن رأسي حتّى أخمصِ قدمي. لا يدخل أيّ شيءٍ إليها، ولا يخرج منها، خاصّةً الحرارة. أسوأ ما في الأمر أنّهُ ليسَ بوسعك مَسحُ العَرقِ عن عينيك. اللّعنة! كم هو حارق عندما يسيلُ مِن عُصابة الرأس، ليشكّل بركةً عند الكعب! ناهيك عن الرائحة النتنة التي تفوحُ عندما تتبوّل. الأمر الذي يتكرّر دائماً؛ لأنّكَ مُضطَرٌّ لشُربِ كميّاتٍ كبيرةٍ مِن الماء عبْر أنبوب الشراب. أعتقد أنّه كان مِن الممكن تزويدُ البِزّة بقسطرة، لكنّنا نُفضِّل النتانة.

أجلس أعلى المِخلَب الحفَّار، بينما الحفَّارون مِن عشيرتي يثرثرون ببعض الشائعات عبْر جهاز الاتّصال الذي أضعهُ في أذني. وحيداً في هذا النفق العميق أعتلي آلةً على شكل مِخلَبٍ معدنيٍّ عملاقٍ، تقبضُ على الأرض وتَقضمها. أراقبُ مؤشّرات انصهار الصخور مِن مقعد القمرة أعلى الحفَّار في نقطة مِفصَل المِرفق لو كان موجوداً. هنالك تنسابُ أصابعي بسلاسةٍ داخل قفّازات التحكّم التي تقوم بتوجيه أذرُعِ الحَفرِ، الأشبه بالمِجسّات، على عمق تسعين متراً تحت مكانِ تَموضُعي. يقال بأنّه كي تُصبِح غطَّاس جحيمٍ، على أصابعكَ أن تَعزف بسرعةٍ كألسنة اللّهب. أصابعي تَعزف أسرع مِن ذلك.

على الرغم مِن الأصوات التي تتردّدُ في أذني، إلّا أنّني وحدي في هذا النفقِ العميق. وجودي هو عبارة عن اهتزازاتٍ وأصداء لأنفاسي. الجوّ حارٌّ ثقيلٌ وكريهٌ، يجعلني أشعرُ كأنّني مَلفوفٌ بلحافٍ ثقيلٍ مِن البول الحار.

نَهرٌ جَديدٌ مِن العَرق ينسابُ مُخترقاً عُصابة الرأس القرمزيّة، التي عَقدتها حول جبهتي، مُنسَكباً في عينَيّ ليحرقهما حتّى تصبحان حمراوين كشعري الصدئ. اعتدتُ سابقاً أن أمدَّ يدي مُحاولاً مَسحَ العَرقِ، لأنتهي

بخَدشٍ عَبثيّ لغِطاء وَجهِ بِزّة الشواء التي أرتديها. ما زلتُ أشعرُ بالحاجة إلى القيام بذلك؛ فحتّى بعد ثلاث سنوات ما تزالُ دَغدغاتُ العَرَقِ ولسعاته بالنسبة إليّ، ضرباً مِن ضُروبِ التعاسة الخالصة.

تبدو جُدران النفق، المحيطة بمقعد قُمرتي، مغمورةً بهالاتٍ مِن الضوء الأصفر الكبريتيّ، الذي يَخفُت، وأنا أنظرُ نحو الأعلى عبر مِهواة المنجم التي حفرتها اليوم. في الأعلى يلمع الهيليوم-3 كأنّه فضّةٌ سائلةٌ، ولكنّني أنظرُ إلى الظلال باحثاً عن أفاعي الحُفَر التي تزحفُ في الظلام باحثةً عن الدفء المُنبعِث مِن حفّاري. إنّها قادرةٌ على الوصول إلى داخل بِزّتك أيضاً، مخترقةً الدرع لتبحث بعدها عن أدفأ بقعةٍ موجودةٍ، وتتّخذ منها جُحراً، عادةً ما تكون تلك البقعة هي بطنك، وتضعُ بيوضها فيها. لقد تعرَّضتُ للعضِّ مِن قَبل. ما زلتُ أرى ذلك الوَحشَ في أحلامي، إنّه أشبهُ بساقٍ عُشبيّةٍ لولبيّةٍ غليظةٍ سوداء بِلَونِ النفط. يمكن لها أن تكون بثخانة فَخِذٍ، وبطول ثلاثة رجال، لكنّنا نخافُ صِغارها؛ لأنّها لا تُجيدُ توزيعَ سُمِّها باعتدال. وهي أيضاً مِثلُنا: قد جاء أجدادها مِن كوكب الأرض، ومِن ثمّ قام المرّيخ بأنفاقِهِ العَميقة بتغييرها.

ينتابُ المرء شعورٌ غريبٌ ومخيفٌ بالوحدة في تلك الأنفاق العميقة. ومع زمجرة الحفَّار أسمع في الخلفيّة أصوات أصدقائي، جميعهم أكبر منّي سنّاً. على الرغم مِن كونهم أعلى منّي بمقدار نصف كيلومتر، لكنّني لست قادراً على رؤيتهم خلال الظلام. إنّهم يحفرون بعيداً في الأعلى، بالقرب مِن مَدخلِ النفق الذي قُمتُ بحفره، ويهبطون بوساطة خطّافاتٍ وحِبالٍ متأرجحين على طول جدران النفق لكي يصلوا إلى عُروق الهيليوم-3 الصغيرة. إنّهم ينقّبون بحفّاراتٍ بطول مترٍ، مُلتهمين الأتربة. لا يزال العملُ

يتطلّبُ مهارةً فائقةً في استخدام القدم واليد، ولكنّني أنا مَن يكسبُ هنا مِن بين أفراد هذا الطاقم. أنا غطّاس الجحيم. لا يَصلحُ لهذا العمل أيّ كان، وأنا أصغرُ مَن قام بهذا العمل، ويمكنُ تَذكّره.

لقد مضى على وجودي في المناجم ثلاث سنوات. تبدأ العمل في الثالثة عشرة مِن عمرك. فإن كانت بُنيتكَ ملائمةً للجِماع، فهي ملائمةٌ للحَفرِ أيضاً. على الأقلّ هذا ما كان يقوله عمّي نارول. مع أنّني لم أتزوّج إلّا منذ ستّة أشهر؛ لذا لا أعرف لماذا قال ذلك.

إيو تجولُ في خاطري، وأنا أمعِنُ النظر في شاشة التحكّم، جاعلاً أصابع مِخلَبِ الحفّار تنسابُ مُطبِقةً على العِرق الجديد. إيو. أحياناً يكونُ مِن الصعوبة بمكان التفكير بها باسْمٍ مُختلِفٍ عمّا كنّا قد اعتدنا على مُناداتها به، ونحن صغار.

إيو الصغيرة، فتاةٌ نحيلةٌ مختفيةٌ تحت لبدةٍ مِن الشعر الأحمر: أحمر كالصخر مِن حولي، ليس بأحمرَ نقيّ، إنّما أحمر صدئ، أحمر كَديارنا، كالمرّيخ. عُمرُ إيو ستّ عشرة سنة أيضاً، وعلى الرغم مِن أنّها مِثلي، مِن عشيرة حفّاري الأرض الحُمر، عشيرة الأغاني، والرقص، والأرض، لكنّها يُمكن أن تكون مِن الهواء، مِن الأثير الذي يَربط النجوم إلى ذلك المَزيج الفسيفسائيّ. لا يمكنني القول بأنّني رأيتُ النجوم يوماً؛ فلا يوجدُ أحمرُ مِن مُستوطَنات التنقيب قد رأى النجومَ قط.

إيو الصغيرة. لقد أرادوا تزويجها بمجرّد بلوغها الرابعة عشرة مِثل كلّ فتيات العشيرة، لكنّها لم تَطمَع، وفضّلت انتظاري إلى أن أبلغَ السادسة عشرة، عُمر الزواجِ للرجال، قبل أن تجعلَ ذلك الخَيطَ يَنزلقُ حول إصبعها. لقد قالَت بأنّها كانَت تعرف بأنّنا سنتزوج منذ طفولتنا. أنا لم أعرف.

- «تمهّل. تمهّل. تمهّل!». يَنفجرُ عمّي نارول صارخاً عبر قناة الاتّصال. «دارو، على رسلك يا ولد!». تتجمّدُ أصابعي. إنّهُ بعيدٌ في الأعلى مع البقيّة، يُراقِب تَقدُّمي مِن وِحدَة القيادة الخاصّة به.

- «ما الأمرُ بحقِّ الجحيم؟». أسألُ مُنزعِجاً. لا أحِبُّ أن أُقاطَع.

- «ما الأمر بحقّ الجحيم، غطّاس الجحيم الصغير يسأل». يضحكُ بارلو العجوز بصوتٍ خافت.

- «جَيبٌ غازيّ، هذا ما في الأمر». يصيح نارول. إنّه المسؤول عن طاقمنا المكوّن مِن أكثر مِن مئتي فرد: «تمهّل! سأنادي فريق المسح لتفحّص البيانات قبل أن تقوم بنسفنا».

- «ذلك الجيبُ الغازيّ؟ إنّه صغير». أقول: «إنّهُ أشبهُ ببَثرةٍ غازيّة. بوسعي تدبّر أمره».

- «لم يمضِ عليه في الحَفرِ سوى عام، وأصبح يظنّ بأنّه يعرفُ رأسه من قدميه. الوغدُ الحقير!». يُضيفُ بارلو العجوز بفظاظة: «تذكَّر كلمات قائدنا الذهبي. الصبرُ والطاعة يا فتى. الصبرُ هو الجانب الأفضلُ مِن البَسالَة، والطاعة هي الجانب الأفضلُ مِن الإنسانيّة. أنصِتْ إلى الكبار يا فتى».

أُقلِّبُ عيوني ساخراً من هذه الحكمة التي أُلقيَت على مسمعي. لو أنّ الكبار كان بوسعهم فِعلُ ما أقوم به، لربّما كان للإنصاتِ مَحاسِنه، ولكنّ أيديهم بطيئة، وعقولهم بَليدة. أشعرُ أحياناً بأنّهم يريدون منّي أن أشبِهَهُم في ذلك، خاصّةً عمّي.

- «إنّي مُنهمِكٌ بإنجاز ما لديّ مِن عملٍ هنا». أقولُ له: «إن كنتَ تظنُّ أنّ هنالك جيباً غازيّاً، يمكنني ببساطة أن أهبطَ نحو الأسفل، وأفحصهُ بالماسِح اليدويّ. إنّهُ عَملٌ بسيطٌ بلا أيّة إضاعةٍ غير ضروريّةٍ للوقت».

سيطلقون المَواعِظ عن ضرورة الحذر. كأنّ الحذر ساعدَهم مِن قبل يوماً. إنّنا لم نَفُز بالإكليل منذ زَمنٍ بعيد.

- «أتريد أن تجعل مِن إيو أرملة؟». يضحكُ بارلو، مع فرقعة تتخلّلُ صوته: «هذا يناسبني. إنّها مخلوقٌ صغيرٌ وجميل. احفر في ذلك الجيب، ودع أمرها لي. قد أكون عجوزاً سميناً، لكنّ حفّاري مازال قادراً على صُنعِ ثُقبٍ».

تنطلقُ أصوات الضحك في الأعلى مِن مئتي حفّار، كأنّهم في كَورَس؛ أمّا مَفاصِل أصابعي، فقد تحوَّل لونها إلى الأبيض، وأنا أُطبِق على أجهزة القيادة.

- «استمع إلى العم نارول يا دارو. يُستحسَن أن نتراجع قليلاً إلى أن نَحصُل على القراءات». يُضيفُ أخي كيران موافقاً على كلامهم. هو يكبرني بثلاث سنين، ما يجعلهُ يعتقدُ بأنّه حَكيمٌ، وعلى دِرايةٍ واسعةٍ بالأمور. إنّه لا يعرف سوى الحذر: «هنالك مُتّسَع مِن الوقت».

- «مُتّسَع مِن الوقت؟ تبّاً، سيستغرق ذلك ساعات». أنفجرُ صارخاً. الجميع ضدّي في هذا. كلّهم على خطأ، وكلّهم بطيئون، ولا يفهمون بأنّ الإكليل على بُعدِ خطوةٍ شجاعةٍ واحدةٍ فقط. زِد على ذلك أنّهم يشكّكون بي: «إنّك جبانٌ يا نارول».

يَسودُ الصمت على الطرف الآخر مِن الخط.

أن تَنعتَ رجُلاً بالجُبنِ، ليسَت الطريقة المُثلى للحصول على تعاونه؛ ما كان عليّ قول ذلك.

- «برأيي قُم بالمَسحِ بنفسكَ». يصيحُ لوران ابن عمّي نارول: «لا تفعل

ذلك، وستكون عَشيرةُ غاما جيدة كالذهبيّن، سيفوزون بالإكليل للمرّة، أوه، إنّها المرّة المئة!».

الإكليل. أربع وعشرون عَشيرةً في مُستوطَنة ليكوس للتَنقيبِ تحتَ الأرض، إكليلٌ واحدٌ كلَّ رُبعِ عام؛ هذا يعني طعاماً أكثر ممّا يُمكنكَ أكله، هذا يعني سيجاراً أكثر لتُدخّنه، بطّانياتٍ مُستورَدةً مِن كوكب الأرض، شراباً كهرمانيّاً كَريهاً مَختوماً بعلامة الجودة مِن الجمعيّة؛ إنّهُ يعني الفَوز. لم يعد أحدٌ يذكرُ منذ متى وعَشيرةُ غاما تفوز بِه؛ لذا دائماً ما كان الأمرُ بالنسبة إلينا نحن -العشائر الأدنى- مُتعلّقاً بالحِصَصِ، مُتعلّقاً بما يكفي لإبقائنا على قيدِ الحياة فقط. تقول إيو: إنّ الإكليل هو الجزرة التي تُلوِّح بها الجمعيّة أمام أعيننا، على مسافةٍ تكفي لكي نرى كم نحن ناقصون، وكم نحن عاجزون عن فِعلِ أيّ شيء حيالَ ذلك. مِن المُفترضِ أن نكون الروّاد، لكنّ إيو تنادينا بالعبيد. أنا فقط أظنّ أنّنا لم نبذل قطّ كلَّ ما في وسعنا، لم نقم بأيّة مجازفةٍ كبيرةٍ بِسبَب الرجال العجزة.

- «الوران اِخرس، كفى حديثاً عن الإكليل! أصِب الغاز يا ولد، وسنفوّت كلَّ الأكاليل اللعينة إلى يوم الدين». يصيحُ عمّي نارول.

إنّه يَتلعثمُ، بوسعي شمُّ رائحة الشراب عبْر جهاز الاتّصال. إنّه يُريدُ استدعاء فريق المِكشاف ليحمي نفسه، أو إنّه خائف. السِّكيرُ وُلِد، وهو يبول على نفسه مَن الخوف. الخوف ممّن؟ مَن أسيادنا الذهبيّين؟ مَن أتباعهم الرماديّين؟ مَن يدري؟ قِلّة مِن الناس. مَن يهتمّ؟ قِلّة قليلة أيضاً. في الواقع، شخصٌ واحدٌ فقط كان يَهتمُّ لعمّي، وقد ماتَ عندما قام عمّي بسحب قدميه.

عمّي ضعيف. إنّه حَذرٌ، ومُسرِفٌ في شرابه، نُسخَةٌ باهتةٌ عن أبي.

يَرمش بعينه بصعوبةٍ، ولمدّةٍ طويلةٍ، كأنّه يتألّمُ في كلِّ مرّةٍ يفتحُ عينيه، وينظرُ إلى العالم مرَّةً أُخرى. أنا لا أثقُ به هنا، وأنا في الأسفل في المَناجِم، أو في أيّ مكانٍ آخر بخُصوصِ هذا الأمر، لكنّ أمّي كانَت لتخبرني بأن أصغي إليه، كانَت لتذكّرني باحترام أجدادي. على الرغم مِن أنّني مُتزوِّج، ومِن كوني غطّاس الجحيم في عشيرتي، كانَت لتَقولَ بأنّه «لم تقسُ بُثوركَ بعد». سأنصاع، ولو أنّ هذا يثيرُ حنقي كوَخزاتِ العَرقِ على وَجهي.

- «حسناً». أقولها متململاً.

أحكِمُ إغلاقَ قبضة الحفَّار وأنتظر، بينما عمّي يستدعيهم مِن المَقصورة الآمنة أعلى النفق العميق. سيستغرق الأمر ساعات. لقد قمت بحساب ذلك. لم يتبقَّ سوى ثماني ساعات إلى أن تنطلقَ الصفّارة. كي أتغلّبَ على غاما، عليّ أن أحافظَ على مُعدَّل 156.5 كيلوغرام بالساعة. سيحتاجُ فَريقُ المَسحِ إلى ساعتين ونِصف على أحسنِ تقدير كي يأتي إلى هنا ويَقومَ بعمله. لذا سيكونُ عليَّ أن أضُخَّ للخارج بمعدّل 227.6 كيلوغرام بالساعة. مُستَحيل! لكنْ إن تابعتُ العَملَ، وتجاهلتُ ذلك المَسحَ المُمِلّ سنتمكّن مِن فعلها.

أتساءلُ لو يَعلمُ عمّي نارول وبارلو كَم نحنُ قريبون. على الأرجح، على الأرجح يعتقدون بأنّهُ لا يوجَدُ شيء يستحقُّ كلَّ هذه المُجازفة. على الأرجح يعتقدون بأنّ تَدخّلاً إلهيّاً سيطيحُ بفُرصِنا. غاما ستفوزُ بالإكليل؛ هكذا تجري الأمور الآن، وإلى الأبد. نحن عَشيرةُ لامبدا، سيبقى الأمر بالنسبة إلينا محصوراً بمحاولة البقاء على قيد الحياة، مِن خلال الحِصَصِ التي نحصلُ عليها، وبوسائل الراحة المعدومة التي لدينا. بلا صعود لن يكون هنالك سقوط. لا شيء يستحقُّ المُجازَفة بتغيير الهَرميّة. اكتشفَ أبي ذلك في النهاية بعد أن فقد كلّ قوّته.

لا شيء يستحقُّ المُجازَفة بحياتِكَ. أشعرُ برِباط الزواج، المَصنوعِ مِن الشَعرِ والحرير، يتدلّى مِن الخيطِ المُحيطِ بعُنُقي على صَدري، ورُحتُ أفكِّر بأضلاعِ إيو.

هذا الشهر، سيزدادُ قليلاً ما ألحظهُ مِن أشياء نحيلة تبرزُ عَبرَ جلدها. ستذهبُ مِن دونِ علمي لتَطلُبَ الفُتاتَ مِن عائلات غاما. سأتصرّفُ كأنّني لا أعلم، ولكنّنا سنبقى جائعين. أنا آكل الكثير؛ لأنّني في السادسة عشرة مِن عمري، وما زلتُ أزداد طولاً. إيو تكذِب وتقول بأنّهُ لم يكن لديها يوماً شهيّة كبيرة للطعام. بعضُ النِسوة يَبِعنَ أنفسهنّ مُقابل الحصول على الطعام، أو الرفاهيّات، لِعُلَبِ الصَّفيح (أقصِدُ الرماديّين كي أكون دقيقاً). إنّهم قوّاتٌ مِن حامِية الجمعيّة المَوجودة في مُستوطنتِنا التنقيبيّة الصغيرة. لن تبيعَ جسدها كي تُطعِمني، أم قد تَفعلُ ذلك؟ ولكنْ بعدها فكَّرتُ في الأمر: كنتُ لأقوم بأيِّ شيءٍ كي أطعمها...

أنظرُ إلى الأسفل مِن فَوقِ حافّة حفَّاري. إنّها لمسافةٌ طويلةٌ حتّى قاعِ النَفقِ الذي حَفرتُه. لا شيء سوى الصَّخرِ المُنصَهِر، وهَسهَسة الحفَّارات. ولكنْ قبل أن أتمكّن مِن إدراكِ ما حولي، أتحرّرُ مِن الأحزمة لأقفز ممسكاً بالماسِح، وأهبطَ إلى مسافة مئة مترٍ نحو أصابعِ الحفَّار. أركلُ جيئةً وذهاباً بين جِدار مِهواة المَنجَم وبين هيكلِ الحفَّار المُتذبذِب؛ كي أخفِّفَ مِن سُرعة سُقوطي. أتأكّد -قبل أن أمدَّ يدي، وأتعلّق بتروس التعشيق أعلى أصابع الحفَّار- مِن عدم وجود عُشٍّ لأفاعي الحُفر بالقُربِ منّي. أذرعُ الحفرِ العشرة تُشعُّ بالحرارة. الهواء يتموَّج ويَتوَهّج. أشعرُ بالحرِّ على وَجهي، أشعرُ بِه يطعنُ عينَيّ، يحرقُ بطني وخصيتَيّ. بوسع هذه الحفَّارات أن تُذيبَ عظامك إن لم تكن حَذِراً، وأنا لستُ بحَذِرٍ، أنا رشيقٌ فحسب.

خطوةً بعد خطوةٍ أهبطُ ببطءٍ، مُبتدئاً بوَضعِ قدمَيّ بين أصابع الحفَّار، لكي أتمكّن مِن خَفضِ الماسِح، وجعلِه أقرب ما يمكن مِن جَيبِ الغاز، كي أحصلَ على القِراءات. الحَرُّ لا يُطاق؛ لذا لم يكن هذا صائباً. تتعالى الأصوات، وهي تَصرخُ عليّ عَبْرَ جهاز الاتّصال. كِدتُ ألامِسُ أحدَ الحفَّارات، وأنا أنخفضُ مُقترِباً بما يكفي مِن جَيبِ الغاز. أخذ الماسِحُ يومِضُ في يدي، وهو يُسجِّل قراءاته. بِزّتي تَغلي مُبقبِقةً، وأنا أشمُّ رائحةً حلوةً وحادّةً، أشبهُ برائحة عُصارةٍ تَحترِق. بالنسبة إلى غطَّاس الجحيم إنّها رائحةُ المَوتِ.

2

المَجمَع

لا تستطيع بِزّتي تحمُّل الحرارة هنا في الأسفل. الطبقة الخارجيّة قد ذابت تقريباً، والطبقة الثانية على وَشكٍ أن تتلاشى أيضاً. حينها يأخذ الماسِح بالوَميضِ باللّون الفضيّ معلناً أنّني حصلت على ما أتيتُ مِن أجله. كِدتُ ألّا ألحظَ ذلك. بخوفٍ وشعورٍ بالدُوار أسحبُ نفسي بعيداً عن أذرُعِ الحَفر. خطوةً خطوةً أتسلّق نحو الأعلى مبتعداً بسرعةٍ عن الحَرِّ الرهيب. حينها شيءٌ ما يَقبضُ عليّ. لقد عَلِقتْ قدمي تحت واحدٍ مِن تُروس التعشيق القريبة مِن أصابع الحفَّار. أحاول التقاطَ أنفاسي مع موجة رُعبٍ مُفاجئةٍ تنتابني. الخوف والرعب بدآ بالتَّصاعدِ في داخلي. أشاهد انصهار كعب حذائي: الطبقة الأولى ذابت. الثانية تغلي مُبقبِقة. بعدها سيحينُ دَورُ لحمي.

أجبرُ نفسي على أخذ نَفسٍ عميق، خانقاً الصرخات التي تصدح في حلقي. أتذكّرُ النَصل. أقلبُ النَصل المِنجَليّ مِن غمدِه المُعلّق على ظهري. إنّه نَصلٌ قاطعٌ بطول ساقي، وشديد التقوّس على نحوٍ فظيع، مُخصّص لبترِ الأطراف العالقة في الآلات وكيّها، تماماً كما في حالتي. أغلب الرجال

يصابون بالذُعرِ حين يَعلَقون؛ لذا فالنصل المِنجَليّ سلاحٌ بغيضٌ هِلاليُّ الشَكلِ مُخصصٌ للاستخدام مِن قِبَل أيدٍ ترتجف. على الرغم مِن كلِّ هذا الرعب الذي يجتاحني، يداي لا ترتجفان. أضربُ ثلاث مرّاتٍ بوساطة النَصل المِنجَليّ قاطعاً النانو بلاستيك عوضاً عن اللّحم. عند الضربة الثالثة أدنو مِن ساقي، وأجذبها بشدّةٍ متمكّناً مِن تحريرها. وأنا أقوم بذلك، تلامِسُ مَفاصِلِ أصابعي هَيكلَ الحفَّار. ألمٌ حارقٌ يعصِفُ عبْر يدي. أشمُّ رائحة فَرقَعة اللّحم، ولكنّني ألوذُ بالفرار متسلّقاً، ومبتعداً عن هذا الحَرِّ الجَهنَّميّ، لأقفز عائداً إلى مقعد قُمرتي، وأنا أضحكُ طوال الوقت. تنتابني فجأةً رغبةٌ بالبكاء.

كان عمّي محقّاً، وكنت أنا على خطأ، لكنْ فلتحِلَّ عليّ اللّعنات لو جعلتهُ يوماً ما يَعرفُ ذلك.

- «أحمق!». هذا ألطف تعليقٍ لديه.

- «مجنون، مخبول، ملعون!». يصيح لوران.

- «القليل مِن الغاز». أقول: «فلنحفر الآن يا عمّي».

مع انطلاق الصفّارة، يَقومُ الحَمّالون بأخذ حُمولَتي. أدفعُ نفسي خارج حفّاري تاركاً إيّاه في النفق العميق للوَرديّة الليليّة، وأمسكُ بيدي المتعبة الحبل الذي أنزلهُ الرجال عبْر مِهواة المنجم، التي طولها كيلومتر، لمساعدتي على الخروج. على الرغم مِن الحَرقِ العميق على ظاهر يدي، فإنّ جسمي يتسلّقُ الحبل بانسيابيّةٍ إلى أن أخرج مِن مِهواة المنجم. كيران ولوران يرافقاني كي أنضمَّ إلى الآخرين عند أقرب مِصعدٍ ثقاليّ. أضواء صفراء تتدلّى مِن السقف كالعناكب.

لدى وصولنا إلى المِصعد الثقاليّ المستطيل، كانت عشيرتي وثلاثمئة

رجُل مِن عشيرة غاما قد ثبّتوا أصابع أقدامهم تحت الدرابزين المَعدنيّ. أتحاشى عمّي، إنّه غاضبٌ بشدّةٍ تكفي لجعله يبصق، وأنالُ جرّاء مجازفتي بضع تربيتات على ظهري. الشباب مثلي يعتقدون بأنّنا قد فزنا بالإكليل. إنّهم يعرفون كميَّة خام الهيليوم-3 التي استخرجتُها خلال شهر. إنّها أفضل مِن الكميَّة التي استخرجَتها غاما؛ أمّا أولئكَ الكبار الأغبياء، فيكتفون بالتَمَلمُل، والقَولِ بأنّنا حمقى. أخفي يدي، وأثبّتُ أصابع قدمي.

تتعدَّلُ الجاذبيّة، فننقذف نحو الأعلى، لكنّ وغداً مِن غاما، توحي كميَّة القذارة الصدئة تحت أظافره بأنّهُ لم يَمضِ أسبوعٌ على وجوده هنا، ينسى تثبيت أصابع قدميه تحت الدرابزين ليبقى معلّقاً في الهواء، بينما ينطلق المِصعد بنا إلى مسافة ستّة كيلومترات نحو الأعلى. طقطقة تصمّ الآذان.

- «لدينا أخرقٌ مِن غاما يطفو هنا». يضحكُ بارلو باتّجاه رجال لامبدا.

مهما بدا ذلكَ تافهاً، لكنّهُ مِن الجميل دائماً رؤية الغاما، وهُم يُفسِدون شيئاً ما. إنّهم يحصلون على مزيدٍ مِن الطعام والسيجار، المزيد مِن كلِّ شيءٍ بسبب الإكليل. بتنا نحتقرهُم. إنّهم يستحقّون ذلك على ما أظنّ. أتساءل إن كانوا هُم سيحتقِروننا الآن.

طفح الكيل. أمسِكُ النانو بلاستيك الأحمر الصدئ لبزّة شواء الولد، وأجذبهُ نحو الأسفل. ولد. هذا مُضحك. فهو بالكادِ يَصغرني بثلاث سنين.

يكاد أن يموت من التعب، ولكنْ عندما يرى اللّون الأحمر الدمويّ لبزّتي؛ يتجمّدُ مُتحاشياً النظر في عينيّ، وباتَ الوَحيدَ الذي رأى الحروق على يدي. أغمزهُ، وأظنّ بأنّهُ فعلها في بِزّته. جميعنا نقوم بذلك بين الحين والآخر. أتذكّر عندما قابلتُ غطّاس جحيمٍ لأوّل مرّة. كان بالنسبة إليّ أشبه بإله.

إنهُ مَيِّت الآن.

في الأعلى، في محطّة التجمُّع، التي تبدو ككهفٍ رماديٍّ كبيرٍ مِن الخرسانة والمعدن، نخلعُ خوَذنا، ونتجرّع الهواء البارد النقيّ لعالمٍ بَعيدٍ كلَّ البُعد عن الحفَّارات المُنصهرة. عَرَقُنا وروائحنا النتنة سرعان ما ستحوِّل هذا المكان إلى مستنقع. مِن بعيد، هنالك أضواء تومِض تخبرنا بأن نبقى بعيدين عن المسار المغناطيسيّ للقطار الأفقيّ في الجانب الآخر مِن المحطّة.

لا نختلط مع رجال غاما لدى توجُّهنا نحو القطار الأفقيّ في صفٍّ مُترنِّح مِن البِزّات ذات اللّون الأحمر الصدئ. نصفها عليها حرف L الذي يشير إلى لامبدا، ونصفها الآخر عليها حرف غاما γ، مرسومان بلونٍ أحمر غامق على ظهورها. إضافةً إلى رئيسي عمّال قرمزيّين، وغطّاسي جحيمٍ بلونٍ أحمرَ دمويّ.

كادِرٌ مِن غُلَب الصفيح يراقبنا، ونحن نمشي متثاقلين على الأرضيّة الخرسانيّة المهترئة. الدِّرع المُقوّى الذي يرتديه الرماديّون بسيطٌ وبالٍ، مُهمَلٌ كشعرهم، بوسعه صدُّ نَصلٍ بسيطٍ، وربّما نَصل أيوني؛ أمّا نَصل نبضيّ، أو شفرة، فستشقّه كورقة، لكنّنا لا نرى مثل تلك الأسلحة إلّا على مكعّب العرضِ المُجسّم. لا يكلِّفُ الرماديّون أنفسهم حتّى بالقيام بأيّ استعراض للقوّة. هراواتهم تتدلّى متأرجحةً على خُصورهم. إنّهم يعلمون بأنّهم لن يضطرّوا إلى استخدامها.

الطاعة هي الفضيلة الكبرى.

قائد الرماديّين، دان الشنيع، وغدٌ قذرٌ، يرميني بحصوة. على الرغم مِن أنّ بشرته داكنةٌ مِن التعرُّض للشّمس، إلّا أنّ شعره رماديٌّ مثل الآخرين مِن

بني لونه. ناعمٌ ومُسبَلٌ يتدلّى أمام عينيه اللّتين تشبهان مكعّبين مِن الجليد مغلّفين بالرماد. شعارُ بني لونه -وهو رمزٌ رماديٌّ مُضلَّعٌ أشبه برقم أربعة، مع عدّة قضبانٍ بجانبه- يَسِم يديه ومعصميه. إنّه قاسٍ وصارمٌ مثل كلّ الرماديّين.

لقد سمعتُ أنّهم سحبوا دان الشنيع مِن الجبهة في أوراسيا، أيّاً كانت تلك المنطقة، بعد أن أصيبَ بإعاقةٍ، ولم يرغبوا بشراء ذراعٍ جديدةٍ له. لديه الآن طَرَفٌ صناعيٌّ مِن طرازٍ قديم، وهذا يزعزعُ مِن ثقته؛ لذا سأحرص على أن يراني، وأنا أحدِّقُ بتلك الذراع.

- «إذنْ، لقد كان يومك حافلاً يا عزيزي». صوته آسنٌ وثقيلٌ مثل الهواء الذي في بِزّة شوائي: «هل أصبحت الآن بطلاً شجاعاً يا دارو؟ لطالما ظننتُ أنّكَ ستصبح بطلاً شجاعاً».

- «أنتَ البطل». قلتُ مشيراً برأسي إلى ذراعه.

- وتظنّ أنّكَ ذكيّ، أليس كذلك؟

- مُجرَّد أحمر.

يغمزُني: «انقل سلامي إلى طائركَ الصغير. لقد أينعَت تلك الغانية اللّعوب». يلعقُ أسنانه: «حتّى بالنسبة إلى صدئيّة».

- «لم أرَ طائراً في حياتي». إلّا في مكعّب العرضِ المُجسّم.

- «يا له مِن أمر!». يضحكُ ضحكةً مكتومة: «انتظر، إلى أين أنت ذاهب؟». يسألني، وأنا أستدير: «انحناءة لمن يفوقونكَ مقاماً لن تضرّ، أليس كذلك؟». يضحكُ ساخراً باتّجاه أصحابه. متجاهلاً استهزاءه، أستديرُ وأنحني بعمق. يشاهدُ عمّي ذلك، فيستدير مُبتعداً، وقد انتابهُ القرف.

نتركُ الرماديّين خلفنا. لا أمانعُ الانحناء، لكنْ على الأرجح كنت

لأجزَّ عنق دان الشنيع، إنْ أتيحت لي الفرصة. هذا أشبه بالقول بأنّه بوسعي الانطلاق بسفينةٍ فائقة السرعة نحو الزهرة، إنْ أردتُ ذلك.

- «داغو، يا داغو!». ينادي لوران على غطّاس الجحيم لعشيرة غاما. إنّ هذا الرجُل أسطورة؛ باقي الغطّاسين ليسوا سوى نسخةٍ باهتةٍ عنه. بوسعي أن أكون أفضل منه: «كم استخرجت اليوم؟».

داغو، عوضاً عن وَجهه هنالك شريطٌ شاحبٌ مِن جِلدٍ قديمٍ مع ابتسامةٍ متكلّفة. يشعلُ سيجاراً طويلاً، وينفثُ سحابة مِن الدخان.

- «لا أعرف». يقولها مُتشدّقاً.

- هيّا، كفاك ذلك!

- لا أهتمّ لذلك. الأمر لا يتعلّق بكميّة الخام يا لامبدا.

- «بل يتعلّق، وأيّ تعلّق! كم استخرجَ في أسبوع؟». يصيح لوران، ونحن ندخل القطار. كُلٌّ يُشعِل سيجاره، ويفتح شرابه، لكنّ جميعهم ينصتون باهتمام.

- «تسعة آلاف وثمانمئة وواحد وعشرون كيلوغراماً». يتفاخر رجال الغاما. لدى سماعي لهذا أستندُ وأبتسم؛ أسمعُ صيحاتِ الابتهاج مِن شباب اللامبدا، لكنّ الأيدي العجوزة لم تأتِ بأيّ فعل. إنّني مُنشَغلٌ بالتساؤل: ماذا ستفعل إيو بالسُكَّر هذا الشهر؟ لم نحصل على سُكَّر مِن قبل، مرّة واحدة ربحناه في لعبة ورق. والفاكهة، سمعت بأنّ الإكليل يؤمّن لك الفاكهة. على الأرجح ستتبرّعُ بكلِّ ذلك للأطفال الجائعين، فقط كي تُبرهنَ للمجمعيّة بأنّها لا تحتاج إلى جوائزهم؛ أمّا أنا، كنت لآكل الفاكهة، وأمارس ألاعيب السياسة بمعدةٍ ممتلئة، لكنْ هي لديها شغفٌ للأفكار المثاليّة، بينما أنا ليس لديّ أيّ شغفٍ زائد إلّا بها.

- «مع ذلك لن تربحوا». يهمهمُ داغو لدى انطلاق القطار: «دارو ما زال جرواً صغيراً، لكنّه ذكيٌّ بما يكفي ليعلمَ ذلك. أليس كذلك يا دارو؟».

- صغيراً أم كبيراً، لقد أوسعتُ مؤخّرتكَ الخشنة ضرباً.

- هل أنت متأكّدٌ من ذلك؟

- «بكلِّ تأكيد». أغمزهُ وأرسلُ إليه قُبلة: «الإكليل لنا. أرسِل أخواتكَ إلى مَجمَعي هذه المرّة للحصول على السُكَّر». أصدقائي يضحكون ويربّتون بخُوذ بِزّاتهم على أفخاذهم.

داغو يراقبني. بعد قليل، يأخذُ نفساً عميقاً مِن سيجاره. إنّه يتوهَّج ويحترق بسرعة. «هذا أنت». يقول لي. خلال نصف دقيقةٍ يتحوَّل السيجار إلى قشرة.

بعد النزول مِن القطار الأفقيّ، أتوجّهُ مع باقي الأطقُم إلى المَغسَل، الأمر انسيابيٌّ أشبه بالمرور عَبْرَ قمع. إنّه مكانٌ باردٌ، وعَفِنٌ، وتَفوحُ منه رائحةٌ تتناسب تماماً مع وظيفته: فهو عَنبرٌ معدنيٌّ ضيّقٌ؛ حيث يخلع آلاف الرجال بِزّاتهم بعد ساعاتٍ مِن التبَوّل والتعَرّق كي يأخذوا حمّام هواء.

أخلعُ بِزّتي، وأضعُ واحدةً مِن قبّعات الرأس، وأمشي عارياً إلى مِنصّةٍ بجانب أقرب قُمرة استحمامٍ شفّافة. هنالك العشراتُ منها مَصفوفَة في المَغسَل. هنا لا يوجد رَقصٌ، ولا انفجاراتُ غَضبٍ مُتبجِّحة. علامة الصداقة الوحيدة التي تظهر هنا هي الإرهاق والضرب الناعم على الأفخاذ الذي يخلق إيقاعاً مع أزيز الأدشاش وصفيرها.

يغلقُ باب قمرتي خلفي مُصدِراً هسيساً، فينخفضُ صوت الموسيقا. هديرٌ مألوفٌ يصدر مِن المُحرِّك، يتبعهُ اندفاعٌ للهواء المضغوط، وصوت

امتصاص، بينما ينقذف هواءٌ مُفعمٌ بالجزيئات المضادّة للبكتيريا بصوتٍ صارخٍ مِن أعلى الآلة نحو جسدي، ليكشطَ منه الجلد الميّت والدَّرنَ إلى مَصرَفٍ أسفل القُمرة. هذا مؤلم!

بعدها، أرافقُ لوران وكيران في طريقهما إلى الميدان؛ لاحتساء الشراب والرقص في الحانات، قبل أن يبدأ رسمياً الرقص المُصاحِب لاحتفاليّة مَنحِ الإكليل. عُلَبُ الصفيحِ سيقومون عند منتصف اللّيل بتوزيع حِصصِ الغذاء، وإعلان الفائز بالإكليل. سيكون هنالك رقصٌ قبل ذلك وبعده، مِن أجلنا نحنُ عمّال الورديّة النهاريّة.

تقول الأسطورة بأنّ الإله مارس كان أبا الدموع، وعدوّ الرقص والليوت(*). بالنسبة إلى الأولى، فأنا أوافقه، ولكنْ نحن -أبناء مُستوطَنة ليكوس- واحدة مِن أولى المُستوطَنات تحت سطح المرّيخ، نعشقُ الرقص، والغناء، والعائلة، لكنّنا لا نكترثُ للأسطورة، بل نصنعُ مِنها حقّاً مُكتسباً لنا. إنّها أحد أشكالِ المُقاومة الوحيدة المُتاحة لنا ضِدَّ الجمعيّة التي تَحكُمنا. فهي تَمنحُنا القليل مِن الاعتزاز والكرامة. إنّهم لا يهتمّون لرقصنا، أوغنائنا، طالما أنّنا نَحفرُ طواعية. طالما أنّنا نهيّئ الكوكب للبقيّة، ولكنْ لكي يُذكّرونا بمَنزلتنا، جعلوا من أداء أغنيةٍ ورقصةٍ محدّدتين عملاً يُعاقَب عليه بالموت.

جعلَ أبي مِن هذه الرقصة رقصتهُ الأخيرة. لقد شاهدتها مرّةً واحدةً، وسمعت الأغنية لمرّةٍ واحدةٍ أيضاً. لم أكن أفهم -وأنا صغير- كيف يُمكِن لأغنيةٍ عن الوِديان البعيدة، والضباب، والأحبّاء المفقودين، والحصّاد، أن تقودنا إلى ديارنا غير المشهودة. كنتُ صغيراً ويملؤني الفضول، عندما

(*) Lute اسم يطلق على مجموعة الآلات الموسيقية الوترية الشبيهة بالعود. (المترجم).

قامت امرأةٌ بغنائها، بينما كان ابنها يُشنَق لسرقته الطعام. لقد كان صبيّاً طويلاً، لكنّه لم يحصل قطّ على ما يكفي من الطعام ليكسوَ عِظامَه باللّحم. توفّيت والدته مِن بعده. أهالي ليكوس ودّعوهما بترنيمة الأفول: إنّها لَطمٌ حزينٌ للقبضاتِ على الصدور، يخفتُ تدريجيّاً ببطءٍ إلى أن تتوقّف القبضاتُ عن اللّطمِ مثل توقّف قَلبِها عن النبض، ويختفي الجميع.

ظلَّ ذلك الصوتُ يلاحقني تلكَ اللّيلة، فبكيتُ وَحيداً في مطبخنا الصغير، مُتعجّباً مِن سببِ بُكائي حينها، وعدم بُكائي على أبي. وبينما كنتُ مُستلقياً على الأرضيّة الباردة، سَمعتُ خربشةً ناعمةً على باب منزل عائلتنا. عندما فَتحتُ الباب، وَجدتُ براعِم صغيرةً لزهرة الهايمانتوس مَوضوعةً على التُّرابِ الأحمر، ولم يكن هنالكَ أحد، لم تكن هنالك سوى آثار الأقدامِ الصغيرة لإيو في التُّراب. إنّها المرّةُ الثانية التي تُحضِر فيها أزهاراً بعد الموت.

بما أنّ الغناء والرقص يَجريان في دمائنا، فإنّني أعتقدُ بأنّه ليسَ مِن المُفاجئ إدراكي عبْرهما لأوّل مرّةٍ أنّني أحِبُّ إيو، ولكنْ ليسَ إيو الصغيرة كما كانت، إنّما إيو كما هي الآن. هي تقول بأنّها أحبّتني مِن قَبلِ أن يَشنقوا أبي، لكنْ بالنسبة إليّ كان ذلك في حانةٍ مُفعمَةٍ بالدُّخان، عندما جعلَت دَواماتُ شعرها الصدئ، ووَقعُ أقدامِها مع ألحان الزيثير(*)، ومَيلان خَصرِها مع إيقاع الطبولِ، قلبي ينسى أن يَنبض لبضعِ مرّات. لم يكن ذلك بسبب قفزاتها، أو شقلباتها، ولا بسبب التباهي والحماقة التي تُميِّز رقص الشباب، لقد كان ذلك بسبب حركاتها المُفعمَة بالبَهاء والكِبرياء. مِن دوني لن تأكل، وبدونها لن أعيش.

(*) Zither اسم يطلق على مجموعة الآلات الموسيقية الوترية الشبيهة بالقانون. (م).

ستهزأ منّي لقولي ذلك، لكنّها روحُ قَومِنا. لقد نِلنا نصيبنا مِن حياةٍ لا تتساهلُ معنا. علينا أن نضحّيَ مِن أجل مَنفعَة رجالٍ ونساءٍ لا نعرفهم. علينا أن نَحفر كي نهيّئ المرّيخ للآخرين؛ هذا يجعلُ مِن بعضنا أشراراً بَغيضين، لكنّ لطافة إيو، وضَحِكها، وإرادَتها الجبّارة، هي أفضلُ ما يمكن أن يخرج مِن مكانٍ كمَوطِننا.

أبحثُ عنها في المَجمَع حيثُ تسكن عائلتي، الذي يبعدُ مسافة نصف ميلٍ عن الميدان عبْر طُرقِ الأنفاق. المَجمَع واحدٌ مِن أربعةٍ وعشرين مَجمَعاً يحيطُ بالميدان، وهو عبارة عن تَجمُّعِ بيوتٍ أشبه بقَفير منحوتٍ في الجدران الصخريّة للمَناجِم القديمة. الأرض والحجر هُما أرضيّتنا، وسقوفنا، ومَوطِننا؛ أمّا العشيرة، فهي بمنزلة عائلةٍ ضخمة. نشأت إيو على مرمى حَجرٍ مِن منزلي. إخوتها كانوا بمنزلة إخوتي، وأبوها بمنزلة أبي الذي فَقدتُه.

خبيصة من الأسلاك الكهربائيّة تتشابك مع بعضها على طول سقف الكهف، كعريشةٍ مِن الكروم السوداء والحمراء. أضواء تتدلّى مِن العريشة، متأرجحة بلطفٍ مع دوران الهواء الصادر عن نظام الأكسجة المركزيّة للميدان. وفي مركز المَجمَع عُلّق مكعب عَرضٍ مُجسَّم هائل. إنّه صندوقٌ مربّع الشكل مع شاشةٍ على كلّ جانب. البِكسلات محترقةٌ، والصورة باهتةٌ ومشوّشةٌ، لكنّ هذا الشيء لم يتعطّل، ولم يُطفأ قطّ. إنّه يَغمرُ تَجمُّعَ بيوتنا بضوئه الباهت عارضاً فيديوهاتٍ مِن الجمعيّة.

منزل عائلتي مَحفورٌ في صخرةٍ على عُلوٍّ مئة مترٍ عن أرض المَجمَع. هنالك ممرٌّ شديد الانحدار يمتدُّ مِن المنزل نحو الأرض، وعلى الرغم مِن وجودِ حبالٍ وبكراتٍ قادرةٍ على حمل المرء إلى الارتفاعات الشاهقة

للمَجمَع، إلّا أنّها تُستخدم فقط مِن كبار السنّ والعاجزين، ولدينا القليل مِن كليهما.

لمنزلنا بِضعُ غُرفٍ. أنا وإيو لم نتمكّن إلّا مؤخّراً مِن الحصول على غُرفةٍ مستقلّةٍ لنا. كيران وعائلته لديهم غُرفتان، وأمّي وأختي تتشاركان واحدةً أُخرى.

جميعُ أفراد عشيرة لامبدا الموجودين في ليكوس، يعيشون في مَجمَعنا؛ أمّا جيراننا مِن عشيرتي: أوميغا(*)، وأبسيلون(**)، فإنّهم يبعدون عنّا مسافةً يستغرق قطعها دقيقةً عَبْرَ نَفقٍ عَريضٍ يُفضي إليهما مِن كلِّ طَرف. إنّنا مرتبطون جميعاً مع بعضنا، ما عدا عشيرة غاما التي تعيش في الميدان، فوق الحانات، وأكشاك الإصلاح، ومتاجر الحرير، والبازارات؛ أمّا عُلَبُ الصفيحِ، فيعيشون في حصنٍ فوق هذا كلّه، بالقرب مِن السطحِ القاحل لعالمنا القاسي. هنالكَ توجدُ الموانئ التي تجلبُ الغذاء مِن كوكب الأرض إلينا نحن -الروّاد الأوائل- الذين تقطّعت بهم السّبُل.

مكعّب العرضِ المُجسّم فوقي يعرضُ صوراً لصراع الجنس البشريّ، تليها موسيقا تزداد صخباً مع التتالي السريع للمَشاهِد التي توجِزُ انتصارات الجمعيّة. شعارُ الجمعيّة: وهو هرمٌ ذهبيٌّ مع ثلاثة أشرطةٍ متوازيةٍ مثبَّتةٍ إلى أوجُهِ الهرم الثلاثة ودائرة تحيط بكلّ ذلك، يتوهّجُ مُشعّاً مِن الشاشة. صوت أوكتافيا ذهبيّة لونا، الحاكِمة المُعظَّمة الكَهلةُ للجمعيّة، تتحدّثُ عن صراع الإنسان في سعيه لاستيطان كواكب المجموعة الشمسيّة وأقمارها.

- منذ فجر الإنسانيّة، كانت قصّةُ جِنسنا المَلحَمية مَبنيةً على الحروبِ

(*) أوميغا ω الحرف الرابع والعشرون مِن الأبجدية الإغريقية. (م).
(**) أبسيلون υ الحرف العشرون مِن الأبجدية الإغريقية. (م).

القبليّة. كانت قصّةً عن التجربة والتضحية، عن الرغبة العارمة بتحدّي حُدودِ الطبيعة؛ أمّا اليوم، فإنّ الواجبَ والطاعة قد وَحّدانا، لكنّ كِفاحنا لم يتغيّر. يا أبناء الألوان وبناتها أجمع، تضحيةٌ جديدةٌ تنادينا. الآن، هنا، وفي أعظمِ أوقاتنا، نَبعثُ بأفضلِ ذُرِيّتنا إلى النجوم. تُرى أين سيزدهِرُ مَقامُنا أوّلاً؟ في الزهرة؟ في عطارد؟ في المريخ؟ أم في أقمار نبتون والمشتري؟

إنّ صوتها يصبحُ أكثر احتفاليّةً، بينما وَجهُها الذي لا يَكبَر بملامحه المَلكيّة يُحدِّق فينا مِن مكعّب العرضِ المُجسَّم. يداها تتلألأن بشعار الذهبيّين الذي يزيّن ظاهرها، وهو عبارة عن نقطة في مركز دائرةٍ مجنّحةٍ، وأجنحة ذهبيّة تزيّن جوانب ساعديها. عيبٌ واحدٌ فقط يُفسِد وَجهَها الذهبيّ: نُدبَةٌ هِلاليّةٌ طويلةٌ تَمتدُّ على طول عَظمِ وَجنتِها اليُمنى. جمالها يشبهُ جمال طائرٍ مُفتَرسٍ مُتوحِّش.

- أنتم أيّها الحُمرُ الشجعان، يا روّادَ المرّيخ الأوائل، يا أقوى نَسلٍ بين البشر، إنكم تُضحّون مِن أجل التقدُّم، وتعبيد الطريق نحو المستقبل. حياتكُم ودماؤكُم هي دفعةٌ مُقدَّمةٌ مِن أجل خُلودِ العِرق البشريّ في طريقه إلى ما هو أبعدمِن الأرض والقمر. أنتم تذهبون حيث لا نَستطيع، وتتحمّلون ما لا نُطيق.

أحيّكُم وأحبُكُم. الهليوم-3 الذي تستخرجونه هوُ العَصبُ المُحرّك لعمليّة الاستصلاح. عمّا قريب سيصبحُ للكوكبِ الأحمرِ جَوٌ قابلٌ للتنفّسِ، وتُربةٌ صالحةٌ للعَيشِ. وقريباً عندما يغدو المرّيخ قابلاً للسكن، وعندما تقومون أنتم يا أيّها الروّادُ الشُجعان الأوائل، بجَعلِ هذا الكوكب الأحمر جاهزاً لنا نحن- بني الألوان الأرقى- حينها سننضمُّ إليكُم،

وسترُفعون بكلِّ تَبجيلٍ واحترامٍ إلى الأعالي لتَطالوا السماء التي كافحتُم وتكبَّدتُم الأمَرَّين لإنشائها. عَرقكُم ودِماؤكُم هُما وقودُ الاستصلاح.

أيها الروّادُ الشُجعان الأوائل، دائماً تذكّروا بأنّ الطّاعة هي الفَضيلةُ الكُبرى. ففوقَ كلِّ شيءٍ توجد الطاعةُ، ثمّ الاحترام، والتضحية، والهَرميةّ...

غُرفة مطبخ المنزل فارغة، لكنّني أسمعُ إيو في غُرفة النوم.

- «توقّف حيثُ أنت!». تأمرني مِن خلال الباب: «لا تنظُر تحت أيّ ظرفٍ كان إلى هذه الغرفة».

- «حسناً». أتوقّف.

تخرجُ بعد دقيقةٍ، مُرتبِكةً وخَجِلة. شعرها مُغطّى بالغبار وشِباكِ العنكبوت. أمرّرُ يدي عَبرَ هذه الفوضى. الآن عادَت مِن مصنع النسيج؛ حيث كانت تَحصِد الحرير الطبيعيّ.

- «لم تمرّي بالمَغسَل». أقولُ ضاحكاً.

- لم يكن لديّ وقت لذلك. كان عليّ التسلّلُ خارج مصنع النسيج لإحضار شيءٍ ما.

- ماذا أحضرتِ؟

تبتسمُ بعذوبة: «أنتَ لم تتزوّجني لأنّني أخبركَ بكلّ شيء، أتَذكُر ذلك؟ ولا تَدخُل الغُرفة».

أندفعُ نحو الباب، لكنّها تمنعني مِن ذلك، وتسحبُ عُصابة الرأس المُبلّلة بالعَرق على عيني. جبينها يضغطُ على صدري. أنزعُ العُصابة، وأنا أضحكُ، وأجذبها مِن كتفَيها لأسحبها للخلف بما يكفي للنظر إلى عينيها.

- «أو ماذا؟». أسألها، وأنا أرفعُ حاجبيّ.

تكتفي بالابتسام لي، وتُميلُ رأسها، فأبتعدُ عن الباب المعدنيّ. بوسعي

الاندفاع إلى مَهاوي المَناجِم المُنصهرة مِن دون أن يرفَّ لي جفن، ولكنْ هنالك بعض التحذيرات التي يمكن تجاهلها، وأُخرى لا يمكنكَ تجاهلها أبداً.

تَقفُ على رؤوس أصابع قدميها، وتطبعُ قُبلَةً على أنفي. «وَلدٌ مُطيع؛ لقد عَلمتُ بأنّه سيكون مِن السهلِ تَدريبُكَ». تقول، ثمّ يُكشِّر أنفها لأنّها شمَّت رائحة حَرقي. لا تُلاطفُني، ولا توَبِّخني، حتّى إنّها لا تتحدَّثُ إليّ البتّة، إلّا لتقولَ لي: «أحبُّكَ» مع لمسةٍ مِن القَلقِ في صوتها.

تخرجُ قِطعَ بِزّتي المُنصهرة مِن الجُرحِ الممتدِّ مِن مَفاصِل أصابعي حتّى مِعصَمي، وتربطُ بإحكامٍ ضماداً شبكيّاً مع مضادّاتٍ حيويّة، ومُجدِّدٍ للنوى العصبيّة.

«مِن أين حصلتِ على هذا؟». أسألُ.

– لم أُلقِ عليكَ المُحاضرات، لا تَطرح عليّ الأسئلة: كيفَ وماذا.

أقبِّلُ أنفها، وألعبُ بالرِباطِ الرقيق مِن الشعر المُتموِّج حول بنصرها. رِباطُ زواجها مصنوعٌ مِن شعري المَلفوفِ مع قِطعٍ صغيرةٍ مِن الحرير.

– «لديَّ مفاجأة لكَ اللّيلة». تقول لي.

– «وأنا لديَّ واحدة لكِ». أقولُ لها، وأنا أفكِّر بالإكليل. أضعُ عُصابة رأسي على رأسها كالتّاج، فتعلو التجاعيد على أنفها مِن شدة تبلُّلِها.

– ياه، حسناً، في الواقع لديَّ مفاجأتان لكَ يا دارو. إنّه لمن المؤسف أنّكَ لم تستبِق التفكير. كان بوسعكَ أن تُحضِر لي مكعباً مِن السُّكَّر، أو مُلاءةً مِن الساتان، أو... ربّما حتّى بعضاً مِن القهوة، كانت لتكون ملائمة للهديّة الأولى.

– «قهوة!». أضحكُ: «أيّ لَونٍ مِن بني الألوان تزوّجتِ برأيكِ؟».

تتنهدُ: «لا يحصل المرء على امتيازات مِن الغطّاس، لا امتيازات على الإطلاق. لا شيء سوى الجنون، والعِناد، والاندفاع...».

- «البراعة؟سسس».سسس أقولُها مع ضحكةٍ خبيثةٍ، وأنا أمرّرُ يدي نحو الأعلى على جانب تنّورتها.

- «أظنُّ أنّ لهذا فوائده». تضحكُ، وتضربُ يدي بعيداً كأنّها عنكبوت: «ارتدِ الآن هذه القفّازات إن كنتَ لا تريد سَماعَ ثرثرة النساء. لقد سبقتنا أمّك».

3

الإكليل

نمشي يداً بيد مع البقيّة مِن المَجمَع عَبْرَ طُرقِ الأنفاق إلى الميدان. لونا ما تزال تصدحُ بصوتها عالياً فوقنا عَبْرَ مكعّب العرضِ المُجسَّم، كما يليقُ بذهبيٍّ حواجب (أقصد الذهبيّين كي نتوخّى الدقّة). إنّهم يعرضون مَشاهدَ مرعبةً لتفجيرٍ إرهابيٍّ قَتَلَ طاقم تنقيبٍ مِن الحُمْرِ، ومجموعة تِقنيّين مِن البرتقاليّين. المُتّهمون هُم أبناء أريس. نقشهُم الغريب الذي يَرمزُ إلى أريس: خوذة مُتوحّشة تنبعثُ مِن عُرفها أشعةٌ شمسيّةٌ على شكل أشواك، يسطعُ عَبْرَ الشاشة؛ الدم يقطر مِن الأشواك. يعرضون مَشاهد لأطفالٍ مُشوَّهين. أبناء أريس يُلقَّبون بالقتلة القبليّين، يُعرفون بجالبي الفَوضى. لقد أُدينوا. رماديّو الجمعيّة مِن الشرطة والجيش يقومون بنَقلِ الرُّكام. يعرضون مَشاهدَ لجنديّين مِن اللّون السبجي(*)، عمالقة مِن الرجال والنساء بضِعفِ حجمي تقريباً، برفقة أطباء صُفر سريعي الحركة، وهُم يحملون عدداً مِن ضحايا الانفجار.

لا وجود لأحدٍ مِن أبناء أريس في ليكوس. حربهُم العبثيّة لا تَطالُنا.

(*) نسبة إلى السَبَج: وهو حجرٌ كريمٌ ذو قوامٍ زجاجيٍّ بركانيٌ، ولون أسْود معدنيّ، شبيه بالبازلت. (م).

إنّهم يُعلنون مجدّداً عن جائزةٍ لمن يُدلي بمعلوماتٍ عن أريس، مَلكِ الإرهابيّين. لقد سمعنا هذا البثَّ آلاف المرّات، ومع ذلك لا يزال يبدو كأنّه مُجرَّد خيال. الأبناء يعتقدون بأنّه تُساءُ معاملتنا لذلك يقومون بالتفجيرات. إنّها فَورةٌ عقيمة. كلُّ ضررٍ يسبّبونه يؤدّي إلى تأخير أيّ تقدُّمٍ في عمليّة جعل المرّيخ جاهزاً لبني الألوان الأُخرى. إنّه أذى للبشريّة.

في طُرقِ الأنفاق؛ حيث يتنافس الصِّبْية للمسِ السَّقفِ، يتدفّقُ أهالي المَجامع بابتهاجٍ وسرورٍ للرقص في احتفاليّة مَنحِ الإكليل. وبينما نسيرُ، نغنّي الأغنية الخاصّة باحتفاليّة مَنحِ الإكليل. إنّهُ لحنٌ يُحرِّكُ النفوس عن رجُلٍ عثر على عروسه في حقلٍ مِن الذهب. تتعالى الضحِكاتُ مع مُحاولاتِ الصِّبيَة الركضَ على الجدران، أو لدى قيامهم بسلسلةٍ مِن الشقلبات لينتهي بهم المَطافُ، وقد سقطوا على وجوهِهم، أو هُزِموا مِن قِبل فتاة.

تمتدُّ الأضواء مُنتظِمةً على طول الدهليز الطويل. بعيداً، عمّي نارول المُنتشي الذي يُعدُّ عجوزاً بعُمرِ الخامسة والثلاثين، يَعزفُ على آلة الزيثير للأطفال الذين يرقصون بين أقدامنا؛ حتّى هو ليسَ بوسعه التَّجهُّم إلى الأبد. الآلة محمولة بوساطة أحزمةٍ يرتديها على كتفيه، بحيث تستند الآلة إلى خصره، وصندوقها الصوتيّ البلاستيكيّ بأوتاره المعدنيّة المشدودة متّجه إلى الأعلى، نحو السقف. الإبهام الأيمن يداعب الأوتار، إلّا في حال كانت السبّابة تتدرّج على الأوتار، أو أنّ الإبهام ينقر على وَترٍ بعَينِه؛ كلّ هذا بينما اليدُ اليسرى تقوم باختيار لَحنِ الباص وتراً تِلوَ آخر. إنّه لمن الصعوبة بمكان أن تُصدِرَ مِن آلة الزيثير لحناً غَيرَ حزين. أصابعُ عمّي نارول على قَدر المَهمّة؛ أمّا أصابعي، فلم تكن تعزفُ إلّا موسيقا تراجيديّة.

اعتادَ العزفَ لي، وتعليمي حركات الرقص التي لم يتسنَّ لأبي تعليمي

إيّاها قطّ، حتّى إنّه علّمني الرقصة المُحرَّمة، تلك التي سيقتلونكَ بسببها. كنّا نقوم بأدائها في المَناجِم القديمة. كان يضربُ كاحلي بعصا، إلى أن أصبحتُ أدورُ بسلاسةٍ حول نفسي، وأنا أقفُ على قَدمٍ واحدةٍ، مُلوِّحاً بحركاتٍ انقضاضيّةٍ بوساطة قطعةٍ مِن المَعدن أُمسِكها بيدي كأنّها سيف. وعندما أتقنتُ الأمر، كان يُقبّلني من جبيني، ويقول لي بأنّني ابن أبي. دروسه تلك هي التي علّمتني كيف أتحرّك، وجعلتني أتفوّق على الأولاد الآخرين، ونحن نلعبُ ألعابَ المُطاردَة والأشباحِ في الأنفاقِ القديمة.

– «الذهبيّون يرقصون في أزواج، والسَبَجيّون في ثُلاثيّات، والرماديّون بالعشرات». يقول لي: «نحن نرقص بمفردنا؛ لأنّ غطّاسي الجحيم لا يَحفِرون إلّا بمفردهم، والصبيُّ لا يُصبِح رجُلاً إلّا وَحْده».

أفتقدُ تلكَ الأيّام؛ عندما كنتُ صغيراً بما يكفي كيلا أحكُم عليه مِن رائحة الشراب في نَفَسِه. كنتُ في الحادية عشرة مِن عمري حينها، منذ خمس سنوات فقط، لكنّني أشعرُ كأنّها العُمرُ كلّه.

أتلقّى تربيتاتٍ على ظهري مِن عشيرة لامبدا، حتّى الخبّاز فارلو يومئ لي برأسه، ويَرمي لإيو بقِطعةٍ مِن الخبز. لقد سمعوا عن الإكليل، لا شكَّ في ذلك. تدسُّ إيو الخبز في تنّورتها، مُحتفظةً به لوقتٍ لاحق، وترمقني بنظرةٍ يَملؤها الفُضول.

– «إنكَ تبتسمُ كالأحمق». تقول لي، وهي تَقرصُني مِن جانبي: «ماذا فعلتَ؟».

أهزُّ رأسي غَيرَ مُبالٍ، ومُحاوِلاً مَسحَ الابتسامة الحمقاء عن وَجهي، لكنَّ هذا مُستَحيل!

– «حسناً، إنّكَ تَفتخِر بشيءٍ ما كثيراً». تقول بارتياب.

ابن كيران وابنته، ابنة أخي وابنه، يتقافزان في الأرجاء. توأمان بعُمر الثالثة، سريعان بما يكفي لكي يَسبِقا كلّاً مِن زوجة كيران وأمّي.

ابتسامة أمّي، هي ابتسامة امرأةٍ خَبِرت ما تُعطيهِ الحياة، وهي في أفضلِ حالٍ تكتفي بإظهار مَعالِم الدَّهشة. «يبدو أنّكَ أحَرقتَ نفسكَ يا قلبي». تقول ذلك لدى رؤيتها ليديّ في القفّازات. صوتها بطيءٌ وساخر.

- «مجرَّدُ بثرة». تردُّ إيو عوضاً عنّي: «بثرة كريهة».

تهزُّ أمّي رأسها باستهجان: «كان والده يعود إلى المنزل بأسوأ منها».

أضعُ ذراعي حَولَ كتفَيها. كانا أنحف ممّا اعتدته عندما علّمتني -كما تُعلِّم جميع الأمّهات أبناءهنّ- أغاني قَومِنا.

- «هل كانت هذه إشارة قَلَقٍ التي سَمِعتها، يا أمّي؟». أسألُ.

- «قَلَق؟ أنا؟ يا لكَ مِن وَلَدٍ سخيف». تتنهّدُ أمّي مع ابتسامةٍ بطيئة. قَبّلتُها على وَجنتِها.

نِصفُ العشائر كانت مُنتشيةً مِن الشَّرابِ، لدى وصولنا إلى الميدان. فإضافةً إلى كوننا قَوماً راقصاً، نحن أيضاً قَومٌ سِكّير. عندما يتعلّقُ الأمرُ بذلك، فإنّ عُلَبَ الصفيحِ يَدعوننا وشأننا. قُم بشَنق رجُلٍ بلا سببٍ حقيقيٍّ، ستحصلُ ربّما على بعضِ التَّذمّرِ مِن المَجامع، ولكن احظر علينا النَّشوَة والسُّكرَ، لتقضي شهراً لعيناً، وأنتَ تحاول معالجة تَبعاتِ ذلك. إيو تعتقدُ بأنّ المرّيخ ليسَ المَوطِن الأصليّ لِفطرِ الغريندل الذي نقومُ بتَقطيره، إنّما زُرِعَ هنا لكي نُصبحَ عبيداً للشراب. إنّها تَذكُر ذلك كلّما قامَت أمّي بتَقطير دُفعَةٍ جديدةٍ، ليكون جَوابُ أمّي المُعتاد هو أخذُ رَشفةٍ والقَول: «سَيِّدٌ مِن الشراب أفضلُ مِن سَيِّدٍ إنسان، فهذي قُيودٌ مَذاقُها حُلو».

سيكون مَذاقها أكثر حلاوةً مع الشراب الذي سنحصل عليه مِن

الصناديق التي يمنحها الإكليل. إنّ لكُحولها نكهاتٌ، كالتوت وشيء آخر يدعى بالقرفة. ربّما سأحصل حتّى على آلة زيثير جديدة مصنوعة مِن الخشب عوضاً عن المعدن. أحياناً يوزّعون مثلها. آلتي قديمة ومُستَهلكة؛ أعزفُ عليها منذ مدّةٍ طويلةٍ جدّاً، لكنّها كانت لأبي.

تصدحُ الموسيقا أمامنا مِن الميدان، ألحانٌ فاسِقةٌ مِن آلاتٍ إيقاعيّةٍ مُرتَجلةٍ، ونحيبٌ مِن آلات الزيثير. تنضمُّ إلينا عشيرتا: أوميغا، وأبسيلون، يتدافع أفرادهما بمرح، وهُم في طريقهم إلى الحانات. أبواب الحانات جميعها مُشرَّعة؛ لذا فإنّ دخانها وأصواتها يندفعان نحو ساحة الميدان. تشكّلُ الطاولاتُ حَلقةً حولَ الساحة، بعد أن تُرِكت مساحة فارغة تحيط بالمشانق في المركز، بحيث يكون هنالك مُتّسعٌ للرقص.

منازل عشيرة أوميغا تشغلُ عدّة طوابق متتالية، تعلوها مستودعات المؤن، وجدارٌ شديدُ الانحدار، ثمّ عالياً عند السقف توجد قُبّةٌ معدنيّةٌ غائرةٌ ذاتُ كوى للمشاهدة مصنوعة مِن زجاج النانو. نُطلِق على ذلك المكان اسم المِرجَل: إنّه الحصن حيثُ يعيش وينام حُرّاسنا. فوقه يوجد هنالك السطح غَيرُ المأهول لكوكبنا: أرضٌ مُقفِرةٌ قاحلةٌ لم أشاهدها إلّا في مكعّب العرضِ المُجسَّم. الهيليوم-3 الذي نُنقِّب عنه يفترض أن يغيّر مِن ذلك.

راقصو احتفاليّة مَنحِ الإكليل، وبهلوانيّوها، ومغنّوها، كانوا قد بدأوا في الحال. تنظرُ إيو إلى لوران وكيران، وتصيحُ باتّجاههما. إنّهما يجلسان إلى طاولةٍ مُكتظّةٍ طويلةٍ بالقرب مِن قطر الندى، وهي الحانة حيث يجلسُ كبيرُ عشيرتنا، الكاسِر، الذي يعقدُ المَحاكِم، ويروي القِصصَ للناس المَخمورين. لقد توفّي على الطاولة اللّيلة. إنّه لأمرٌ مُخجِل. كنت أودّ لو أنّه شهد أخيراً كيف أحرزتُ لنا الإكليل.

في احتفالاتنا، حيث الطعام قليلٌ، ومِن الصعب حصول المرء على لقمةٍ يسّدُ بها رمقه، يلعب الرقص والشرب دوراً مركزيّاً. يَصبُّ لي لوران قدحاً مِن الشراب حتّى قبل أن أجلس. لطالما حاول جعل الآخرين يثملون، لكي يتمكّن مِن وضع ربطات بعُقدة الفراشة السخيفة في شعرهم. إنّه يفسح الطريق لإيو كي تجلس بجوار زوجته ديو، شقيقتها التوأم بالشّكلِ إن لم يكن بالمَولِد.

لوران يحبُّ إيو كما كان ليُحبَّها أخوها ليام، لكنّني أعلمُ بأنّه فيما مضى كان مَفتوناً بها كما هو مَفتونٌ الآن بديو. في الواقع، لقد طلبَ يد زوجتي عندما بلغَت الرابعة عشرة، ولكنْ مِن ناحيةٍ أُخرى لقد قام بذلك أيضاً نِصفُ الشباب؛ فلا داعي للقلق. لقد اتّخذَت قرارها الصائب على نحوٍ واضِحٍ وصَريح.

أولاد كيران يتجمّعون مِن حوله. زوجته تقبِّلُ شفتيه، وزوجتي تقبِّلُ جبينه، وتبعثر شعره الأحمر. لا أعرف كيف بوسع الزوجات تدبُّر أمرِ ظهورهنّ بمثل هذا المَنظرِ الفاتن الأخّاذ، بعد قضاء يومهنّ في مصنع النسيج، وهنّ يحصُدن حرير الدودة العنكبوتيّة. لقد ولدتُ وسيماً، بوَجهٍ حادِّ الملامح، ونحيل، لكنّ المَناجِم فعلَت فِعلها كي تغيّرني. أنا طويلٌ، وما زلت أنمو. شعري لا يزال بلون الدم الجاف، ولون قزحيّتَيّ لا يزال أحمر صدِئاً كاللّون الذهبيّ لقزحيتَيّ أوكتافيا ذهبيّة لونا. بشرتي مشدودةٌ وشاحبةٌ، لكنْ تنتشرُ فيها النُّدوبُ، والحُروق، والجُروح. لن يطول الأمر حتّى أبدو قاسياً كداغو، أو مُنهكاً كعمّي نارول.

لكنّني لا أستطيع فهم النساء، كأنّهنّ مِن عالمٍ آخر: فاتِناتٌ ورشيقاتٌ على الرغم مِن مصنع النسيج، وعلى الرغم مِن الأطفال الذين أنجبوهنّ، فإنّهنّ يرتدين تنانيرَ ذات طبقاتٍ إلى أسفل الركبة، وبلوزات بعدّة تدرُّجاتٍ

للّون الأحمر. لا يرتدون أيّ لون آخر. الأحمرُ دائماً. إنّهنّ قلبُ العشائر النابض، وكم سيزيد جمالهنّ وهنَّ مَلفوفاتٌ بالأربطة، وأشرطة عُقَدِ الفراشات، والدانتيل الموجودة في صناديق الإكليل المُستورَدة!

ألمسُ الشِّعارَ على يدَيّ: إنّه ذو بُنيةٍ عَظميّة، دائرة حمراء غليظة مع سهمٍ وتظليل. يبدو هذا مناسباً، لكنْ ليس بالنسبة إلى إيو. ربّما لها شَعرُنا وعيوننا، لكنْ بإمكانها أن تكون واحدةً مِن ذهبيّي الحواجب الذين نشاهدهُم على مكعّب العرضِ المُجسَّم. إنّها تستحقُّ ذلك. عندها أرى كيف تَضرِب لوران بقوّة على رأسه، وهو يتجرَّعُ قدحاً مِن شراب أمّي دفعةً واحدة. إن كان الله يوزِّعُ المَحاسِن فقد كان كريماً معها. أبتسِم، لكنّ ابتسامتي تتلاشى، وأنا أنظرُ خلفها؛ فهنالك فوقَ الراقصين وقفزاتهم، ووسط مئات التنانير بحركاتها الدورانيّة، وخبطات الأحذية، وتصفيق الأيادي، يتأرجحُ هيكلٌ عظميٌّ وَحيدٌ على مِشنَقةٍ طويلةٍ موحِشة. لم يلحظ الآخرون ذلك. بالنسبة إليّ، إنّه خيالٌ يذكّرني بمَصيرِ أبي.

على الرغم مِن كوننا حفَّارين، إلّا أنّه لا يسمحُ لنا بدَفنِ مَوتانا. إنّه قانونٌ آخر مِن قوانين الجمعيّة. ظَلَّ أبي مُعلَّقاً لشهرين قبل أن يُنزِلوا هيكله العظميّ، ويطحنوا عِظامَه، مُحوِّلينها إلى غبار. كنتُ في السادسة من عمري، لكنّني حاولتُ إنزالهُ منذ اليوم الأوّل. أوقفني عمّي عن فعل ذلك. كرهته؛ لأنّه منعني عن جثّة أبي. فيما بعد كرهته مجدّداً؛ لأنّني اكتشفتُ بأنّه ضعيف. لقد مات أبي مِن أجل شيءٍ ما، بينما عمّي نارول عاشَ، وثَمِلَ، وأهدرَ حياته.

– «إنّه مجنون! ستعرفُ ذلك يوماً ما. مجنونٌ، ونبيهٌ، ونبيلٌ. نارول، إنّه الأفضلُ مِن بين أشقّائي». قالها والدي ذات مرّة.

الآن، إنّه آخرُ مَن تبقّى منهم.

لم يخطُر لي يوماً بأنَّ أبي سيؤدّي رقصة الشيطان، التي يُسمّيها كبارُ السِّنِ بالموت شنقاً. كان رجُلاً مُتحدّثاً ومُسالماً، لكنّ الحرية كانت هاجسه، وتلك القوانين التي نضعها بأنفسنا؛ أمّا أحلامه، فكانت سلاحه، وإرثه هو تمرُّد الراقص. مات إلى جانبه في ساحة الإعدام تسعة رجال أدّوا معاً رقصة الشيطان، يَركلون ويَضربون إلى أن لم يبقَ سِواه.

لم يكن في ذلك الكثيرُ مِن التمرُّد، فلقد اعتقدوا بأنّ احتجاجاً سلمياً سيقنع الجمعيّة بزيادة المخصّصات الغذائيّة؛ لذا قاموا بأداء رقصة الحصَاد أمام المِصعد الثقاليّ، وأزالوا بِضعَ قِطعٍ مِن آلات الحفر لتعطيلها. أخفقتْ الخطوة. فقط الفوزُ بالإكليل سيجعلكَ تحصلُ على مزيدٍ مِن الغذاء.

كانت الساعة تُقاربُ الحادية عشرة عندما جلس عمّي مع آلة الزيثير. أخذ يرمِقُني بنظراتٍ غريبةٍ، ثَمِلاً كأنّه في احتفال الانقلاب الشتويّ. لم نتبادل الكلام، مع أنّه يَكنُّ المَودَّة لإيو، وهي أيضاً؛ الكلّ يُحبُّ إيو.

فقط عندما أتت والدة إيو وقبَّلتني خلف رأسي، وقالَت بصوتٍ عالٍ جدّاً: «سمِعنا الأخبار أيّها الفتى الذهبيّ. الإكليل! إنّكَ ابن أبيك». تحرّكَ عمّي، وزاد نشاطه.

- «ما الأمر يا عمّي؟».أسألُ: «أتعاني مِن الغازات؟».

تتّسعُ فتحتا أنفه: «أيّها الوَغدُ الصغير!».

يندفعُ نحوي عَبْرَ الطاولة، وسرعان ما تحوّلنا إلى مَعمَعةٍ مِن القبضات والأكواع على الأرض. إنّه ضَخمٌ، لكنّني أطرحهُ وألكمهُ على أنفه بيدي المُصابة إلى أن سحبني كلٌّ مِن والد إيو وكيران بعيداً. عمّي نارول يبصقُ عليّ. إنّهُ مزيجٌ مِن الدم والشراب لا مثيل له، ثمّ تابعنا الشُربَ كلٌّ على الجانب الآخر مِن الطاولة، بينما أمّي تُقلِّبُ عيونها.

- «إنّه يشعرُ بالمرارة فقط؛ لأنّه لم يفعل أيَّ شيءٍ لَعينٍ للفَوزِ بالإكليل. لقد جعل مِن نفسه أضحوكة». يقول لوران عن والده.

- «جبانٌ لَعين! ما كان ليعرف كيفيّة الفوز بالإكليل، ولو وضعوه في حضنه». أقول مُتجهّماً.

والد إيو يربِّتُ على رأسي ملاحظاً كيف تقوم ابنته بمعالجة يدي المحروقة تحت الطاولة. أرتدي قفّازاتي مجدّداً، فيغمزُني.

تكتشفُ إيو الضجّة حَولَ الإكليل مع وصولِ عُلَبِ الصفيحِ، لكنّها لم تكن مُبتهِجةً بمقدار ما كُنتُ آمل. إنّها تَلوي تنّورتها بين يديها، وتبتسمُ لي، لكنّ ابتسامتها أشبهُ بتكشيرة. لم أفهم لمَ هي قلِقة إلى هذا الحدّ. لم يكن أحد مِن العشائر الأُخرى قَلِقاً هكذا. العديد أتوا ليُظهِروا احترامهم؛ جميعُ غطّاسي الجحيم فعلوا ذلك إلّا داغو. إنّه يجلسُ إلى مجموعة طاولاتٍ برّاقةٍ لعشيرة غاما، الوحيدة التي تحتوي على طعامٍ أكثر مِن الشراب، ويُدخِّن السيجار.

- «لا أتوقُ إلى الانتظار لرؤية الأحمق، وهو يأكلُ مِن المُخصّصاتِ المُعتادة». يضحكُ لوران ضحكةً مكتومة: «لم يذُق داغو طعام البسطاء مِن قبل».

- «ومع ذلك فإنّه بطريقةٍ ما أنحفُ مِن امرأة». يضيفُ كيران.

أضحكُ مع لوران، وأدفع بقطعة خبزٍ هزيلةٍ إلى إيو.

- «ابتهجي». أقول لها: «إنّها ليلةٌ للاحتفال».

- «لستُ جائعة». تجيب.

- «ولا مع بعض القرفة على الخبز؟». قريباً سيكون.

تمنحني نِصفَ الابتسامة تلك، كأنّها تعلم أمراً أجهَله.

عند الثانية عشرة تهبط زمرةٌ مِن عُلَبِ الصفيح بالأحذية الثقاليّة مِن المِرجَل. دُروعهُم رديئةٌ ومُلطَّخة. معظمهم فتيانٌ، أو شيوخٌ تقاعدوا مِن حروب كوكب الأرض، لكنّ هذا لا يهمّ. إنّهم يحملون هراواتهم وحرَّاقاتهم في غمودٍ مثبتة. لم أشهد استخدام أيّ سلاحٍ منها قطّ. لا حاجة إلى ذلك؛ إنّهم يسيطرون على الهواء، والغذاء، والمرفأ. ليس لدينا حرَّاقات نُطلِق منها، مع أنّ إيو لن تُمانِع سرقة واحدةٍ منها.

عضلة فكِّها تنقبض، وهي تشاهد عُلَبَ الصفيحِ يحومون بأحذيتهم الثقاليّة، وقد انضمّ إليهم الآن حاكِم المَناجِم، تيموني نحاسي بودغينوس، رجُلٌ صغيرٌ بشَعرٍ نحاسيّ اللّون مِن الفِلسيّين(*) (أقصد النحاسيّين كي أكون دقيقاً).

- «انتباه، انتباه! يا أيّتها القذارة الصدئيّة». يصيح دان الشنيع. مع طوافهم فوقنا يُخيّم الصمت على الاحتفاليّة. الحذاء الثقاليّ للحاكِم بودغينوس مِن نوعيّةٍ رديئةٍ؛ لذا يتأرجح بالهواء مثل شيخٍ عجوز. مزيد مِن علب الصفيح يهبطون بوساطة المِصعد الثقاليّ، مع مُباعدة بودغينوس ليديه الصغيرتين المُشذّبتين.

- «زملائي الروّاد، كم مِن الرائع رؤية احتفالاتكم! لا يسعني إلّا أن أعترف». يضحكُ ضحكةً مكتومة: «بأنّ الطبيعة البسيطة لسعادتكُم تستهويني: شرابٌ بسيط. طعامٌ بسيط. رقصٌ بسيط. ياه، يا لأرواحكُم الجميلة التي تجعلكُم تستمتعون بهذا القدر! لماذا؟ لأنّني أتمنّى لو أنّ بمقدوري الاستمتاع مثلكُم، فأنا في هذه الأيّام لا أجدُ المُتعةَ حتّى خارج الكوكب في بيوت الدعارة الوَرديّة بعد تناولِ وَجبةٍ مِن لحم الجومبون

(*) لقب يطلق على النحاسيّين، مستمدّ مِن الفلس: وهي عملةٌ من النحاس. (م).

الفاخر، وكعكعة الأناناس. كم هذا مُحزِنٌ بالنسبة إلي! كم هي مُرفَّهةٌ أرواحكُم! كم أتوقُ إلى أن أكون مِثلكُم! لكنّني محكومٌ بلَوني، ومَلعونٌ كنُحاسيٍّ بعَيشِ حياة البيانات، والبيروقراطيّة، والإدارة المُرهِقة». يتلمَّظُ بلسانه، وتلافيفُ شَعرِه النحاسيّة تقفزُ مُرتدَّةً عن رأسه مع تحرّكِ حذائه الثقاليّ.

- لكن لنعُد إلى المهم. الجميع حقَّقَ حِصصَ الإنتاج المُحدَّدة ما عدا عشيرتَي: مو(*)، وخي(**)؛ لذلك لن تَحصُلا هذا الشهر على لحمِ عِجلٍ، أو حليب، أو بهارات، أو مستلزمات نظافة، أو موادّ رفاهية، أو عناية سِنيّة. الشوفان فقط، وبكمِّيات محدودة جدّاً. إنّكم تُدرِكون بأنّ السُّفنَ القادمة مِن مَدار كوكب الأرض يُمكِنها أن تجلبَ إلى المُستوطَنات كمِّياتٍ مُحدَّدةً مِن المؤن. إنّها مَوارِد ثمينة، وعلينا أن نُعطيَها لأولئكَ الذين يُنجِزون أعمالهم. ربّما في الرُّبع القادم، ستقلّل عشيرتا: مو، وخي مِن عَبثِهما وتلكُّئهما.

عشيرتا: مو، وخي خسرتا اثني عشر رجُلاً في انفجارٍ للغاز مثل ذلك الذي كان عمّي نارول يخشاه. لم يعبثوا، أو يتلكّؤوا؛ لقد ماتوا.

أخذَ يُثرثِر لبرهةٍ قبل أن يصل إلى ما هو مهمّ. يُخرِج الإكليلَ، ويُمسِكه في الهواء مُطبقاً عليه بين أصابعه. إنّه مَطليٌّ بذَهبٍ مُزيَّف، ولكنْ فرعٌ صغيرٌ منه له بَريقٌ لامعٌ على الرغم من ذلك. لوران يَنكُزني، وعمّي نارول يعبس. أستندُ إلى الخلف مُدركاً نظراتِ الآخرين إليّ. الصغار يُقلِّدونني. الأطفال يعشقون جميع غطَّاسي الجحيم، لكنّ الكبار أيضاً ينظرون إليّ، مثلما تقول إيو دائماً: أنا مَوضِعُ فَخرِهم، ابنهم الذهبيّ. الآن سأريهم كيف يتصرّف الرجُل الحقيقيّ. لن أقفزَ فرحاً بالنصر. سأكتفي بابتسامةٍ وإيماءة.

(*) μ الحرف الثاني عشر مِن الأبجدية الإغريقية. (م).
(**) χ الحرف الثاني والعشرون مِن الأبجدية الإغريقية. (م).

- ويشرّفني بالنيابة عن الحاكِم العام للمرّيخ، نيرو ذهبي أوغوستوس، أنْ أمنحَ جائزة إكليلِ الإنتاج، والتَّفوقِ الشهريّ، والشجاعة المُظفَّرة، والطَّاعة، والتَّضحية و....

عشيرة غاما تحصلُ على الإكليل.

ونحن لا نحصلُ على أيّ شيء.

4

الهديَّة

مع منح صناديق الإكليل الملفوفة لعشيرة غاما، أخذتُ أفكِّر: كم هو ذكيّ كلّ هذا الذي يحدث! لن يدعونا نفوز بالإكليل. لا يهتمّون بكون الحسابات غير مطابقة. لا يأبهون بكون الشباب يصرخون محتجّين، والشيوخ يكرّرون متنهّدين حِكَمَهم المرهقة نفسها. إنّه مُجرَّد استعراضٍ لقوّتهم. إنّها قوّتهم، فهُم يقرّرون مَن هو الرابح. لعبة استحقاقات تُكسبُ منذ الولادة، لتُبقي الهرميَّة على حالها، لتجعلنا نستمرّ بالمحاولة مِن دون أن نفكِّر بالتآمر.

على الرغم مِن خيبة الأمل، إلّا أنّ قسماً منّا لا يلوم الجمعيّة. إنّنا نلوم عشيرة غاما التي تلقّت الهدايا. باعتقادي في قلب المرء قَدرٌ محدّدٌ مِن الكراهية، وعندما يرى المرء ضُلوعَ أطفاله تَبرزُ مِن خلال قُمصانِهم، بينما جيرانه يملؤون بطونهم بيَخنَةَ اللّحم والكعك المُحلّى، فسيكون مِن الصعب عليه أن يفكّر في كره أحدٍ غيرهم. يظنّ المرء بأنّهم سيُشاركون، لكنّهم لا يفعلون ذلك.

يهزُّ عمّي رأسه، وهو ينظر إليّ، والآخرون يحمرّون غضباً. لوران

يبدو كأنّه على وشك مهاجمة عُلَبِ الصفيحِ، أو عشيرة غاما، لكنّ إيو لا تدعني أغلي وأثور من جرّاء ذلك. إنّها لا تدع مفاصل أصابعي تَبيضُّ نتيجة إطباقي لقبضتي مِن شدّة غيظي. إنّها تعرفُ طباعي التي في داخلي حتّى أفضل مِن أمّي، وتعرف كيف تُفرّغ انفعالاتي وغضبي قبل أن تتعالى. تبتسم أمّي ابتسامةً خفيفةً، وهي تشاهد كيف تأخذني إيو مِن ذراعي. ياه كم تُحبُّ زوجتي!

– «ارقُص معي». تهمسُ إيو. تصيح بعازفي الزيثير كي يتابعوا عزفهم، وعلى ضاربي الطبول كي يواصلوا قرعها. لا شك في أنّها غاضبة، والشرر يتطاير منها؛ إنّها تكره الجمعيّة أكثر منّي، ولكنْ لهذا أحبُّ زوجتي.

لم يطَل الأمر لتأخذ ألحان آلة الزيثير السريعة تصدح، وأيادي الشيوخ تطرق الطاولات. التنانير ذات الطبقات تطير. الأقدام تضرب وتتداخل. أمسكُ بزوجتي بينما أخذتِ العشائر تتدفّق راقصةً عبر الساحة لتنضمّ إلينا. نعرقُ ونضحك محاولين نسيان الغضب. ترعرعنا معاً، وقد كبرنا الآن. في عينيها أرى قلبي. في أنفاسها أسمع روحي. إنّها موطني. إنّها عائلتي. إنّها حُبّي.

تسحبني بعيداً، وهي تضحك. نشقّ طريقنا مِن خلال الجموع لكي نصبح وحْدنا، مع ذلك لا تتوقّف بعد أن تحرّرنا مِن الحشود. تقودني عبْر ممرّاتٍ معدنيّة تحت سقفٍ منخفضٍ غامضٍ إلى الأنفاق القديمة، إلى مصنع النسيج؛ حيث تعمل وتكدّ النساء. الوقت الآن هو بين وَرديّتين.

– «إلى أين نذهب بالضبط؟».أسأل.

– لديّ هدايا لكَ، إن كنتَ تذكر، وإن اعتذرت لكون هديّتك قد تبخّرت، فسأصفعكَ على فمكَ.

يقعُ نظري على بصلة هايمانتوس حمراء دمويّة اللّون تنبت مِن الجدار، أقتلعها وأمرّرها لها. «هديّتي». أقولُ لها: «لقد تعمّدتُ مفاجأتك».

تضحكُ مقهقهة: «حسناً إذنْ. هذا النصف الداخليّ لي، والنصف الخارجيّ لك. لا، لا تسحبها! سأحتفِظُ بِنصفك». أشمُّ الهايمانتوس في يديها. لها رائحة الصدأ، ويَخنةُ أمّي الفقيرة.

في مصنع النسيج، ديدان عنكبوتيّة بعرض الفخذ، ذات فراءٍ بنيٍّ وأسود، وبأرجُلٍ طويلة هيكليّة، تحيكُ الحرير مِن حولنا. العوارض المعدنيّة تزخر بها، أرجُلها النحيلة غير متناسبةٍ مع بطونها السمينة. تقودني إيو إلى أعلى منسوبٍ في مصنع النسيج. العوارض المعدنيّة القديمة مزخرفة بالحرير. أشعرُ بالقشعريرة، وأنا أنظرُ إلى المخلوقات فوقي وتحتي. بمقدوري تحمّل أفاعي الحُفَر؛ أمّا العناكب الدوديّة، فلا. نحّاتو الجمعيّة هُم مَن صنعوا هذه المخلوقات. تقودني إيو ضاحكةً نحو حائط، وتبعد غطاءً كثيفاً مِن شباك العنكبوت كاشفةً عن قناةٍ معدنيّةٍ صدئة.

– «فتحة تهوية». تقول: «لقد تآكل الملاط عن الجدران قبل أسبوع كاشفاً عنها، وعن قناةٍ قديمةٍ أيضاً».

– سوف يجلدوننا يا إيو، إن عثروا علينا؛ إنّه مِن غير المسموح لنا...

– «لن أدعهم يُفسِدون هذه الهديّة أيضاً». تُقبِّلني على أنفي: «هيّا تعال يا غطّاس الجحيم. لا وجود حتّى لحفّارٍ منصهرٍ في هذا النفق».

تبعتها عبر سلسلةٍ طويلةٍ مِن الانعطافات في مِهواة منجمٍ صغيرة، إلى أنْ عبرنا مِن خلال شبكٍ معدنيٍّ إلى الخارج نحو عالمٍ مِن الأصوات غير البشريّة. هنالك أزيزٌ وطنينٌ يدندن في الظلام. تمسكُ بيدي. إنّه الشيء الوحيد المألوف لي.

- «ما هذا؟». أسألُ عن الصوت.

- «حيوانات». تقول، وهي تقودني في هذه اللّيلة الغريبة. شيءٌ ناعمٌ يوجد أسفل قدمي. أدعُها تسحبني إلى الأمام، والتوتّر يعتريني: «عشبٌ وأشجار. أشجارٌ يا دارو. نحن في الغابة».

عَبَقُ الأزهار، ومِن ثمّ أضواءٌ في الظلام. حيواناتٌ مرفرفةٌ ببطونٍ خضراءَ تخفق عبْر الظلام. حشراتٌ ضخمةٌ بأجنحةٍ متقزحةٍ ترتفع مِن قلب الظلال. إنّها تنبض بالألوان والحياة. ألتقط أنفاسي، وإيو تضحك، بينما تمرّ فراشةٌ بالقرب منّي لدرجة أنّي أستطيع لمسها.

كلّ تلك الأشياء مذكورةٌ في أغانينا، ولكنّنا لم نرها قطّ سوى في مكعّب العرضِ المُجسَّم. لا أصدّق حتّى أنّ لها مثل تلك الألوان. عيوني لم ترَ شيئاً سوى التراب، وتوهّج الحفَّار، والحُمر، واللّون الرماديّ للخرسانة والمعدن. مكعّب العرضِ المُجسَّم كان النافذة التي أرى مِن خلالها الألوان، لكنْ هذا مشهدٌ مختلفٌ تماماً.

ألوان الحيوانات التي تحوم مِن حولي تعمي بصري. أرتعش، وأضحك، وأمدُّ يدي؛ لألمس المخلوقات التي تحوم أمامي في الظلام. كطفلٍ أمسكها بين يديّ مجدّداً، وأنظر إلى الأعلى، نحو سقف الغرفة الصافي كفقاعةٍ شفّافةٍ تطلّ على السماء.

السماء، يوماً ما كانت مُجرَّد كلمة.

لا يمكنني رؤية سطح المرّيخ، لكنْ بوسعي رؤية إطلالته. النجوم تتوهّج برفقٍ وبعظمةٍ في سماءٍ مِن الحرير الأسْود، مثل الأضواء التي تتدلّى فوق مَجمَعنا. إيو تنظر كأنّها تريدُ الانضمام إليها. وَجهُها يتوهّج، وهي تراقبني ضاحكةً كيف أسقط راكعاً على ركبتَيّ، مستنشقاً شذا العشب.

إنّها رائحةٌ غريبةٌ، عطرةٌ يملؤها الحنين، على الرغم مِن آنّني لا أملك أيّة ذكريات عن العشب. وبينما أزيز الحيوانات وطنينها يعلو مِن الأجمة والأشجار القريبة، جذبتها نحوي إلى الأسفل، وقَبّلتها لأوّل مرّةٍ، وعيوني مفتوحة. الأشجار وأوراقها تتمايل بلطفٍ من جرّاء الهواء الآتي عبْر فتحات التهوية. ورحت كالظمآن أتشبّع كلّ تلك الأصوات، والروائح، والمناظر، وأنا أمارس الحبّ مع زوجتي على فراشٍ مِن العشب، تحت سقفٍ مِن النجوم.

- «هذه مجرّة أندروميدا». تخبرني لاحقاً، ونحن مستلقيان على ظهرينا. الحيوانات تصدر أصوات صريرٍ في الظلام. السماء فوقي تبدو شيئاً مرعباً. إنْ أمعنتُ التحديق أنسى قوّة الجاذبيّة، وأشعر كأنّي سأهوي نحوها. أشعر برعشةٍ تسري على طول ظهري. إنّني مخلوقٌ يعيش في الزوايا، والأنفاق، ومهاوي المناجم. المناجم هي دياري، وجزءٌ منّي يرغب بالهروب إلى الأمان، الهروب مِن هذه الغرفة المختلفة الغريبة المملوءة بالأشياء الحيّة، والمساحات الفسيحة.

تستدير إيو لتنظر إليّ، وتمرّر أصابعها على آثار ندوب البخار التي تبدو كأنّهار تجري على صدري. في الأسفل ستجد ندوباً على طول بطني مِن أفعى الحُفَر. «اعتادت أمّي أن تروي لي قصصاً عن أندروميدا. كانَت ترسم بوساطة الحبر الذي يعطيها إيّاه عُلبَةُ الصفيحِ بريدج. لطالما كان معجباً بها، تعرفين ذلك».

وبينما نحن نستلقي معاً، أخذت نفساً عميقاً، فأيقنت حينها بأنّها كانت قد خطّطت لشيءٍ ما. ادّخرَت شيئاً ما لنتحدث عنه في هذه اللّحظة، فلهذا المكان تأثير كبير.

- «لقد فُزتَ بالإكليل، جميعنا يعرف ذلك». تقول لي.

- «لا داعي لأن تخففي عنّي؛ لم أعد غاضباً. لم يعد الأمر مهمّاً». أقول: «بعد رؤية هذا لا شيء مِن ذلك مهمّ».

- «عمَّ تتحدّث؟». تسألني بحدّة: «إنّه مهمٌّ أكثر مِن أيّ وقتٍ مضى. لقد فُزتَ بالإكليل، لكنّهم لم يدعوك تحصل عليه».

- إنّه غير مهمّ. هذا المكان...

- هذا المكان موجود، لكنّهم لا يسمحون لنا بالمجيء إلى هنا يا دارو. مِن المؤكّد أنّ الرماديّين يستخدمونه لأنفسهم. إنّهم لا يشاركون.

- «لِمَ عليهم فعل ذلك؟». أسألُ، والحيرة باديةٌ عليّ.

- لأنّنا نحن مَن صنع هذا، لأنّه لنا!

- «أهو كذلك؟». إنّها فكرةٌ غريبةٌ عليّ. كلّ ما أملكه هي عائلتي ونفسي. أيّ شيءٍ آخر هو ملك للجمعيّة. نحن لم ننفق المال لنرسل الرُوّاد إلى هنا. مِن دونهم كنّا لنبقى على كوكب الأرض المحتضر مثل باقي البشريّة.

- دارو! أأنت أحمر إلى تلك الدرجة التي تجعلك غير قادرٍ على رؤية ما فعلوه بنا؟

- «انتبهي إلى ألفاظك». أقولُ بحزم.

تلوي فمها: «أنا آسفة. الأمر فقط.. نحن مكبّلون بالقيود يا دارو. نحن لسنا مستوطنين. حسناً، نحن كذلك، ولكنّنا أقرب إلى أن نكون عبيداً. إنّنا نتوسّل للحصول على الطعام. نتوسّل للحصول على الإكليل كالكلاب التي تتوسّل للحصول على الفتات من مائدة سيّدها».

- «قد تكونين أنتِ عبدة». أردُّ بسخط: «لكنّي لستُ كذلك. أنا لا أتوسّل. أنا أكسب. أنا غطّاس جحيم. لقد ولدتُ لكي أضحّي، لكي أجعل المرّيخ صالحاً للبشر. هنالك نبلٌ وشهامةٌ عندما تطيعين...».

تلوِّحُ بيدها: «هل أنتَ دمية ناطقة؟». تقذفُ كلماتهم اللّعينة: «لقد كان والدك على حقّ. ربّما لم يكن مثاليّاً، لكنّه كان على حق». تمسكُ بخصلةٍ مِن العشب وتقتلعها مِن الأرض. بدا الأمر كنوعٍ مِن التدنيس.

- هذه الأرض مِن حقّنا يا دارو. لقد رويناها بعَرقنا ودِمائنا، لكنّها الآن مُلكٌ للذهبيّين، للجمعيّة. منذ متى وهي كذلك؟ مئة، مئة وخمسين عاماً، أمضاها الروّاد، وهُم ينقّبون ويقضون نحبهم؟ دماؤنا وأوامرهم. إنّنا نهيّئ هذه الأرض لأبناء الألوان الأخرى، الذين لم يذرفوا قطرة عرقٍ واحدةً مِن أجلنا، أبناء الألوان الذين يجلسون مرتاحين على عروشهم في كوكب الأرض البعيد، أبناء الألوان الذين لم يأتوا إلى المرّيخ قطّ. أهذا شيء نحيا مِن أجله؟ سأقولها مجدّداً: والدك كان على حقّ.

أهزّ رأسي: «إيو، أبي مات حتّى قبل أن يتمّ الخامسة والعشرين من عمره؛ لأنّه كان على حق».

- «كان والدك ضعيفاً». تتمتمُ.

- «اللّعنة! ما الذي يعنيه هذا؟». يندفعُ الدم إلى رأسي.

- «يعني أنّه كان لديه الكثير مِن التحفّظ، يعني أنّه كان لدى والدك الحلم الصحيح، لكنّه مات لأنّه لم يقاتل ليجعله حقيقة». تقول بحِدَّة.

- كانت لديه عائلة ليحميها!

- مع ذلك لا يزال أضعف منك.

- «حذارِ!». أقولها مُهسهساً.

- «حذارِ؟ أهذا ما يقوله دارو، غطَّاس الجحيم المجنون مِن ليكوس؟».

تضحكُ بتسلّط: «والدك ولِدَ حريصاً ومطيعاً، لكنْ هل أنت كذلك؟ لم أكن أظنّك هكذا عندما تزوّجتك. الآخرون قالوا بأنّك أشبه بآلةٍ؛ لأنّك لا تعرف الخوف. لقد كانوا عُمياناً؛ لم يروا كمّ الخوف الذي يكبِّلك».

في حركةٍ لطيفةٍ مفاجئةٍ تمرّر براعم الهايمانتوس على عظمة ترقوتي. إنّها مخلوقٌ مجبولٌ على المزاجيّة. لون الزهرة مِن لون رباط الزواج في إصبعها.

أستديرُ لأواجهها مستنداً إلى مرفقي: «هيّا انطقيها. ماذا تريدين؟».

- «أتعرف لماذا أحبُّك يا غطَّاس الجحيم؟». تسألني.

- لروح الدُّعابة التي لديّ.

تضحكُ بلؤم: «لأنّك تعتقد بأنّه بوسعك الفَوزُ بالإكليل. أخبرني كيران كيف أحرقتَ نفسك اليوم».

أتنهَّدُ: «الجرذ. إنّه دائم الثرثرة. كنت أظنّ بأنّ الإخوة الأصغر سنّاً هُم من يقومون بذلك، وليس الأكبر».

- كيران كان خائفاً يا دارو. ليس عليك، كما سيخيّل إليك. لقد كان خائفاً منك؛ لأنّه غير قادرٍ على القيام بما قمتَ به. الفتى لم يفكّر في ذلك أصلاً.

دائماً ما تحدّثني بالألغاز. أكره ذلك الكلام المجرّد الذي تعيش مِن أجله.

- «إذنْ، أنتِ تحبّينني لاعتقادك بأنّني مقتنعٌ أنّ هنالكَ أشياء تستحقّ المخاطرة؟». أحلُّ اللّغز: «أم لأنّني طموح؟».

- «لأنّ لديك عقلاً». تمازحني مُعاكِسة.

تجعلني أسأل مجدّداً: «ماذا تريدين منّي أن أفعل يا إيو؟».

- تصرَّف. أريدكَ أن تستخدم مواهبك لتحقيق حلم أبيك. إنّك ترى كيف يتطلّع الناس إليك، يأخذون الإلهام منك. أريد أن تفكّر في امتلاك هذه الأرض، أرضنا، إنّها تستحق المخاطرة.

- كم مِن المخاطرة؟

- حياتك. حياتي.

أسخرُ متهكّماً: «أأنتِ متلهّفة كلّ هذا القدر للتخلّص منّي؟».

- «تكلّم، وسيستمعون إليك». تردُّ مُحفِّزةً: «اللّعنة! إنّه أمرٌ شديد السهولة. جميع الآذان توّاقةٌ إلى صوتٍ يقودها عبْر الظلام».

- رائع! إذنْ، سأشنَقُ مع زمرةٍ مِن الجنود. إنّني ابن أبي.

- لن تُشنَق.

تضحكُ بخشونة: «سأشنَقُ بقدر ما لدى زوجتي مِن ثقة».

- «ليس مِن المفترض أن تكون شهيداً». تتنهّد مستلقيةً على ظهرها، وخيبة الأمل تعتريها: «إنّكَ لا تريد رؤية الهدف مِن ذلك».

- «ياه! حسناً إذنْ، أخبريني يا إيو ما الهدف مِن الموت؟ أنا مجرّد ابن شهيد؛ لذا أخبريني ما الذي حقّقه ذلك الرجُل بسلبي أبي. أخبريني ما الأمر الجيّد الذي حصلنا عليه مِن كلّ هذا الحزن اللعين! أخبريني ما هو الأفضل في أن يعلّمني عمّي الرقص عوضاً عن أبي». وأتابع: «هل وَضعَ موته طعاماً على مائدتك؟ هل جعل حياة أيٍّ منّا أفضل؟ الموت مِن أجل قضيّة، اللّعنة! إنّه لا يفعل أيّ شيء. لقد سَلبنا ذلك ضحكته فقط». أشعرُ بالدموع تحرق عيوني: «إنّه سَلبَ فقط أباً وزوجاً؛ لذا ما الخطب في ألّا تكون الحياة عادلةً، وأن يكون لدينا عائلة؟ هذا ما يجب أن يكون مهمّاً فقط».

تلعقُ شفتيها، وتأخذ وقتها في الردّ.

- «الموت ليس عبثيّاً كما تقول. العبث هو حياة بلا حريّة يا دارو. العبث هو العيش مكبّلاً بقيود الخوف، الخوف مِن الفقدان، مِن الموت. أنا أقول: فلنحطّم تلك القيود. حطّم قيود الخوف لتتحطّم القيود التي تربطنا بالذهبيّين والجمعيّة. هل يمكنك تخيّل ذلك؟ المرّيخ يمكن أن يكون لنا. يمكن أن يكون للمستوطنين الذين استُعبِدوا هنا، وماتوا هنا». بات مِن الأسهل رؤية وجهها مع تلاشي اللّيل عبر السقف الصافي. إنّه حيٌّ متوهّج: «إن قُدتَ الآخرين إلى الحريّة، أتتخيّل الأمور التي بوسعك فعلها يا دارو، الأمور التي يمكنكَ جعلها تتحقّق؟». تتوقّف، فأرى عينيها تتلألآن: «أشعر بالقشعريرة مِن ذلك. لقد وهبتَ الكثير الكثير، لكنّكَ تُبقي تطلّعاتكَ منخفضةً جدّاً».

- «إنَّكِ تكرّرين الأفكار اللّعينة نفسها». أقول بشدّة: «أنتِ تعتقدين بأنّ الحلم يستحقّ أن يموت المرء لأجله. أنا أقول بأنّه لا يستحق. أنتِ تقولين بأنّه مِن الأفضل الموت واقفاً على قدميك، وأنا أقول: إنّه مِن الأفضل العيش راكعاً على ركبتيك».

- «أنتَ حتّى لا تعيش!». تنفجرُ غاضبة: «إنّنا بشرٌ آليّون، بعقول آلاتٍ، وحياة آلات...».

- «وبقُلوبِ آلات؟». أسألُها: «أهذا ما أنا عليه؟».

- دارو...

- «مِن أجل ماذا تعيشين؟». أسألُها فجأة: «ألأجلي؟ لأجل العائلة والحُبّ؟ أم لأجل حلمٍ ما؟».

- إنّه ليس مجرّد حلمٍ ما يا دارو. أنا أعيش مِن أجل الحلم بأن يولد

أطفالي أحراراً، بأن يكون بوسعهم اختيار ما يريدون أن يكونوه، بأنّهم سيملكون الأرض التي سيعطيها لهم والدهم.

- «أنا أعيش لأجلك». أقول بحزن.

تُقبِّلني على خدّي: «إذنْ، عليكَ أن تعيش لما هو أكبر مِن ذلك».

تسود لحظاتٌ طويلةٌ مِن الصمت الفظيع بيننا. إنّها لا تستوعب كم مزَّقت كلماتها قلبي، كيف بإمكانها أن تسحقني بكلّ هذه السهولة. لأنّها لا تحبّني بالقدر الذي أحبّها به. مستواها العقليّ عالٍ جدّاً؛ أمّا أنا، فمُتدنٍّ جدّاً. ألستُ كافياً لها؟

- «لقد قلتِ بأنّ لديكِ هديّة أُخرى لي؟». أقول ذلك لأغيّر الموضوع.

تهزُّ برأسها: «ربّما في وقتٍ آخر. الشمس تشرق. شاهد ذلك معي مرّةً على الأقلّ».

نستلقي بصمتٍ لنشاهد كيف يتسلّل الضوء إلى السماء كأنّه موجة مَدٍّ ناريّة. إنّه لا يشبه أيّ شيءٍ كنتُ قد حلمت به. لم أستطع منع الدموع؛ انهمرت مِن عيني بينما أخذ الضوء يغمر العالم في الخارج، وبدأت تتكشّفُ ألوان: الأخضر، والبنيّ، والأصفر التي تتلوّن بها الأشجار في الغرفة. إنّه منظرٌ جميل. إنّه حلم.

ألتزمُ الصمت، ونحن في طريق عودتنا إلى كآبة القنوات الرماديّة. الدموع محبوسةٌ في عيني، ومع تلاشي روعة ما رأيته، أتساءلُ: ما الذي تريده إيو منّي؟ هل تريد منّي أن آخذ نصلي المِنجَليّ وأُطلِق تمرُّداً؟ سأموت. عائلتي ستموت. هي ستموت، ولا شيء على الإطلاق سيجعلني أخاطر بها. إنّها تعلم ذلك.

أحاول اكتشاف ماذا يمكن أن تكون هديّتها الأُخرى مع خروجنا مِن

القنوات إلى مصنع النسيج. أدفع بنفسي خارج القناة أوّلاً، ثمّ أمدُّ يدي لها، عندها أسمع صوتاً، لهُ لكنة أهل الأرض المُتملِّقة.

- «حُمرٌ في حدائقنا». أخذ يتحذلق: «يا له مِن أمر!».

5

الأغنية الأولى



يقفُ دان الشنيع مع ثلاثة مِن غُلَبِ الصفيحِ. هراواتهم تطقطق بين أيديهم. اثنان مِنهما يتكئان على القضبان المعدنيّة لعوارض مصنع النسيج. خلفهما نساء مِن عشيرتيْ: مي، وأبسيلون، يقمن بلفّ الحرير مِن الدود على عيدان فضيّة طويلة. أخذن بهزِّ رؤوسهنّ نحوي بكلّ إلحاح، كأنّهنّ يخبرنني بألّا أكون أحمق. لقد تجاوزنا المناطق المسموحة؛ هذا يعني الجَلْد، لكنْ إن قاومت سيعني ذلك الموت؛ سيقتلون إيو، وسيقتلونني.

– «دارو...». تدمدمُ إيو.

أقحم نفسي بين إيو وغُلَبِ الصفيحِ، لكنّني لا أقاتل. لن أسمح بموتنا مِن أجل نظرةٍ خاطفةٍ على النجوم. أضعُ يدَيّ خارجاً ليعلموا بأنّني سأستسلم.

– «غطّاس الجحيم». يتوجّهُ دان الشنيع نحو البقيّة بضحكةٍ مكتومة: «النملة الأشرس تبقى مجرّد نملة». يلوّح بهراوته ضارباً معدتي. الأمر أشبه بأن تعضّك أفعى، ويركلك حذاء. أسقط ملتقطاً أنفاسي، ويداي على الشبكة المعدنيّة. الكهرباء تندفع عبر عروقي. أحسستُ بطعم عصارتي

المعديّة يصل إلى حلقي. «جرِّبها يا غطّاس الجحيم». يقول دان بصوتٍ كالهديل. يُسقِطُ إحدى الهراوات أمامي: «رجاءً جرّبها، لن يكون هنالك أيّة عواقب. مجرّد بعض المرح بين الشباب. جرّبها أيّها الوغد».

- «اِفعلها يا دارو!». تصيح إيو.

لستُ أحمق. أرفعُ يدَيّ إلى الأعلى مستسلماً، ليزفُرَ دان، والخيبة بادية عليه، وهو يُطبق الأصفاد المغناطيسيّة حول معصمي. ما الذي كانت إيو تريد منّي أن أفعله؟ إنّها تَلعنُهم، وهم يكبّلون ذراعيها، ويسحبوننا بعيداً عبر مصنع النسيج إلى الزنزانات؛ هذا يعني الجَلد، لكنّ الأمر سيقتصر على الجلد فقط؛ لأنّني لم ألتقط الهراوة، لأنّني لم أستمع إلى إيو.

مضت ثلاثة أيّام، وأنا في زنزانةٍ من زنازين المِرجَل، قبل أن أتمكّن مِن رؤية إيو مجدّداً. بريدج، وهو واحدٌ مِن عُلَبِ الصفيحِ القدماء، والألطف بينهم، يُخرجنا معاً، يسمح لنا بلمس بعضنا. أتساءل: هل ستبصق عليّ وتلعنني على عجزي؟ لكنّها تكتفي بجذب أصابعي، وتقرِّبُ شفاهها مِن شفاهي.

- «دارو». شفاهها تمسحُ أذني. النَفَسُ دافئٌ، والشفاه متشقّقةٌ ومرتعشة. أشعر بهشاشتها، وهي تعانقني، فتاةٌ صغيرةٌ شاحبةٌ وهزيلة، لم تحملها ركبتاها، فاتّكأت عليّ مرتعشة. الدفء الذي لمحته في وَجهِها، ونحن نراقب شروق الشمس، تبخّر تاركاً إيّاها أشبه بذكرى متلاشية، ولكنْ بالكاد أتمكّنُ مِن رؤية أيّ شيءٍ سوى عينيها وشعرها. أشبكُ ذراعيّ مِن حولها، وأنا أسمعُ جلبة الحشد في الميدان. وجوه أهلنا وعشيرتنا تحدّق بنا، ونحن نقف على طرف منصّة المشانق؛ حيث سيجلدوننا. أشعر كأنّني طفلٌ تحت نظراتهم، تحت الأضواء الصفراء.

الأمر أشبه بحلمٍ عندما تخبرني إيو أنّها تحبُّني. لبرهةٍ تترك يدها في يدي. لكنْ هنالك شيءٌ غريبٌ في عينيها. مِن المفترض أن يجلدوها فقط، مع ذلك فكلماتها نهائيّةٌ، وعيونها حزينةٌ، لكنْ ليست خائفة. أرى أنّها تودِّعُني. كابوسٌ يجتاح قلبي. أشعر به كأنّه ظِفرٌ يُسحَب على طول فقرات ظهري، وهي تهمس حكمةً في أذني: «حَطِّم القيود يا حُبّي».

وبعدها أُسحَبُ مِن شعري بعيداً عنها. الدموع تنساب على وجهها. إنّها لأجلي، مع أنّني لا أعرف بعد لماذا. لا أستطيعُ التفكير. العالم يسبح، وأنا أغرق. أيدٍ خشنة تُسقطُني على ركبتَيّ، ومِن ثمّ تسحبني إلى الأعلى. لم أسمع الميدان هادئاً على هذا النحو قطّ. صدى أقدام مُعتقِليّ المتاقلة تُسمَع، وهُم ينقلونني.

تُلبسني عُلَبُ الصفيحِ بِزّة الشواء لغطّاسي الجحيم. رائحتها الحارقة تجعلني أعتقد بأنّني بأمان، بأنّني متحكّمٌ بمجريات الأمور، ولكنّني لست كذلك. أُسحَبُ بعيداً عنها إلى وسط الميدان، ويُلقى بي على طرف منصّة المشانق. الأدراج المعدنيّة صدئةٌ وقذرة. أمسكُها بيدي، وأنظر إلى أعلى منصّة المشانق. أربعٌ وعشرون مِن رؤساء العمّال، كلّ واحدٍ منهم لديه حبلٌ جِلديّ. ينتظرونني أعلى المنصّة.

– «ياه، كم هي مرعبة هذه المناسبات يا أصدقائي!». يصيح الحاكم بودغينوس. حذاؤه الثقاليّ النحاسيّ يَطِنّ فوقي، وهو يحوم في الهواء: «ياه، كيف تتباعد العُرى التي تربطنا، عندما يقرّر أحدهم أن يخرق القانون الذي يحمينا جميعاً. حتّى الأصغر، وحتّى الأفضل يخضعون للقانون، للنظام! مِن دونهما سنكون حيواناتٍ. مِن دون الطاعة، مِن دون النظام، لن تكون هنالك مستوطنات، وتلك المستوطنات القليلة التي لدينا ستتمزّق إلى أشلاء بفعل الفوضى، سيُحتجَز البشر في كوكب الأرض. وسيَزحَف

البشر على هذا الكوكب إلى أن تحلّ نهاية العالم، لكنّ النظام، الانضباط، القانون: هذه هي الأشياء التي تَمنحُ عِرقَنا القوّة. ملعونٌ هو المخلوق الذي يَخرِق هذا العَقد».

خطابه أفصح مِن المعتاد. بودغينوس يحاول إبهار أحدهم بذكائه. أنظرُ إلى الأعلى مِن فوق الدرج؛ لأرى منظراً لم أفكّر بأنّني سأراه يوماً بأمّ عيني. إنّه لمن المؤلم النظر إليه، وتَجرُّع إشعاع شعره وشعاره. إنّني أرى ذهبيّاً. في هذا المكان البائس، هذا ما تخيّلتُ أنّ الملائكة ستكون على شاكلته: يَتّشِح بالذهب والسواد، ملفوفٌ بالشمس، أسدٌ يزأر على صدره.

وجهه أكبر سنّاً، صارمٌ وينبض بالقوّة. شعره لامعٌ، وممشّطٌ إلى خلف رأسه. لا ترتسم على شفتيه علامات الابتسام، ولا العبوس، والخطّ الوحيد الذي أراه هو الذي خَلّفته نُدبة تمتدّ على طول عظم وجنته اليمنى.

كنت قد عَلِمتُ مِن شاشة العرض المُجسَّم أنّ نُدبةً كهذه يحملها الأعلى مقاماً مِن الذهبيّين؛ الفريدون ذوو النُّدبة، هكذا يسمّونهم: إنّهم رجال اللّون الحاكم ونساؤه، الذين تخرّجوا في المعهد؛ حيث تعلّموا الأسرار التي ستسمح للجنس البشريّ يوماً ما أن يستوطن جميع كواكب المجموعة الشمسيّة.

إنّه لا يتحدَّثُ إلينا، بل يتحدَّثُ إلى ذهبيٍّ آخر، طويلٍ ونحيلٍ، نحيل إلى درجة أنّني ظننته امرأةً للوهلة الأولى. وَجهُ الرجُل بلا نُدبة، ومدهونٌ بمعجونٍ غريبٍ لكي يُبرِز لون وجنتيه، ويغطّي الخطوط في وجهه. شفتاه تلمعان، وشعره يتألّق بدرجةٍ تتفوّق حتّى على سيّده. إنّه لشيءٌ باهرٌ يُنظَرُ إليه. هو يعتقد الشيء نفسه عنّا. يستنشق الهواء بازدراء. الذهبيّ الأكبر سنّاً يتحدّثُ إليه بصوتٍ خافتٍ، ولا يتحدّث إلينا.

ولمَ عليه التحدُّث إلينا؟ نحن لا نستحقّ كلمات الذهبيّين. بالكاد أرغب بالنظر إليه. أشعر كأنّني أُدنِّس بهرجته الذهبيّة والسوداء بعيوني الحمراء. ينتابني الخجل، وبعدها عرفت لماذا.

إنّه وَجهٌ أعرفه، ويعرفه كلُّ رجُلٍ وامرأةٍ في المُستوطَنات، إلى جانب أوكتافيا ذهبية لونا، هو الوجهُ الأكثر شهرةً في المرّيخ، إنّه وجه نيرو ذهبيٌّ أوغوستوس. الحاكِم العام للمرّيخ حضر ليشاهد جَلدي، وجلب معه حاشيته: اثنان مِن الغربان (أقصد سبجيّان كي أكون دقيقاً) يحومان بهدوءٍ خلفه. خوذهم الجمجميّة تتلاءم مع لونهم. لقد ولدتُ لكي أنقِّبَ في الأرض. هُم ولدوا ليقتلوا البشر. أطول منّي بما يزيد عن قدمين. ثمانية أصابع في كلّ يدٍ مِن أياديهم الضخمة، ينسلونهم مِن أجل الحرب، ورؤيتهم أشبه برؤية أفاعي الحُفَر ذات الدم البارد تجتاح مناجمنا؛ كلاهما زواحف.

هنالك أيضا اثنا عشر شخصاً ضمن حاشيته، ومِن بينهم ذهبيٌّ أضعف، يبدو كأنّه تلميذه، حتّى إنّه أكثر جمالاً مِن الحاكِم العام، ويبدو أنّه يكره الذهبيّ النحيل ذا المظهر الأنثويّ. وهنالك طاقم تصوير شاشة العرض المُجسَّم مِن الخُضر: إنّها مخلوقاتٌ صغيرةٌ مقارنةً بالغربان، شعرها غامقٌ، ليس أخضر كعيونهم، والشعارات على أياديهم. هنالك علامات إثارة محمومة تلمع في تلكَ العيون. قلّما يكون لديهم غطّاس جحيم يريدون أن يجعلوا منه عبرةً للآخرين؛ لذا سيجعلون مِن عقابي عرضاً مسرحيّاً. أتساءل: كم مستوطنة تنقيب أُخرى تشاهد ذلك؟ جميعها، بما أنّ الحاكِم العام هنا.

سرعان ما سيجعلون مِن عمليّة نزع بزّة الشواء التي ألبسوني إيّاها في الحال عرضاً مثيراً. أرى نفسي في شاشة العرض المُجسَّم في الأعلى،

ورِباط الزواج يتدلّى مِن الخيط حول رقبتي. أبدو أصغر وأنحف من الحقيقة. إنّهم يسحبونني إلى أعلى الدرجات، ويمدّدونني فوق صندوقٍ معدنيٍّ بالقرب مِن حبل المشنقة؛ حيث أُعدِم أبي. أشعرُ برعشةٍ تسري في جسدي، وهُم يلقون بي فوق الفولاذ البارد، ويثبتون يدَيّ بالقيود. أشمّ رائحة الجلد الصناعيّ للسياط، وأسمع رئيس عمّالٍ يسعل.

– «فلتُحقّق العدالة إلى أبد الآبدين». يقول بودغينوس.

حينها تأتي السياط، مجموعها ثمانية وأربعون. ليسوا رؤوفين، ولا حتّى عمّي. لا يمكنهم ذلك. السياط مع النحيب تنهش لحمي، مصدرةً صوتاً حادّاً غريباً، وهي ترسم قوساً في الهواء. موسيقا الرعب. بالكاد بوسعي الرؤية مع قرب الانتهاء مِن الأمر. أفقد وعيي مرّتين، وفي كلّ مرّةٍ أصحو كنت أتساءل إن كان بالإمكان رؤية عظم ظهري على شاشة العرض المُجسَّم.

إنّه استعراضٌ، كلّ هذا استعراضٌ لقوّتهم. جعلوا عُلبةَ الصفيح، دان الشنيع، يبدي تعاطفاً، كأنّه يُشفِق عليّ. يهمس بكلماتٍ مشجّعةٍ في أذني بصوتٍ عالٍ بما يكفي للكاميرات، وعندما تنهال آخر جلدة سوطٍ على ظهري، يتقدّم نحوي، كأنّه يحاول منع ضربةٍ أُخرى. أعتقد لا شعوريّاً بأنّه ينقذني؛ إنّني ممتنٌّ له، وأريد تقبيله. إنّه الخلاص، لكنّني أعلم بأنّني نِلتُ نصيبي مِن ثمانيةٍ وأربعين جلدة.

بعدها يسحبونني جانباً، ويتركونني أنزف. أنا متأكّدٌ بأنّني صرخت، متأكّدٌ بأنّني جلبتُ العار لنفسي. أسمعهم، وهُم يُحضِرون زوجتي.

– حتى اليافع، حتّى الجميل، لا يمكنه الهرب مِن العدالة. إنّنا نحافظ على النظام والعدالة لكلّ الألوان. مِن دونها سنجد الفوضى. ومِن دون

الطاعة سيعمّ الاضطراب. سيفنى البشر على الرمال المشعّة لكوكب الأرض. سيشربون مِن البحار المتبخّرة. علينا أن نتَّحِد. إلى أبد الآبدين فلتحقّق العدالة.

كلمات حاكِم المناجم بودغينوس تبدو كاذبةً خادعة.

لم يشعر أحدٌ بالإهانة لأنّني ضُرِبت، ولكوني مضرّجاً بالدماء، ولكنْ عندما سُحِبت إيو إلى أعلى منصّة المشانق، سُمِعت الصيحات، وانطلقت اللّعنات. على الرغم مِن كلّ ذلك لا تزال جميلة، على الرغم مِن سلبهم للضوء الذي رأيته في عينيها قبل ثلاثة أيّام. على الرغم مِن انهمار الدموع على وجهها لدى رؤيتها لي؛ إنّها ملاك.

كلّ هذا مِن أجل مغامرةٍ صغيرة. كلّ هذا مِن أجل ليلةٍ تحت النجوم مع الرجُل الذي تُحبّ. مع ذلك هي هادئة. إن وجدَ خوفٌ، فهو في داخلي؛ لأنّ شعوراً غريباً ينتابني. القشعريرة باديةٌ على جسدها، وهُم يمدّدونها على الصندوق البارد. إنّها ترتعش. أتمنّى لو أنّ دمائي أدفأت لها الصندوق على نحوٍ أفضل.

عندما يبدأون بجلد إيو أحاولُ ألّا أنظر. لكنّ الإحجام عن ذلك، والتخلّي عنها أكثر إيلاماً. عيونها وجدتني. تلمع كالياقوت، تختلج في كلّ مرّةٍ يهوي بها السوط. قريباً سينتهي ذلك يا حبّي. قريباً سنعود للحياة مجدّداً. فقط تحمّلي الجَلدَ، وسيعود كلّ شيء كما كان. لكنْ هل بوسعها تحمّل كلّ هذا الجَلد؟

- «أوقف ذلك». أقول لعُلبَةِ الصفيحِ بجانبي: «أوقفه!». أتوسّل إليه: «سأفعل أيّ شيء، سأنصاع. سآخذ نصيبها مِن الجَلد. فقط أوقف ذلك! أيّها الأوغاد اللعينون، أوقفوا ذلك!».

ينظر الحاكِم العام إلى الأسفل نحوي، ولكنّ وجهه ذهبيٌّ، أملسُ بلا مسام، غير مكترث. لستُ سوى الأحقر مِن بين النمل. تضحيتي ستؤثّر به، سيشعر بالرأفة إن أذللتُ نفسي، إن رميت بنفسي إلى النار مِن أجل الحُبِّ، سيشعر بالشفقة؛ هذا ما يحدث في القِصَص.

- «يا صاحب السعادة، امنحني عقابها». أناشده: «أرجوك!». أتوسّل لأنّني أرى في عيون زوجتي شيئاً رَعبني؛ أرى المقاومة فيها، وهُم يخطّون بالدماء ظهرها. أرى الحنق يتعاظم داخلها. هنالك سبب لكونها غير خائفة.

- «لا. كلا. لا!». أتوسّلُ إليها: «كلّا يا إيو، أرجوكِ لا!».

- «أسكِتوا هذا الوضيع الحقير! إنّه يزعج آذان الحاكِم العام». يأمر بودغينوس، فيُقحِم بريدج حبلاً معقوداً في فمي. أطبق فمي وأبكي.

ومع الجلدة الثالثة عشرة، وأنا أتمتم كي لا تفعلها، تحدِّق إيو في عيوني للمرّة الأخيرة، وبعدها تبدأ بغناء أغنيتها. صوتٌ هادئٌ، صوتٌ حزينٌ، كالأغنية التي تهمس بها المناجم العميقة عندما تهبّ الرياح في مهاويها المهجورة. إنّها أغنية الموت والرثاء، الأغنية الممنوعة، الأغنية التي سمعتها لمرّةٍ واحدةٍ مِن قبل.

مِن أجل هذا سيقتلونها.

صوتها ناعمٌ وصادقٌ، لكنّه لا يضاهي جمالها. يتردّد صداه عبر أرجاء الميدان، يصدح كنداء صفّارةٍ سماويّة. يتوقّف الجلد. رؤساء العمّال يضطربون. حتّى غُلَبُ الصفيحِ يهزّون رؤوسهم بحزنٍ عندما يدركون ما الذي يحدث. القليل مِن الرجال يرغبون حقاً برؤية الجمال، وهو يحترق.

ينظرُ بودغينوس محرجاً نحو الحاكِم العام أوغوستوس، الذي يهبط بحذائه الثقاليّ الذهبيّ ليشاهد عن قرب. شعره اللامع يتألّق على جبينه

النبيل. عظام وجنتيه المرتفعة تلتقط الضوء. تلك العيون الذهبيّة تتفحّص زوجتي كأنّها دودةٌ سينمو لها فجأةً جناحا فراشة. نُدبَته تتموّج، وهو يتحدّث بصوتٍ مُفعَمٍ بالقوّة.

- «دعها تغنّي». يقول لبودغينوس، غير مكترثٍ بإخفاء افتتانه.

- ولكنْ، يا سيّدي....

-«لا ترمي الحيوانات بأنفسها إلى ألسنة اللّهب طوعاً، البشر فقط مَن يقومون بذلك أيّها النحاسي. استمتع بالمشهد. لن تراه مرّةً أُخرى». ثمّ يخاطب طاقم تصويره: «تابعوا التسجيل. سنحذف الأجزاء التي سنراها غير مقبولة».

كم جعلت هذه الكلمات مِن تضحيتها تبدو تافهة.

لكنّني لم أر إيو جميلةً قطّ بمقدار ما كانت عليه في تلك اللّحظة، في وجه القوّة الباردة. إنّها النار. إنّها الفتاة التي رقصت مع لبدةٍ حمراء في حانةٍ مفعمةٍ بالدخان. إنّها الفتاة التي نسجت لي رباط زواجٍ مِن شعرها. إنّها الفتاة التي اختارت أن تموت مِن أجل أغنية الموت.

يا حبّي، يا حبّي
تذكر الصيحات
عندما قضى الشتاء ليبزغ الربيع
إنّهم يزأرون إنّهم يزمجرون
لكنّنا أخذنا البذار
وزرعنا الوادي بأغانٍ من نار
تعاديهم تعادي الجشع
تعادي الطمع

و

في أسفل الوادي

يسمع تمايل الحصّاد، تمايل الحصّاد

تمايل الحصّاد

في أسفل الوادي

يسمع الحصّاد يغنّي

حكايةً عن شتاءٍ يمضي

يا ولدي، يا ولدي

تذكّر السلاسل والقيود

عندما حكم الذهبيّون بلجامٍ من حديد

فجعنا وانتحبنا

تأوّهنا وصرخنا

لأجل حلمنا السعيد بوادٍ مجيد

وعندما علا في النهاية صوتها، ونفدت كلمات الأغنية، علمتُ بأنّني فقدتها. أصبحَت شيئًا أكثر أهميّة؛ ولقد كانت على حقّ، بأنّني لا أفهم.

- «لحنٌ ظريفٌ، لكنْ أهذا كلّ ما لديكِ؟». يسألها الحاكِم العام عندما تنتهي. إنّه ينظر إليها، لكنّه يتحدّث بصوتٍ عالٍ إلى الحشود، إلى أولئك الذي سيشاهدون مِن المستوطنات الأُخرى. حاشيتهُ تضحك بصوتٍ خافتٍ مِن سلاح إيو، الأغنية. ما هي الأغنية؟ مجرّد نوتات في الهواء؟ إنّها عديمة النفع مقارنةً بقوّته، أشبه بعود ثقابٍ في وجه عاصفة. إنّه يهيننا.

«أيريد أحد منكم مشاركتها الغناء؟ أناشدكم أيّها الحُمرُ الأشاوس مِن...». ينظرُ إلى مساعده، الذي ينطق الاسم: «... ليكوس، انضمّوا إليها الآن إن رغبتم».

بالكاد أتنفّس مِن خلال الحبل المعقود. إنّه يشوّه أضراسي. الدموع تنهمر على وجهي. لا ترتفع أيّة أصوات مِن الحشود. أرى أمّي ترتجف غاضبة. كيران يقبض بشدّةٍ على زوجته. نارول يحدّق في الأرض. لوران يبكي. جميعهم هنا، جميعهم صامتون، جميعهم خائفون.

- «مع الأسف يا صاحب السعادة، وجدنا الفتاة وحيدةً في حماستها». يعلن بودغينوس. لم تكن إيو تنظر إلى أحدٍ سواي: «مِن الواضح أنّ رأيها هو رأيٌ شاذٌّ ومنبوذ. أعلينا أن نستأنف؟».

- «نعم». قال الحاكِم العام بفتور: «لديّ موعدٌ مع أركوس. اشنق هذه العاهرة الصدئة، وإلّا ستستمرّ في العواء».

6

الشَّهيدة

من أجل إيو لا آتي بأيّ ردّ فعل. أنا الغضب. أنا الحقد. أنا كلّ شيء، لكنّني أواصل التحديق على الرغم مِن إبعادهم لها، وتثبيت الأنشوطة حول عنقها. أنظر إلى الأعلى نحو بريدج، فيخرج بهدوءٍ الحبل المعقود مِن فمي. أسناني لن تعود كما كانت. الدموع تترقرق في عيون عُلبَةِ الصفيحِ. أتركه وأخطو متعثّراً مترنّحاً غير واعٍ نحو أسفل المشنقة؛ كي تتمكّن إيو مِن رؤيتي وهي تموت. هذا خيارها. سأكون معها حتّى النهاية. يداي ترتعشان. شهقات الحشود تتعالى مِن خلفي.

- «إلى مَن ستوجّهين كلماتك الأخيرة قبل إحقاق العدالة؟». يسألها بودغينوس، والتعاطف يفيض منه أمام الكاميرات.

إنّني مستعدٌّ لسماعها، وهي تنطق اسمي، لكنّها لا تفعل. عيناها لا تتركاني أبداً، لكنّها تنادي على أختها: «ديو». ترتعش الكلمة في الهواء. إنّها خائفة الآن. لا أُبدي أيّ ردّ فعلٍ بينما تصعد «ديو» سلالم المشنقة. لا أفهم، لكنّني لن أغار. هذا ليس عنّي. إنّني أحبّها. وقد اتّخذَت قرارها. لا أفهم، لكنّني لن أدعها تموت، وقد عَرفَت أيّ شيءٍ آخر سوى حبّي لها.

كان على دان الشنيع أن يساعد ديو في الصعود إلى المشنقة؛ إنّها تخطو خطواتٍ متعثّرةً مترنّحةً، وهي تنحني مقتربةً مِن أختها. مهما كان الذي تقوله، إلّا أنّني لا أستطيع سماعه، لكنّ ديو تطلق عويلاً سيبقى يطاردني إلى الأبد. تنظرُ إليّ وهي تبكي. ما الذي أخبرتها به زوجتي؟ النساء تبكي. الرجال يمسحون عيونهم. كان عليهم إفقاد ديو لوعيها كي يتمكّنوا مِن سحبها بعيداً، لكنّها تتشبّث باكيةً بأقدام إيو. يقوم الحاكم العام بإيماءةٍ خفيفةٍ؛ لأنّه غير مكترثٍ حتّى بمشاهدة كيف ستُشنَق إيو مثل أبي.

- «عِش لما هو أكبر». تنطقها لي بشفاهها. تُدخِل يدها في جيبها، وتُخرِج زهرة الهايمانتوس التي أعطيتها لها. إنّها مسحوقة مهشّمة، ثمّ تصرخ بأعلى صوتها نحو الجموع المحتشدة: «حطّموا القيود!».

يُفتَح الباب السحريّ تحت قدميها، فتسقط، وللحظةٍ قصيرةٍ، يطفو شعرها معلّقاً حول رأسها، إنّها حمراء مزدهرة. ثمّ ترتعش قدماها في الهواء وتسقط. حلقها النحيل يصدر حشرجة. عيونها متّسعة. كم أتمنّى لو أنّ بوسعي أن أوفّر عليها كلّ هذا العذاب. لو كان بوسعي حمايتها فقط، لكنّ العالم باردٌ وقاسٍ بالنسبة إليّ. إنّه لا يلين كما أشتهي. أنا ضعيف. أنظر إلى زوجتي، وهي تموت، وزهرة الهايمانتوس التي أعطيتها إيّاها تسقط مِن يدها. تلتقط الكاميرا كلّ هذا. أندفعُ إلى الإمام كي أقبِّلَ كاحلها. أحتضن قدميها. لن أدعها تعاني.

الجاذبيةُ ضَعيفةٌ في المرّيخ؛ لذا عليكَ أن تَسحبَ الأقدامَ إلى الأسفل كي تَكسِر العُنق. إنّهم يَدعون الأحِبّاء يفعلون ذلك.

لن يطول الأمر، وستختفي الأصوات كلّها، حتّى طقطقة الحبل.

زوجتي خفيفة الوزن كثيراً.

إنّها مُجرَّد فتاة.

عندها يبدأ لطم ترنيمة الأفول. القبضات على الصدور. الآلاف. بسرعة، كسباق نبضات القلب، ثمّ ببطء، ضربة كلّ ثانية، ضربة كلّ خمس، كلّ عشر، ومِن ثمّ يتوقّف، لتتلاشى الجموع الحزينة كغبارٍ عن راحة اليد، بينما الرياح تنوح في غياهب الأنفاق القديمة.

والذهبيّون، إنّهم يطيرون مبتعدين.

والد إيو، ولوران، وكيران، يجلسون عند بابي طوال اللّيل. يقولون بأنّهم هنالك ليبقوا بصحبتي، لكنّهم هنالك ليحرسوني، ليتأكّدوا مِن أنّني لن أموت. أريد أن أموت. أمّي تكسو جراحي بالحرير الذي سرقته أختي ليانا مِن مصنع النسيج.

– أبقِ مجدّد النوى العصبيّة جافّاً، وإلّا ستحصل على ندوب.

ما هي الندوب؟ هي عديمة الأهميّة. لن تراها إيو، لذا لمَ أهتمّ لذلك؟ لن تمرّر يدها على ظهري. لن تُقبِّل جراحي.

لقد رحلت.

أستلقي في سريرنا على ظهري كي أشعر بالألم، وأنسى زوجتي، لكنّني لا أستطيع النسيان. إنّها معلّقةٌ على المشنقة إلى الآن. في الصباح سأمرّ بجانبها، وأنا في طريقي إلى المناجم. لن يطول الأمر، وستفوح منها رائحةٌ نتنةٌ، لن يطول الأمر وستتعفّن. زوجتي الجميلة سطع بريقها أكثر ممّا هو مسموح به لتحيا مدّةً طويلة. ما زلت أشعر بطقطقة عنقها بين يديّ؛ إنّهما ترتجفان الآن في اللّيل.

هنالك نفقٌ مخفيٌّ حفرته منذ زمنٍ بعيدٍ في غرفة نومي في الصخرة

كي أتمكّن مِن التسلّل خارجاً وأنا طفل. أستخدمه الآن. أخرج مِن الممرّ السريّ، لأهبط متخفّياً مِن منزلي، لا يشاهدني أهلي، وأنا أتسلّل بعيداً في الظلام.

السكون يعمّ المَجمَع. صمتٌ مطبقٌ ما عدا ذاك الصادر عن مكعّب العرضِ المُجسَّم، الذي يجعل زوجتي تموت مصحوبة بموسيقا تصويريّة. إنّهم يتعمّدون إظهار عبثيّة العصيان. ولقد نجحوا في الأمر، لكنْ هنالك شيءٌ آخر في الفيديو؛ إنّهم يعرضون مشاهد جلدنا أنا وإيو، مصحوبة بأغنيتها، ويعزفونها مجدّداً في أثناء موتها، ما يجعل للفيديو انطباعاً خاطئاً. حتّى لو لم تكن زوجتي، فإنّني أرى شهيدةً، أرى أغنية فتاةٍ شابّةٍ جميلةٍ يجري إسكاتها بحبل رجالٍ طغاة.

عندها يلمع مكعّب العرضِ المُجسَّم مسوداً لعدّة لحظات. لم يَسوَدّ مِن قبل قط. وأوكتافيا ذهبيّة لونا تعود مجدّداً بالرسالة القديمة نفسها. لقد بدا ذلك أشبه بشخصٍ اخترق البثّ؛ لأنّ مشهد زوجتي أخذ يومض عبر الشاشة العملاقة مجدّداً.

- «حطّموا القيود!». تصيح، ومِن ثمّ تختفي، وتصبح الشاشة سوداء. تصدر خشخشة. تعود الصورة. إنّها تصيح بتلك العبارة مجدّداً. وتَسوَدُّ الشاشة مرّةً أُخرى. البرامج المعتادة تُعرَض مِن جديد، ثمّ تُقطَع لمشهد صياحها لمرّةٍ أخيرةٍ، ومِن ثمّ أظهر، وأنا أسحب قدميها، وبعدها تتشوّش الشاشة.

تبدو الشوارع هادئةً، وأنا أشقّ طريقي نحو الميدان. ستعود الزرديّة الليليّة قريباً. عندها أسمعُ ضجّةً، ويتقدّم رجُلٌ إلى الشارع، ويقف أمامي. وجه عمّي يحدّق بي مِن بين الظلال. مصباحٌ وحيدٌ معلّقٌ على رأسه، ينير البطحة التي في يده، وقميصه الأحمر البالي.

– إنّك ابن أبيك، أيّها الحقير الصغير؛ غبيٌّ وتافه.

أحكمُ قبضتي: «هل أتيت لتمنعني يا عمّي؟».

راح يهمهم: «لم أستطع منع والدك مِن قتل نفسه اللّعينة، ولقد كان رجُلاً وأيّ رجُل، أفضل منك بكثير، وأكثر مقدرةً على ضبط النفس».

أتقدّم إلى الأمام: «لا أحتاج إلى موافقتك».

– «كلّا أيها الملعون الصغير! لست بحاجتها». يمرّرُ يده عبر شعره: «لا تفعل ما تنوي فعله؛ لأنّ ذلك سيُحطِّم أمّك؛ أتظنّ أنّها لا تعرف بأنّكَ ستتسلّل؟ إنّها تعرف. لقد أخبرتني بذلك. قالت بأنّك ستذهب لتموت مثل أخي، مثل فَتاتك».

– لو أنّ أمّي تعرف، لكانت منعتني.

– كلّا! إنّها تدعنا نحن الرجال نرتكب أخطاءنا، لكنّ هذا ليس ما كانت لتريده فتاتك.

أشير بإصبعي نحو عمّي: «أنت لا تعرف شيئاً. ولا أيّ شيء عمّا كانت تريد». إيو قالت بأنّي لن أفهم ما الذي يعنيه أن تكون شهيداً. سأريها بأنّني أعرف.

– «أصبت». يقولها وهو يهزُّ رأسه: «سأمشي معك إذنْ، بما أنّك فاقدٌ للبصيرة، ورأسك مملوءٌ بالحماقات». يطلق ضحكة خافتة: «نحن عشيرة لامبدا نحبّ الأنشوطة».

يرمي لي بطحته، ورحت أخطو بتردّدٍ إلى جانبه.

– حاولتُ –كما تعلم– أن أقنع والدك بالتخلّي عن احتجاجه الصغير. مخبراً إيّاه بأنّ الكلمات والرقص لا قيمة لهما كالهباء المنثور. حاولتُ تصفية حساباتي معه، لكنّني أفسدتُ الأمر برمّته. لقد قضى عليّ تماماً.

يترنّح ببطءٍ إلى اليمين: «هنالك في حياة المرء لحظات تعرف فيها بأنّه عاقد العزم، وسيكون مِن المهين معارضته».

أشربُ مِن بطحته، وأعيدها له. الشراب له مذاق غريب، وأشدّ كثافةً مِن المعتاد. غريب! لقد جعلني أُكمل شرب البطحة.

- «هل قرّرت؟». يسألني، وهو ينقر على رأسه: «بالتأكيد، لقد قرّرت. نسيتُ بأنّني من عَلّمكَ الرقص».

- «عنيدٌ كأفعى الحُفَر، أليس هذا ما تقوله؟». أقول بهدوء، مظهراً ابتسامةً صغيرة.

أمشي مع عمّي بصمتٍ لبرهة. يضع يده على كتفي. هناك نحيبٌ يريد الخروج مِن صدري. أبتلعه.

- «لقد تَركَتني». أهمس: «تَركَتني بكلّ بساطة».

- لا بدّ مِن أنّ لديها سبباً ما؛ لم تكن فتاةً غبيّة.

تنهمرُ الدموع لدى دخولي الميدان. يحتضنني عمّي بيدٍ واحدةٍ، ويقبّلُني مِن أعلى رأسي؛ هذا كلّ ما يمكنه تقديمه. لم يكن رجُلاً يظهر مشاعره. وجهه باهتٌ شاحبٌ. عمره خمس وثلاثون، يبدو كبيراً ومتعباً. شفته العلويّة ملويّة بفعل نُدبَة. الشيب يخطّط شعره الكثيف.

- «بلّغ سلامي لمن هُم في الوادي». يقولها في أذني، لحيته الخشنة تحتك برقبتي: «اِشرَب نخب إخوتي، وقبّل زوجتي، خاصّةً الراقص».

- الراقص؟

- «ستعرفه. وإن رأيت جدّك وجدّتك أخبرهما بأنّنا ما زلنا نرقص مِن أجلهما. لن يكونا وحيدين لمدّةٍ طويلة». يمشي مبتعداً، ثم يتوقّف، ومِن دون أن يلتفت يقول: «حَطِّم القيود، أتفهم؟».

- أفهم.

يتركني هنالك في الميدان مع زوجتي المتأرجحة. أعلم بأنّ الكاميرات تراقبني مِن مكعّب العرضِ المُجسَّم، وأنا أصعد نحو منصّة المشنقة. إنّها مِن المعدن؛ لذا فالدرجات لا تصدر أيّ صرير. كانت معلّقةً كدمية. وجهها شاحبٌ كالطبشور، وشعرها يتحرّك قليلاً مع أزيز المراوح المزعج في الأعلى.

مع قَطعِ الحبل بوساطة النصل المِنجَليّ الذي سرقته مِن المناجم، أمسكُ بطرفه المهترئ، وأنزلها برفق. آخذ زوجتي بين ذراعيّ، ومعاً نشقّ طريقنا إلى خارج الساحة، متّجهين نحو مصنع النسيج. ورديّة ليليّة تعمل هناك لتنهي ساعات دوامها المتبقية. النساء يشاهدن بصمتٍ كيف أحمل إيو إلى قناة التهوية. هنالك أرى ليانا، أختي. طويلة وهادئة مثل أمّي، إنّها تراقبني بنظراتٍ قاسيةٍ، لكنّها لم تفعل أيّ شيء. ولا أيّة واحدةٍ مِن النسوة تفعل. لن يثرثرن عن مكان دفن زوجتي. لن يتحدّثن، ولا حتّى مقابل الشوكولا التي تعطى للجواسيس. خمس أرواح فقط دُفِنت خلال ثلاثة أجيال، دائماً ما كان يُشنَق أحد من جرّاء ذلك.

إنّها ذروة الحُبِّ المطلق، قُدَّاسُ إيو الصامت.

تبدأ النسوة بالبكاء، وبينما أمرّ بينهنّ يمددن أنفسهن ليلمسن وجه إيو، ليلمسن وجهي، ويساعدنني في فتح قناة التهوية. أسحب زوجتي عبر الفراغ المعدنيّ الضيّق، لأخذها إلى حيث مارسنا الحبّ تحت النجوم، حيث أخبرتني بخططها، ولم أسمعها. أحمل جسمها الخالي مِن الحياة، وأتمنّى أن تراني روحها في المكان الذي كنّا فيه سعداء.

أحفر حفرةً بالقرب مِن قاعدة الشجرة. يداي الملطّختان بتراب أرضنا،

حمراوان كشعرها، عندها آخذ يدها، وأُقبِّل رِباط زواجها. أضعُ البصلة الخارجيّة لزهرة الهايمانتوس على قلبها، وآخذُ الداخليّة وأضعها بالقرب مِن قلبي، ثمّ أُقبِّل شفتيها وأدفنها، لكنّني أجهش بالبكاء قبل أن أنتهي مِن ذلك. أكشف وجهها، وأُقبِّلها مرّةً أُخرى، وأبقي جسمي بقربها إلى أن أرى الشمس الحمراء تُشرِق عبر سقف القُبَّة الصناعيّة. ألوان المكان الساطعة تبهر عيوني، ولا أستطيع منع دموعي. عندما أنسحب مبتعداً، أرى عُصابة رأسي تبرز مِن جيبها. لقد صنعتها مِن أجلي لتمتصّ عرقي. أبلّلها بدموعي الآن، وآخذها معي.

يضربني كيران على وجهي عندما يراني عائداً إلى المَجمَع. لوران غير قادرٍ على الكلام، بينما والد إيو يتراجع نحو الجدار. يظنّون بأنّهم خذلوني. أسمع بكاء والدة إيو. أمّي لا تقول أيّ شيء، وهي تعدّ لي الوجبة. أشعر بتوعّك. أتنفّس بصعوبة. تأتي ليانا متأخّرةً، وأخذت تساعدها، تُقبِّلني على رأسي، وأنا آكل، متباطئة بما فيه الكفاية لتشمَّ رائحة شعري. عليّ أن أستخدم يداً واحدةً لنقل الطعام مِن الصحن إلى الفم. أمّي تمسك بين راحتيها يدي الثانية ذات البشرة القاسية المُتقرِّنة. تنظر إليها عوضاً عنّي، كأنّها تتذكّر عندما كانت صغيرةً وناعمةً، وتتعجّب كيف أصبحت خشنةً هكذا!

أُنهي وجبتي مع قدوم دان الشنيع. لا تغادر أمّي الطاولة، وأنا أُسحَبُ بعيداً. عيناها تبقيان متسمرّتين حيث كانت يدي ممدّدة. أظنّ بأنّها تعتقد أنّها إنْ لم تنظر إلى الأعلى فإنّ هذا لن يحدث، حتّى لو أنّ بوسعها سماع الكثير.

سيشنقونني أمام الملأ عند التاسعة صباحاً. أشعرُ بالدوار لسببٍ ما. قلبي ينبض ببطءٍ على نحوٍ غريب. أسمع صدى كلمات الحاكِم العام لزوجتي.

- أهذا كلّ ما لديكِ؟

قَومي يغنّون، كما أنّنا نرقص ونحبّ؛ هذه قوّتنا، ولكنّنا نحفر أيضاً، وبعدها نموت. قلّما يكون بوسعنا اختيار السبب. إلّا أنّ هذا الاختيار هو القوّة. هذا الاختيار هو سلاحنا الوحيد، لكنّه ليس كافياً.

إنّهم يمنحونني كلماتي الأخيرة. أنادي على ديو. عيونها دامية ومتورّمة. إنّها كائنٌ هشٌّ ضعيفٌ، بخلاف أختها تماماً.

- «ما كانت آخر كلمات إيو؟». أسألها، على الرغم مِن أنّ فمي يتحرّك ببطءٍ على نحوٍ غريب.

تَنظُر إلى الخلف إلى أمّي، التي أخذَت تتابع أخيراً، لكنّها الآن تهزُّ رأسها. هنالك شيء لم يخبروني به، شيء لا يريدونني أن أعرفه، سرّ يكتمونه حتّى وأنا مقبلٌ على الموت.

- لقد قالت بأنّها تحبُّك.

لا أصدّقها، لكنّني أبتسم وأُقبّل جبهتها. ليس بوسعها تحمّل أسئلةٍ أُخرى. وأنا مشوّشٌ وبالكاد أتكلّم.

- سأوصل لها سلامك.

لا أغنّي؛ لقد خُلِقتُ مِن أجل أشياء أُخرى.

موتي بلا معنى. إنّه الحبّ.

لكنّ إيو كانت على حقّ؛ أنا لا أفهم هذا. هذا ليس انتصاراً، هذه أنانية.

لقد أخبرتني بأنّ عليّ أن أعيش لما هو أكبر. إنها تريد منّي أن أقاتل، لكنّني هنا، أموت على الرغم ممّا كانت تريد. أستسلم بسبب الألم.

أشعرُ بالذُعرِ كما يُذعَر المنتحرون عندما يدركون حماقتهم.

لقد فات الأوان.

أشعرُ بالباب يفتح مِن تحتي. جسدي يسقط. الحبل يسلخ الجلد على عنقي. ظهري يطقطق. وخزات إبريّة تخترق فقراتي القطنيّة. كيران يتقدّم متعثّراً. عمّي نارول يدفعه بعيداً. يلمس قدمي مع غمزة ويسحب.

أتمنّى ألّا يدفنوني.

الفصل الثاني

الولادة الجديدة

هنالك مهرجان نرتدي فيه أقنعة بوجوه شياطين

كي نحمي موتانا في الوادي من الأرواح الشريرة.

الأقنعة تتلألأ بذهب كاذب.

7

لعازر

لا أرى إيو عند الموت. أهلي يعتقدون بأنّنا سنرى أحبّتنا عندما نتوفّى. إنّهم ينتظروننا في وادٍ أخضر؛ حيث دخان الخشب المحروق، ورائحة اليخنة الزكيّة يملآن الجوّ. هنالك رجُلٌ عجوزٌ ذو قبّعةٍ عليها قطرات ندى يحرس الوادي، ويقف مع أهلنا، على طول طريق حجريّةٍ ترعى الخراف حولها، منتظرين قدومنا. يقال بأنّ الضباب هنالك منعشٌ، والأزهار حلوة، وأولئك الذين يُدفنون يَقطعون الطريق الحجريّ على نحوٍ أسرع.

لكنّني لا أرى حُبّي، ولا أرى الوادي، لا أرى شيئاً سوى أشباح أضواء في الظلام. أشعر بالضغط. وأنا أعرف -مثلما كان لأيّ عامل منجمٍ أن يعرف- أنّني مدفونٌ تحت الأرض. أطلقُ صرخةً مكتومة. يدخل التراب فمي. والذعر ينتابني. لا أستطيع التنفّس، ولا أستطيع الحركة. الأرض تعانقني إلى أن أتمكّن أخيراً مِن حفر طريقي إلى الخارج، لأشعر بالهواء، وألتقط الأكسجين بأنفاسي، وألهث، وأبصق التراب.

تمرُّ دقائق قبل أن أتمكّن -وأنا راكعٌ- مِن النظر حولي. أتحرّك جاثماً في منجمٍ مهجورٍ، نفق قديم متروك منذ زمن بعيد، لكنّه لا يزال متّصلاً

بنظام التهوية. له رائحة التراب. شعلة حراريّة واحدة تضيء بجانب قبري، مُلقيةً بظلالٍ غريبةٍ على الجدران. إنّها تحرق عيوني تماماً مثلما فعلَت الشمس، وهي تشرق على قبر إيو.

لست ميّتاً.

إدراك ذلك يستغرق وقتاً أطول ممّا يعتقد المرء، لكنْ هنالك الجرح المُدمَّى حول عنقي؛ حيث قطع الحبل الجلد. هنالك ترابٌ في الجروح التي سبّبتها ضربات السياط على ظهري.

مع ذلك لست ميّتاً.

عمّي نارول لم يسحب قدمَيّ على نحوٍ كافٍ، لكنْ مِن المؤكّد أنّ عُلَبَ الصفيحِ كانوا ليتحقّقوا مِن الأمر، إلّا في حال كانوا كسولين. ليس مِن الصعب الاقتناع بذلك، لكنْ هنالك شيءٌ ما آخر في الأمر. لقد كنت أشعر بضعفٍ ووهنٍ شديد، وأنا أتقدّم إلى المشنقة. حتّى الآن أشعر بشيءٍ في عروقي، أشعر بخمولٍ، كأنّه قد جرى تخديري. لقد فعل نارول ذلك. لقد خدّرني ودفنني، لكنْ لماذا؟ وكيف نجى بفعلته، ولم يمسكوا به، وهو يقوم بإنزال جسمي؟

مع سماعي لهديرٍ خفيفٍ آتٍ مِن الظلام خلف الشعلة الحراريّة، أعلم بأنّني سأحصل على الإجابات. عربة مدرّعة، أشبه بخنفساء معدنيّة بستّ عجلات، تزحف في منتصف نفقٍ طويل. ومع توقّفها أمامي تنفث الشبكة في مقدّمتها البخار، مصدرةً صفيراً. ثمانية عشر ضوءاً يعمي بصري، أجسامٌ تخرج مِن جانبَيّ العربة، يقطعون وهج المصابيح العُلويّة ليمسكوا بي. إنّني مندهشٌ لدرجة أعجز فيها عن المقاومة. أيديهم ذات بشرةٍ قاسيةٍ مُتقرِّنةٍ كعمّال المناجم، ووجوههم مغطّاةٌ بأقنعة شيطان ليلة

تشرين الأوّل/ أكتوبر، لكنّهم يقتادونني بلطفٍ، ويوجّهونني نحو فتحة العربة المدرّعة عوضاً عن إجباري على دخولها.

في داخل العربة المدرّعة، ضوءٌ كرويٌّ لونه أحمرُ دمويّ. أجلس في مقعدٍ معدنيٍّ مهترئٍ مُقَولب، مقابل الجسمين اللّذين جلباني مِن قبري. قناع الأنثى، له لونٌ أبيضُ ذهبيٌّ باهتٌ، وذو قرونٍ أشبه بالكاكودايمون(*). عيناها تلمعان بلونٍ قاتمٍ مِن فتحتيّ العيون. الجسم الآخر لرجُلٍ مذعور، إنّه غَضٌّ وهادئٌ، خائفٌ منّي على ما يبدو. قناع وجه الوطواط المتجهّم الذي يرتديه لا يمكنه إخفاء نظراته الخجولة، أو الطريقة التي يخفي فيها يديه؛ إنّها مِن علائم الخوف، كما كان عمّي نارول يدَّعي دائماً عندما كان يعلّمني الرقص.

- «إنّكم أبناء أريس، أليس كذلك؟». أخمّن.

يجفل الرجُل المذعور، بينما أخذت عيون المرأة تسخر منّي.

- «وأنت لعازر(**)». تقولها بنبرةٍ باردةٍ وكسولة؛ تتلاعب بالآذان كما تتلاعب القطّة بفأرٍ اصطادته.

- أنا دارو.

- إيه، نحن نعرف مَن أنت.

- «لا تخبريه بأيّ شيءٍ يا هارموني!». يثرثر الغَضُّ: «الراقص لم يسمح لنا بنقاش أيّ شيءٍ معه حتّى نصل إلى المنزل».

- «شكراً لك يا رالف». تتنهّد هارموني نحو الغَضّ، وتهزُّ رأسها.

بعد إدراكه لخطئه، أخذ الغَضُّ يتلوّى في مقعده المُقَولب معدّلاً مِن

(*) Cacodemon روح الشر عند الإغريق. (م).

(**) إشارة إلى القديس لعازر الذي أقامه المسيح مِن الأموات. (م).

جلسته، لكنّني أتوقّفُ عن إظهار أيّ اهتمامٍ به. هنا المرأة هي المَلِك. على عكس الغَضّ، قناعها يشبه وجه عجوزٍ شمطاء، كأنّها مِن ساحرات مدن كوكب الأرض المندثرة اللّواتي كنّ يصنعن حساءً مِن نقيّ عظام الأطفال.

- «إنّكَ في حالةٍ يرثى لها». تقترب هارموني لتلمسَ عنقي. أمسك يدها، وأضغط عليها. تبدو عظامها في يد غطّاس جحيم، هشّةً كبلاستيك رغويّ. يمدّ الغَضُّ يده ليستلّ هراوته، لكنّ هارموني تشير له بحركةٍ منها بأنْ يهدأ.

- «لماذا لستُ ميّتاً؟». أسألُ. بات صوتي بعد شنقي أشبه بصوت تمرير الحصى على سطحٍ معدنيّ.

- لأنّ لدى أريس مهمّة لك يا غطّاس الجحيم الصغير.

تجذب يدها، وأنا أضغط عليها.

- «أريس...». تتالت في عقلي ومضاتٌ لمشاهد انفجار القنابل، والأطراف المبتورة، والفوضى. أريس. أعرف نوع المهمّات التي يريدها. إنّني مُخدَّرٌ لدرجة أنّني لا أعرف ماذا سأقول له عندما يسألني. عقلي يفكّر في إيو، وليس في هذه الحياة. أنا مجرّد قشرة جسدٍ فارغ، لماذا لا يمكنني البقاء مدفوناً في الأرض؟

- «أيمكنني استعادة يدي الآن؟». تسألُ هارموني.

- إن خَلعتِ قناعكِ فقط، وإلّا سأحتفظ بها.

تضحكُ وتنزع قناعها. وجهها هو النهار واللّيل معاً. الجانب الأيمن مزيجٌ مِن البشرة الخشنة والمنفوخة التي تنثني وتلتوي لتصبّ في أنهرٍ مِن الندوب الملساء. حَرقٌ بالبخار؛ إنّه أمرٌ مألوفٌ لي، لكنْ ليس لدى النساء. مِن النادر وجود امرأةٍ ضمن طاقم حَفرٍ.

مع ذلك فإنّ الجانب غير المحروق مِن وجهها هو المفاجئ؛ إنّها جميلةٌ، بل أكثر جمالاً حتّى مِن إيو. بشرة ناعمة، بيضاء كالحليب، عظام جليّة ورقيقة، ولكنّها تبدو باردةً، وغاضبةً، وقاسية. أسنانها السفليّة متباعدة، وقلّما تعتني بأظافرها. لديها سكاكين في حذائها؛ أعرف ذلك مِن الطريقة التي جذبَت بها يدها نحو الأسفل عندما أمسكتُ بها.

رالف الغَضّ قبيحٌ على نحوٍ لا يمكن تجاهله. وجهٌ داكنٌ خشنٌ، وأسنانٌ مشوّهةٌ وقذرة. أراقبه، وهو يحدّق عبر نافذة فتحة العربة المدرّعة، ونحن نسير عبر أنفاقٍ مهجورةٍ، إلى أن وصلنا إلى طرقات أنفاقٍ مضاءةٍ ومرصوفةٍ، تستخدم للتنقّل السريع. لا أعرف هؤلاء الحُمر، على الرغم مِن أنّ شعار الحُمر يزيّن أيديهم، فأنا لا أثق بهم. إنّهما ليسا مِن عشيرة لامبدا، أو مِن ليكوس. يمكنهما أن يكونا فضّيّين أيضاً.

أخيراً، ألمحُ آليّاتٍ وعرباتٍ مدرّعةً أُخرى عبر الفتحة. لا أعرف أين نحن، مع ذلك هذا لا يزعجني بقدر الحزن الذي يجتاح صدري. كلّما طال طريقنا، وحصلتُ على وقتٍ أكثر لأفكاري، أصبح الألم أسوأ. أتحسّس رِباط زواجي. إيو ما تزال ميّتة. لا تنتظرني عند نهاية هذه الرحلة. لماذا نجوتُ أنا، إن لم تتمكّن مِن النجاة هي؟ لماذا سَحبتُ قدميها بكلّ تلك القوّة؟ هل كان بوسعها أن تحيا أيضاً؟ أشعر بأمعائي كأنّها حفرةٌ سوداء. ثِقلٌ هائلٌ يضغطُ على صدري، وتنتابني رغبةٌ عارمةٌ بأن أقفز مِن العربة المدرّعة نحو آليّةٍ تسير على الطريق. يصبح الموت سهلاً إن كنتَ قد اختبرته مِن قبل.

لكنّني لا أقفز. أجلس مع هارموني ورالف. إيو أرادَت المزيد لي. أضغطُ على عُصابة الرأس القرمزيّة في قبضتي.

الطريق النفقيّ يتّسع قليلاً مع اقترابنا مِن نقطة تفتيشٍ تحرسها عُلَبُ صفيحٍ قذرة بعِتادٍ بالٍ. البوّابة الكهربائيّة ليست مشحونةً حتّى. يسمحون بمرور العربة المدرّعة التي أمامنا بعد أن قاموا بمسح لوحةٍ على جانبها. بعدها يحين دورنا. أخذت أتلوّى في مقعدي مثل رالف. هارموني تضحك مستخفّةً بصوتٍ خافتٍ، بينما تقوم عُلبةُ صفيحٍ رماديّة الشعر بمسح جانب العربة المدرّعة، وتُلوِّح لكي يسمحوا لنا بالمرور عبر البوّابة.

– لدينا رمز مرور. هؤلاء العبيد لا يفكّرون. عُلَبُ صفيحِ المناجم مُجرَّد حمقى. عليكَ أن تتوخّى الحذر مِن نخبة الرماديّين، أو مِن الوحوش السبجيّة، لكنّهم لا يضيّعون وقتهم هنا في الأسفل.

ومع انعطافنا خارج طريق الأنفاق الرئيس، نحو شارعٍ مسدودٍ يفضي إلى مرآب آليّاتٍ أكبر بقليلٍ مِن الميدان، أحاولُ إقناع نفسي بأنّ كلّ هذا ليس إلّا خدعة ذهبيّة، وبأنّ هارموني ورالف ليسا مِن الأعداء. هنالك مصابيح كبريتيّة ساطعة معلّقة على معدّات الآليّات. نصف المصابيح محترقة. مصباحٌ واحدٌ يومض فوق كَراجٍ بالقرب مِن مستودعٍ مُعلَّمٍ برمزٍ عجيبٍ مصنوعٍ مِن لونٍ غريب. نتّجه نحو الكراج. يُغلَق الباب، وتشير إليّ هارموني بالنزول مِن العربة المدرّعة.

– «الديار أخيراً». تقول: «حان الوقت الآن لمقابلة الراقص».

8

الراقص

نظرات الراقص تخترقني غير مبالٍ بوجودي. إنّه في مثل طولي تقريباً، وهو أمرٌ نادر. لكنّه قويّ البنية، ومتقدّمٌ في السنّ كثيراً، ربّما في الأربعينيّات. صدغه يغطّيه الشيب، وبضع ندوبٍ مزدوجة تحدّد عنقه. لقد رأيت مثلها مِن قبل. عضّات أفعى الحُفَر. الذراع على الجانب الأيسر مِن جسمه متدلّية فقط. إنَّهُ تلفٌ في الأعصاب. لكنّ عينيه تأسرانِي؛ إنّهما أكثر لمعاناً مِن أعين الآخرين، ترتسم فيهما أشكالٌ بلونٍ أحمر صافٍ عوضاً عن الأحمر الصدئ. لديه ابتسامةٌ أبويّة.

- «لا بدّ من أنّك تتساءل مُستَغرِباً مَن نحن». يقول الراقص بلطف. إنّه ضخمٌ، لكنّ صوته ناعم. معه ثمانيةٌ مِن الحُمر، جميعهم رجال ما عدا هارموني، ينظرون إليه بعيونٍ ملؤها الإعجاب. جميعهم على ما أظنّ مِن عمّال المناجم، لديهم أيدٍ قويّةٌ تغطّيها الندوب مثل كلّ العمّال. إنّهم يتحرّكون برزانة قَومِنا. بعضهم -بلا أدنى شكّ- وثّابون ومتفاخرون، مثلما ندعو أولئك الذين يركضون على طول الجدران، ويؤدّون الشقلبات في الرقصات. هل هُم مِن غطّاسي الجحيم أيضاً؟

- «إنّه ليس مُستَغرِباً». هارموني تأخذُ وقتها بنطق الكلمات، تقلِّبها على طول لسانها. تضغط على يد الراقص، وهي تمر مِن حوله لتنظر إليّ: «لقد أدركَ اللّعين الأمر منذ ساعة».

- «أوه». يبتسم لها الراقص بلطف: «بالطبع، وإلّا أريس ما كان ليطلب إلينا أن نغامر بإخراجه إلى هنا. هل تعلم أين «هنا» يا دارو؟».

- «لا يهم». أُتمتِم. أنظرُ مِن حولي إلى الجدران، إلى الرجال، إلى الأضواء المتأرجحة. كلّ شيءٍ باردٌ وقذر: «المهم هو...». أخفق في إتمام جملتي. التفكير في إيو يكبح صوتي: «المهم هو أنّكم تريدون شيئاً منّي».

- «أجل، هذا هو المهم». يقول الراقص. تَلمسُ يده كتفي: «لكنْ يمكن لهذا أن ينتظر. أنا متفاجئٌ مِن أنّكَ ما تزال قادراً على الوقوف. الجروح على ظهرك متّسخةٌ جدّاً. أنت بحاجةٍ إلى المضادات، ومرمّمٍ للجلد؛ للحَدِّ مِن تشكّل الندوب».

- «الندوب لا تهم». أقول مُحدِّقاً في قطرتيّ الدم اللّتين تسقطان مِن أسفل قميصي إلى الأرض. جراحي فُتِحَت مِن جديد عندما تسلّقت إلى خارج القبر: «إيو، إنّها... ميّتة، أليس كذلك؟».

- نعم إنّها كذلك. لم نتمكّن مِن إنقاذها يا دارو.

- «لماذا؟». أسألُ.

- لم نستطع فقط.

- «لماذا؟». أكرّر مُحدِّقاً فيه بنظرةٍ ثاقبةٍ، وكذلك أحدّق في أتباعه، وأنفث الكلمات واحدةً تلو الأُخرى: «لقد أنقذتموني. كان مِن الممكن أن تنقذوها. إنّها الشخص الذي تريدونه. الشهيدة اللّعينة! هي كانت تهتمّ بكلّ ذلك. أم يريد أريس الأبناء فقط وليس البنات؟».

- «الشهداء عددهم كبير، وقيمتهم صغيرة». تقول هارموني متثائبة.

أَنسلُّ نحوها كالأفعى، وأُطبِق على عنقها؛ موجات مِن الغضب تجتاح وجهي إلى أن يتخدّر، وأشعر بالدموع تفيض مِن عينَيّ. طنين الحرَّاقات يعلو، وهُم يشحنونها مِن حولي. أحدها ينغرس خلف رقبتي، أشعر بفوهته الباردة.

- «دعها!». يصيح أحدهم: «هيّا يا فتى!».

أبصقُ عليهم، وأهزُّ هارموني بعنفٍ مرّةً، وأرمي بها جانباً. تجثمُ على الأرض، تركل، وعندما تنهض تلمع سكّينٌ في يدها.

الراقص يتدخّل بيننا: «كفى! كلاكما، رجاءً يا دارو!».

- «فتاتُكَ كانت حالمة يا فتى». تبصق هارموني عليّ مِن الطرف الآخر للراقص: «بلا جدوى كاللّهب فوق الماء...».

- «هارموني، اخرسي أيّتها اللّعينة!». يصيح الراقص: «أبعدوا هذه الأشياء اللّعينة!». تسكت الحرَّاقات. يتبع ذلك صمتٌ متوتّر، لينحني نحوي مقترباً، ويتكلّم معي. ينخفض صوته. تنفّسي سريع: «نحن أصدقاء يا دارو، نحن أصدقاء. لا يمكنني الإجابة الآن عوضاً عن أريس، لماذا لم يستطع مساعدتنا كي ننقذ فتاتك؛ أنا فقط واحد مِن مساعديه. لا يمكنني مسح الألم. لا يمكنني إعادة زوجتك إليك. ولكنْ انظر إليّ يا دارو. انظر إليّ يا غطّاس الجحيم». أَنظرُ مباشرةً إلى تلك العيون الحمراء الدمويّة: «لا يمكنني فعل الكثير، لكنْ يمكنني منحكَ العدالة».

يذهب الراقص إلى هارموني، ويهمس لها بشيءٍ ما، على الأغلب يخبرها بأنّه علينا أن نكون أصدقاء. لن نكون. لكنّني وعدتُ بأنّني لن أخنقها، وهي وعدَت بأنّها لن تطعنني.

تبدو هادئةً، وهي تقتادني بعيداً عن الآخرين عبْر ممرّاتٍ معدنيّةٍ ضيّقةٍ إلى بابٍ صغيرٍ يفتح بثني مقبض. وَقعُ خطواتنا على الممشى الصدئ يصدر صدى. الغرفة صغيرةٌ ومملوءةٌ بالطاولات والمؤن الطبيّة المبعثرة. تجبرني هارموني على التعرّي والجلوس إلى واحدةٍ مِن الطاولات الباردة؛ كي تتمكّن مِن تنظيف جراحي. يداها ليستا لطيفتين، وهي تكشط الوسخ عن ظهري الممزّق. أحاول ألّا أصرخ.

- «إنّكَ أحمق». تقولها، وهي تُخرِج حجراً مِن جرحٍ عميق. أشهق متألّماً، وأحاول قول شيءٍ ما، لكنّها تضغط إصبعها في ظهري، وتُسكِتني.

- «الحالمون كزوجتك محدودو الأثر أيّها الغطَّاس الصغير». تتأكّدُ مِن عدم قدرتي على الكلام: «عليك أن تفهم بأنَّ القوّة الوحيدة التي لديهم هي الموت. كلّما كان مَوتُهم أقسى كان صَوتُهم أعلى، وصداه أعمق؛ زوجتكَ أدَّت غرضها».

غرضها. يبدو ذلك غير مبالٍ جدّاً، مترفّعاً وحزيناً، كأنّ فتاتي المبتسمة والضاحكة لم توجد لهدفٍ سوى الموت. كلمات هارموني تُحفَر في داخلي، ورحتُ أُحدِّق في الشبك المعدنيّ قبل أن أستدير وأنظر في عينيها الغاضبتين.

- «وما الغرض منكِ إذنْ؟». أسأل.

ترفع يديها الملطّختين بالوسخ والدم.

- مثل الغرض منكَ أيّها الغطَّاس الصغير؛ تحويل الحلم إلى حقيقة.

تأخذني هارموني -بعد أن نظّفت ظهري مِن الوسخ، وأعطتني جرعةً مِن المضادّات- إلى غرفةٍ مجاورةٍ للمولّدات الهادرة. على طول جدران

الغرفة تصطفّ أسِرّةٌ محمولةٌ، ونُجاج(*) سائل. تتركني هناك. الدُش شيءٌ مرعبٌ! على الرغم مِن أنّه ألطف مِن هواء المغاسل، لكنْ تارةً أشعر كأنّني أغرق، وتارةً أُخرى أجد نفسي أتجرّع مزيجاً مِن النشوة والعذاب الحارق. أفتح منفث الحرارة إلى أن بدأ البخار الكثيف يتصاعد، وراح الألم يقطع ظهري.

بعد أن بتّ نظيفاً، أرتدي ملابسَ غريبةً أعدّوها لي. ليست أفرولاً، ولا حتّى قماشاً مِن النسيج المنزليّ كالتي اعتدت ارتداءها. الموادّ مِن حريرٍ راقٍ، كشيءٍ يمكن لأحدٍ ما مِن بني الألوان الأُخرى ارتداؤه.

يدخل الراقص إلى الغرفة، وأنا ما زلت أقوم بارتداء ملابسي. يجرّ قدمه اليسرى خلفه، غير مفيدة، كذراعه اليسرى تقريباً. مع ذلك ما زال رجُلاً مثيراً للإعجاب، أقوى مِن بارلو، وأوسم منّي على الرغم مِن سنّه، ونُدبِ العضّات على عنقه. يحمل قصعةً مِن الصفيح، ثمّ يتقدّم ليجلس على أحد الأسِرَّة المحمولة التي تصدر صوت طقطقة جراء وزنه.

- لقد أنقذنا حياتك يا دارو؛ لذا فحياتك هي ملكنا، ألا توافق على ذلك؟

- «عمّي هو مَن أنقذ حياتي». أقول.

- «السّكير؟». يتذمّر الراقص: «أفضلُ شيءٍ قام به هو إخبارنا عنك. لقد كان عليه القيام بذلك عندما كنتَ صغيراً، لكنّه أبقى أمركَ سرّاً. لقد كان يعمل كمُخبِرٍ لصالحنا منذ زمنٍ حتّى قبل موت والدك».

- هل شنقوه الآن؟

(*) أداة تستخدم لرشّ الماء فيها ثقوب يخرج منها الماء بشدة. (م).

– بعد أن قام بإنزالك؟ لا أتمنّى ذلك. لقد أعطيناه جهاز تشويش ليفصل كاميراتهم القديمة. لقد قام بعمله مثل شبح.

عمّي نارول، رئيس عمّال، لكنّه يثمل كالحمقى. لطالما اعتقدت بأنّه ضعيف. إنّه لا يزال كذلك. لا يمكن لرجُلٍ قويٍّ أن ينساق وراء الشرب مثله، أو يشعر بكلّ تلك المرارة، لكنّه لم يستحقّ يوماً كلّ هذا الاحتقار الذي عاملته به. ولكنْ لماذا لم يُنقِذ إيو؟

– «تتصرّف كأنّ عمّي اللّعين يدين لك بشيءٍ ما». أقول.

– إنّه يدين لقَومِه.

– «قَومِه». أسخر مِن هذا المصطلح: «هنالك عائلة. هنالك عشيرة. حتّى مِن الممكن القول: إنّ هنالك مَجمَعاً ومنجماً، ولكنْ قَوم؟ قَوم. وأنتَ تتصرّف كأنّك ممثّلي، وكأنّ لديك الحق بامتلاكِ حياتي. ولكنّكَ مجرّد أحمق، جميعكم –يا أبناء أريس– مجرّد حمقى». صوتي يتراجع في تعاليه: «الحمقى الذين لا يفعلون شيئاً سوى تفجير الأشياء. مثل الأطفال الذين يركلون أعشاش أفاعي الحُفَر مِن شدّة غيظهم».

هذا ما أريد فعله؛ أريد أن أركل، أن أدمّر كلّ شيءٍ مِن حولي، لهذا أهينه، لهذا أبصق على الأبناء، مع أنّني لا أملك أيّ سببٍ فعليٍّ لكُرههم.

الوجه الوسيم للراقص يتجعَّد مظهراً ابتسامةً مُتعبةً، وعندها فقط أدركُ كم هي كليلة حقّاً ذراعه الميّتة، أنحف مِن ذراعه اليمنى ذات العضلات، مثنيّة كجذور الأزهار، ولكنْ على الرغم مِن طرفه الضامر، إلّا أنّ الراقص يمتلك نوعاً مِن التهديد المجنون، ليس ظاهراً كما لدى هارموني، لكنّه يظهرُ أحياناً عندما أسخر منه، عندما أستخفّ به وبأحلامه.

– مُخبِرونا موجودون كي يمدُّونا بالمعلومات، وليساعدونا بالعثور

على المتميّزين الفريدين كي نتمكّن مِن إخراج أفضل ما لدى الحُمر مِن المناجم.

- كي تتمكّنوا مِن استخدامنا.

يبتسمُ الراقص باقتضاب، ويلتقط القصعة عن السرير المحمول. «سنلعب لعبةً لنرى إن كنت واحداً مِن أولئك المتميّزين يا دارو. إنْ فزت، سآخذك لرؤية شيءٍ رآه فقط قلّةٌ مِن الحُمرِ الدونيّين».

- حُمر دونيّون! لم أسمع بهذا المصطلح من قبل.

- وإن خسرت؟

- حينها لن تكون مِن المتميّزين، وسيفوز الذهبيّون مرّةً أُخرى.

أنتفِضُ لدى تخيلي الأمر.

يمسكُ بالقصعة أمامي، ويشرح القواعد: «هنالك بطاقتان في القصعة: واحدة عليها منجل الحصاد، والأُخرى عليها حَمَل. إن اخترت المنجل ستخسر، وإن اخترت الحَمَل ستفوز».

كانت هذه لتكون مُجرَّد لعبة، لو أنّني لم ألحظ التقلُّب في صوته، وهو يلفظ الكلمات الأخيرة. إنّه اختبار. هذا يعني أنّه لا وجود لعامل الحظّ فيه. إذنْ، يجب أن يكون الغرض منه قياس ذكائي، ما يعني أنّ هنالك خدعةً ما. الطريقة الوحيدة التي بوسع هذه اللّعبة أن تقيس ذكائي بها هي أن تحمل كلتا البطاقتين المنجل؛ إنّه المتغيّر الوحيد الذي يمكن التلاعب به. هذا بسيط. أحدِّقُ في عينَيّ الراقص الوسيمتين. إنّها لعبةٌ مزيّفةٌ، وأنا معتادٌ على أمثالها، وعادةً ما أتّبع القواعد، ولكنْ ليس هذه المرّة.

- سألعب.

أمدُّ يدي إلى القصعة، وأسحب بطاقةً بحيث لا يتمكّن أحدٌ مِن رؤية وجهها سواي. إنّها منجل. لم يرفع الراقص ناظريه عنّي قطّ.

- «لقد ربحتُ». أقول.

يمدُّ يده نحو البطاقة ليرى وجهها، لكنّني أقحمُها في فمي قبل أن يتمكّن من الإمساك بها. لن يرى قطّ ما الذي سحبته. يراقبني الراقص، وأنا أمضغ الورقة. أبلعها وأسحب البطاقة المتبقّية مِن القصعة، وأقذفها نحوه. منجل.

- «ورقة الحَمَل بدت ببساطةٍ جيّدةً جدّاً، وكان من الصعب مقاومة أكلها». أقول.

- مفهوم تماماً.

يلمعُ الحَمارُ في عينيه، ويضع القصعة جانباً. شخصيّته الدافئة تعود إليه، كما لو أنّه لم يهدّد قطّ مِن قبل. «أتعلم يا دارو لماذا نطلق على أنفسنا اسم أبناء أريس؟ بالنسبة إلى الرومان، كان مارس هو إله الحرب، إله المجد العسكريّ، إله الدفاع عن المواقد والبيوت، إلهاً مُبجَّلاً وما إلى ذلك، لكنّ مارس محتال؛ إنّه النسخة الرومانسيّة مِن إله الإغريق أريس».

يشعلُ الراقص سيجاراً، ويعطي آخرَ لي. يندفعُ أزيزٌ صاخبٌ مِن المولّدات، ويشعرني السيجار باندفاعٍ مماثلٍ لنشوةٍ ضبابيّةٍ، بينما يتلوّى دخانه عبر رئتي.

- «أريس كان وغداً، شفيعاً شريراً للغضب، والعنف، والتعطّش للدماء والمجازر». يقول.

- إذنْ، عندما تُسمّون به فأنتم تشيرون إلى حقيقة الأمور في الجمعيّة. هذا لطيف.

- نوعاً ما. الذهبيّون يفضّلون أن ننسى التاريخ. ومعظمنا نسي، أو لم يدرسه قط. لكنّني أعلم كيف وصل الذهبيّون إلى السُّلطة مِن مئات السنين. يسمّون ذلك غزواً. لقد سفكوا دماء كلّ مَن عارضهم. ارتكبوا المجازر في المدن والقارّات. لم يمضِ وقت طويل على تحويلهم عالَماً بأسره إلى رماد، ريا، سيّد الرماد قصفه بسلاحٍ نوويٍّ، وجعله هباءً منثوراً طيّ النسيان. لقد استمدّوا أفعالهم مِن غضب أريس، والآن نحن أبناء ذلك الغضب.

- «هل أنت أريس؟». أسألُ بصوتٍ خافت: «عوالم. لقد دمّروا عوالمَ، لكنّ ريا أبعد بكثير عن كوكب الأرض مِن المرّيخ. إنّه واحدٌ مِن أقمار زحل على ما أعتقد. لماذا سيقصفون بسلاحٍ نوويٍّ عالَماً بعيداً كلّ هذا البعد؟».

- «كلّا! لست أريس». يجيب.

- لكنّكَ تنتمي إليه.

- «لا أنتمي إلى أحد سوى هارموني وقَومي. أنا مثلكَ يا دارو، ولدتُ في عشيرة حفَّاري أرض، عمّال مناجم مِن مستوطنة تيروس. أنا فقط أعرف أكثر عن العالم». يعبس لدى رؤيته ملامح نفاد صبري: «أنتَ تظنّ بأنّني إرهابيّ. أنا لست كذلك».

- «لست كذلك؟». أسأل.

استلقى إلى الخلف، وأخذ يدخّن سيجارة.

- «تَخيَّل بأن هنالك طاولة مُغطَّاة بالبراغيث». يشرح: «البراغيث ستقفز وتقفز إلى ارتفاعاتٍ غير معروفة، ثمّ سيأتي رجُل ويقلب جرّةً زجاجيّةً على البراغيث. ستقفز البراغيث وتصطدم بأعلى الجرّة، ولن تتمكّن مِن

الذهاب أبعد، ثمّ يزيل الرجُل الجرّة، ومع ذلك لن تقفز البراغيث إلى الأعلى أكثر مِن المسافة التي نشأوا معتادين عليها؛ لأنّهم يعتقدون بأنّه ما زال يوجد هنالك سقف زجاجي». ينفث الدخان. أرى عينيه تتوهّجان مِن خلاله مثل جذوة سيجاره: «نحن البراغيث التي تقفز إلى الأعلى. دعني أريك الآن إلى أيّ مدى».

يأخذني الراقص إلى الأسفل عبر ممرٍّ متداعٍ نحو مصعدٍ أسطوانيٍّ معدنيّ. إنّه شيءٌ صدئٌ، ثقيلٌ ويصدر صريراً بينما نصعد بثباتٍ إلى الأعلى.

– عليكَ أن تعرف بأنّ زوجتك لم تمُت سدى يا دارو. الخُضر الذين يساعدوننا قاموا بقرصنة البثّ. لقد تمكّنّا مِن اختراقهم وعرض النسخة الحقيقيّة على كلّ مكعّب عرضٍ مُجسّمٍ في كوكبنا. الكوكبُ بأسره، عشائرُ مئات الآلاف مِن مستوطنات التنقيب، وأولئك الموجودون في المدن، سمعوا أغنية زوجتك.

– «قصّة مبالغ بها». أتأفّف: «لا وجود لنصف ذلك العدد مِن المستوطنات».

يتجاهلني: «لقد سمعوا غناءها، وباتوا يطلقون عليها الآن اسم بيرسيفوني».

أنتفض وأنظر إليه. كلا! هذا ليس اسمها. إنّها ليست رمزهم. إنّها لا تنتمي إلى هؤلاء الزعران ذوي الأسماء المُختَلقة.

– «اسمها إيو». أقول ساخراً: «وتنتمي إلى ليكوس».

– إنها تنتمي إلى شعبها الآن يا دارو. وسيتذكّرون الحكايات القديمة عن ربّةٍ خطفها إله الموت مِن عائلتها. حتّى وهي مخطوفة لم يتمكّن

الموت مِن إبقائها إلى الأبد. لقد كانت العذراء، ربّة الربيع المقدّر لها أن تعود بعد كلّ شتاء. الجمال المُجسَّد يمكن له أن يلمس الحياة حتّى مِن القبر؛ هكذا يفكّرون في زوجتك.

- «هي لن تعود». أقول ذلك لأنهي المحادثة. النقاش مع هذا الرجُل عقيم؛ مجرّد تكرار.

يتوقّف مصعدنا فنخرج إلى نفقٍ صغير. نمشي عبره إلى أن نصل إلى مصعدٍ آخر مِن معدنٍ أملس، يُعتنى به على نحوٍ أفضل. اثنان مِن أبناء أريس مع مناجل يحرسانه. لن يطول الأمر، وسنصعد إلى الأعلى مجدّداً.

- «إنّها لن تعود، لكنّ جمالها، وصوتها، سيتردّد صداهما إلى أبد الآبدين. لقد آمنت بشيءٍ يتخطّاها، وموتها منح صوتها القوّة التي لم تكن لديها في حياتها. إنّها نقية، مثل والدك. كلانا، أنا وأنت». يلمس صدري بظهر سبابته: «قذران. لقد خُلِقنا مِن أجل الدم. أيدينا خشنة، وقلوبنا قذرة. نحن مخلوقات أدنى في المخطّط العظيم لما ستؤول إليه الأمور، ولكنْ مِن دوننا نحن -رجال الحرب- لا أحد سوى أهل ليكوس كانوا ليسمعوا بأغنية إيو. مِن دون أيدينا الخشنة، ما كانت لتبنى أحلام القلوب النقيّة قط».

- «اختصر!». أقاطعه: «إنّكَ تريدني مِن أجل شيءٍ ما».

- «لقد حاولتَ أن تموتَ مِن قبل». يقول الراقص: «أتريدُ فعل ذلك مرّة أُخرى؟».

- «أريد...». ماذا أريد؟ «أريدُ قتلَ أوغوستوس». أقولها، وأنا أتذكّر الوجه الذهبيّ البارد، وهو يأمر بإعدام زوجتي. لقد فعل ذلكَ مترفّعاً وبلا مبالاة: «هو لن يعيش، طالما إيو ممدّدة في قبرها». أفكّر في الحاكِم بودغينوس، ودان الشنيع. سأقتلهما أيضاً.

- «تريد الثأر إذنْ». يصيح.

- لقد قلتَ بأنّه بوسعك منحي إيّاه.

- لقد قلتُ بأنّ بإمكاني منحكَ العدالة. الثأر شيء فارغ، يا دارو.

- سيملأني. ساعدني على قتل الحاكِم العام.

- «إنَّكَ تجِدُّ كثيراً مِن تطلّعاتك يا دارو». يتسارع المصعد. أذناي تفرقعان. إلى الأعلى، ثمّ إلى الأعلى، ثمّ إلى الأعلى. إلى أيّ مدى سيستمرّ هذا المصعد بالصعود؟ «الحاكِم العام ببساطة واحدٌ مِن أكثر الذهبيّين أهميّةً في المرّيخ». يناولني الراقص نظّارات مظلّلة. أضعها بتردّدٍ بينما أخذ قلبي يخفق بشدّة في صدري. إنّنا نتّجه نحو السطح: «عليكَ أن تُوسِّع مِن مداركك».

يتوقّف المصعد. تفتح الأبواب. لم أستطع رؤية شيء.

مِن خلف النظارات تتقلص حدقتاي لتتكيفا مع الضوء. عندما تمكنت أخيراً مِن فتح عيني، توقعت رؤية مصباح، أو شعلة حرارية هائلة تتوهج، مصدر ما للضوء. لكني لم أر أي شيء. الضوء كان في كل مكان، مِن مصدر بعيد مستحيل. غريزة بشرية ما في داخلي كانت تعرف هذه الطاقة، هذا المصدر الأولي للحياة. إنها الشمس. ضوء النهار. ترتعش يداي وأخرج مِن المصعد مع الراقص. إنه لا يتكلم. أشك أني كنت لأسمعه حتى لو فعل.

نقف في غرفةٍ ذات طابعٍ غريب، لا تشبه أيّ شيءٍ تخيّلته. هنالك مادّة تحت قدميّ، قاسية، لكنّها ليست معدنيّةً، ولا صخريّة. الخشب. أعرفه مِن صور كوكب الأرض التي كانت تُعرَض على مكعّب العرضِ المُجسَّم. تغطّيه سجّادةٌ ناعمةٌ مِن آلاف الأشكال تحت قدميّ. الجدران مِن حولي

مصنوعة مِن الخشب الأحمر، ومنقوشٌ عليها أشجارٌ وغزال. موسيقا لطيفة تُعزَف مِن بعيد. أتتبّعُ النغمات إلى داخل الغرفة باتّجاه الضوء.

أجِدُ حاجزاً زجاجيّاً، جداراً كبيراً يسمح للشمس بأن تلقي أشعّتها على طول آلةٍ سوداء بمفاتيح بيضاء. إنّها تقبع هناك، تعزف بمفردها، في غرفةٍ بسقفٍ عالٍ، وثلاثة جدران، وحاجزٍ طويلٍ على شكل نافذةٍ زجاجيّة. كلّ شيءٍ ناعمٌ للغاية. خلف الآلة، وخلف الزجاج يوجد شيءٌ لا أفهمه. أمشي مترنّحاً نحو النافذة، باتّجاه الضوء، لأسقط على ركبتَيّ. أضغط بكلتا يدَيّ على الحاجز، وأطلق تنهيدةً واحدةً طويلة.

- «الآن بِتَّ تفهمُ». يقول الراقص: «بأنّنا مخدوعون».

وراء الزجاج تمتدّ مدينة.

9

الكذبة

المدينة عبارة عن أبراجٍ، وحدائقَ، وأنهارٍ، ونافورات. إنّها مدينة الأحلام، مدينة المياه الزرقاء، والحياة الخضراء، على كوكبٍ أحمر يُفترض به أن يكون قاحلاً كأشدِّ الصحاري ضراوة. هذا ليس المرّيخ الذي يعرضونه لنا على مكعّب العرضِ المُجسَّم. هذا ليس مكاناً غير صالح للبشر. إنّه مكانُ الأكاذيب، والثروة، والرفاهيّة الفاحشة.

ألتقطُ أنفاسي، وأنا أنظر إلى هذا المشهد الغروتسكي(*).

الرجال والنساء يطيرون، يتلألؤون، ذهبيّون وفضيّون. هذه هي الألوان الوحيدة التي أراها في السماء. أحذيتهم الثقاليّة تحملهم كالآلهة، بتقنيةٍ تضفي عليهم مظهراً في غاية البهاء مقارنة مع الأحذية الثقاليّة الفاشلة التي ينتعلها حرّاسنا في المناجم. يَمرُّ شابٌّ محلّقاً بجانب نافذتي، بشرته ناعمة، شعره يرفرف بطلاقة مِن خلفه، وهو يحمل زجاجتين مِن النبيذ إلى حديقة برجٍ مجاور؛ إنّه ذهبيّ، وحركته المتأرجحة في الهواء تذكّرني

(*) تعبير مستمد مِن النمط الغروتسكي، وهو فنّ زخرفيّ يتميز بأشكال بشريّة وحيوانيّة خياليّة غالباً ما تعتمد على تشويه الطبيعة وتحويلها إلى شيءٍ قبيح، أو سخيف، أو كاريكاتيري. (م).

بإحدى المرّات عندما رأيت كيف تَعطَّل النظام الهوائيّ في بِزّة شواء صبيّ الحفَّار؛ كان يلهث محاولاً الحصول على الأكسجين، وهو يموت، جسده يختلج بحركاتٍ أشبه بالرقص. هذا الذهبيّ يَضحكُ كالمخبول، ويدور حول نفسه مبتهجاً. أربع فتيات، لسن أكبر منّي، يَطرنَ خلفه في مطاردةٍ مرحةٍ متهوّرةٍ، وهنّ يضحكن بجنون. ثيابهنّ الضيّقة تبدو كأنّها مصنوعةٌ مِن سائلٍ ينساب حول منحنيات أجسادهنّ الشابّة. إنّهنّ يبدون في مثل سنّي، ولكنْ بطريقةٍ ما يبدون حمقاوات على نحوٍ غير معقول.

لا أفهم!

وراءهم تطير سفنٌ في الهواء عبر ممرّاتٍ محدّدةٍ بإشاراتٍ ضوئيّة. سفنٌ صغيرةٌ، الأجنحة المشطورة، كما يسمّيها الراقص، تواكبُ اليخوت الجويّة الأكثر تعقيداً. على الأرض، أرى رجالاً ونساءً يتحرّكون عبر ممرّاتٍ عريضة. هنالك سيّارات، مصابيح إشارةٍ ملوّنةٍ على طول المستويات الدنيا: أصفر، أزرق، برتقالي، أخضر، وَرديّ؛ مئات التدرّجات لعشرات الألوان مُشكِّلة هرميّة في غاية التعقيد والغرابة، حتّى بالكاد يمكنني عدّها مِن بنات أفكار البشر. الأبنية التي تلتفّ وتتعرّج حولها الممرّات هائلةٌ، بعضها مِن الزجاج، بعضها مِن الحجر، لكنّ العديد منها يذكّرني بتلك التي شاهدتها في مكعّب العرضِ المُجسَّم، أبنية الرومان تلك، المصنوعة من أجل الآلهة عوضاً عن البشر.

وراء المدينة الممتدّة تقريباً على مدّ البصر، يبدو سطح المرّيخ الأحمر والقاحل، تكسوه ندوبٌ مِن العشب الأخضر والغابات المتشابكة. السماء في الأعلى زرقاء، مرصّعة بالنجوم. عمليّة الاستصلاح قد اكتملت.

هذا هو المستقبل، الذي مِن المفترض ألّا يكون موجوداً قبل عدّة أجيالٍ قادمة.

حياتي كذبة!

عدّة مرّات أخبرتنا فيها، أوكتافيا ذهبيّة لونا، أنّنا نحن -شعب ليكوس- روّاد المرّيخ الأوائل، وبأنّنا الأرواح الشجاعة التي تضحّي مِن أجلِ العِرق، وبأنّ ما نبذله مِن كدٍّ ومشقّةٍ مِن أجل البشريّة سينتهي قريباً. قريباً ستنضمّ إلينا الألوان الأرقُّ، عندما يصبح المرّيخ قابلاً للسكن. لكنّهم قد انضمّوا إلينا فعلاً؛ أهل الأرض أتو إلى المرّيخ، ونحن -الروّاد الأوائل- بقينا في الأسفل، مستعبَدين، نكدحُ ونعاني لنَخلق ركائز هذه... هذه الإمبراطوريّة، ونحافظ عليها. نحن -كما كانَت إيو تقولُ دائماً- عبيدُ الجمعيّة.

الراقص يجلس على كرسيٍّ خلفي، وينتظر إلى أن يصبح بإمكاني التحدّث. يقول كلمة لتعتم النوافذ. ما زال بوسعي رؤية المدينة، لكنّ الشمس لم تعد تعمي بصري. بجانبنا تقبع تلك الآلة التي تدعى بيانو مصدرةً لحناً كئيباً.

- «لقد أخبرونا بأنّنا أمل البشريّة الوحيد». أقولُ بصوتٍ خافتٍ: «بأنّ الكرة الأرضيّة قد أصبحَت مكتظّةً، بأنّ كلّ الآلام، وكلّ التضحيات، كانت مِن أجل الجنس البشريّ. التضحية جيّدة. الطاعة هي الفضيلة الكبرى...»

الذهبيّ الضاحك يصل إلى البرج القريب؛ يستسلم للفتيات وقبلاتهنّ، وخلال لحظات سيشربون نبيذهم، وسيحصلون على تسليتهم.

يخبرني الراقص عن حقيقة الأمر.

- كوكب الأرض ليس مكتظّاً يا دارو. منذ سبعمئة عام مضت، توسّعوا نحو قمرهم لونا(*). ولأنّه مِن الصعب إطلاق مركبةٍ فضائيّةٍ تخترق الغلاف الجويّ، وتتغلّب على الجاذبيّة الأرضيّة في كلّ مرّةٍ، أصبح لونا

(*) قمر الأرض باللاتينيّة.

ميناء الأرض، الذي قاموا مِن خلاله باستيطان أقمار وكواكب المجموعة الشمسيّة.

- «سبعمئة عام؟». أشهق متعجّباً، لأشعر فجأةً بغباءٍ شديد.

- على لونا، الكفاءة والنظام أصبحا موضع اهتمام رئيس. في الفضاء كلّ رئةٍ يجب أن يكون لها غاية؛ لذا بدأت تدريجيّاً شرعنة النظام اللونيّ الأوّل، وأُرسِل الحُمر إلى المرّيخ لجمع الوقود مِن أجل النوع البشري. مستوطنات التنقيب أسّست هناك لكون المرّيخ يمتلك أعلى نسبة تركيز للهيليوم-3، المستعمل في استصلاح العوالم والأقمار الأُخرى.

على الأقلّ هذه لم تكن كذبة.

- هل استصلحوا العوالم والأقمار الأُخرى؟

- «الأقمار الصغيرة نعم. ومعظم الكواكب. طبعاً عدا الكواكب الغازيّة العملاقة». يجلس على كرسيّ: «منذ الأيّام الأولى للاستيطان بدأ أغنياء لونا يدركون بأنّ كوكب الأرض ليس سوى استنزافٍ لأرباحهم. حتّى مع استيطان أهل لونا للمجموعة الشمسيّة، فقد كانوا خاضعين لضرائب، ومملوكين مِن قبل شركاتٍ وبلدانٍ مِن كوكب الأرض، لكنْ تلك الكيانات نفسها لم يكن بوسعها إنفاذ حقوقهم بالملكيّة؛ لذا تمرَّد أهل لونا الذهبيّون وجمعيّتهم ضدّ بلدان كوكب الأرض، فحاربهم أهل الأرض، لكنّهم خسروا. لقد كان هذا هو الغزو. الاقتصاد حَوَّلَ لونا إلى قوّةٍ وميناء للمجموعة الشمسيّة، والجمعيّة بدأت بالتحوّل لما هي عليه اليوم، إمبراطوريّة مبنيّة على أكتاف الحُمر».

أشاهدُ كيف يتحرّكُ بنو الألوان في الأسفل. إنّهم صغار، مِن الصعب تمييزهم مِن العُلوّ الذي نحن فيه، وعيوني ليست معتادةً على النظر إلى مسافاتٍ بعيدةٍ، ناهيك عن رؤية كلّ هذا الضوء.

- لقد أُرسِل الحُمر إلى المرّيخ منذ خمسمئة سنة مضت. الألوان الأُخرى أتت إلى المرّيخ منذ قرابة ثلاثمئة سنة مضت، بينما بقي أجدادنا يكدحون تحت السطح. لقد عاشوا في مدنٍ بمناخٍ شبه أرضيّ، مدنٍ مع فقاعاتٍ مِن الغلاف الجويّ فوقهم، بينما باقي العالم فكان يُحوّل إلى مناخٍ شبه أرضيٌّ ببطء. الآن، أزيلت الفقاعات، وأصبح العالم ملائماً لأيّ إنسان.

الحُمر العُلويّون يعيشون كعمّال صيانة، عمّال نظافة، حصّادي حبوب، عمّال تجميع. الحُمر الدونيّون هُم أمثالنا الذين ولدوا تحت السطح، العبيد الفعليّون. في المدن، يختفي الحُمر الذين يرقصون. أولئكَ الذين يُعبِّرون عن آرائهم يتلاشون. أولئكَ الذين يطأطئون رؤوسهم ويَقبَلون حكم الجمعيّة، ومكانهم في الجمعيّة، كما تفعل كلّ الألوان، يعيشون مع حريّةٍ نسبيّة.

ينفثُ سحابةً مِن الدخان.

أشعر بأنّني خارج جسمي، كأنّني أشاهد استيطان العوالم، وتحوّل الجنس البشريّ، مِن خلال عيونٍ ليست لي. جاذبيّة التاريخ سحبت قَومي إلى العبوديّة. نحن الدرك الأسفل للجمعيّة، القذارة. لطالما كانت إيو تنشرُ عِظاتٍ مشابهة، مع أنّها لم تكن تعرف الحقيقة قطّ. لو كانت تعرف ذلك، كم كان ليزيد حماسها، وهي تتحدّث؟ هذا الوجود أسوأ مِن أيّ شيءٍ كان يمكن أن تتخيّله. ليس مِن الصعب فهم اليقين الذي يقاتل به أبناء أريس.

- «خمسمئة عام». أهزُّ رأسي: «هذا هو كوكبنا اللّعين!».

- «بالعَرق والكدح أصبح كذلك». يقول موافقاً.

- إذنْ، ماذا سيكلّف استرجاعه؟

- «دماء». الراقص يبتسم لي مثل قِطٍّ بلدة شارد. هنالك وحشٌ يتخفّى خلف الابتسامة الأبويّة لهذا الرجُل.

كانت إيو على حق؛ ستبلغ الأمور حدَّ العنف.

لقد كانت الصوت، مثل أبي. إذنْ، ماذا سأكون أنا؟ يَدُ الانتقام؟ لا يمكنني استيعاب أنّ شخصاً بهذا النقاء، وكلّ هذا الحبّ سيريد منّي أن ألعب هذا الدور! لكنّها فعلت. أفكّر برقصة أبي الأخيرة. أفكّر بأمّي، بليانا، بكيران، بلوران، بوالدَيّ إيو، بعمّي نارول، ببارلو، بكلّ مَن أُحبّ. أعرف كم سيحيون حياةً قاسيةً، وكيف سيموتون بسرعة. والآن أعرف لماذا.

أنظر إلى الأسفل، إلى يدَيّ. إنّهما ما سمّاهما الراقص أشياء مجروحة، ونديةً، ومحروقة. عندما كانت إيو تقبّلهما كانتا تصبحان لطيفتين بسبب الحبّ. الآن، بعدما رحلت، أصبحتا خشنتين بسبب الكراهية. أطبقتهما على شكل قبضتين إلى أن أصبحت مفاصل أصابعي بيضاء كقلنسواتٍ جليديّة.

- ما مهمّتي؟

10

النَّحات

نشأتُ مع فتاةٍ ذات خمس عشرة سنة، سريعة الضحك، تحبُّ زوجها الشابّ إلى درجة أنّه عندما أصيبَ بحَرقٍ في المناجم وتقيّح جرحه، باعت جسدها لأحد أفراد عشيرة غاما مقابل الحصول على المضادّات الحيويّة. كانت أقوى مِن زوجها، لكنّه عندما كبر جيّداً، واكتشف ما فعلته مِن أجله، قام بقتل ذلك الذي مِن عشيرة غاما بالنصل المِنجَليّ الذي هرَّبهُ سرّاً مِن المناجم. مِن السهل توقّع ما الذي حدث بعد ذلك. كان اسمها لانا، وهي ابنة عمّي نارول. لم تعد على قيد الحياة.

أفكر بها، وأنا أشاهد مكعّب العرضِ المُجسَّم، في المكان الذي تسمّيه هارموني بالبنتهاوس(*)، بينما يقوم الراقص بإجراء التحضيرات. أقلِّبُ بين العديد مِن القنوات بنقراتٍ متتاليةٍ مِن إصبعي. حتّى ابن عشيرة الغاما ذاك كان لديه عائلة. كان يحفر مثلي. ولد مثلي، سار عبر المغاسل مثلي، حتّى إنّه لم يرَ الشمس قطّ. لقد أُعطِي فقط حزمةً صغيرةً مِن الدواء

(*) نمط مِن الشقق المترفة التي تكون في أعلى طابق مِن مباني المدن المزدحمة ولها إطلالة على المدينة. شاعت في عشرينيّات القرن العشرين في الولايات المتحدة.

مِن قبل الجمعيّة، وانظر ماذا كانت النتيجة. كم كان ذلك ذكيّاً منهم! كم مِن الكراهية خلقوا بين الناس الذين يفترض أن يكونوا مِن عائلة واحدة! لكنْ لو علمت العشائر بحجم الرفاهيّة الموجودة على السطح، لو كانوا يعلمون كم سُرِق منهم، لكانوا شعروا بالحقد والضغينة التي أشعر بها، ولكانوا اتّحدوا. عشيرتي مِن نَسلٍ حادِّ المزاج. كيف كان ليبدو تمرُّدهم؟ على الأرجح مثل سيجار داغو، يشتعل كالجمر، لكنْ يخبو بسرعة، إلى أن يصبح كلّه رماداً.

أسأل الراقص لماذا بثَّ الأبناء موت زوجتي إلى المناجم. عوضاً عن ذلك، لماذا لم يعرضوا للحُمر الدونيّين غِنى السطح؟ كان ذلك ليولّد الكثير مِن الغضب.

- «لأنّ التمرُّد الآن كان ليُسحَق خلال أيّام». يشرحُ الراقص: «علينا اتّخاذ مسارٍ مختلف. لا يمكن تدمير الإمبراطوريّة مِن الخارج قبل أن تُدمَّر مِن الداخل. تذكّر ذلك. نحن محطّمو الإمبراطوريّة، لسنا إرهابيّين».

عندما أخبرني الراقص ما الذي عليَّ فعله، ضحكتُ. لا أعلم إن كان في وسعي فعل ذلك، فأنا مجرّد نكرة. آلاف المدن تمتدّ على سطح المرّيخ. قوافل مِن الحمولات المعدنيّة تسبح بين الكواكب حاملةً أسلحةً بوسعها أن تؤدّي إلى تصدّع غلاف القمر. في لونا البعيدة، ترتفع المباني إلى عُلوِّ سبعة أميال؛ هنالك القنصل المُعظَّم أوكتافيا ذهبيّة لونا، تَحكُم مع رجالها مِن قادة الأساطيل والأسراب؛ أمّا سيِّد الرماد، الذي حوَّل عالم ريا إلى فحمٍ محترقٍ، فهو تابعها المطيع. كما أنّها تسيطر على الفرسان الأولمبيّين الاثني عشر، وفيلق الفريدين ذوي الندبة، وأعدادٍ مِن السبجيّين لا تحصى كالنجوم. أولئكَ السبجيّون هُم مِن النخبة فقط، بينما يطوف

الجنود الرماديّون على المدن ليؤمّنوا النظام والانصياع إلى الهرميّة؛ أمّا البيض، فيصدرون أحكام عدالتهم، ويطبّقون فلسفتهم، والوَرديّون يُمتِعون ويخدمون في بيوت بني الألوان العليا، والفضّيّون يحسبون ويتحكّمون بالعملة والإمدادات، والصُّفرُ يدرُسون الطبّ والعلوم، والخُضرُ يطوّرون التقنيّات، والزُّرقُ يطيرون بين النجوم، والنُّحاسيّون يديرون البيروقراطيّة؛ لكُلِّ لونٍ غاية، وكُلُّ الألوان تخدم الذهبيّين.

مكعّب العرضِ المُجسَّم يُظهر لي ألواناً لم أكن أعلم بوجودها. يُظهر لي الأزياء، سخيفةً كانت أم مغرية. هنالك تعديلات بيولوجيّة، وطُعومٌ جلديّة. نساءٌ بجلدٍ ناعمٍ وأملس، ونهودٌ مكوّرةٌ، وشعرٌ لامعٌ، يجعلهنّ يبدون كأنّهنّ نوعٌ مختلفٌ عن إيو، وكلّ النساء اللّواتي رأيتهنّ في حياتي. الرجال مفتولو العضلات، وطِوال القامة على نحوٍ فظيع. أذرعهم وصدورهم المنفوخة تنضح منها قوّةٌ صناعيّةٌ، ويتباهون بعضلاتهم كفتياتٍ يَعرِضن دُماهنّ الجديدة.

أنا غطّاس جحيم عشيرة لامبدا مِن ليكوس، لكنْ ماذا يعني ذلك مقارنةً مع كلّ هذا؟

– «هارموني وصلَت، حان وقت الذهاب». يقول الراقص مِن مكانه عند الباب.

– «أريد القتال». أخبره، ونحن نستقلّ المصعد الثقاليّ متّجهين إلى الأسفل مع هارموني. لقد عالجوا الشِّعارات التي لديّ، وجعلوها ألمع؛ لتتلاءم مع تلك التي لدى الحُمر العُلويّين. أرتدي الثوب الفضفاض المخصّص للحُمر العُلويّين، وأحمل حزمةً مِن أدوات تنظيف الشوارع. هنالك صبغةٌ على شعري، وعدساتٌ لاصقةٌ في عيوني، بحيث أبدو

كنسخةٍ حمراء بتدرّجاتٍ أكثر لمعاناً، وأقلّ اتّساخاً. «لا أريد هذه المهمّة. والأسوأ أنّني لا أستطيع فعلها. من يستطيع؟».

- «أنت قلتَ بأنّك ستفعل كلّ ما سيتطلّب منك فعله». يقول الراقص.

- «لكن هذا...». المهمّة التي كلّفني بها هي الجنون بعينه، مع هذا ليس ذلك هو سبب خوفي؛ أنا أخاف أن أصبح شيئاً، ما كانت لتتعرّف إليه إيو. سأصبح شيطاناً مِن حكاياتنا عن ليلة تشرين الأوّل/ أكتوبر.

- أعطني حرّاقاً، أو قنبلةً؛ أمّا هذا، فدع أحداً غيري يقوم به.

- «أخرجناكَ مِن أجل هذا». تتنهّدُ هارموني: «وفقط مِن أجل هذا. إنّه هدف أريس الأكبر منذ أن ولد الأبناء».

- كم أخرجتم؟ كم منهم حاول القيام بما تطلبون منّي القيام به؟

تنظرُ هارموني إلى الراقص، لكنّه يلتزمُ الصمت، فتجيب بلا صبر نيابةً عنه: «سبع وتسعون أخفقوا في أثناء النحت... هذا ما نعلم به».

- اللّعنة! وماذا حدث لهم؟

- «لقد ماتوا». تقول بجمود: «أو طَلبوا الموت».

- «ربّما كان على نارول أن يدعني أُشنَق». أحاولُ الضحك.

- «دارو. تعال إلى هنا. تعال». يُمسكني مِن كتفي، ويسحبني إلى الداخل: «ربّما أخفق الآخرون، لكنّكَ ستكون مختلفاً يا دارو؛ حَدسي يخبرني بذلك».

ساقاي ترتعشان، وأنا أنظرُ لأوّل مرّةٍ إلى سماء اللّيل، والأبنية تمتدّ مِن حولي. أشعر بالدوار كأنّني أقع، وكأنّ العالم قد خرج عن محوره. كلّ

شيءٍ مفتوحٌ للغاية، لدرجة أنّ المدينة تبدو كأنّها ستنهار نحو السماء. أنظر إلى قدمَيّ، أنظر إلى الطريق، وأحاول تخيّل أنّي أسلكُ طُرقَ الأنفاق مِن المَجمَع إلى الميدان.

شوارع مدينة يوركتن تمسي أماكن غريبة في اللّيل. كُراتٌ مشعّةٌ مِن الضوء تصطفّ على طول الأرصفة والطرقات. الفيديوهات التي تبثّها مكعّبات العرضِ المُجسَّم، تظهر كجداول تنساب بعروضها على طول أجزاء مِن الجادّات الموجودة في هذا القسم مِن المدينة المخصّص للتقنيّات المتطوّرة؛ لذا معظم الناس يمشون على مساراتٍ متحرّكةٍ، أو يستقلّون المواصلات العامّة، ورؤوسهم منحنية إلى الأسفل كمقابض العكّازات. الأضواء الباهرة تجعل اللّيل ساطعاً كالنهار تقريباً. إنّني أرى حتّى أنواعاً أكثر مِن الألوان. هذا القسم مِن المدينة نظيف؛ فِرقٌ مِن عمّال التنظيف الحُمر تقوم بتطهير الشوارع. الشوارع ومسارات المشي لديهم تمتدّ بانتظامٍ مثاليّ.

هنالك شريطٌ أحمرُ باهتٌ في المكان الذي علينا أن نسير فيه، شريطٌ ضيّقٌ في شارعٍ عريض. مسارنا لا يتحرّك كباقي المسارات. امرأةٌ نحاسيّةٌ تسير على طول مسارها الأعرض؛ برامجها المفضّلة تعرض حيثما تسير، إلّا في حال عبورها بجانب ذهبيٍّ، عندها كلّ مكعّبات العرضِ المُجسَّم تصمت. لكنْ معظم الذهبيّين لا يسيرون؛ يُسمح لهم باستخدام الأحذية الثقاليّة والعربات، كسائر النحاسيّين، والسبجيّين، والرماديّين، والفضيّين، مع رخصةٍ مناسبةٍ، مع أنّ الأحذية المرخّصة رديئة على نحوٍ فظيع.

إعلان كريم للبثور يظهر على الأرض أمامي. امرأةٌ بتقاسيم نحيلة على نحوٍ غريب تنسلّ خارج ثوبٍ مِن الدانتيل الأحمر، عاريةً على نحوٍ ملائمٍ،

تقوم بدهن الكريم في مكانٍ على جسمها؛ حيث لم يسبق لأيّة امرأةٍ أن تكوّنت لها بثور فيه قط. أحمرُّ خجلاً، وأنظر بعيداً بقرفٍ؛ لأنّني لم أرَ مِن قبل، سوى امرأةٍ واحدةٍ عارية.

- «عليكَ أن تنسى حياءك». تنصحني هارموني: «سيفضحكَ ذلك أكثر مِن لونك».

- «إنّه أمرٌ مقرف». أجيب.

- «إنّه إعلانٌ يا عزيزي». تدندن هارموني بتعالٍ، وتتشارك الضحك مع الراقص.

ذهبيّة متقدّمة في العمر تطير فوقنا، أكبر سنّاً مِن أيّ إنسانٍ رأيته مِن قبل. نخفِضُ رؤوسنا مع مرورها.

- «لا بدّ من أنّ الحُمر هنا في الأعلى يحصلون على أجر». يشرح الراقص عندما أصبحنا وحْدنا: «ليس بالكثير، لكنّهم يحصلون على مالٍ وملذّاتٍ تكفي لجعلهم يتعلّقون بها. المال الذي يكسبونه، ينفقونه على بضائع يجعلونهم يعتقدون بأنّهم بحاجةٍ إليها».

- «مثلُ كلّ ذكور النحل». تهسهس هارموني.

- «إذنْ، هُم ليسوا بعبيد». أقول.

- «ياه! بل هُم عبيد». تقول هارموني: «مُستعبَدون برضاعتهم مِن حلمات أولئك الأوغاد».

يكافحُ الراقص لمجاراتنا، لذا أخفّفُ مِن سرعتي، وهو يتكلّم. هارموني تصدر صوتاً ساخطاً.

- الذهبيّون نظّموا كلّ شيءٍ بحيث تكون حياتهم أسهل. لديهم عروض تُنتَج لاسترضاء الجماهير والترفيه عنها. إنّهم يمنحون الأموال

والهِبات ليجعلوا الأجيال متعلّقين باليوم السابع مِن كلّ شهرٍ أرضيّ. إنّهم يصنعون البضائع ليمنحونا حريّةً شكليّة. إن كان العنف هو رياضة الذهبيّين، فالتلاعب هو فنّهم.

نعبر نحو منطقة الألوان الدنيا؛ حيث لا توجد مسارات مشيٍ محدّدة. واجهات المخازن مُعلَّمة بأشرطةٍ إلكترونيّةٍ خضراء. بعض المخازن تبيع شهراً مِن الواقع الافتراضيّ مقدّراً بالساعات مقابل معاش أسبوع. رجُلان صغيران بعيونٍ خضراء سريعةٍ، ورؤوسٍ صلعاء مرصّعةٍ بمسامير معدنيّةٍ، ووشومٍ لرموزٍ إلكترونيّةٍ متبدّلة، يقترحان عليّ رحلةً إلى مكانٍ ما يدعى أوسجيلياث(*). مخازن أُخرى تقدّم خدماتٍ مصرفيّةً، أو تعديلاتٍ بيولوجيّةً، أو منتجات نظافةٍ شخصيّة بسيطة. إنّهم ينادون أسماء أشياء لا أفهمها، يتحدّثون بالأرقام والاختصارات؛ لم أرَ مِن قبل مثل هذا الهرج والمرج.

المواخير المُعلَّمة بشريطٍ وَرديٍّ، والنساء والرجال المعروضون في النوافذ، يجعلونني أحمرُّ خجلاً. لكلٍّ منهم بطاقة سعريّة تومض معلّقةً بخيطٍ متدلٍّ على نحوٍ لعوب؛ إنّه رقمٌ متغيّرٌ يتناسب مع الطلب. فتاةٌ شبقةٌ تناديني، بينما يشرح الراقص الهدف مِن المال. في ليكوس، كنّا نقايض ما لدينا من بضائع، وشراب، وسيجار، وخدمات فقط.

بعض المناطق في المدينة مخصّصةٌ لاستعمال الألوان العليا. الدخول إليها يعتمد على بطاقات تصريح. لا يمكنني ببساطة أن أسير، أو أقود مركبةً إلى مناطق الذهبيّين، أو النحاسيّين، لكنّ النحاسيّ بوسعه أن

(*) Osgiliath مدينة تخيليّة وردت في رواية سيد الخواتم لكاتبها البريطاني ج. ر. ر. تولكين. (م).

يتسكّع في منطقة الحُمر، متردّداً على حانةٍ، أو ماخور، ولكنّ العكس ليس صحيحاً على الإطلاق، ولا حتّى في البازار المتوحّش المتاح للجميع، مكان التجارة الصاخب، والضوضاء، والهواء المثقل بروائح الأجسام، والطعام، وعوادم السيّارات.

نسير عميقاً إلى داخل البازار. أشعر بأمانٍ أكثر هنا في الأزقّة الخلفيّة، مقارنةً مع ما شعرت به في الطرق المفتوحة في مناطق التكنولوجيا المتطوّرة. ما زلتُ لا أحبّذ المساحات الشاسعة، ومشهد النجوم في الأعلى يخيفني. البازار أكثر ظلمة، على الرغم مِن أنّ الأضواء ما تزال تشعّ، والناس صاخبون. الأبنية تبدو كأنّها تزاحم بعضها. مئات الشرفات تشكّل ما يشبه الأضلاعَ في أعالي الجادّات. الممرّات تتقاطع فوقنا، وفي كلّ مكانٍ مِن حولنا، والأضواء تومض مِن الأجهزة. المكان هنا أكثر رطوبةً وقذارة. أرى بضع عُلَبِ صفيحٍ يقومون بدوريّة. الراقص يقول بأنّ هنالك مكاناً في البازار حيث يُمنع حتّى على السبجيّ الذهاب إليه. «في أكثر أماكن البشر كثافةً، تنكسر الإنسانيّة بسهولة». يقول.

مِن الغريب الوجود ضمن جموعٍ؛ حيث لا أحد يعرف وجهك، أو يكترث لوجودك. في ليكوس كنت لأُدفعَ مِن قبل رجالٍ نشأت معهم، وكنت لأُقابِل فتيات طاردتهنّ، وتعاركت معهنّ في طفولتي. هنا، الألوان الأُخرى تصطدم بي، وحتّى بدون أيّ اعتذارٍ بسيطٍ. إنّها المدينة، ولا تروق لي؛ أشعر بالوحدة.

- «هنا». يقول الراقص، مشيراً إليّ للتوجّه نحو مَدخلٍ مظلمٍ؛ حيث يوجد تنّينٌ إلكترونيٌّ طائرٌ يلمع على سطح الحجر. رجُلٌ بنيٌّ ضخمٌ ذو أنفٍ مُعدَّل يوقفنا. ننتظر حتّى يقوم الأنف المعدنيّ بالشمّ والتنشّق. إنّه أكبر مِن الراقص.

- «صبغة في شعره». يزمجر نحوي، وهو يستنشق نفحةً مِن شعري: «إنّه صدئيّ».

حرَّاق يبرز مِن حزامه. لديه سكّين خلف معصمه. أميّز ذلك مِن الطريقة التي تتحرّك بها يده. سفَّاحٌ آخر ينضمّ إليه عند العتبة. لديه مُعالِجٌ جوهريّ في كلتا مقلتيه، ياقوتتان حمراوان صغيرتان تلمعان عندما يقع الضوء عليهما بزاويةٍ مناسبة. أحدِّقُ في الجوهرة والعين البنيّة.

- «ما خطبه؟ ألا يريد الذهاب؟». يبصقُ السفَّاح: «استمرّ في التحديق، وسأنتزع كبدك لأبيعها في السوق».

يعتقد بأنّني أتحدّاه. في الواقع لديّ فضول فقط حول الياقوتتين، ولكنْ لدى تهديده لي أبتسم في وجهه، وأغمزهُ كما أفعل في المناجم. سكّين تقفز إلى يده. القوانين مختلفة هنا في الأعلى.

- تابع اللّعب والتطاول يا ولد، تابع اللّعب.

- «ميكي ينتظرنا». يقول الراقص للرجُل.

أرى صديق صاحب الأنف المُعدَّل، وهو يرمقني بنظراتِ تحدٍّ محاولاً إخافتي، كأنّني طفلٌ صغير. ذو الأنف المُعدَّل يصطنع ابتسامةً ساخرةً، وهو يحدّق في ساقِ الراقص وذراعه. «لا علم لي عن أيّ ميكي تتحدّث أيّها الكسيح». ينظر إلى صديقه: «هل تعرف أيَّ ميكي؟».

- كلّا! لا يوجد أيُّ ميكي هنا.

- «لقد أرحتني». يضعُ الراقص يداً على الحرَّاق تحت سترته: «بما أنّك لا تعرفُ ميكي، فلن يكون عليك أن تفسّر لميكي لماذا... لم يتمكّن صديقي الكريم مِن الوصول إليه». يزيحُ سترته كي يستطيعا رؤية نَقشٍ محفورٍ على أخمص سلاحه؛ خوذة أريس.

عندما يرى النقش، يبلع ذو الأنف المُعدَّل ريقه، ويقول: «اللّعنة!». ومِن ثمّ يتدافعان فيما بينهما ليفتحا الباب: «عـ-عـ-علينا أن نأخذ أسلحتكم». يتقدّم ثلاثة آخرون نحونا، وحرَّاقاتهم نصف مرفوعة. تفتح هارموني صدريّتها، وتظهر لهم قنبلة مربوطة إلى معدتها، وهي تُقلِّب صاعقاً يومض بين أناملها الحمراء الرشيقة.

– لا داعي؛ فنحن على ما يرام.

ذو الأنف المُعدَّل يبلعُ ريقه ويومئ: «إنّكم على ما يرام».

المبنى مظلمٌ مِن الداخل. إنّه ظلامٌ كثيفٌ مع دخانٍ وأضواءٍ تومض، شبيهٌ بما يوجد في منجمي. الموسيقا تنبض. حيث يشربُ الرجال ويدخّنون، توجد أسطواناتٌ زجاجيّةٌ تقف كأعمدةٍ بين المقاعد والطاولات. في داخل الزجاج نساءٌ يرقصن. بعضهنّ يلتوين في الماء، أصابع أقدامهنّ الوتراء الغريبة، وأفخاذهنّ الملساء تتحرّك بتناغمٍ مع الموسيقا. أخريات يدرن حول أنفسهنّ مع إيقاع الألحان محاطين بدخانٍ ذهبيٍّ، أو ألوانٍ فضيّة.

يقودنا سفّاحون آخرون نحو طاولةٍ في الخلف، يبدو أنّها مصنوعةٌ مِن مياهٍ قزحيّة. رجُلٌ نحيلٌ يتكئ هناك مع بِضعة مخلوقاتٍ غريبة الأنواع. اعتقدتُ أنّهم وحوشٌ بداية الأمر، لكنْ كلّما أمعنتُ النظر عن قربٍ زادت حيرتي. إنّهم بشر، لكنّهم مصنوعون بطريقةٍ مختلفةٍ، منحوتون بطريقةٍ مختلفة. فتاةٌ شابّةٌ جميلةٌ، بعمر إيو، تجلس، وهي تنظر إليّ بعينيها الزمرديّتين. جناحا نسرٍ أبيض ينبثقان مِن لحم ظهرها. إنّها أشبه بشيءٍ اقتُطِع مِن حُلمٍ مَحموم، عدا أنّه كان يجب أن تبقى هنالك. أخريات مثلها يتسكّعن بين الدخان والأضواء الغريبة.

ميكي النَّحات: هو عبارة عن مِشرَطٍ بشريٍّ، مع ابتسامةٍ عوجاء،

وشعرٍ أسود ينساب مثل بِركة زيتٍ على جانب واحدٍ مِن وجهه. وشمٌ لقناعِ أماثيستي(*) اللّونِ مكلّل بالدخان، يلتفُّ مزيّناً يده اليسرى؛ هذا شعارُ البنفسجيّين المبدعين، لذا فهو دائم التغيير. رموزٌ بنفسجيّةٌ أُخرى تُلطِّخ معصميه. إنّه يلعب بمكعّب أحاجٍ إلكترونيّةٍ صغير ذي أوجهٍ متبدّلة. أصابعه سريعة، أنحف وأطول مِن المعتاد، ولديه اثنا عشر منها. هذا مذهل! لم أرَ فنّاناً مِن قبل، ولا حتّى في مكعّب العرضِ المُجسَّم. إنّهم نادرون كبني اللّون الأبيض.

- «ياه، الراقص!». يصيح مِن دون أن يرفع نظره عن مكعّبه: «استطعت تميّزك مِن سماع صوت السحب الذي في خطواتك». ينظرُ بخزر إلى المكعّب في يديه: «وهارموني. بوسعي شمّ رائحتك مِن الباب يا عزيزتي. بالمناسبة إنّها قنبلةٌ مريعة. في المرّة القادمة عندما تحتاجين إلى عمل في غاية الإتقان، ابحثي عن ميكي، اتّفقنا؟».

- «ميك». يقول الراقص، ويجلس إلى الطاولة مع تلك المخلوقات الخياليّة. يمكنني ملاحظة أنّ هارموني تشعر بالدوار بعض الشيء جرّاء الدخان. أنا معتادٌ على استنشاق أشياء أسوأ.

- «حسناً يا هارموني يا حُبّي». يقولها ميكي بصوتٍ أشبه بخرخرة القطط: «ألم تتخلّي عن هذا الكسيح بعد؟ تعالي وانضمّي إلى عائلتي، ربّما؟ نعم؟ ستمنحين نفسك زوجاً مِن الأجنحة؟ مخالبَ في يديكِ؟ ذنباً؟ قروناً؟ ستبدين شرسةً مع قرون، خاصّةً وهي ملفوفةٌ بمُلائي الحريريّة».

- «اِنحَت لنفسكَ روحاً، وقد تحصل على فرصةٍ حينها». تردُّ هارموني بسخرية.

(*) الأماثيست، أو الجمشت هو حجر كريم ذو لون أحمر وردي سماوي. (م).

– أوه! إن كان الحصولُ على روحٍ يتطلّب مِن المرء أن يكون أحمرَ، عندها سأنسحب.

– إذنْ، فلنناقش العمل.

– «يا لكِ مِن فطِّة يا عزيزتي! الحوار يجب أن يعدّ نوعاً مِن أنواع الفنون، أو وليمةً كبرى. كلّ طبقٍ يأتي في وقته المحدّد». أصابعه تُحلِّق فوق أوجه المكعّب. إنّه يطابقها وفقاً لتردّدها الإلكترونيّ، لكنّه بطيءٌ بعض الشيء ليتمكّن مِن مطابقتها قبل أن تتغيّر. ما زال لم يرفع ناظريه.

– «لدينا عرضٌ لك يا ميكي». يقول الراقص، وقد نفد صبره. إنّه يحدّق في المكعّب في الأسفل.

ابتسامة ميكي طويلة وعوجاء. هو لا يرفع ناظريه. الراقص يكرّر قوله.

– إذنْ، مباشرة إلى الطبق الرئيس، أليس كذلك أيّها الكسيح؟ حسناً، قدِّم عرضك.

يضرب الراقص بعنفٍ المكعّب مِن بين يدي ميكي. يصمتُ الجميع على الطاولة. السفّاحون يتأهّبون مِن خلفنا، والموسيقا تستمرّ بالعزف. قلبي ثابتٌ لم يتزعزع، وعيوني تَرقُب الحرّاق على ورك السفّاح الأقرب. ببطءٍ ينظرُ ميكي إلى الأعلى، وينهي التوتّر بابتسامةٍ عوجاء. «ما الأمر يا صديقي؟».

يومئ الراقص إلى هارموني، فتمرّر صندوقاً صغيراً إلى ميكي.

– «هديّة؟ لم تكن مضطرّاً لذلك». يتفحّص ميكي الصندوق: «مادّة رخيصة. يا له مِن لونٍ عديم الذوق. أحمر!». ثمّ يفتح الصندوق، ويحدّق مذعوراً. ينتفض مبتعداً عن الطاولة، ضارباً غطاء الصندوق بعنف: «أيّها الأوغاد الحمقى الملاعين، ما هذه؟!».

- أنت تعرف ما هي.

ينحني ميكي إلى الأمام، وصوته يصبح مجرّد همهمةٍ خافتة: «لقد أحضرتموها إلى هنا؟ كيف حصلتم عليها؟ هل أنتم مجانين؟». ينظر ميكي إلى أتباعه، الذين يحدّقون نحو الأسفل، نحو الصندوق، متسائلين عمّا أفقد سيّدهم توازنه.

«مجانين؟ بل نحن معتوهون ملاعين». يبتسم الراقص: «ونريد أن تُربَط بأسرع ما يمكن».

- «أن تُربَط؟». يضحك ميكي.

- «بِه». يشير الراقص إليّ.

- «انصرفوا!». يصيح ميكي على حاشيته: «انصرفوا أيّها المتصنّعون، المتملّقون، الفاجرون! أنا أتكلّم معكم... أيّها المسوخ! اخرجوا من هنا!». عندما اندفعت حاشيته لتخرج مبتعدةً، يفتح الصندوق، ويفرغ محتواه على الطاولة. جناحان ذهبيّان يتدحرجان مصدرين طرطقةً على الطاولة، إنّه شعار الذهبيّين.

يجلس الراقص: «نريد منك أن تحوّل ولدنا هذا إلى ذهبيّ».

11

مجانين

– أنتم مجانين.

– «شكراً». تبتسم هارموني.

– «أظنُّ بأنّكَ قد أخطأت التعبير، هلّا تكرّر ما قلته؟». يقول ميكي للراقص.

– أريس سيدفع لك قدراً مِن المال لم ترهُ في حياتك، إن نجحتَ بربطِ هذه بصديقي الشابّ هنا.

– «مستحيل!». يعلن ميكي. يرفع ناظريه إليّ، يتفحّصني للمرّة الأولى. حتّى طولي لم يترك لديه انطباعاً جيّداً. أنا لا ألومه. كنتُ أظنّ أنّني أوسمُ رجُلٍ مِن بين العشائر؛ قويٌّ ومفتول العضلات، ولكنْ هنا في الأعلى أنا شاحبٌ وهزيلٌ، فتيٌّ ومملوءٌ بالندوب. يبصقُ على الطاولة: «مستحيل!».

تهزُّ هارموني رأسها: «لقد فعلوا ذلك مِن قَبل».

– «مِن قِبَلِ مَن؟». أسألُ. يدير رأسه: «لا، لايمكنكَ استدراجي».

– «شخص موهوب». تقول هارموني متهكّمة.

– «مستحيل!». ينحني ميكي إلى الأمام بقدْرٍ أكبر، حتّى وجهه النحيل

بلا أيّة ندبة: «هنالك حمضٌ نوويٌّ يجب أن يتطابق مع الأجنحة، هنالك استئصالٌ دماغيّ. هل تعلم أنّ لديهم علامات تحت جلديّة في جماجمهم؟ طبعاً لا تعلم، ورقائق بيانات مربوطة بقشرة أدمغتهم الأماميّة للتحقّق مِن طبقتهم الاجتماعيّة؟ ثمّ هنالك أمر الاتّصال الشبكيّ، والروابط الجزيئيّة، وأجهزة التعقّب، ومجلس ضبط الجودة، وهنالك أيضاً الصدمة والاستدلال الارتباطيّ. لنقل بأنّنا جعلنا جسمه مثاليّاً، ستظلّ هنالك مشكلة واحدة: لا يمكننا جعله أذكى. لا يمكن للمرء أن يجعل مِن الفأرِ أسداً».

- «يمكنه التفكير كأسد». يقول الراقص بجلاء.

- «أوه! يمكنه التفكير كأسد». يضحك ميكي بصوتٍ خافت.

- «ويريد أريس أن يتمّ الأمر». نبرة الراقص باردة.

- أريس. أريس. أريس. لا يهمّ ما الذي يريده أريس، أيّها القرد الأحمق. انسَ أمر العِلم. قدراته البدنيّة والعقليّة ستكون على الأرجح كمُنظِّف مراحيض أخرق متبب! وأملاكه الماديّة لن تكون متكافئة. إنّه ليس مِن نوعهم، إنّه صدئيّ.

- «أنا غطّاس جحيم مِن ليكوس». أقول.

يرفع ميكي حاجبيه: «أوه! غطّاس جحيم! أخلوا القاعات. أتقول غطّاس جحيم؟». إنّه يسخرُ منّي، لكنّه ينظر فجأةً بخزرٍ، كأنّه رآني مِن قبل. عمليّة جَلدي بُثّت على التلفاز. الكثير يعرفون وجهي: «تبّاً لي!». يتمتم.

- «لقد تعرّفتَ إلى وجهي». أقول مؤكّداً.

يُخرِج الفيديو واسع الانتشار ويشاهده، مقلّباً نظراته بيني وبينه: «ألستَ ميّتاً أنتَ وحبيبتك؟».

- «زوجتي». أنفجر في وجهه.

عضلات فكّ ميكي تختلج تحت جلده، وهو يتجاهلني: «أنتَ تصنعُ ناجياً». ينظرُ إلى الراقص متّهماً إيّاه: «يا راقص، يا أيّها الوغد اللّعين! أنت تصنعُ مُخلِّصاً لقضيّتكَ المتبَّبة(*)».

لم أنظر إلى الأمر مِن قبل بهذه الطريقة. أحسّ بخَدرٍ مزعجٍ في جلدي.

- «نعم». هي إجابة الراقص.

- إن جعلته ذهبياً، ماذا ستفعل به؟

- سيتقدّم إلى المعهد وسيُقبَل. هنالك سيتفوّق بامتيازٍ ليصل إلى مرتبة الفريد ذي النُّدبة؛ مثل ذي ندبةٍ يستطيع أن يتدرّب ليصبح بريتور، أو ليغاتوس، أو سياسيّاً، أو قسطوراً، أيّ شيء. سيترقّى إلى منصبٍ عالٍ، وكلّما كان أعلى كان ذلك أفضل. مِن هناك، سيكون في وضعٍ يسمحُ له بأن يقوم بما يطلبه أريس مِن أجل القضيّة.

- «يا ربّ العرش». يتمتم ميكي. يحدّق في هارموني، ومِن ثمّ في الراقص: «تريدون منه أن يكون فريداً ذا ندبةٍ أصيلاً وليس مُجرَّد برونزيّ؟».

البرونزيّون ذهبيّون باهتون. مِن المرتبة نفسها، لكنْ يُنظَرُ إليهم بازدراءٍ؛ لمظهرهم، ونَسبِهم، وقُدراتِهم الأدنى: «لا، لا نريده برونزيّاً». يؤكّد الراقص.

- أم قزماً ماجناً؟

- لا نريده أن يذهب إلى النوادي الليليّة، ويأكل الكافيار مثل باقي الذهبيّين عديمي النفع. نريده أن يقود أساطيل.

(*) المتبة: يفرّق الكاتب بين أسلوبَيْ حديث كلٍّ من الطبقة الذهبيّة، والطبقة الحمراء، وعدم استعمالهما للمصطلحات نفسها، خاصّةً التفريق بين كلمتَيْ: اللعنة، وتبّاً، وعند ذكرهما كصفتين استُعملت كلمة (مُتبّب) بمعنى (ملعون). (م).

- «أساطيل! لقد فقدتم عقلكم. إنّكم مجانين». عينا ميكي البنفسجيّتان تستقرّان عليّ بعد مدّةٍ طويلة: «يا فتى، إنّهم يقودونكَ إلى حتفك. أنتَ لست ذهبيّاً. لا يمكنك القيام بما يقوم به الذهبيّون؛ إنّهم قتلة، ولدوا ليسيطروا علينا؛ هل قابلتَ أحداً قطّ مِن ذوي البريق الذهبيّ؟ طبعاً، جميعهم يبدون الآن مسالمين وبمظهرٍ جميل، لكنْ هل تعلم ما الذي حدث أيّام الغزو؟ إنّهم وحوش».

يهزُّ رأسه ويضحك بخبث. «المعهد ليس مدرسةً، إنّه موقع اصطفاء حيث يذهب الذهبيّون ليقارع أحدهم الآخر، إلى أن يعثروا على أقواهم عقلاً وجسماً. أنتَ ستموت».

مُكعَّب ميكي ملقى على الطرف الآخر مِن الطاولة. أمشي إلى هناك مِن دون أن أنبس ببنت شفة. لا أعرف كيف يعمل، لكنّني أعرف أحاجي كوكب الأرض.

- «ماذا تفعل يا فتى؟». يتنهّد ميكي بإشفاق: «إنّه ليس بلعبة».

- «هل سبق أنْ كنت في منجم؟». أسأله: «هل سبق قطّ أن استخدمتَ أصابعكَ للحَفرِ عبر فَالِقٍ بزاوية اثنتي عشرة درجة، وإجراء حساباتٍ لموازنة ثمانين بالمئة مِن الطاقة الدورانيّة مع خمسة وخمسين بالمئة مِن قوّة الدفع؛ بحيث لا تُطلِق تفاعلاً لجيبٍ غازيّ، وأنت جالسٌ في بولكَ وعَرقكَ، وينتابكَ القلقُ مِن أفاعي حُفرٍ تريدُ أن تَشقَّ طريقها إلى أحشائكَ لتضع بيوضها؟».

- هذا...

يخفتُ صوته، وهو يشاهد كيف علَّمَ مِخلبُ الحفَّارِ أصابعي الحركة، وكيف انتقلت إلى يدَيّ الرشاقة التي علّمني عمّي الرقص بها. أهَمهِمُ، وأنا

أعمل. يستغرق الأمر لحظةً، ربّما دقيقة، أو ثلاث، لكنّني أتعلّم الأحجية، وأحلّها بسهولةٍ بناءً على التردد. يبدو أنّ هنالك مستوى آخر لها، إنّها أحاجٍ حِسابيّة. لا أعرف الحِساب، لكنّني أعرف النمط. أحلّها مع أربع أحاجٍ أُخرى، ثمّ تحوَّل المكعّب مرّةً أُخرى بين يدَيّ ليصبح دائرة. تتّسع عينا ميكي. أرمي الجهاز إليه. يحدّق في يدَيّ، وهو يحرّك أصابعه الاثني عشر.

- «مستحيل!». يتمتم.

- «التطوّر». تردُّ هارموني.

يبتسم الراقص: «علينا مناقشة السعر».

12

النَّحتُ



باتت حياتي ضرباً مِن العذاب المؤلم.

شعاري مربوطٌ إلى مِشطَيْ يدَيّ. يزيل ميكي شعار الحُمر القديم، ويزرع جلداً وعظماً جديدين فوق الجروح، ومِن ثمّ يبدأ بتنصيب رقاقة البيانات تحت الجلديّة المسروقة في فصّي الدماغيّ الأماميّ. أخبروني أنّ الصدمة قتلتني، وأنّه كان عليهم إعادة إنعاش قلبي. إذنْ، لقد مُتُّ مرّتين. قالوا بأنّني دخلتُ غيبوبةً لمدّة أسبوعين، لكنْ بالنسبة إلي لم تكن سوى حلم. كنت في الوادي مع إيو. قبَّلتني على جبهتي، عندها أفقت، وشعرت بالغُرَز والألم.

ميكي يفحصني، وأنا مستلقٍ في السرير. إنّه يجعلني أنقل الكرات الزجاجيّة بين عدّة أوانٍ مُعلَّمة بالألوان. أشعرُ بأنّني أفعل ذلك إلى ما لا نهاية.

- إنّنا نُشكِّل المشابك العصبيّة يا عزيزي.

يفحصني بوساطة أحاجٍ لغويّة، ويحاول جعلي أقرأ، لكنّني لا أعرف كيف أقرأ: «عليك تعلُّم ذلك مِن أجل المعهد». يقهقهُ ضاحكاً.

الاستيقاظ مِن أحلامي أمرٌ قاس؛ ففيها إيو تطمئنني، لكنْ عندما أستيقظ، تكون مُجرَّد ذكرى متلاشية. أشعرُ بأنّني فارغ، وأنا ممدّدٌ في حجرة ميكي الطبيّة المبتكرة. قاتل جراثيم أيونيّ يطنّ بجوار سريري. كلّ شيء أبيض، مع ذلك بوسعي سماع وَقعِ الموسيقا، وهي تصدر مِن ناديه. فتياته يقُمنَ بتبديل حفاضاتي، وإفراغ أكياس بولي. فتاةٌ صامتةٌ تقوم بغسلي ثلاث مرّاتٍ في اليوم. ذراعاها نحيلتان، وجهُها ناعمٌ وحزينٌ مثلما رأيتها لأوّل مرّة، وهي جالسة مع ميكي إلى طاولته السائلة. الجناحان المُنثنيان خارج ظهرها، مربوطان بشريطٍ قرمزيّ. لا تنظر أبداً في عينَيّ.

يستمرّ ميكي في جعلي أطوِّر المشابك العصبيّة بينما يصلحُ النسيج المجروح من جرّاء جراحتي العصبيّة. إنّه يكثر مِن الضحك، والابتسامة لا تفارق وجهه، وهو يُطيل مِن لمسي على جبهتي، ومناداتي بعزيزي. أشعر كأنّني إحدى فتياته، أحد ملائكته التي نحتها مِن أجل متعته.

- «لكنْ لا يكفي أن نكون راضين عن العقل فقط». يقول: «هنالك عملٌ كثيرٌ يجب أن ينجز على هذا الجسد الصدئيّ الذي لديك، إن كنّا نريد تحويلك إلى ذهبيٍّ فولاذي».

- وذلك يعني؟

- «أسلاف الذهبيّين، يسمّونهم الذهبيّين الفولاذيّين. كانوا رجالاً أشدّاء، نحيلين وشرسين، وفي طرّاداتِهم يدمّرون الجيوش والأساطيل الجمهوريّة لكوكب الأرض. يا لهم مِن مخلوقات!». تتوسّع عيناه: «لقد تطلّب الأمر أجيالاً مِن تحسين النسل والتلاعب البيولوجيّ لصنعهم. داروينيّة مصطنعة».

يصمت لبرهة، ويبدو أنّ الغضب بدأ يتملّكه.

- «يقولون بأنّ النَّحاتين لن يتمكّنوا أبداً مِن استنساخ جمال الإنسان الذهبيّ. مجلس ضبط الجودة يسخر منّا. شخصيّاً، لا أرغب بأن أصنَع منك إنساناً. الإنسان ضعيفٌ للغاية. الإنسان هشّ. الإنسان يموت. كلّا لا أريد! لطالما تمنّيت أن أصنع إلهاً». يبتسمُ بخبث، وهو يخطُّ بضعَةَ تصاميم على اللّوح الرقميّ. يديره نحوي، ويريني هيئة القاتلِ الذي سأغدو عليه. «إذنْ، لمَ لا ننحَتُكَ لتكون إله الحرب؟».

يستبدلُ ميكي جلد ظهري ويدَيّ؛ حيث وضعَت لي إيو الضمادات على حروقي. يقول: إنّ هذا لن يكون جلدي الحقيقي؛ إنّها مجرّد طبقة أساس متجانسة.

- هيكلكَ العظميّ ضعيف؛ لأنّ جاذبيّة المرّيخ تعادل ثلاثين بالمئة مِن جاذبيّة كوكب الأرض، يا عصفوري الصغير الرقيق. كما أنّ نقص الكالسيوم في غذائك قد انعكس عليك؛ فكثافة عظم الذهبيّ الطبيعيّ تبلغ خمسة أضعاف تلك المكتسبة على نحوٍ طبيعيٍّ على كوكب الأرض؛ لذا علينا أن نجعل هيكلكَ العظميّ أقوى بستّ مرّات، عليك أن تكون مِن الفولاذ إن أردت النجاة في المعهد. سيكون هذا ممتعاً بالنسبة إليّ، وليس بالنسبة إليك.

يقوم ميكي بنحتي مجدّداً. الألم المُبرِّح يفوق أيّ وصفٍ، أو تعبير.

- على أحدٍ ما أن يُكمِل عملَ الربّ هنا.

في اليوم التالي، يقوم بتقوية عظام ذراعي، ومِن ثمّ ينتقل إلى أضلاعي، ثمّ عمودي الفقريّ، ثمّ كتفَيّ، ثمّ قدمَيّ، ثمّ حوضي ووجهي. كذلك يقوم بتعديل خصائص الشدِّ لِأوتاري ونسيجي العضليّ. لحُسنِ الحظّ أنّه أشفقَ عليّ، ولم يوقظني مِن هذه العمليّة الأخيرة إلّا بعد عدّة أسابيع. عندما

أفقتُ، رأيتُ فتياته مِن حولي يَقمنَ بتطبيق زَرعاتٍ جديدةٍ مِن اللّحم، ويُدلِّكن عضلاتي بأصابعهنّ.

أخذ جلدي يتعافى ببطء. إنّه أشبه بلحافٍ مُرقَّعٍ مِن اللّحم. لقد بدؤوا بتغذيتي بالبروتين المصطنع، والكرياتين، وهرمونات النموّ؛ ليعزّزوا نموّ العضلات، وتجدّد الأوتار. جسمي يرتعش في الليالي، وأشعر بحكَّةٍ، وأنا أتعرَّقُ مِن المسام الجديدة الأصغر. لا يمكنني استخدام مُسكِّناتٍ قويّةٍ لتثبيط الألم المُبرِّح؛ لأنّه يجب على الأعصاب المُعدَّلة أن تتعلّم العمل مع النسيج الجديد، ودماغي المُعدَّل.

يجلسُ ميكي إلى جانبي في أسوأ لياليّ، ويروي لي القصص. حينها فقط أحببته، حينها فقط بدأت أعتقد بأنّه ليس مُجرَّد وحشٍ صنعته الجمعيّة المنحرفة.

- «مهنتي هي أن أخلُق عصفوراً صغيراً». يقولها في إحدى الليالي التي جلسَ فيها إلى جانبي في الظلام. الضوء الصادر عن التجهيزات يغمرُ وجهه بظلالٍ غريبة: «عندما كنت شابّاً، عِشتُ في مكانٍ يسمّونه البستان. يمكن لنا عدّهُ أشبه بتجمّعِ سيرك. فقد كان بمنزلة احتفاليّة للألوان، والأصوات، والرقص، مع متفرّجين كلّ ليلة».

- «يبدو ذلك مريعاً». أتمتمُ ساخراً: «إنّه أشبه بالمناجم».

يبتسمُ بلطفٍ، ويلقي بعينيه نظرةً بعيدة: «قد تبدو لك حياةً مترفةً، لكنْ مع ذلك كان هنالك جنونٌ في البستان. كانوا يرغموننا على تناول الحبوب، حبوب تجعلنا نطير بين الكواكب بأجنحةٍ مِن غبارٍ لزيارة ملك الجان في المشتري، والحوريّات في أعماق أوروبا(*)». عقلي كان

(*) أحد أقمار المشتري.

دوماً منفصلاً عن جسدي؛ لم يحظ بالسلام على الإطلاق، ومِن دون أيّة نهايةٍ للجنون». عندها يصفّق بيديه: «والآن أَنحتُ الأشياء التي رأيتها في أحلامي المحمومة، تماماً مثلما كانوا يتمنّون دائماً. حلمتُ بك، على ما أظنّ. في نهاية الأمر، أظنّ أنّهم سيتمنّون لو أنّني لم أحلم على الإطلاق».

- «هل كان حلماً جميلاً؟». أسأل.

- ماذا؟

- الحلم الذي ظهرت أنا فيه.

- «كلّا، كلّا! لقد كان كابوساً عن رجُلٍ مِن الجحيم، مُحبٍّ للنار». يصمتُ متأثراً.

- «لِمَ كلّ شيء مريع هكذا؟». أسأله: «الحياة. كلّ هذا. لماذا يحتاجون إلى إجبارنا على فعل هذا؟ لماذا يعاملوننا كأنّنا عبيدٌ لديهم؟».

- السُلطة.

- السُلطة ليست حقيقيّة؛ إنّها مجرّد كلمة.

يتأمّل ميكي بصمت، ثمّ يهزّ كتفيه النحيلتين: «سيقولون: لطالما كان الجنس البشريّ مُستعبَداً. الحريّة تجعلنا عبيداً للشهوة والجشع. تَخلَّص مِن الحريّة، وستنال حياةً حالمة. سيعطونكَ حياة التضحية، والعائلة، والجماعة. ويستقرّ المجتمع، بلا مجاعةٍ، أو إبادةٍ، أو حروبٍ عظمى. وعندما يحارب الذهبيّون، فإنّهم ينصاعون للقوانين. إنّهم... نبلاء، عندما تتشاجر العائلات العظيمة».

- نبلاء؟ لقد كذبوا عليّ؛ أخبروني بأنّني مِن الروّاد الأوائل.

- «وهل كنتَ لتكون أكثر سعادة لو علمت بأنّك عبد؟». يسأل ميكي: «كلّا! فلا أحد مِن المليار أحمر دونيّ، الموجودين تحت سطح المرّيخ،

كان سيسعد لو أنّه عَلِم ما يَعلمُه الحُمر العُلويّون، حقيقة أنّهم عبيد؛ لذا أليس مِن الأفضل أن يكذبوا؟».

- مِن الأفضل ألّا يُستعبَدوا.

عندما بتّ مستعداً، أدخل مولّداً للقوّة في الأنبوب الذي أنام فيه، ليحاكي الزيادة في الجاذبيّة على جسدي. لم أعرف ألماً كهذا مِن قبل. جسمي يتألّم. عظامي، وجلدي، وعضلاتي، تصرخ مِن شدّة الضغط والتغيير، إلى أن أحصل على دواء يحوّل الصراخ إلى أنينٍ لا نهائيٍّ خافت.

أنام أيّاماً. أحلم بالديار والعائلة. كلّ ليلة أستيقظ بعد رؤية إيو تُشنَق مجدّداً. إنّها تتأرجح عبر عقلي. أفتقد دفئها في السرير إلى جانبي، على الرغم مِن إعطائهم لي قناعاً للانغماس في الواقع الافتراضيّ، يحاكي مكعّب العرضِ المُجسَّم، كي أنهمك به ويتشتّت تركيزي.

توقّفتُ تدريجيّاً عن استخدام مسكّنات الألم. عضلاتي ما زالت غير معتادة على كثافة عظامي؛ لذا فوجودي أصبح لحناً مِن الآلام. إنّهم يبدؤون بتغذيتي بطعامٍ حقيقيّ. ميكي يقضي الليالي الطوال جالساً على طرف سريري يُمسِّد شعري. لا أكترث لكون أصابعه أشبه بأرجُل عنكبوت، ولا أكترث لاعتقاده بأنّني قطعة مِن تجلّياته الفنيّة. يعطيني شيئاً يدعى هامبرغر. أحببته. اللّحم أحمر، والدهن الوافر، والخبز، والفواكه، والخضراوات تشكّل وجبتي. لم آكل جيّداً هكذا مِن قبل قط.

- «أنت بحاجةٍ إلى السعرات الحراريّة». يقولها ميكي ملاطفاً: «كنتَ قويّاً جدّاً مِن أجلي؛ كُل جيّداً؛ إنّكَ تستحق هذا الطعام».

- «ما تقييمك لأدائي؟». أسأل.

- «أوه! الأجزاء الصعبة قد تجاوزناها يا عزيزي. أتعلم أنّك فتى بارع؟

لقد عرضوا لي الأشرطة مِن العمليّات الأُخرى، حيث حاول نحّاتون آخرون القيام بذلك. أوه، كم هم ساذجون أولئك النَّحاتون! وكم هم ضعفاء أولئك المُتحوِّلون! لكنَّك قويّ، وأنا بارع». يُربِّت على صدري: «قلبك كقلب حصانٍ فحل. لم يسبق لي رؤية مثله مِن قبل. لقد عضّتك أفعى خُفَر عندما كنت صغيراً على ما أظنّ؟».

- نعم، بالفعل.

- اعتقدتُ ذلك. كان على قلبك التأقلم كي يُبطل مفعول السمّ.

- «لقد مصَّ عمّي معظم السمّ وبصقه عندما تعرّضتُ للعضّ». أقول.

- «كلّا!». يضحك ميكي: «هذه خرافة. لا يمكن امتصاص السمّ. إنّه لا يزال يجري في عروقك، مجبراً قلبك على أن يكون قويّاً إن كنت تريد أن تبقى على قيد الحياة. إنَّكَ شيءٌ مميّز، مثلي تماماً».

- «إذنْ، لن أموت هنا؟». أتلعثم.

يضحكُ ميكي: «لا، لا! لقد تخطّينا ذلك الآن. سيكون هنالك ألم، لكنّنا تجاوزنا خطر الموت. قريباً سنكون قد حوّلنا الإنسان إلى إله. الأحمر إلى ذهبيّ. حتّى زوجتك لن تستطيع التعرف إليك».

هذا ما كنت أخافه.

عندما أخذوا عيوني، وأعطوني عيوناً ذهبيّةً، شعرت بأنّني ميّتٌ في داخلي. «إنّه أمرٌ بسيط، مجرّد إعادة ربط للعصب البصريّ بعينَيّ المتبرّع». يقول ميكي. إجراءٌ بسيطٌ قام به عشرات المرّات لأغراض تجميليّة. «الجزء الأصعب كانت جراحة الفصّ الدماغيّ الأماميّ». يقول. لكنّني أخالفه؛ نعم، هنالك الألمُ الأكبر، لكنْ مع العيون الجديدة، بِتُّ أرى أشياء لم يكن بوسعي رؤيتها مِن قبل. العناصر أوضح، وأكثر حدّة، وتحمّلها

مؤلمٌ أكثر. أكره هذه العمليّة. كلّ هذا مجرّد تأكيدٍ على تفوّق الذهبيّين. لقد تطلّبَ مني الأمر القيام بكلّ هذا كي أصبح متساوياً معهم بدنيّاً؛ لا عجب بأنّنا نخدمهم.

إنّها ليسَت لي. لا شيء مِن هذا لي. جلدي ناعمٌ للغاية، ونيِّرٌ، ولا تشوبه شائبة. لا أعرف جسمي بلا ندوب. لا أعرف ظهر يدَيّ. ما كانت إيو لتعرفني.

ميكي يأخذ شعري بعدها. كلّ شيءٍ تغيّر.

إنَّها أسابيع مِن العلاج الفيزيائيّ. المشي ببطءٍ في أرجاء الغرفة مع إيفي، الفتاة المُجنَّحة، يجعلني وحيداً مع أفكاري. حيث لا أحد منّا يهتمّ للحديث كثيراً، فلكلٍّ منّا شياطينه الخاصّة؛ لذا نبقى كلانا صامتين وهادئين إلى أن يأتي ميكي، ويتغزّل بفكرة أنّنا كنّا لننجب أطفالاً رائعين لو كنّا معاً.

حتى إنّه في أحد الأيّام أحضر لي ميكي آلة زيثير أثريّة، مع صندوقٍ صوتيٍّ مِن الخشب عوضاً عن البلاستيك. وهذا ألطف شيء فعله يوماً. لا أجيد الغناء، لكنّني أعزف الأغاني الاحتفاليّة لليكوس: تلك الأغاني التقليديّة الخاصّة بعشيرتي، التي لم يسمعها أحد خارج المنجم قطّ. هو وإيفي يجلسان معي أحياناً؛ لذا على الرغم مِن اعتقادي بأنّ ميكي مخلوقٌ بائسٌ نوعاً ما، إلا أنّني أشعر كأنّه يفهم الموسيقا، ويقدِّرُ جمالها وأهميّتها، لكنْ بعد ذلك كلّه لا يقول أيّ شيء. يعجبني حينها أيضاً، وهو في حالته المسالمة.

– «حسناً، إنّك أصلبُ عوداً بعض الشيء مقارنةً بقياسنا الأوّل». تخبرني هارموني في صباح يوم ما، وأنا أستيقظ.

– «أين كنتِ؟». أسأل، وأنا أفتح عينَيّ.

- «أبحثُ عن متبرّعين». تنتفض حين ترى فزحيّتَيّ: «لن يتوقّف العالـم لأنّك هنا». تقول: «لدينا عَملٌ علينا القيام به. ميكي قال بأنّه بوسعك المشي؟».

- إنّي أزداد قوّة.

- «ليس بما يكفي». تقول مخمِّنة، وهي تلقي عليّ نظرةً متفحّصة: «إنّكَ تبدو كصغير زرافة. سأصلحُ ذلك».

تأخذني هارموني إلى صالةٍ رياضيّةٍ قذرةٍ مضاءةٍ بمصابيح كبريتيّةٍ موجودةٍ أسفل نادي ميكي. أحبّ الإحساس ببرودة الحجر الذي أشعر به على قدمَيّ العاريتين. يعود توازني، وهذا شيءٌ جيّدٌ؛ لأنّ هارموني لا تمدُّ لي يد العون أبداً، بل على العكس هي تلوِّح باتّجاه مركز الصالة الرياضيّة المظلم.

- «لقد اشترينا ذلكَ لك». تقول هارموني.

تشيرُ إلى آلتين في منتصف المساحة المظلمة. إنّهما بدعتان فضيّتا اللّون، وتذكّراني ببِزّات الفرسان التي كانوا يرتدونها في القرون الغابرة. الدرع يتدلّى معلّقاً بين سلكين معدنيّين. «إنّها آلات تكثيف».

أدعُ جسمي ينزلقُ إلى داخل الآلة. جِلٌ ناشفٌ يعانق قدمَيّ، وساقَيّ، وجذعي، وذراعَيّ، ورقبتي، عدا رأسي الذي بقي حرّاً. الآلة مصمّمةٌ لكي تقاوم حركتي، حتّى إنّها تتجاوب مع أدقّ تنبيه. الفكرة التي يعتمد عليها بناء العضلة هو تدريبها، الأمر الذي لا يتعدّى استعمال العضلة بشدّةٍ كافيةٍ لخلق تَمزُّقاتٍ مجهريّةٍ في ألياف النسيج. إنّه الألم الذي يشعر به المرء في الأيّام التي تلي القيام بتدريبٍ شاق. إنّه تمزّق النسيج، وليس حمض اللّبن. عندما ترمّم العضلة التمزّقات، هي بذلك تقوم ببناء نفسها؛ هذه هي العمليّة التي صُمّمت آلة التكثيف كي تقوم بها. إنّه اختراعٌ شيطانيّ.

تمرّرُ هارموني لوحات الوجه الخاصّة بالآلة فوق عينَيّ.

جسمي لا يزال في الصالة الرياضيّة، ولكنْ رأيتُ نفسي أتحرّك عبر معالِم المرّيخ الوعرة. إنّني أركض، أدفع ساقي ضدّ مقاومة آلة التكثيف، التي تتزايد وفقاً لمزاج هارموني، أو طبيعة المكان الموجود في المحاكاة. في بعض الأحيان أتجرّأ على الذهاب إلى أدغال كوكب الأرض، حيث أسابق النمور عبر الشجيرات، أو أذهب إلى سطح لونا المملوء بالفوهات قبل أن يصبح مأهولاً، لكنْ دائماً أعود إلى المرّيخ كي أركض عبر تُربته الحمراء، وأقفز فوق وديانه السحيقة. ترافقني هارموني أحياناً بوساطة الآلة الأُخرى، لذا يكون لديّ أحد لأُسابِقه.

إنها تقسو عليّ، وأحيانا أتساءل إن كانَت تحاول تحطيمي، لكنّني لا أسمح لها بذلك.

- «إن لم تتقيّأ خلال تمرّنك، يعني أنّك لا تحاول بجد». تقول.

الأيّام عبارة عن عذابٍ أليم. جسمي مُجرَّد كتلةٍ مِن الألم المبرِّح مِن قوسَي قدمَيّ حتّى مؤخّرة عنقي. وَردِيّو ميكي يقومون بتدليكي كلّ يوم. لا يوجد متعة أفضل مِن هذا في العالم، لكنْ بعد ثلاثة أيّامٍ مِن بداية تدريباتي مع هارموني، أستيقظ وأنا أتقيّأ في سريري. أختلج، وأرجف، وشتائم تتناهى إلى مسمعي.

- «هنالك عِلمٌ في هذا، أيّتها الساحرة الصغيرة الشرّيرة». يصرخ ميكي: «سيكون بمنزلة تحفةٍ فنيّةٍ، لكنْ ليس إن سكبتِ الماء على اللّوحة قبل أن تجف. لا تدمّريه!».

- «يجب أن يكون مثاليّاً». تقول هارموني: «إنْ بدا عليه الضَعفُ في أيّة لحظة، سيذبحه باقي الأطفال كفتى حفّارات جديد يا أيّها الراقص».

- «إنّكِ تذبَحينه!». يقول ميكي، وهو يئنّ: «أنتِ تدمِّرينه! جسمه لا يستطيع التعامل مع انحلال العضلات».

- «لم يَعترِض على العلاج». تذكِّره هارموني.

- «لأنّه لا يعرف أنّ بوسعه الاعتراض». يقول ميكي: «ليس لديها أيّ فهمٍ بالميكانيكا الحيويّة التي يتضمّنها الأمر. لا تدعها تدمّر ولدي يا أيّها الراقص».

- «إنّه ليس ولدك!». تسخرُ منه هارموني.

صوت ميكي يصبح أنعم: «يا أيّها الراقص، دارو بمنزلة حصانٍ فحل: واحد مِن أحصنة كوكب الأرض الفحلة القديمة. إنّها وحوشٌ جميلةٌ ستعدو بالدرجة التي ستدفعها بها. إنّها ستعدو، وتعدو، وتعدو، إلى أن تفقد القدرة على ذلك؛ إلى أن ينفجر قلبها».

يخيّم الصمت للحظات، ثمّ يُسمَع صوت الراقص.

- أريس أخبرني ذات مرّة بأنّ النار الأشدّ حرقاً، هي التي تُشكِّل الفولاذ الأكثر صلابة. استمرّ في الضغط على الفتى.

أمتعضُ مِن مُعلمَيّ بعد أن سمعتُ حديثهما: مِن ميكي لأنّه يظنّ بأنّني ضعيف؛ ومِن الراقص لأنّه يظنّ بأنّني أداته. فقط هارموني لم تُغضبني؛ صوتها وعيناها يُشعّون بالغضب الذي أشعر به في روحي. ربّما لديها الراقص في حياتها الآن، لكنّها فقدت أحداً ما. الجزءُ السليمُ مِن وجهها يخبرني بذلك. إنّها لا تحيكُ المكائد مثل الراقص، أو سيّده أريس. إنّها مثلي، تَنضحُ بغضبٍ يجعل كلّ شيءٍ آخر تافهاً.

في تلك اللّيلة بكيت.

وفي الأيّام التي تلت، يعطونني أدوية لتسريع تركيب البروتين، وتجديد

العضلات، ثمّ بعد أن تعافى نسيجي العضلي مِن الصدمة الأولى، أخذوا يدرّبونني على نحوٍ أشدّ قسوةً مِن قبل. حتّى ميكي لم يعترض، على الرغم مِن الحلقات السوداء تحت عينيه، وشحوب وجهه النحيل. لقد حافظ على تباعدٍ بيننا خلال الأسابيع الفائتة، فلم يعد يحكي لي القصص، كأنّه خائفٌ ممّا صنعت يداه، بعد أن بات شكلي الآن أكثر اكتمالاً.

أنا وهارموني لا نتحدّث كثيراً مع بعضنا، لكنْ هنالك تحوّل طفيف في علاقتنا. إنّه نوعٌ مِن الفهم الأساسيّ بأنّنا النوع نفسه مِن المخلوقات، ولكنْ مع نموّ جسمي، وازدياد قوّتي، لم يعد بوسع هارموني مجاراتي على الرغم مِن أنّها امرأة المناجم الأكثر صلابة. كلّ هذا بعد مضيّ أسبوعين فقط. الفارق بين قدراتنا يستمرّ بالاتّساع. بعد شهرٍ آخر، باتت أشبه بطفلةٍ بالمقارنة معي. حتّى حينها لم أكن قد بلغت القمّة بعد.

بدأ جسمي بالتغيُّر؛ أصبحت أثخن. عضلاتي باتت قويّةً ومشدودةً في آلة التكثيف، التي أعزّزُها بدورها بإضافة أثقالٍ تحت جاذبيّةٍ عالية. تدريجيّاً أبني قوّتي. كتفاي يصبحان أعرض، وأكثر استدارة، كذلك أرى كيف تبرز أوتار العضلات في ساعديّ، وهنالك كتلةٌ مشدودةٌ مِن العضلات القاسية تحيط بجذعي كالدرع. حتّى يداي، اللّتان لطالما كانتا أقوى ما لدي، ازدادت قوّتهما في آلة التكثيف، حتّى بتُّ قادراً على سحق حجرةٍ بضغطةٍ واحدة. ميكي يقفزُ جيئةً وذهاباً لدى رؤيته ذلك. لم يعد أحدٌ يصافحني بعد الآن.

أنام تحت تأثير قوّة جاذبيّةٍ عالية؛ لذا عندما أتحرّك في المرّيخ، أشعر بأنّني سريعٌ، وأكثر رشاقةً وخفّةً مِن أيّ وقتٍ مضى. تتشكّل لديّ أليافٌ سريعة النفض. ويداي تتحرّكان بسرعة البرق، عندما تضربان كيس ملاكمةٍ

بهيئة إنسانٍ في الصالة الرياضيّة، يقفز مرتدّاً كأنّه ضُرِب بحرّاق. بوسعي اختراقه الآن.

أصبح جسمي كأجسام الذهبيّين، مِن سلالة النّخبة، ليس قزماً ماجناً، ولا برونزيّاً. إنّه جسم العِرْق الذي غزا المجموعة الشمسيّة. يداي مذهلتان! إنّهما ناعمتان، وسمراوان، وماهرتان، مثلما يجب أن تكون يدا أيّ ذهبيّ، ولكنْ هنالك قوّة فيهما لا تتناسبُ مع باقي جسمي. إن كانَ جسمي هو النصل، فهُما حَدُّه.

وليس جسمي فقط هو الذي يتغيّر؛ فقبل أن أنام، أشرب تونيك مُشبَعاً بمعزّزات المعالجة، ومتّبعاً أسلوب الاستماع السريع أصغي إلى الألوان، الإلياذة، الأوديسة، التحوّل، مسرحيّات طيّبة، أسطوانات دراكونيك، الأناباسيس، والأعمال الممنوعة مثل: الكونت دي مونت كريستو، ملك الذباب، توبة الليدي كاسترلي، 1984، وغاتسبي العظيم. أستيقظُ، وأنا على معرفةٍ بثلاثة آلاف عامٍ مِن الأدب، والنصوص القانونيّة، والتاريخ.

يومي الأخير عند ميكي يحلُّ بعد شهرين مِن عمليّتي الأخيرة. أنا وهارموني نضحك معاً، وهي ترافقني إلى غرفتي بعد تدريباتنا. وَقعُ الموسيقا مسموعٌ في الخلفيّة. راقصات ميكي بكامل طاقتهنّ اللّيلة.

سأعطيك ثيابك يا دارو. أنا والراقص نريد أن نتناولَ العشاء معكَ احتفالاً. إيفي ستهتمُّ بنظافتك.

تغادرُ وتتركني وحيداً مع إيفي. اليوم كالمعتاد، وجهها هادئٌ كالثلج الذي أشاهده في مكعّب العرضِ المُجسّم. أراقبها في المرآة، وهي تقصّ شعري. الغرفة مظلمةٌ ما عدا الضوء الموجود فوق المرآة. إنّه يشعّ مِن الأعلى؛ لذلك تبدو كالملاك، بريئةً ونقيّةً، لكنّها ليست بريئةً، ولا نقيّة. إنّها

وَرديّة. يناسلونهنّ مِن أجل المتعة، مِن أجل تقاسيم نهودهنّ وأوراكهنّ، مِن أجل معداتهنّ المشدودة، وثنيات شفاههنّ الممتلئة. ولكنّها ما تزال فتاةً، وبريقها لم يخبُ بعد. أذكر آخر مرّة أخفقت في حماية واحدة مثلها.

وأنا؟ مِن الصعب أن أنظر إلى نفسي في المرآة؛ فأنا أعرفُ بأنّني تجسيدٌ لما قد يكون الشيطان عليه. أنا متعجرفٌ وقاسٍ، ذلك النوع مِن الرجال الذين قتلوا زوجتي. أنا ذهبيٌّ، وأنا باردٌ مثله.

عيناي تلمعان كالسبائك. بشرتي ناعمةٌ ومائلةٌ إلى السُّمرة. عظامي أكثر قوّة. أشعر بكثافة العظم في جذعي النحيف. عندما تنتهي إيفي مِن قصّ الشعر الذهبيّ، تتراجع إلى الخلف، وتنظر إليّ. أشعر بخوفها، وأعاني منه في داخلي. لم أعد بشريّاً. جسديّاً أصبحت شيئاً أكثر.

- «إنّكَ جميل». تقول إيفي بهدوءٍ، وهي تلمس شعارَيّ الذهبيّين. إنّهما أصغر بكثيرٍ مِن جناحيها الريشيّين. الدائرة متموضعة في منتصف ظاهِرِ كلِّ يد. الجناحان يمتدّان إلى الخلف على طول اللّحم، ينثنيان كالمناجل إلى الأعلى على جانبي عظم معصمَيّ.

أنظر إلى جناحَيّ إيفي الأبيضَيْن، وأعلم كم تظنّ أنّ مظهرهما قبيحٌ على ظهرها. كم تكرههما! أريد قول شيء لطيف لها. أريد جعلها تبتسم، إنْ كان بمقدورها. كنتُ لأخبرها كم هي جميلة، لكنّها تعيش حياةً كلّها رجال يخبرونها بذلك مِن أجل غايةٍ ومآرب أُخرى. لن تصدّق فتى مثلي. وأنا لا أصدّق كلمتها لي. إيو كانت جميلة. ما زلتُ أذكر احمرار الدم في وجنتيها، وهي ترقص. لديها كلّ الألوان الخام للحياة، كلّ الجمال القاسي للطبيعة؛ أمّا أنا، فأجسّد التصوّر البشريّ للجمال. ذهبٌ ناعمٌ وليّنٌ على هيئة إنسان.

تقبّلُ إيفي أعلى رأسي قبل أن تندفع مغادرةً، وتتركني وحيداً لمشاهدة مكعّب العرضِ المُجسَّم في انعكاس المرآة. لم ألْحظ أنّها دسّت لي في جيب الصدر ريشةً مِن جناحيها.

تعبتُ مِن مشاهدة مكعّب العرضِ المُجسَّم. بتُّ أعرف تاريخهم الآن، وأتعلّم المزيد كلّ يوم، لكنّني تعبت مِن كوني في الداخل، تعبت مِن الاستماع إلى وقع الموسيقا مِن نادي ميكي، وشمّ أوراق النّعناع التي يدخّنها. تعبت مِن رؤية الفتيات اللّاتي يحضرهنّ إلى عائلته، فقط كي يبيعهنّ لاحقاً، إن قدَّمَ أحدهم عرضاً مجزياً بما فيه الكفاية. تعبت مِن رؤية كلّ تلك الأعين الممتلئة تصبح فارغة. هذه ليست ليكوس. لا وجود للحُبِّ هنا، ولا للعائلة، أو الثّقة. إنّه مكانٌ مريض.

- «يا ولدي، تبدو مستعداً لقيادة أسطولٍ مِن السفن فائقة السرعة». يقول ميكي عند الباب، بينما ينسلُّ إلى الداخل، رائحته كسيجاره. أصابعه الهزيلة والطويلة تأخذ ريشة إيفي مِن جيب الصدر، وتمرّرها جيئةً وذهاباً على مفاصل أصابعه. ينقر بالريشة على كلٍّ مِن شعارَيّ الذهبيّين: «الأجنحة هي المفضّلة لديّ. أليسوا كذلك بالنسبة إليك؟ إنّها تلائم أماني الجنس البشريّ».

يقترب مِن خلفي، وأنا أجلس محدّقاً في المرآة. يضع يديه على كتفَيّ، ويتحدّث بالقرب مِن رأسي، واضعاً ذقنه عليها كأنّني مِن ممتلكاته. مِن السهل رؤية أنّه يظنّ ذلك. يدي اليسرى تذهب باتّجاه الشِعار على يدي اليمنى، وأتركها هناك لبعض الوقت.

- لقد أخبرتكَ بأنّك كنت رائعاً. الآن، حان وقتك لكي تطير.

- «إنك تعطي الفتيات أجنحة، لكنّك لا تسمح لهنّ بالطيران، أليس كذلك؟». أسأل.

– «إنّه لمن المستحيل بالنسبة إليهنّ أن يطِرْنَ. إنّهن أشياء أكثر بساطةً منك. وأنا لا أستطيع تحمُّل تكلفة شراء رخصة اقتناء أحذيةٍ ثقاليّةٍ؛ لذا هنّ يرقصْن مِن أجلي». يشرح ميكي: «لكنْ أنت، أنت ستطير، أليس كذلك يا ولدي الرائع؟».

أحدِّق فيه، ولا أقول شيئاً. شفتاه تنقسمان لترسمان ابتسامةً؛ لأنّني أثير أعصابه. دائماً ما أفعل ذلك: «إنّك خائف منّي». أخبره.

يضحكُ: «حقّاً؟ ياه! أنا كذلك الآن يا ولدي؟».

– «نعم، لقد اعتدت معرفة الخير من الشر. إنّك تفكّر مثل بقيّتهم». أومِئ نحو انعكاس مكعّب العرضِ المُجسَّم: «كلّ شيء منقوشٌ على الحجر. كلّ شيءٍ منظّمٌ بإحكام. الحُمر في القاع، والبقيّة كلّهم يقفون على ظهورنا. إنّك الآن تنظر إليّ، وأنت تدركُ بأنّنا لا نحبُّ الوضع اللّعين الموجود في الأسفل. الحُمر ينتفضون يا ميكي».

– ياه! لديكم طريق طويل عليكم قطعه...

أمدُّ يدي، وأمسك بمعصميه؛ بحيث يعجز عن الحركة. إنّه يحدّق بي في انعكاس المرآة، مكافحاً للتخلّص مِن قبضتي. لا شيء أقوى مِن قبضة غطّاس الجحيم. أضحكُ في المرآة، وأنا أنظر بعيوني الذهبيّة في عيونه البنفسجيّة. رائحة الخوف تنبعث منه. رعب بدائيّ. كفأرٍ محاصرٍ مِن قبل أسد.

– ميكي، كن لطيفاً مع إيفي. لا تجعلها ترقص. امنحها حياةً مترفةً، أو سأعود وأقتلع يديك مِن جسدك.

13

أشياء سيّئة

ماتيو وَرديٌّ فارع الطول، ورقيقٌ، مع أطرافٍ طويلةٍ، ووجهٍ جميلٍ نحيل. إنّه عبدٌ، أو كان عبداً مِن أجل الملذّات الجسديّة. مع ذلك فهو يمشي كسيّد الماء. يمكنك تمييز الجمال في خطواته، والرقيّ والسموّ في أسلوب تلويحه بيده. إنّه مولعٌ بارتداء القفّازات، ويزدري حتّى أصغر ذرّة مِن الوسخ. الاعتناء بالجسم هو هدف حياته؛ لذا لا يجد الأمر غريباً عندما يساعدني في استعمال مستحضرٍ لإماتة بصيلات الشعر على ذراعَيّ، وساقَيّ، وجذعي، والمناطق الحسّاسة، لكنّني أرى ذلك غريباً. وعندما انتهينا، كان كلانا يشتمُ ويلعن: أنا بسبب الوخزات، وهو بسب اللّكمة التي وجّهتها إلى كتفه. لقد تسبّبت عن غير قصدٍ بخلعه لمجرّد لكمي له. ما زلت أجهل مقدار قوّتي. وهُم يجعلون مِن وَرديّيهم مخلوقاتٍ هشّة. إن كان هو الوردة، فأنا الشوكة.

- «ها أنت أجرد كرضيع، يا أيّها الطفل الصغير المجنون». يتنهّد ماتيو بما يتناسب مع ما يمكن قوله بمثل هذه الحالة: «تماماً وفق أحدث متطلّبات الأناقة في لونا. الآن، مع قليل مِن تشذيب الحواجب (ياه! إنّ حاجبيك

أشبه باليرقات التي تتغذّى على الفطور) وإزالة شعر الأنف، وإزالة الزوائد اللحميّة، وتبييض تلك الأسنان الجديدة الملساء (التي -إن كان بوسعي قول ذلك- لونها أصفر كالخردل المنقّط بالهندباء... أخبرني، هل نظّفت أسنانك مِن قبل قط؟) وإزالة البثرات (الأمر الذي يجب أن يشبه السَبرَ بحثاً عن الهيليوم -3)، وتعديل لون البشرة، وحَقنِ الميلاتونين، ستصبح وَرديّاً وأنيقاً كما يجب أن تكون».

أتذمّرُ مِن كلّ هذا الغباء: «إنّني أبدو الآن كذهبيٍّ أصلاً».

- إنكَ تبدو كبرونزيّ! ذهبيّ مزيّف! واحد مِن أولئك الأوغاد الأدنى نسباً الذين يبدو لونهم خاكيّاً أكثر منه ذهبيّاً. يجب أن تكون مثاليّاً.

- يا لك مِن وغد مَزَّاح لعين يا ماتيو!

يصفعني: «انتبه لنفسك! الذهبيّ يُفضِّل الموت على أن يستخدم لهجة المناجم الوضيعة. «تبّاً»، و«متبّب» عوضاً عن «اللّعنة» و«ملعون». في كلّ مرّةٍ ستقول فيها: «اللّعنة»، أو «ملعون»، سأصفعك، ليس على بوزك، إنّما على فمك. وإن قلت: «ملعون»، أو «بوز»، فسأركلك في خصيتيك - اللّتين أنا خبير بهما - وهذا ما سأفعله أيضاً إن لم تتخلّص مِن تلك اللّكنة المريعة. إنّك تبدو كأنّكَ ولدت في حاوية متبّبة».

يتجهّم ويضع يديه على وركه الضيّق.

- وبعدها علينا أن نُعلِّمك آداب السلوك والثقافة، الثقافة، يا سيّد.

- أنا أعرف آداب السلوك.

- كما يليق بالصانع. سنبذل جهدنا لنجعلك تنكر هذه اللّكنة، وهذا الشتم، وتتخلّص منهما.

ينكزني، وهو يحصي عيوبي.

– «ربّما عليكَ أنتَ نفسكَ أن تكتسب بعض آداب السلوك يا فتى المؤخّرات». أتذمّر.

يسحب إحدى قفّازتيّ، ويصفعني بها على وجهي، ويأخذ قارورةً بيده، ويمسك بها قريباً مِن حلقي. أضحك.

عليك أن تسترجع ردود أفعال غطّاس الجحيم سريعاً، وتوائِمها مع هذا الجسد الجديد الغبيّ.

أنظرُ إلى القارورة متفحّصاً.

– هل ستنكزني حتّى الموت؟

– إنّه سيفٌ مِن البولين، يا سيّد. إنّه شفرةٌ بكلمةٍ أُخرى. بلحظةٍ يكون ناعماً كشعرة، ولكنْ مع نبضةٍ عضويّةٍ، يصبح أقسى مِن الألماس. إنّه الشيء الوحيد القادر على اختراق الواقي النبضيّ. بلحظة يكون سوطاً، وبأُخرى يغدو سيفاً مثاليّاً. إنّه سلاح السيّد النبيل، الذهبيّ. وأيّ لونٍ آخر يحمله مصيره الموت.

– إنّها قارورة، أيّها الأبله!

يضغط على حلقي، فأسكت.

سلوكك هو الذي أجبرني على سحب شفرتي وتحدّيك، وإنهاء حياتك التافهة على نحوٍ خاطف. قد تكون قاتلتَ بكلّ شرفٍ، مستخدماً قبضاتك في ذلك الوكر الذي تدعوه ديارك. حينها كنتَ حشرة، نملة؛ أمّا ذو البريق الذهبيّ، فيقاتل بالنصل عند أقلّ استفزاز. إنّ لديهم شرفاً لا يعرف أمثالك شيئاً عنه. شرفكَ شخصيٌّ؛ أمّا هُم، فشرفهم شخصيٌّ، وعائليٌّ، وكوكبيّ. هذا كلّ شيء. إنّهم يقاتلون مِن أجل أهدافٍ عليا، ولا يسامحون عندما تراق الدماء. أقلّهم على الإطلاق الفريدون ذوو الندبة. آداب السلوك، يا

سيّد. آداب السلوك ستحميكَ إلى أن يصبح بمقدورك حماية نفسك مِن قارورة الشامبو خاصّتي.

- «ماتيو...». قلتُ وأنا أفرك حلقي.

- «نعم؟». يتنهّد.

- ما هو الشامبو؟

حصّة أُخرى أقضيها في غرفة ميكي للنحت ستكون أفضل عندي مِن إرشادات ماتيو؛ على الأقلّ ميكي يخاف منّي.

في الصباح التالي يحاول الراقص تغيير اسمي.

- ستكون ابن عائلةٍ مجهولةٍ نسبياً مِن حزام كويكباتٍ بعيدة. وخلال وقتٍ قصيرٍ، ستكون العائلة قد ماتت نتيجة حادث شحن. وأنت الناجي والوريث الوحيد لديونهم ومنزلتهم المغمورة. اسمه، اسمك، سيكون كايوس ذهبيّ أندروميدوس.

- «تبّاً لهذا». أردّ: «إمّا أن أكون دارو، وإمّا لا أحد».

يحكّ رأسه: «دارو، إنّه... اسمٌ غريب».

- لقد جعلتني أتخلّى عن الشعر الذي ورثته عن أبي، والعيون التي ورثتها عن أمّي، واللّون الذي وُلدت عليه؛ لذا سأحتفظ بالاسم الذي منحاني إيّاه، وستجد طريقةً لينجح الأمر.

- «تروقني أكثر عندما لا تتصرّف كالذهبيّين». يدمدم الراقص متذمّراً.

- «الآن، مفتاح تناول العشاء كصاحب بريقٍ ذهبيّ هو أن تأكل ببطء». يقول ماتيو، ونحن نجلس معاً إلى طاولةٍ في البنتهاوس حيث أراني

الراقص العالم لأوّل مرّة: «ستجدُ نفسكَ مجبراً على الوجود في الكثير مِن ولائم تريمالكيو(*). في مثل تلك المناسبات، سيكون هنالك سبعة أطباق: مقبّلات، حساء، سمك، لحم، سلطة، حلوى، شراب كحولي».

يشير إلى صينيّةٍ صغيرةٍ مملوءةٍ بلوازم مائدةٍ مصنوعةٍ مِن الفضّة، ويشرح الطرائقَ المختلفة لاستخدام كلٍّ منها عند تناول الطعام.

ومِن ثمّ يخبرني: «إن اضطّررتَ إلى التبوّل، أو التبرّز خلال تناول الوجبة، فعليك إمساك ذلك بداخلك. السيطرة على وظائف الجسم هو أمرٌ متوقّعٌ مِن ذوي البريق الذهبيّ».

- إذنْ، هؤلاء ذهبيّو الحواجب المخنّثون، غير مسموح لهم بقضاء حاجتهم؟ وإن فعلوا، أتساءل هل ما بداخلهم يخرج ذهبيّاً أيضاً؟

يصفعني ماتيو بالقفّاز على خدّي: «إن كنت متلهّفاً إلى هذا الحدّ لرؤية الحُمرِ مجدّداً، ما عليك يا أيّها السيّد سوى القيام بزلّة لسانٍ واحدةٍ أمامهم، وسيكونون سعداء لتذكيرك باللّون الذي ينزف به كلّ البشر. آداب السلوك والتحكّم! إنّك تفتقد لكليهما». يهزُّ رأسه: «الآن، أخبرني بماذا تُستخدَم هذه الشوكة».

أريدُ أن أخبره بأنّها تُستخدَم لالتقاط مؤخّرته، لكنّني أتنهّد وأعطيه الإجابة الصحيحة.

- السمك، ولكنْ فقط في حال وجود الحَسك في الطبق.

- وكم يتوجّب عليك أن تأكل مِن هذه السمكة؟

- «كلّها». على ما أظنّ.

(*) Trimalchio شخصيّة تخيليّة وردت في ساتيركون أحد أعمال بترونيوس الأدبيّة. تشتهر الشخصيّة بإقامة حفلات العشاء الفخمة التي أصبحت مضرباً للمثل. (م).

- «كلّا!». يصيح: «هل كنت تنصت إلى ما أقوله أصلاً؟». يداه الصغيرتان تمسكان بشعره، ويأخذ نفساً عميقاً: «أعليّ أن أذكّركَ بأنّ هنالك البرونزيّين، والذهبيّين، والقردة الماجنين؟».

يترك لي البقيّة كي أكملهم.

- «القردة الماجنون لا يتمالكون أنفسهم أبداً». أتذكّر بصوتٍ عالٍ: «لديهم كلّ صفات القوّة، لكنّهم لا يفعلون أيّ شيءٍ لكي يستحقّوها. إنّهم يلاحقون المتعة منذ ولادتهم. هل أصبت؟».

- لست مصيباً فحسب، بل ممتاز. الآن، ما المتوقّع مِن ذهبيّ؟ مِن فريدٍ ذي ندبة؟

- الكمال.

- الذي يعني؟

نبرتي باردةٌ، وأنا أقلّد لكنة الذهبيّين: «إنّه يعني التحكّم، يا سيّد. تمَالكُ النفس. مسموحٌ لي الانغماس بالملذّات طالما أنّني لا أسمح لها بالخروج عن السيطرة. إن كان يوجد مفتاح لفَهمِ ذوي البريق الذهبيّ، فذلك يكمن في فهم السيطرة بكلّ أشكالها. آكلُ السمكة، لكنْ أترك عشرين بالمئة منها للإشارة إلى إخفاقها في التغلّب على عزيمتي، أو استعباد حُليماتي الذوقيّة على الرغم من مذاقها الطيّب».

- يبدو أنّنا كنّا ننصتُ في نهاية المطاف.

يعثر عليّ الراقص في اليوم التالي، وأنا أتدرّب على لكنة ذوي البريق الذهبيّ أمام المرآة المجسّمة في البنتهاوس. بوسعي أن أرى أمامي صورةً ثلاثيّة الأبعاد لرأسي. الأسنان تتحرّك بغرابة، إنّها تلتقط لساني، وأنا أحاول لفظ كلماتي. لا زلت أحاول الاعتياد على جسمي، حتّى بعد مرور أشهرٍ

على آخر عمليّةٍ جراحيّة. أسناني أكبر ممّا كنت أظنّ سابقاً. وكون ذهبيّي الحواجب يتحدّثون كأنّ لديهم رَفشاً ذهبيّاً محشوراً في مؤخّراتهم اللّعينة، لا يُسهِّل الأمر أبداً؛ لذا وجدتُ أنّه مِن الأسهل أن أتكلّم كواحدٍ منهم، إن كان بوسعي رؤية نفسي كواحدٍ منهم؛ حينها يصبح إظهار التعجرف أسهل.

- «رقق حرف r». يقول لي الراقص. إنّه يجلس ويصغي بانتباهٍ، وأنا أقرأ مِن لوح البيانات الرقمي: «تظاهر كأنّ هنالك حرف h قبل كلّ منها». سيجاره يذكّرني بالديار، وأتذكّر كيف كان يبدو الحاكِم العام، أوغوستوس في ليكوس. تذكّرت رزانة الرجُل، وتعاطفه الذي بدى كتنازلٍ متعجرفٍ، وابتسامته المتصنّعة: «مُدّ حرف l».

- «أهذا كلّ ما لديكِ؟». أقول في المرآة.

- «ممتاز». يثني الراقص مع رجفةٍ ساخرة. مصفّقاً وضارباً يده السليمة على ركبته.

- «قريباً سأحلم كأنّني ذهبيّ حواجب لعين أيضاً». أقول بقرف.

- عليك ألّا تستخدم «اللّعنة»، استخدم «تبّاً» عوضاً عن ذلك.

أنظرُ إليه محدّقاً: «لو رأيت نفسي في الشارع لكرهتها. لأخذت النصلَ المِنجَليّ ونحرت نفسي مِن الوريد إلى الوريد، ومِن ثمّ حرقت بقاياي. إيو كانت لتتقيّأ، وهي تنظر إليّ».

- «كم أنتَ صغير!». يضحكُ الراقص: «يا إلهي! أحياناً أنسى كم أنت شاب». يخرجُ بطحةً مِن حذائه، ويشرب القليل قبل أن يمرّرها لي.

أضحك: «آخر مرّةٍ ثملتُ فيها، قام عمّي نارول بسحبي». آخذ رشفة: «ربّما نسيتَ ما هي عليه المناجم. أنا لست صغيراً».

يعبس الراقص: «لم أقصد إهانتك يا دارو. الأمر فقط أنّك تفهم ماذا

تفعل، وتفهم لماذا تفعل ذلك، لكنّك ما تزال تفتقد للنظرة الشاملة، وتقوم بالحُكمِ على نفسك. فالآن على الأرجح تشعر بالغثيان مِن مجرّد رؤية نفسك الذهبيّة. هل أصبت؟».

- «نعم، أصبت». آخذُ رشفةً مشبعةً مِن البطحة.

- «لكنّكَ تلعبُ دوراً معيّناً فقط يا دارو». يثني إصبعه لينزلق نصلٌ مِن حلقةٍ على إصبعه. لقد عادت لي ردود فعلي، وهي سريعة بما يكفي لكي أحشره في حلقه، إن ظننتُ بأنّه يريدُ إيذائي، لكنّني تركته يجرح سبّابتي بضربةٍ لاسعةٍ مِن نصله. الدم يسيل. دم أحمر: «هذا في حال أردت أن تتذكّر مَن أنت فعلاً».

- «رائحته تشبه رائحة البيت». أقولها، وأنا أمصّ إصبعي: «اعتادت أمّي صنع حساءِ دَمٍ مِن أفاعي الحفر. الحقّ يقال، لم يكن سيّئاً».

- أتغمسُ خبز كتّان فيه، وترشّ عليه براعم زهرة البامية؟

- «كيف عرفتَ ذلك؟». أسأل.

- «أمّي كانت تفعل ذلك أيضاً». يضحكُ الراقص: «كنّا نتناولها في احتفاليّة الرقص، أو قبل احتفاليّة منح الإكليل عندما كانوا يعلنون الفائز. لطالما كانت عشيرة غاما الملعونة!».

- «بصحّة غاما إذنْ». أضحكُ وآخذُ رشفةً أُخرى.

الراقص يراقبني. تتبخّر الابتسامة أخيراً مِن وجهه، ويظهر البرود في عينيه: «على ماتيو أن يعلّمكَ الرقص غداً».

- «اعتقدتُ أنّه أنت مَن سيقوم بذلك». أقول.

يضربُ قدمه العليلة: «لقد مرَّت مدّةٌ منذ أن قمتُ بذلك آخر مرّة. أفضَلُ راقص في أويكوس. كان بوسعي التحرّك مثل تيّارات الهواء في

الأنفاق العميقة. أفضل راقصينا كانوا جميعهم مِن غطَّاسي الجحيم. لقد كنتُ واحداً منهم لعدّة سنوات، كما تعرف».

- اكتشفتُ ذلك.

- حقّاً، الآن؟

أشيرُ إلى ندوبه: «فقط غطَّاس جحيم كان ليتعرّض للعضّ كلّ تلك المرّات، مِن دون وجود صبية حفَّارٍ مِن حوله ليساعدوه في سحب أفاعي الحُفَر إلى الخارج. لقد تعرّضتُ للعضِّ أيضاً، لكنْ لديّ قلبٌ كبيرٌ على الأقل».

يومئ برأسه، ويشيح نظره بعيداً: «وقعتُ في عشٍّ، وأنا أحاول إصلاح عقدةٍ على المخلب الحفَّار. كانوا في واحدةٍ مِن القنوات، ولم أنتبه إليهم. كانوا الأخطر نوعاً».

أدركُ إلى ماذا يُلمِّح: «لقد كانوا صغاراً». قلت.

يومئ برأسه.

- «سُمُّهم أخفّ. أخفّ بكثيرٍ مِن آبائهم؛ لذا لم يكونوا مصمّمين على الحَفر، ووضع البيوض في داخلي. ولكنْ عندما يعضّون يستخدمون كلّ الشرّ الذي في داخلهم. لحُسنِ الحظّ كان لدينا ترياق. حصلنا على بعضه بالمقايضة مع عشيرة غاما». في ليكوس ليس لدينا ترياق.

يقترب منّي منحنياً.

- إنّنا نرمي بك في عشٍّ لصغار أفاعي الحُفَر، يا دارو. تذكّر ذلك. اختبار القبول سيجري بعد ثلاثة أشهر مِن الآن. سأدرّبك بالتزامن مع دروسك مع ماتيو، ولكنْ إذا لم تتوقّف عن الحُكمِ على نفسك، وإن استمرَرْتَ في كُره ثوبك، عندها ستُخفق في الاختبار، أو ربّما أسوأ مِن

ذلك؛ ستجتازه، ومِن ثمّ سترتكبُ زلّةً ليُكشَف أمرك، وأنتَ في المعهد، وسيُفسِد ذلك الأمرُ اللّعينُ كلّ شيء.

أتلوّى في مقعدي. للمرّة الأولى هنالك خوف آخر يعتريني. ليس مِن أن أصبح شيئاً لن تتعرّف إليه إيو، ولكنْ خوفٌ أكثر بدائيّةً، خوفٌ قاتلٌ مِن أعدائي. كيف سيكونون؟ منذ الآن أرى استهزاءهم واحتقارهم.

- «لا يهمّ إن كشفوا أمري». أضربُ ركبة الراقص مصفّقاً: «لقد أخذوا منّي ما يستطيعون أخذه منذ الآن؛ لذلك أنا الآن سلاحٌ يمكنك استخدامه».

- «إنّكَ مخطئ». ينفجرُ الراقص: «أنت تُستخدَم لأنّك أكثر مِن مجرّد سلاح. عندما ماتت زوجتك، لم تمنحكَ الانتقام فقط، لقد منحتك حُلمَها. أنت حارسه. صانعه؛ لذا لا تنفث الغضب والكراهية مِن حولك. أنت لا تقاتل ضدّهم، لا يهمّ ما الذي تقوله هارموني. أنت تقاتل مِن أجل حلم إيو، مِن أجل عائلتك التي ما تزال على قيد الحياة، مِن أجل قَومِك».

- أهذا هو رأي أريس؟ أعني أهذا هو رأيك؟

- «أنا لستُ أريس». يكرّر الراقص. أنا لا أصدّقه؛ لقد رأيت الطريقة التي ينظر فيها رجاله إليه، وكميّة الاحترام التي تبديه له هارموني.

- انظر إلى نفسك، يا دارو، وستدركُ بأنّكَ رجُلٌ صالحٌ عليه أن يقوم بأشياء سيّئة.

يداي الآن بلا ندوب، وينتابني شعورٌ غريبٌ عندما أقبض عليهما، إلى أن يتحوّل لون مفاصل أصابعي إلى درجة البياض المألوفة لديّ.

- أرأيت؟ هذا الذي لا أفهمه. إن كنتُ رجُلاً صالحاً فلمَ عليّ القيام بأشياء سيّئة؟

14

أندروميدوس

ليس بمقدور ماتيو أن يعلّمني الرقص. إنّه يريني كيف يبدو شكل كلّ رقصةٍ مِن الرقصات الخمسة لذوي البريق الذهبيّ، وهذا كلّ شيء. في رقصات الذهبيّين عليكَ أن تركّز أكثر على شريككَ مقارنةً مع الرقصات التي علّمني إيّاها عمّي، لكنّ الحركات متشابهة. أؤدّي الخمس رقصات جميعها بمهارةٍ تفوق استطاعته، ومِن أجل التباهي، أعصِب عينَيّ، وأؤدّي كلّ رقصةٍ مجدّداً على نحوٍ متتالٍ، ومِن دون موسيقا، وبالاعتماد على الذاكرة فقط. عمّي نارول علّمني الرقص، ومع آلاف الليالي التي لم أملأ وقتي فيها بشيءٍ سوى الرقص والغناء، بات جسمي بارعاً في حفظ الحركات. حتّى جسمي الجديد هذا لا يقلّ براعةً، حيث بوسعي القيام بأشياء لم يكن يستطيع جسمي القديم القيام بها؛ فالألياف العضليّة تتقلّص على نحوٍ مختلفٍ، والأوتار تتمدّد أكثر، والأعصاب تنتفض أسرع. مع كلّ هذا هنالك شعورٌ جميلٌ بحرقٍ في العضلات، وأنا أنسابُ بين الحركات.

إحدى الرقصات، البوليميديس، تولّد شعوراً بالحنين. ماتيو يجعلني أمسكُ بهراوةٍ، وأنا أتحرّك في الأرجاء بخطواتِ التفافيّةٍ، ذراعي الممسكة

بالهراوة ممدودةً، كأنّني أقاتل مع شفرة. ومع حركة جسمي، أسمع كذلك أصداء الماضي: أشعر بارتجاجات المنجم، وبرائحة عشيرتي. لقد رأيت هذه الرقصة مِن قبل، وأدّيتها أفضل مِن الجميع. إنّها رقصةٌ خُلِق جسمي لها، تشبه كثيراً رقصة الحصّاد المحظورة.

لدى انتهائي، يبدو ماتيو غاضباً.

- «أهذه لعبة ما؟». يدمدم.

- ماذا تقصد؟

إنه يحدِّق بي، وينقرُ قدمه: «ألم تغادر المناجم قط؟».

- «إنّك تعرف الإجابة». أردُّ.

- ألم تقاتل بالسيف أو الترس؟

- «طبعاً فعلت. وكذلك قدتُ سفناً فضائيّةً، وتناولتُ العشاء مع قادة الأسراب». أضحكُ، وأسأله عن الغاية مِن أسئلته.

- هذه ليست لعبة يا دارو.

- «وهل قلت ذلك؟». أنا مرتبك. ما الذي فعلته لأستفزّه؟ اقترفتُ خطأ بالضحك للتنفيس مِن التوتّر.

- «أتضحك؟ إنّك تشتبك مع الجمعيّة يا ولد، وتضحك؟ إنّهم ليسوا مجرّد فكرةٍ بعيدة. إنّهم الواقع القاسي. إن اكتشفوا مَن تكون، لن يشنقوك».
يبدو وجهه تائهاً، وهو يقول ذلك، كأنّه يعرف جيّداً ما يقول.

- أعرف هذا.

إنّه يتجاهلني: «السجيّون سيمسكون بك، ويسلّمونك للبيض الذين بدورهم سيأخذونك إلى زنازينهم المظلمة وسيعذّبونك. سيقتلعون

عينيك، ويقطعون أيّ شيءٍ قد يجعل منك رجُلاً. لديهم طرائق أكثر تعقيداً، ولكنّني أراهن بأنّ المعلومات ليست غايتهم الوحيدة؛ إن أرادوا فلديهم موادّ كيميائيّة للقيام بذلك. ولن يطول الأمر بعد أن تخبرهم بكلّ شيء، سيقتلونني أنا، وهارموني، والراقص. وسيقتلون عائلتك باستخدام قشّار اللّحم، ويدوسون على رؤوس أبناء أشقّائك وبناتهم؛ تلك هي الأمور التي لا يبثّونها على مكعّبات العرض المُجسَّم. هذه هي النتائج عندما يكون حُكّام الكواكب أعداءك. الكواكب يا ولد».

أشعر برعشةٍ تتخلّل عظامي. أعرف تلك الأمور. لماذا يصرّ على أن يصدّع رأسي بها؟ أنا أصلاً خائف. لا أريد ذلك، ولكنّني خائف. إنّني مُتماهٍ تماماً مع مهمّتي.

– لذا إنّني أسألك مجدّداً: هل أنت مَن يقول الراقص بأنّك هو؟

أتوقّفُ متفاجئاً. ياه! اعتقدتُ بأنّ الثقة متجذّرةٌ بين أبناء أريس، بأنّهم جميعهم متّفقون في الرأي، لكنْ ها هنا يوجد تصدّع وانقسام. إنّ ماتيو حليف الراقص، لكنّه ليس صديقه. شيءٌ ما في رقصي جعله يعيد تفكيره، ثمّ أدرك ما الأمر. إنّه لم يشاهد ميكي، وهو ينحتني. إنّه يتعامل مع كلّ هذا، وهو مؤمنٌ بأنّني كنت ذات مرّةٍ أحمرَ، وكم يجب أن يكون ذلك صعباً. شيءٌ ما في رقصي جعله يظنُّ بأنّني ولِدتُ مِن أجل ذلك. شيءٌ ما يتعلّق بآخر رقصة، التي يسمّيها بوليميديس.

– أنا دارو بن ديل، غطّاس جحيم عشيرة لامبدا مِن ليكوس. لم أكن قطّ أحداً آخر، يا ماتيو.

يشبكُ ذراعيه: «في حال كنت تكذِب عليّ...».

– أنا لا أكذِب على بني الألوان الدنيا.

لاحقاً في ذلك المساء، أبحثُ عن الرقصات التي أدّيتها. بوليميديس: إنّها كلمةٌ يونانيّةٌ تعني: «ابن الحرب». هي رقصةٌ ذكّرتني كثيراً برقصة عمّي نارول. إنّها رقصة حرب الذهبيّين، يعلّمونها للأطفال الصغار ليُعدّوهم لحركات الحروب القتاليّة، واستخدام الشفرة. أشاهدُ صورةً مجسّمةً للذهبيّين في المعركة، ليسقط قلبي بين قدمَيّ. إنّهم يقاتلون كنسيم الصباح، وليس كالسبجيّين الصاخبين الرهيبين، إنّما كطيورٍ تنعطف مع النسيم العليل. إنّهم يقاتلون في أزواج، يتفادون الضربات، يرقصون، يقتلون، يشقّون طريقهم عبر حقلٍ مِن السبجيّين والرماديّين، كما لو أنّهم يلعبون بالمناجل، وجميع الأجساد التي تتساقط أمامهم كأنّها سنابلُ قمحٍ تنفث الدم عوضاً عن العصائف الصفراء. دروعهم الذهبيّة تسطع، وشفراتهم تلمع. إنّهم آلهة، ليسوا بشراً.

وأنا أنوي تدميرهم؟

لم أنم جيّداً في فراشي الحريريّ تلك اللّيلة؛ فبعد تقبيلي براعم زهرة الهايمانتوس الخاصّة بإيو، أنتظر مدّةً طويلةً حتّى أستطيع النوم أخيراً، وأحلمُ بأبي، وكيف كان ليكون الأمر لو أنّني عرفته عند بلوغي، ولو أنّني تعلّمت الرقص منه عوضاً عن أخيه السِكّير.

أستيقظُ، وأنا قابضٌ على عُصابة الرأس القرمزيّة بيدي. أمسكُ بها بحرصٍ تماماً مثلما أقبض على رباط زواجي. كلّ تلك الأشياء تذكّرني بدياري.

ومع ذلك ليست كافية.

أنا خائف!

في الصباح يحضر الراقص، بينما أتناول فطوري.

- سيسعدك أن تعلم بأنّ قراصنتنا قد أمضوا أسبوعين، وهُم يخترقون موقع التخزين السحابيّ لمجلس ضبط الجودة كي يتمكّنوا مِن تغيير اسم كايوس ذهبيّ أندروميدوس إلى دارو ذهبيّ أندروميدوس.

- جيّد.

- «أهذا كلّ ما لديك لتقوله؟ هل تعلم كم... لا يهم». يهزُّ رأسه مصدراً ضحكةً خافتةً: «دارو. كم يبدو هذا غير مألوف، وغير مناسب للون! سيرفع ذلك الحواجب، ويرسم علامات تعجُّب على الوجوه».

أهزّ رأسي لأخفي خوفي: «إذنْ، سأفرم اختبارهم المتبَّب ولن يهتمّوا لذلك أبداً».

- قلتَها كذهبيّ.

في اليوم التالي، يأخذني ماتيو بالمركبة إلى إسطبلات عشتار، القريبة مِن يوركتن. هي إسطبلات تقع إلى جانب البحر حيث تمتدّ الحقول الخضراء على الهضاب المتموّجة. لم أكن مِن قبل في مكانٍ واسعٍ كهذا. لم أرَ مِن قبل الأرض تنحني بعيداً عنّي. لم أرَ مِن قبل أفقاً حقيقيّاً، أو حيوانات مرعبة كتلك الوحوش التي قام ماتيو بترتيبها مِن أجل درسنا. إنّها تدبّ، وتدهس، وتصهل، محرّكة على نحوٍ خاطفٍ ذيولها، ومكشّرةً عن أسنانها الصفراء الرهيبة. الأحصنة، لطالما كنت أخاف مِن الأحصنة، على الرغم مِن قصّة إيو عن أندروميدا.

- «إنّها وحوش». أهمس لماتيو.

- «بصرف النظر». يردّ هامساً: «إنّها أساليب النبلاء. عليك أن تجيد ركوبها، وإلّا ستسبّب الحرج لنفسك في بعض المناسبات الرسميّة».

أنظر إلى الذهبيّين الآخرين الذين يركبون الأحصنة في الأنحاء. هنالك

ثلاثة فقط في الإسطبلات اليوم، كلّ منهم يرافقه خادمٌ مثل ماتيو، وَرديّون وبُنيّون.

- «مناسبة مثل هذه؟». أسأله مهسهساً: «حسناً، حسناً». أشيرُ إلى حصانٍ فحلٍ أسْود ضخمٍ ذي حوافر تدهس الأرض: «سآخذ ذلك الوحش».

يبتسم ماتيو: «أظنّ أنّ هذا يناسب قدراتك أكثر».

يعطيني ماتيو مهراً، مهراً كبيراً، ولكنّه مهر. لا يوجد أيّ نوعٍ مِن أنواع التواصل الاجتماعيّ هنا؛ الفرسان الآخرون يمرّون ممتطين أحصنتهم، ويومئون برؤوسهم ملقين التحيّة، لكنْ هذا كلّ شيء؛ لذا فإنّ ابتساماتهم كافية لي كي أعرف كم أبدو سخيفاً. ليست بدايةً موفّقة. ويزداد الأمر سوءاً عندما يجفلُ مُهري لدى توجّهنا أنا وماتيو نحو أيكةٍ مِن الأشجار. على الجانب الآخر مِن الأيكة، أقفزُ عن هذا المخلوق لأحطّ برشاقةٍ على العشب. أحدٌ ما يضحكُ مِن بعيد، فتاةٌ ذات شعرٍ طويل، إنّها تمتطي الفحل الذي أشرتُ إليه سابقاً.

- «ربّما يجدرُ بكَ البقاء في المدينة، أيّها القرد الماجن». تصرخ عليّ، ثمّ تنكز حصانها، وتنطلق مبتعدة. أنهضُ على قدمَيّ وأشاهدها، وهي تعدو بحصانها بعيداً. شعرها ينساب مِن خلفها، بلونٍ ذهبيٍّ يفوق لون الشمس الغاربة.

15

الاختبار

يحين وقت اختباري بعد مرور شهرين على تدربي العقليّ مع الراقص. أنا لا أحفظ شيئاً، وحتّى لا أتعلّم أيّ شيءٍ، عندما أكون برفقته، إنّما تدريبه مصمّمٌ ليساعد عقلي على التأقلم مع التبدّلات التي تطرأ على المنظور الفكريّ. على سبيل المثال: إن كان للسمكة 3453 حرشفة على جانبها الأيسر، و3453 على جانبها الأيمن، فأيّ جانب مِن جوانب السمكة لديه حراشف أكثر؟ الجانب الخارجي. يطلقون على هذا التفكير الاستقرائيّ. وبناءً عليه عرفت أنّ عليّ أن آكل ورقة المنجل عندما قابلت الراقص لأوّل مرّة. أنا بارعٌ جدّاً في ذلك.

لقد وجدته أمراً مثيراً للسخرية؛ بإمكان الراقص وأصدقائه اختلاق تاريخٍ مزيّفٍ لي، وعائلةٍ مزيّفةٍ، وحياةٍ مزيّفةٍ، لكنّهم لا يستطيعون تزييف اختبار قبولي؛ لذا، بعد مرور ثلاثة أشهر على بداية تدريبي، أجري الاختبار في غرفةٍ ساطعةٍ إلى جانب فأرةٍ مزعجة، إنّها فتاةٌ ذهبيّة الحواجب تنقر بلا هوادةٍ على سِوارها اليشمي(*). لا أعرف، لكنْ مِن الممكن أن تكون

(*) اليَشم: حجر كريم عادة ما يكون أخضر اللون. (م).

هي أيضاً جزءاً مِن الاختبار. عندما لم تكن تنظر، أخطف القلم مِن بين أصابعها، وأخفيه في كمّي. أنا غطّاس جحيم مِن ليكوس؛ لذا نعم، بوسعي سرقة قلم فتاةٍ حمقاء مِن دون أن تعلم أيّ شيءٍ عن ذلك. أخذَت تحدّق ببلاهةٍ مِن حولها كأنّ هنالك سحراً ما قد وقع، ثمّ راحت تنتحب. لا يعطونها قلماً آخر؛ لذا تركض نحو الخارج، والدموع تغلبها. بعدها يقوم المُشرِف الفِلسي بالنظر إلى لوح بياناته الرقميّ، ويعيد تشغيل الفيديو مِن النانوكاميرا. ينظر إليّ ويبتسم. يبدو أنّ صفات شخصيّةٍ كهذه هي موضع إعجابٍ هنا.

فتاةٌ ذهبيّةٌ حادّةٌ كنصل شفرةٍ تعارضُ ذلك، وتهمسُ بسخريةٍ في أذني: «بتار»، في أثناء مرورها بجانبي، وهي تشقّ طريقها عبر الردهة إلى الخارج. أخبرني ماتيو ألّا أتحدّث مع أحدٍ؛ لأنّني لستُ مستعدّاً بعد للتواصل الاجتماعيّ؛ لذا بالكاد أتمكّن مِن كتم ردٍّ أحمر أصيل. كلماتها تخبو ببطء: بتار، سفاح، مكيافيلّي، بلا رأفة؛ كلّها تعبّر عن رأيها بي. المضحك في الأمر أنّ معظم الذهبيّين كانوا ليروا هذه المفردات بمنزلة إطراء.

صوتٌ موسيقيٌّ يخاطبني.

– أعتقد بأنّها قامَت بمدحكَ في الحال. لا تكترث لأمرها. إنّها جميلةٌ كالدرّاق، لكنّها متعفّنةٌ كليّاً مِن الداخل. أخذتُ قضمةً ذات مرّة، إن كنتَ تدركُ ما أعنيه: لذيذ في البداية، ثمّ فاسد. بالمناسبة، كانت حركةً رائعة. كنتُ على وشك أن أقتلع بنفسي عيون تلك البلهاء مِن جمجمتها. ذلك النَقرُ كاد أن يفقدني أعصابي!

يأتي هذا الصوت اللّامع مِن رجُلٍ شابٍّ، كأنّه أطلّ مِن قصيدة شعرٍ يونانيّة. الغطرسة والجمال ينضحان منه. تناسلٌ مثاليّ. لم أر في حياتي مِن

قبل ابتسامةً عريضةً وبيضاء كهذه، ولا بشرةً ناعمةً وبرّاقةً كهذه. إنّه يُمثّل كلّ ما أحتقره.

يربّت على كتفي، ويقبض على يدي في واحدةٍ مِن طرائق التعريف العديدة شبه الرسميّة. أضغط قليلاً. لديه قبضة قويّة أيضاً، ولكنْ عندما حاول إرساء سيطرته، زدتُ الضغط على يده إلى أن نترها إلى الخلف. لمعة مِن القلق تبدو في عينيه.

- «يا إلهي، يدك كالملزمة!». يضحك. بسرعة يقدِّم نفسه باسم كاسيوس، وأنا محظوظ لأنّه لا يمنحني الكثير مِن الوقت كي أتكلّم؛ لأنّه قطّب حاجبيه عندما فعلت. ما تزال لكنتي غير مثاليّة.

- «دارو». يكرّر: «حسناً، إنّه اسمٌ لا يتناسب مع اللّون بعض الشيء. أوه...». ينظر إلى لوح بياناته الرقميّ، مستخرجاً تاريخي الشخصيّ: «حسناً، لست مِن أيّة سلالةٍ معروفة. ريفيٌّ مِن كوكبٍ بعيد. لا عجب بأنّ أنطونيا سخرَت مِن أسلوبك. ولكنْ اسمع، سأغفر لك ذلك إن أخبرتني كيف أدّيت الاختبار».

- أوه، ستغفر لي؟

يقطّب حاجبيه معاً: «أحاول أن أكون لطيفاً. نحن عائلة بيلونا لسنا إصلاحيّين، ولكنّنا نعلم أنّ رجالاً صالحين يمكن أن يأتوا مِن نسبٍ وضيع. تعاون معي يا صاح».

بسبب هيئته التي بدا عليها، أشعرُ بالحاجة إلى استفزازه.

- حسناً، أتجرّأ على القول: إنّي توقّعت أن يكون الاختبار أكثر صعوبة. ربّما لم أوفَّق بذلك الجزء المتعلّق بالشمعة، لكنْ عدا ذلك...

كاسيوس يراقبني مع تكشيرةٍ متسامحة. عيناه المملوءتان بالحيويّة

تتراقصان على وجهي بينما أتساءل أنا إن كانت أمّه قد لفَّت له شعره في الصباح بمكواة تجعيدٍ ذهبيّة.

- «بيَدينِ كيديك، ينبغي أن تكون مرعباً مع الشفرة». يقولها على نحوٍ قيادي.

- «أدائي مقبول». أكذب؛ ماتيو لم يسمح لي بلمس ذلك الشيء.

- «يا للتواضع! هل ربّاك أصحاب القلنسوات البيضاء يا رجُل؟ لا يهمّ، بعد الاختبارات الجسديّة سأذهب في إجازةٍ إلى أجيا. أتنضمّ إليّ؟ سمعت أنّ النحّاتين قد قاموا بعملٍ باهرٍ مع السيّدات الجُدد في نادي الإغراء. وقاموا مؤخّراً بتركيب أرضيّةٍ ثقاليّةٍ في نادي المواعدة؛ بوسعنا أن نحوم هناك بدون أحذيةٍ ثقاليّة. ما قولك يا رجُل؟ هل يهمّك الأمر؟». ينقر على أحد جناحيه ويغمز: «هنالك الكثير مِن الدرّاق هناك. ولا واحدة منها متعفّنة».

- لسوء الحظ، لا أستطيع.

- «أوه!». يقفز كأنّه تذكّر فجأةً أنني رِيفيٌّ مِن كوكبٍ بعيد: «لا تقلق حيال الأمر يا سيّد، سأدفع وأتكفّل بكلّ شيء».

أرفض على نحوٍ مؤدّبٍ، لكنّه يتابع. ينقر على لوح بياناتي الرقميّ قبل أن يغادر. الشاشة المجسّمة التي تعرِضُ على باطن ذراعي اليسرى تومض. تُظهر أبعادَ وجهه، ومعلوماتٍ عن محادثتنا، وعناوينَ النوادي التي تكلّم عنها، ورابطاً موسوعيّاً عن أجيا، ومعلوماتٍ عن عائلته. كاسيوس ذهبيّ بيلونا مكتوب هناك. ابن البريتور تيبيريوس ذهبيّ بيلونا، إمبراتور الأسطول السادس للجمعيّة، وربّما الرجُل الوحيد على المرّيخ الذي بوسعه مقارعة الحاكِم العام، أوغوستوس بقوّته. مِن الواضح أنّ العائلات تكره بعضها. يبدو أنّ لديهم عادة بغيضة بقتل بعضهم، كصغار أفاعي الحُفَر حقّاً.

ظننت أنّني سأكون خائفاً مِن هؤلاء الناس. ظننت أنّهم سيكونون أشبه بآلهةٍ مصغّرة، لكنْ عدا كاسيوس وأنطونيا، الكثير منهم عاديّون جدّاً. هنالك سبعون منهم فقط في قاعة اختباري. بعضهم يبدو مثل كاسيوس، لكنْ ليسوا جميعاً جميلين، ولا حتّى طوالاً ومستبدّين. وقلّة منهم فقط بدوا لي كرجالٍ ونساءٍ بالغين. فمع كلّ بنيتهم الجسديّة تلك، لم يكونوا سوى أطفال مع حسٍّ مغالٍ بقيمة ذواتهم؛ لم يختبروا شظف العيش. أشبه بأطفالٍ رُضّع. غالبيّتهم مِن البرونزيّين والقردة الماجنة.

بعد ذلك يستأنفون باختبار مواصفاتي الجسديّة. أجلسُ عارياً على كرسيٍّ هوائيٍّ في غرفةٍ بيضاء بينما يقوم الفاحصون النحاسيّون مِن مجلس ضبط الجودة بمراقبتي مِن خلال النانو كاميرات. «آمل أن تحظوا بمنظرٍ جميل». أقول.

يدخل عاملٌ بُنيٌّ، ويضع مجسّاً لاقطاً على أنفي. عيناه خاويتان. يفتقر إلى الروح القتاليّة، ولا يبدي أيّ احتقارٍ لي. بشرته باهتة، وحركاته خرقاء وبلهاء.

يُطلَب إليّ أن أحبس نفَسي بقدر ما تسمح لي رئتاي. عشر دقائق، ومِن ثمّ يزيلُ البُنيّ المشبك ويغادر. بعدها، يُطلَب إليّ أن آخذ شهيقاً وأزفر. أفعل ذلك لألْحظ فجأةً أنّه لا وجود للأكسجين في القمرة. عندما بدأت أميلُ في مقعدي، كان يعود الأكسجين. يقومون بتجميد الغرفة، ويقيسون كم مِن الوقت سيمضي قبل أن أبدأ بالاختلاج على نحوٍ خارجٍ عن سيطرتي، ومِن ثمّ يسخّنونها؛ ليروا متى سيبدأ قلبي بالاعتلاج. بعدها يزيدون قوّة الجاذبيّة في الغرفة إلى أن لا يعود قلبي قادراً على ضخّ كميّةٍ كافيةٍ مِن الدم والأكسجين إلى دماغي، ومِن ثمّ يراقبون مقدار الحركة التي

يمكن أن آتي بها قبل أن أتقيأ. اعتدت ركوب حفّار بطول تسعين متراً؛ لذا عليهم أن يستسلموا.

يقيسون تدفّق الأكسجين إلى عضلاتي، نبضات قلبي، كثافة ألياف العضليّة وطولها، معدّلات مطاوعة الشدّ لعظامي. يبدو الأمر أشبه بنزهةٍ في حديقةٍ بعد الجحيم الذي عشته مع هارموني.

يجعلونني أرمي كُرات، ثمّ يوقفوني أمام حائطٍ، ويطلبون إليّ أن أوقف كرات صغيرةً يقذفونها نحوي بوساطة آلةٍ دائريّة. يدا غطّاس الجحيم التي لديّ أسرع مِن آلتهم؛ لذا يحضرون فنيّاً مِن الخُضر ليعدِّل هذا الشيء إلى أن أصبح يقذف صواريخ فعليّة. أخيراً، أُصِبتُ بكرةٍ في جبهتي. أفقد وعيي لبرهة. هُم يقيسون ذلك أيضاً.

ثمّ انتهيت بعد أن قاموا بفحص العيون، والآذان، والأنف، والفم. أشعر بشعورٍ مِن الابتعاد المُبهم عن نفسي بعد الاختبار، كأنّهم قاموا بقياس جسمي وعقلي، ولكنْ ليس ذاتي. لم أحظَ بأيّ تواصلٍ شخصيٍّ سوى ذلك الذي أجريته مع كاسيوس.

أدخلُ متخبّطاً إلى غرفة خلع الملابس، متألّماً ومشوّشاً. بعضهم هنالك يقوم بتبديل ملابسه؛ لذا آخذُ ثيابي وأذهب بمحاذاة صفٍّ طويلٍ مِن الخزانات البلاستيكيّة إلى مكانٍ يضمن خصوصيّةً أكبر. عندها أسمع صفيراً غريباً؛ لحناً أعرفه، لحناً تردّد صداه في أحلامي؛ اللّحن الذي ماتت إيو في أثنائه. أتبعُ الصوت إلى أن أعثر على فتاةٍ تُبدِّل ملابسها في زاوية غرفة خلع الملابس. ظهرها يتّجه نحوي، عضلاتها تنثني، وهي ترتدي قميصها. أُصدرُ صوتاً، فتلتفتُ فجأةً! ولبضع لحظاتٍ حرجةٍ أقفُ هنالك محمرّاً مِن الخجل. مِن المفترض ألّا يكترث الذهبيّون للعري، لكنّني

لم أستطع التحكّم بردّ فعلي. إنّها جميلة: وجهٌ على شكل قلب، شفتان ممتلئتان، عينان تضحكان لك. إنّهما تضحكان مثلما فعلتا عندما انطلقت على الحصان مبتعدة. إنّها الفتاة نفسها التي نادتني بالقرد الماجن عندما كنت أمتطي المُهر.

أحد حاجبيها يتقوّس إلى الأعلى. لا أعرف ما أقول؛ لذا وفي حالة ذُعر، أستدير وأمشي مسرعاً بقدر ما أستطيع لأخرج مِن غرفة خلع الملابس.

ما كان لذهبيٍّ أن يفعل ذلك، ولكنْ وأنا جالس مع ماتيو في المركبة التي تقلنا إلى المنزل، أتذكّر وجه الفتاة. لقد احمرّت خجلاً أيضاً.

إنّها رحلةٌ قصيرة، ليست طويلة بما يكفي. أشاهد المرّيخ عبر أرضيّةٍ مِن الزجاج المقوّى. مع أنّ الكوكب قد استُصْلِح، إلّا أنّ الغطاء النباتيّ شحيحٌ على طول مسار رحلتنا. سطح الكوكب مخطّطٌ بأحزمةٍ خضراء في الوديان، وحول خط الاستواء. الغطاء النباتيّ يبدو كندوبٍ خضراء تقطع سطحه المملوء بالفوهات.

الماء يملأ فوهات اصطدام النيازك، مشكّلاً بحيراتٍ هائلة. والحوض الشماليّ، الذي يمتدّ على طول نصف الكوكب الشماليّ، يطفح بالمياه العذبة، ويعجّ بعجائب الحياة البحريّة. السهول الواسعة حيث الدوّامات الترابيّة على شكل عباءاتٍ مِن التربة السطحيّة تشقُّ طريقها عبر الأراضي الزراعيّة. العواصف والجليد يسودان في القطبين حيث يتدرّب السجيّون ويعيشون. يقال: إنّ الطقس هنالك فظيعٌ وباردٌ، على الرغم مِن أنّ مناخاً معتدلاً يسود غالبيّة سطح المرّيخ الآن.

هنالك ألف مدينة على كوكب المرّيخ، لكلٍّ منها حاكم، يتبعون لحاكمٍ عامٍّ يترأس الجميع. كلّ مدينةٍ تتوسّط المئات مِن مستوطنات التنقيب.

الحُكَّام يديرون تلك المستوطنات، مِن خلال حُكَّام مناجم مستقلّين، مثل: بودغينوس، يقفون على شؤونها اليوميّة.

مع كلّ تلك المناجم، وكلّ تلك المدن، أعتقد بأنّ المصادفة وحدها هي التي جلبت الحاكِم العام إلى دياري مع طاقم تصويره. المصادفة ووظيفتي كغطَّاس جحيم. أرادوا أن يجعلوا منّي عِبرةً لغيري؛ إيو كانت مجرّد فكرةٍ إضافيّة. وهي ما كانت لتُغنّي لو لم يكن الحاكِم العام موجوداً هناك. لا سِحرَ في سخرية الحياة.

- «كيف ستكون الأمور في المعهد إن تمكّنت مِن الالتحاق به؟». أسألُ ماتيو، وأنا أنظر مِن النافذة.

- الكثير مِن الصفوف على ما أعتقد. كيف لي أن أعرف؟

- ألا يوجد معلومات عن ذلك؟



- كلّا.

- «كلا؟». أسأل.

- «حسناً، القليل، أعتقد». يعترف ماتيو: «بأنّ المعهد يقوم بتخريج ثلاثة أنواعٍ مِن الناس، هُم: الفريدون ذوو النُّدبة، والمتخرّجون، والمنبوذون. الفريدون يمكنهم أن يترقّوا في المجتمع، والخرّيجون يمكنهم ذلك أيضاً، لكنّ فرص نجاحهم محدودة نسبيّاً، ولا يزال عليهم أن ينالوا ندوبهم، والمنبوذون يرسلون إلى مستوطناتٍ بعيدةٍ قاسيةٍ، مثل: بلوتو؛ ليشرفوا على الأعوام الأولى مِن الاستصلاح».

- كيف يمكن للمرء أن يصبح مِن الفريدين؟

- أتخيّل أنّ هنالك نظامَ تَراتُبيّةٍ مِن نوعٍ ما؛ ربّما منافسة. لا أعرف.

ولكنّ الذهبيّين نوعٌ مبنيٌّ على الغزو. سيكون مِن المنطقي أن يكون ذلك جزءاً مِن المنافسة.

– «كم هذا مُبهَم!». أتنهّد: «إنّك مفيدٌ ككلبٍ عديم الأرجُل أحياناً».

– «اللعبة، يا سيّد، التي بُنيَت عليها جمعيّة الذهبيّين هي الرعاية. أفعالك في المعهد ستخدم كتجربة أداءٍ موسّعة للظفر بالرعاية. أنت بحاجةٍ إلى التَتلمُذ، بحاجةٍ إلى مُنعِمٍ قويّ». يقول مكشّراً: «لذا إنْ أردتَ أن تكون عوناً لقضيّتنا، ستفعل ذلك ببذل كلّ ما في وسعك مِن جهد لعينٍ يمكن بذله. تخيّل إن أصبحت تلميذاً لدى بريتور. خلال عشر سنوات ستصبح أنت نفسك بريتور، وقد يصبح لديك أسطول. تخيّل ما الذي يمكنك القيام به مع أسطول، يا سيّد. فقط تخيّل».

لم يطلق ماتيو العنان مِن قبل لنزواته الخياليّة هكذا؛ لذا فإنّ الإثارة التي في عينيه مُعديةٌ؛ بحيث تجعلني أسرح بخيالي.

16

المعهد

نتائج اختباري تصدر، وأنا أمرِّن قدراتي على التمييز الثقافيّ، وتكييف اللّكنة مع ماتيو في البنتهاوس العالي الخاصّ بنا. أمامنا مشهدٌ للمدينة مع شمسٍ غاربةٍ في الخلفيّة. إنّني في خضمّ إجابةٍ ذكيّةٍ عن نادي يوركتن سوبرنوفا لرياضة الحرب الوهميّة، عندما يرنّ لوحي الرقميّ مع رسالةٍ ذات أولويّةٍ عالية، أرسلت إلى تدفّق البيانات في لوحي الرقمي. كِدتُ أسكبُ قهوتي.

- «لقد رُبط لوحي الرقميّ ليصبح تحت سيطرة طرفٍ آخر». أقول: «إنّه مجلس ضبط الجودة».

يقفز ماتيو عن كرسيّه: «لدينا على الأرجح أربع دقائق». يهرع إلى مكتبة الشّقّة؛ حيث تقرأ هارموني، وهي جالسةٌ على أريكةٍ معزّزة للراحة. تقفزُ وتخرجُ مِن الشقّة في أقلّ مِن ثلاث شهقات. أتأكّدُ مِن أنّ الصور المجسّمة لي مع عائلتي المزيّفة معدّةٌ في غرفة نومي، ووُزِّعت في أرجاء البنتهاوس. أربع خادمات قد وُظِّفْنَ، بنيات ووَرديّة، للقيام بالمهام المنزليّة في البنتهاوس. إنّهنّ يرتدين بِزّاتٍ مع شعار الحصان المجنّح العائد إلى عائلتي المزيّفة.

إحدى البُنّيات تذهب إلى المطبخ، وأُخرى -امرأة وَرديّة- تدلّك كتفي. ماتيو يلمِّع أحذيتي في غرفتي. طبعاً هنالك آلات للقيام بتلك الأمور، لكنّ ذا البريق الذهبيّ ما كان أبداً ليستخدم آلةً للقيام بشيءٍ يمكن لشخصٍ القيام به؛ لأنّ ذلك يضيّع فرصة إظهار للسُّلطة والتحكّم.

الحوّامة العموميّة تبدو مِن بعيدٍ كيعسوب. يكبر حجمها مع اقترابها، ويعلو طنينها، وهي تحوم خارج نافذة البنتهاوس. باب الركوب ينزلق ليفتح، ومن ثمّ يؤدّي رجُلٌ في بزّةٍ انحناءةً شكليّةً لبنيّ اللّون النحاسيّ. أجعل لوحي الرقميّ يفتح نافذةً مِن الزجاج المقوّى ليطير الرجُل في الهواء، ويعبُر إلى الداخل. يرافقه ثلاثة مِن بني اللّون الأبيض، يمتلكون جميعهم شعاراً أبيض على ظاهر أيديهم. إنّهم أعضاء المجلس الأكاديميّ، وبيروقراطيٌّ نحاسيّ.

- ألي الشرف بمخاطبة حضرتكم، دارو ذهبيّ أندروميدوس، ابن لينوس ذهبيّ أندروميدوس، وليكسوس ذهبيّة أندروميدوس المتوفَّيْن مؤخّراً؟

- لك شرف ذلك.

ينظر البيروقراطيّ إليّ، وهو يتفحّصني مِن الأعلى إلى الأسفل، بأسلوبٍ ملئُه الاحترام، ولكنّه متلهّف: «أنا بونديلوس نحاسيّ تانكروس، مِن مجلس ضبط الجودة في المعهد. لدينا بعض الأسئلة التي نتوسّل إليكم للإجابة عنها».

نجلس قبالة بعضنا في المطبخ، إلى طاولتي المصنوعة مِن السنديان. هنالك يربطون إصبعي بآلةٍ، وواحد مِن البيض يضع زوجاً مِن النظّارات التي ستحلّل حدقتيّ، وردود أفعالي الفيزيولوجيّة الأُخرى؛ سيكون بمقدورهم معرفة إن كنت أكذب.

- سنبدأ بسؤالٍ ضابطٍ لنُقيِّم ردود فعلكم الطبيعيّة عندما تقولون الحقيقة. هل أنتم مِن عائلة أندروميدوس؟

- نعم.

- هل أنتم مِن جنس البريق الذهبي؟

- «نعم». الكذبُ ينسابُ مِن فمي مفسداً أسئلتهم الضابطة.

- هل غششتم في اختبار قبولكم قبل شهرين؟

- كلّا.

- هل استخدمتم مُجدِّداً للنوى العصبيّة لتحفيز مستوياتٍ عاليةٍ مِن الإدراك والوظائف التحليليّة خلال مدّة الاختبار بحدّ ذاته؟

- كلّا.

- هل استخدمتم أدواتٍ شبكيّةً لتجميع المصادر الخارجيّة وتركيبها على نحوٍ آنيّ؟

- «كلّا!». أتنهّد، وقد بدأت أفقد صبري: «لقد كان هنالك جهاز تشويش في القاعة؛ لذا فأمرٌ كهذا سيكون مستحيلاً. أنا سعيد بأنّك بحثت جيّداً في الأمر كي لا تضيّع وقتي أيّها النحاسيّ».

ابتسامته بيروقراطيّة.

- هل كان لديكم عِلمٌ مسبقٌ بالأسئلة؟

- «كلّا». عند هذه النقطة أعتقد بأنّ إظهار ردٍّ غاضبٍ سيكون مناسباً: «عمَّ يدور كلّ هذا؟ لست معتاداً على أن أوصف بالكاذب مِن قِبل أحدٍ مِن مستواك».

- «إنّه إجراءٌ يُتَّبع مع جميع النخبة مِن أصحاب النقاط العالية، يا

سيّدي ذو البريق الذهبيّ. أتوسّل تفهّمك». يدندن البيروقراطيّ: «كلّ مَن له ترتيب عالٍ ويشذ عن أيّ انحرافٍ طبيعيٍّ، يخضع للاستجواب. هل ربطتم أدواتكم بأدوات شخص آخر خلال الاختبار؟».

- كلّا. كما قلت: كان هنالك جهاز تشويش. أشكرك على تركيزك وإصغائك أيّها الرأس الفلسيّ.

بعد ذلك يأخذون عيّنةً مِن دمي، ويقومون بمسح دماغي. النتائج فوريّة، لكنّ البيروقراطيّ لا يشاركها: «إنّه البروتوكول». يذكّرني: «ستحصلون على نتائجكم خلال أسبوعين».

حصلنا عليها خلال أربعة أسابيع. لقد نجحت في فحص ضبط الجودة. لم أغشّ. ثمّ حصلت على نتيجة فحصي، بعد شهرين من إجرائي ذلك الأمر اللّعين! وعندها أدركت لماذا كانوا يعتقدون بأنّني غششت. لقد أخفقت في سؤالٍ واحد، سؤال واحد فقط مِن المئات مِن الأسئلة. لدى مشاركتي النتائج مع الراقص، وهارموني، وماتيو، راحوا ببساطةٍ يحدّقون فيَّ، ثمّ يسقط الراقص في الكرسيّ، ويبدأ بالضحك؛ إنّه ضحكٌ مِن النوع الهستيريّ.

- «اللّعنة!». يشتُم: «لقد فعلناها».

- «هو فعلها». يصحّح ماتيو.

يستغرق الراقص دقيقةً قبل أن يستعيد تركيزه بما يكفي ليحضر زجاجةً مِن الشمبانيا، لكنّني ما زلت أشعر بأنّ عينيه تنظران إليّ، كأنّني شيءٌ مختلفٌ، شيءٌ غريب. الأمر كأنّهم فجأةً لا يستوعبون ما الذي قاموا بخلقه! ألمس براعم الهايمانتوس في جيبي، وأشعر بِرباط الزواج حول عنقي. إنّهم لم يخلقوني، بلْ هي مَن فعلت.

عندما يصل الخادم ليقلني إلى المعهد، أودّع الراقص في البنتهاوس. يُطبِق بشدّةٍ على يديّ، ونحن نتصافح، ويَنظرُ إليّ بالنظرات نفسها التي نظرها إليّ أبي قبل أن يُشنَق. إنّها واحدةٌ مِن تلك النظرات التي تبعث على الطمأنينة، لكنّ وراءها يوجد قلقٌ وشكّ. هل أعدَّني جيّداً لهذا العالم؟ هل قام بواجبه؟ كان عمر والدي خمساً وعشرين عاماً عندما نظر إليّ هكذا. الراقص بعمر الأربعين الآن. لا يوجد فرق في ذلك. أضحك. عمّي نارول لم ينظر إليّ هكذا قطّ، ولا حتّى عندما تركني أُنزِل إيو؛ على الأرجح لأنّه تلقّى ما يكفي مِن لكماتٍ يمينيّةٍ خاطفةٍ منّي ليعرف الجواب. ولكنْ عندما أفكّر بمعلّميَّ وبآبائي، فإنّ عمّي نارول هو أكثر مَن أثّر في تكويني: علّمني الرقص؛ علّمني كيف أكون رجُلاً، ربّما لأنّه يعرف بأنّ ذلك سيكون مستقبلي. لذا حاول منعي مِن أن أكون غطّاس جحيم، إنّها دروسه التي أبقتني على قيد الحياة. لقد تعلّمتُ دروساً جديدةً الآن، فلنأمل أنّها ستفي بالغرض.

يعطيني الراقص سكّين الخاتم التي استخدمها ليجرح بها إصبعي قبل أشهر، لكنّه أعاد تشكيلها لتبدو على هيئة حرف L.

- «سيعتقدون بأنّه الشيفرون(*) الذي ينقشه الأسبرطيّون على دروعهم». يقول: «حرف L يرمز إلى Lacadaemonia(**)». لكنّها ترمز لليكوس، ولامبدا أيضاً.

تفاجئني هارموني بأخذها ليدي اليمنى، وتقبيلها حيث كان شعار الحُمر منقوشاً. إحدى عينيها تغرورق بالدموع، تلك الباردة غير المجروحة؛ أمّا الأُخرى، فليس بوسعها البكاء.

(*) تستخدم الكلمة للدلالة على أية شارات، أو رتب في الأزياء العسكريّة. (م).

(**) لاكديمونيا اسم قديم كان تعرف به أسبرطة نسبة إلى مؤسّسها لاكديمون. (م).

- «إيفي ستأتي للعيش معنا». تخبرني. تبتسم قبل أن أتمكّن مِن سؤالها لماذا. يبدو ذلك غريباً على وجهها: «أتظنّ بأنّكَ الوحيد الذي لَحظ الأمور؟ سنمنحها حياةً أفضل مِن تلك التي سيعطيها إيّاها ميكي».

أنا وماتيو نتشارك الابتسامة والانحناء. نتبادل التشريفات المناسبة، ويمدّ يده نحوي. لا يمسك بيدي. عوضاً عن ذلك، ينشلُ الزهرة التي في جيبي. أمدُّ يدي نحوها، لكنّه يظلُّ الرجُل الوحيد الذي عرفته أسرع منّي.

- لا يمكنك أخذ هذا معك، يا سيّد. رِباط الزواج الذي على يدكَ غريبٌ بما يكفي. الزهرة ستجعل الأمر خارجاً عن المقبول.

- «أعطني بتلة إذنْ». أقول.

- «فكَّرتُ بأنّكَ ستطلبُ ذلك». يُخرِج قلادةً: إنّه شعار أندروميدوس. شعاري على ما أذكر. إنّه مِن الحديد. يُسقِطه في يدي: «اِهمس باسمها». أفعل ذلك لينبسط الحصان المجنّح كبرعم هايمانتوس. يقوم بوضع بتلةٍ في المركز ليُغلَق مِن جديد: «هذا قلبك. احرسه بالحديد».

- «شكراً لك يا ماتيو». أقولها، والدموع في عينَيّ. أحمله وأعانقه على الرغم مِن اعتراضاته: «إن بقيت على قيد الحياة لأكثر مِن أسبوع، ستكون أنت مَن عليّ شكره يا سيّد». يحمرُّ خجلاً عندما أنزله.

- «سَيطِر على انفعالك». يذكِّرني بصوته الصغير ذي النبرة القاتمة: «آداب السلوك، ثمّ آداب السلوك، ثمّ احرق منزلهم اللّعين وحوّله إلى رماد».

أقبضُ على الحصان المجنّح في يدي بينما تعبُر المركبة فوق الريف المرّيخي. أصابع مِن الخضرة تمتدّ فوق الأرض التي عِشتُ كي أحفِرها.

أتساءل: مَن هو غطَّاس جحيم عشيرة لامبدا الآن؟ لوران لا يزال فتيّاً للغاية. بارلو أكبر ممّا ينبغي. كيران؟ إنّه مسؤولٌ أكثر مِن اللّازم: لديه طفلٌ ليحبّه، وقد شهد ما يكفي مِن عائلتنا يموت؛ لا يمتلك الشجاعة للقيام بذلك. لدى ليانا ما يكفي، لكنْ لا يسمحُ للنساء بالحفر. إنّه على الأغلب داين، أخو إيو. متوحّشٌ، لكنّه ليس فطناً بما يكفي. غطَّاس جحيمٍ نموذجيّ. سيموت سريعاً. الفكرة تجعلني أشعر بالسوء.

ليست الفكرة فقط سبب شعوري هذا. أنا متوتّر. أدركُ ذلك ببطءٍ، وأنا أنظر مِن حولي داخل المركبة. ستّة شبّانٍ آخرين يجلسون بصمت. أحدهم فتى نحيل يحدِّق بعيونٍ واسعةٍ، وابتسامةٍ جميلةٍ، يلفت نظري. إنّه مِن النوع الذي لا يزال يضحك لدى رؤيته لفراشة.

- «جوليان». يعلن على نحوٍ لائقٍ، ويأخذني مِن ساعدي. ليس لدينا بيانات لنتبادلها عبر ألواحنا الرقميّة؛ لقد أخذوها منّا لدى صعودنا المركبة؛ لذا عوضاً عن ذلك أقدّم له مكاناً في الجانب المقابل لي: «دارو، اسم مثير للاهتمام جدّاً».

- «هل ذهبت إلى أجيا مِن قبل؟». أسأل جوليان.

- «بالطبع». يقول مبتسماً. إنّه دائم الابتسام: «ما الذي تعنيه بألم تذهب مِن قبل؟ هذا غريب! ظننتُ بأنّني أعرف الكثير مِن الذهبيّين، لكنْ بالكاد تمكَّن بعضهم مِن اجتياز فحص القبول. أخشى أنّه سيكون عالماً مِن الوجوه الجديدة كليّاً. على كلّ حال، أحسدكَ على كونكَ لم تكن في أجيا مِن قبل. إنّه مكانٌ غريبٌ وجميلٌ، لا شكّ في ذلك، لكنّ الحياة هنالك بائسةٌ، هكذا يقولون».

- لكنْ ليس بالنسبة إلينا.

يضحك: «لا أظنّ ذلك. طالما أنّك لا تمارس ألاعيب السياسة».

- «لا أحبّ اللّعب كثيراً». ألحظ ردّ فعله؛ لذا أخفّف مِن جديّتي بغمزة: «إلّا في حال وجود رهانٍ هنالك يا رجُل. إن كنت تفهم ما أعنيه».

- أفهم! ما اللّعبة التي تعجبك؟ الشطرنج الدمويّ؟ الغرافكروس؟

- «أوه! الشطرنج الدمويّ جيّد، لكنّ الحرب الوهميّة هي المفضّلة». أقولها مع تكشيرةٍ ذهبيّة.

- «خاصّةً إن كنتَ مِن مشجّعي نورتاون». يبدي موافقته.

- «ياه!.. نورتاون. لا أدري إن كنّا سنتّفق». أقولها مبدياً نفوراً. أشير إلى نفسي بإصبعي: «يوركتن».

- «يوركتن! لا أدري إن كنّا سنتفق أبداً». يضحك.

على الرغم مِن ابتسامي، إلّا أنّه لا يعلم كم أنا باردٌ في داخلي؛ المحادثة، والسخريات، والابتسامات، كلّها نماذج مِن المخالطة الاجتماعيّة. ماتيو أحسن صنعي، لكنْ علينا أن ننصف جوليان أيضاً، إنّه لا يبدو كوحش.

عليه أن يكون وحشاً.

- «لا بدّ من أنّ أخي قد وصل الآن إلى المعهد. إنّه أصلاً موجود في منزل العائلة في أجيا، ويفتعل المشكلات بلا شكّ». يهزُّ جوليان رأسه بفخر: «أفضل رجُلٍ أعرفه. سيصبح عريفاً، سترى ذلك. إنّه فخر أبينا، ومصدر سعادته، وهذا يعني الشيء الكثير إن أخذنا بعين الاعتبار تعداد أفراد عائلتنا». لا وجود لذرّة غيرةٍ في صوته، الحبّ فقط.

- «عريفاً؟». أسأل.

- أوه! بمصطلحات المعهد؛ إنّه قائد عُصبته.

العُصبة. أعرف ما هي: هنالك اثنتا عشرة منها، مبنيّة نوعاً ما على

الصفات الشخصيّة الأساسيّة. كلّ واحدةٍ منها مسمّاة وفقاً لأحد آلهة البانثيون(*) الرومانيّ. تكون عُصَب المدرسة خارجها بمنزلة أدواتٍ للتواصل، ونوادٍ اجتماعيّة. كن مِن المجتهدين وسيعثرون لك على عائلةٍ قويّةٍ لتخدمها. العائلات هي القوّة الحقيقيّة في الجمعيّة. لديهم جيوشهم الخاصّة، وأساطيلهم، ويسهمون في قوّات الحاكمة المُعظَّمة. الولاء يبدأ بهم. هناك القليل مِن الحُبِّ بين سكّان الكوكب نفسه. إنّهم يشكّلون منافسين على أقلّ تقدير.

- «أيّها الأخرقان، هل فرغتما مِن مداعبة بعضكما؟». ولدٌ عفريتٌ يطلّ ساخراً مِن زاوية المركبة. لونه أسمرُ فاتحٌ لدرجة أنّه يبدو خاكيّاً عوضاً عن ذهبيّ. شفتاه رفيعتان، ووجهه كطير بازٍ متوحّشٍ يتربّص بفأر. إنّه برونزيّ.

- «هل نضايقك؟». لسخريتي لذعة مؤدّبة.

- إن كانت مضاجعة كلبين تضايقني؟ على الأرجح نعم، إن كانا صاخبين.

يقف جوليان: «اعتذر أيّها الوغد».

- «تبّاً لك». يقول الولد الصغير. بنصف ثانية، يسحب جوليان قفّازاً أبيضَ مِن حيث لا أدري: «أبهذا تريد أن تمسح مؤخّرتي أيّها الذهبيّ المخنّث؟».

- «ماذا؟ أيها الوضيع الصغير!». يقول جوليان، وهو مصدوم: «مَن ربّاك؟».

- الذئاب، بعد أن لفظني فَرْجُ أمّك.

(*) Pantheon (أي: معبد كل الآلهة) وهو معبد روماني قديم بناه ماركوس فيسانيوس أغريبا، وتقول بعض الفرضيّات بأنّه مخصّص لعبادة الآلهة الرومانية الاثني عشر. (م).

– أيّها الحقير!

يرمي جوليان القفّاز على الولد الصغير. أراقب، وأنا أقول لنفسي: إنّها قمّة الكوميديا. الولد يبدو كأنّه أُخرِج مباشرةً مِن قطيع ليكوس، عشيرة بيتا على الأغلب. إنّه يشبه لوران القبيح الصغير الانفعاليّ. جوليان لا يعرف ماذا يفعل، لذا قام بالتحدّي.

– تحدٍّ، يا سيّد.

– «مبارزة؟ هل شعرت بالإهانة إلى هذا الحدّ؟». يردّ الولد القبيح على الأمير متذمّراً: «حسناً، سأخيط كبرياء عائلتك المتهتّك بعد العُبور أيّها المخنّث». ينفّ من أنفه بوساطة القفّاز.

– «لماذا ليس الآن أيّها الجبان؟». يصيح جوليان. صدره النحيل منفوخٌ إلى الخارج مثلما علّمه أبوه على الأغلب. لا يمكن لأحدٍ أن يهين عائلته.

– هل أنت غبيّ؟ أترى أيّة شفرةٍ هنا؟ يا لك مِن أحمق! انصرف الآن. ستتبارز بعد العُبور.

– «العُبور...؟». أخيراً يسأل جوليان عن رأيي.

الولد الهزيل يُظهر تكشيرةً خبيثة. حتّى أسنانه بلونٍ خاكي.

– إنّه الاختبار الأخير أيّها الأحمق! والسرّ الأكثر حراسةً، إضافةً إلى الحلقات المحيطة بفَرْجِ أوكتافيا ذهبيّة لونا.

– «إذنْ، كيف سمعت به؟». أسأل.

– «مِن مصادر داخلية». يقول الولد: «وأنا لم أسمع به، أنا أعرفه، يا رأس القذارة الكبير أنت».

اسمه سيفرو، وأسلوبه يروقني.

لكنّ حديثه عن العُبور يقلقني. أدركُ أنّني أعرف القليل فقط، وأنا أستمع إلى جوليان، وهو يخوض في محادثةٍ مع آخر عضوٍ في مركبتنا. إنّهما يتحدّثان عن نتائج اختباريهما. هنالك فارق شاسع بين علامتيهما المنخفضة وعلامتي. ألحظ تذمّر سيفرو عندما قالا علامتيهما بصوتٍ عالٍ. كيف تمكّن متقدّمون بمثل هذه العلامات المنخفضة مِن الوصول إلى هنا؟ ينتابني شعورٌ غريبٌ مِن كلّ هذا. وما علامة سيفرو؟

نصل إلى وادي مارينر مع حلول الظلام. إنّه ندبةٌ مضيئةٌ عملاقةٌ على سطح المرّيخ الأسود، تمتدّ على مدّ البصر. في مركزه تبرز عاصمة كوكبي في اللّيل مثل حديقة سيوفٍ مرصّعةٍ بالمجوهرات. النوادي الليليّة تتألّق على الأسطح، وأرضيّاتُ الرقص مصنوعةٌ مِن هواءٍ مُكثّف. فتياتٌ بالكاد يرتدين الثياب، وفتيانٌ أغبياء يرتفعون وينخفضون مع تلاعب المازج الثقاليّ بالفيزياء. فقاعاتٌ عازلةٌ للضجيج تفصل أحياء المدينة. نحن نعبُرها ونستمع إلى عوالمَ بأصواتٍ مختلفة.

المعهد يقع خلف المناطق الليليّة لأجيا، وشُيِّد ضمن الجدران الجانبيّة لوادي مارينر، التي ترتفع إلى علوّ ثمانية كيلومترات. الجدران ترتفع كأمواج مدٍّ مِن الحجر الأخضر محتضنةً المظاهر الحضريّة، والغطاء النباتيّ. المعهد نفسه مبنيٌّ مِن الحجر الأبيض. إنّه مكانٌ مملوءٌ بالأعمدة والمنحوتات، رومانيّ الطابع حتّى النّخاع.

لم آتِ إلى هنا من قبل، لكنّني رأيت الأعمدة. رأيت مقصد رحلتنا. أشعر بشعورٍ لاذعٍ في داخلي، كأنّ المرارة ترتفع مِن معدتي إلى حلقي، وأنا أفكّر في وجهه. أفكّر في كلماته. عيونه، وهي تتفحّص الحشود. شاهدتُ في مكعّب العرضِ المُجسّم كيف يلقي الحاكِم العامّ خطبته مرّةً

تلو الأُخرى على الصفوف التي سبقتني. قريباً سأسمعها مِن شفتيه بنفسي. قريباً سأعاني غيظاً شديداً. سأشعر بنارٍ لاذعةٍ في قلبي، وأنا أراه شخصيّاً مرّةً أُخرى.

نحطُّ على منصّة إنزالٍ، ونُساق إلى ساحةٍ مفتوحةٍ مِن المرمر، تطلّ على الوادي الفسيح. هواء اللّيل منعش. أجيا تنبسط مِن خلفنا، وبوّابات المعهد تمتدّ مِن أمامنا. أقف مع قرابة ألفٍ مِن ذهبيّي الحواجب، جميعهم يحدّقون بنظراتٍ ملؤها الثقة المتبجّحة لعِرقهم اللّعين! بعضهم تجمّعوا معاً، أصدقاء مِن خارج الجدران البيضاء للمدرسة. لم أكن أتوقّع أن تكون صفوفهم بهذا الحجم.

رجُلٌ ذهبيٌّ طويلٌ محاطٌ مِن جانبيه بسبجيّين، وزمرة مِن المستشارين الذهبيّين يرتفعون بوساطة أحذيتهم الثقاليّة أمام البوّابة. قلبي يصبح بارداً لدى تعرّفي إلى وجهه، وسماعي لصوته، ورؤيتي للبريق في عينيه المسبوكتين.

– «أهلاً وسهلاً بأبناء البريق الذهبيّ». الحاكِم العامّ نيرو ذهبيّ أوغوستوس، يقولها بصوتٍ ناعمٍ نعومة بشرة إيو. لكنّه عالٍ على نحوٍغير طبيعي: «أفترض أنّكم تدركون وقع وجودكم هنا. مِن آلاف المدن المريخيّة. مِن كلّ العائلات العظيمة، أنتم القلّة المختارة. أنتم قمّة الهرم البشريّ. اليوم ستبدؤون معرككتكم للانضمام إلى طبقة النخبة مِن عِرقنا. رفاقكم يقفون مثلكم في معاهد كلٍّ مِن الزهرة، نصفا الكرة الشرقيّة والغربيّة لكوكب الأرض، لونا، أقمار الكواكب الغازيّة العملاقة، أوروبا، النجم العنقوديّ اليونانيّ، النجم العنقوديّ الطروادي، عطارد، كاليستو، المشروع المشترك لإنسيلادوس وسيريس، والروّاد الأوائل في هيلدا البعيدة».

يبدو لي كأنّني منذ يومٍ فقط قد عرفت أنّني كنت مِن روَّاد المرّيخ الأوائل. ومنذ يومٍ فقط عانيت مِن أجل أن تتمكّن البشريّة، المستميتة لمغادرة كوكب الأرض المحتضر، مِن الانتشار نحو الكوكب الأحمر. ياه، كم أجاد حُكَّامي الكذب!

خلف أوغوستوس، عند النجوم، هنالك حركة، لكنْ ليست النجوم هي التي تتحرّك، ولا حتّى الكويكبات، أو المذنّبات. إنّهما الأسطولان: السادس، والخامس. الأساطيل الحربيّة للمرّيخ. ألتقط أنفاسي في صدري. الأسطول السادس تحت قيادة والد كاسيوس، بينما الأسطول الخامس الأصغر فهو تحت القيادة المباشرة للحاكِم العام. معظم السفن مملوكة للعائلات التي تدين بالولاء لكلٍّ مِن عائلتي: أوغوستوس، أو بيلونا.

أوغوستوس يُظهر لنا لماذا نحنُ-هُم يحكمون. ترتعش أواصري. أنا صغيرٌ جدّاً. مليارات الأطنان مِن الفولاذ المقوّى والنانو معدن تتحرّك عبر السماء، وأنا لم أتجاوز الغلاف الجويّ للمرّيخ قطّ. إنّها أشبه بلطخاتٍ فضيّةٍ في محيطٍ مِن الحبر. كلّ أسطولٍ يقوده إمبراتور؛ وكلّ سرْبٍ في الأسطول يقوده بريتور. ما الذي يمكنني فعله بكلّ هذه القوة...؟

أوغوستوس يلقي خطابه بكلّ غطرسة. أبلعُ المرارة في حلقي. كان غضبي يوماً ما ذا طبيعةٍ باردةٍ مكتومةٍ بسبب البُعد المستحيل الذي يفصلني عن أعدائي؛ أمّا الآن، فهو يحترق في داخلي.

- للجمعيّة ثلاث مراحل: الهمجيّة، والهيمنة، والانحطاط. فالعظماء يصعدون بسبب الهمجيّة، ويحكمون في أثناء الهيمنة، ويسقطون بسبب انحطاطهم الذاتيّ.

يخبرنا كيف سقط الفرس، وكيف انهار الرومان؛ لأنّ حُكَّامهم نسوا

كيف أكسبهم أجدادهم الإمبراطوريّة. إنّه يثرثر عن السلالات المُسلِمة الحاكمة، والتخنّث الأوروبيّ، والإقليميّة الصينيّة، والاحتقار، والإخصاء الذاتيّ الأمريكي؛ كلّ الأسماء القديمة.

– مرحلة همجيّتنا بدأت عندما تمرَّدت عاصمتنا لونا ضدّ اضطّهاد كوكب الأرض، وحرّرت نفسها مِن أصفاد الديمقراطيّة، مِن الكذبة النبيلة، مِن مفهوم أنّ البشر إخوة، وخُلقوا متساوين.

أوغوستوس أخذ ينسجُ أكاذيبه الخاصّة بلسانه الذهبيّ. إنّه يتحدّث عن معاناة الذهبيّين. يذكر كيف جلست الجماهير في العربة متوقّعةً أن يقوم العظماء بسحبها. جلسوا يجلدون العظماء إلى أن لم يعد في وسعنا التحمّل أكثر.

أمّا أنا، فأتذكّر نوعاً آخر مِن الجَلد.

– البشر لم يُخلقوا متساوين؛ جميعنا نعلم ذلك. هنالك الوسطيّون، وهنالك المتطرّفون. هنالك القبيحون، وهنالك الجميلون. ما كان ليوجد هذا لو كنّا جميعنا متساوين. لا يمكن لأحمر أن يقود سفينةً فضائيّةً، تماماً مثلما لا يستطيع أخضر أن يعمل كطبيب.

يزداد الضحك في أرجاء الساحة عندما يخبرنا بأن ننظر إلى أثينا المثيرة للشفقة، مولد السرطان الذي يدعونه الديمقراطيّة. انظروا كيف أسقطتها أسبرطة. الكذبة النبيلة جعلت أثينا ضعيفة. جعلت مواطِنيها ينقلبون على أفضل قادتهم، ألكيبيادس؛ بسبب الغيرة.

– حتّى أمم كوكب الأرض راحوا يغارون مِن بعضهم. الولايات المتّحدة الأمريكيّة فرضت مفهوم المساواة بالقوّة، وعندما اتّحدت الأمم، تفاجأ الأمريكيّون عندما وجدوا أنفسهم مكروهين! الجماهير تغار. كم كان ليكون حلماً جميلاً لو أنّ البشر خُلِقوا متساوين! لكنّنا لسنا كذلك.

- إنّ قِتالنا هو ضدّ الكذبة النبيلة. ولكنْ كما قلتُ مِن قبل، وأقول لكم الآن: هنالك شرٌّ آخرُ نحاربه؛ إنّه شرٌّ أكثر خبثاً، إنّه شرٌّ بطيءٌ مدمِّر، إنّه ليس بنارٍ جامحةٍ، إنّه سرطانٌ، وهذا السرطان هو الانحطاط. لقد مرّت جمعيّتنا مِن مرحلة الهمجيّة إلى مرحلة الهيمنة، ولكنْ مثل أجدادنا الروحيّين، الرومان، نحن أيضاً يمكن أن ننحدر نحو الانحطاط.

إنّه يتحدّث عن القرود الماجنة.

- إنّكم أفضل ما أنتجته البشريّة، لكنّكم ذُلِّلتم وعومِلتم كالأطفال. لو ولدتم بلونٍ آخر لكان لديكم بثور. لكان لديكم ندوب. لعرفتم الألم.

يضحك كأنّه يعلمُ الألم. أكره هذا الرجُل!

- «أتظنّون أنّكم تعرفون ما هو الألم؟ أتظنّون أنّ الجمعيّة هي القوّة الحتميّة للتاريخ؟ تظنّون أنّها نهاية التاريخ، لكنّ العديد فكّروا بذلك مِن قبل. العديد مِن الطبقات الحاكمة ظنّت أنّها ستكون الأخيرة، وأنّها بلغت الذروة، لكنّهم نشأوا ليِّنين وبدينين، ونسوا تلك البثور، والجروح، والنّدوب، وشظف العيش، وحافظوا على كلّ نوادي المتعة الباهرة، تلك التي تحبّون أنتم -أيّها الفتية- ارتيادها، وكلّ ذلك الحرير الفاخر، والمجوهرات، والأشياء الخياليّة التي تتطلّبْنَها أنتنّ أيّتها الفتيات في أعياد ميلادكنّ. العديد مِن ذوي البريق الذهبيّ لم يضحّوا؛ لهذا السبب هُم لا يحملون هذه». يُظهر نُدبةً طويلةً على خدّه الأيمن: «أوكتافيا ذهبيّة لونا لديها الندبة نفسها. ندبة الفريد. نحن لسنا أسياد المجموعة الشمسيّة بالولادة. نحن أسيادٌ لأنّنا نحن -الفريدين ذوي الندبة، الذهبيّين الفولاذيّين- مَن جعل الأمر على هذا النحو».

يلمسُ الندبةَ على خدّه. كنت لأمنحه واحدةً أُخرى لو كنت أقرب.

الأطفال مِن حولي يلهثون خلف القذارات التي ينطقُ بها هذا الرجُل كالأكسجين.

- الآن، إنّ الألوان التي تنقّب في هذا الكوكب أصلبُ منكم. إنّهم ولدوا مع البثور، ولدوا مع ندوبٍ وكُره. هُم بصلابة النانو فولاذ. لحُسنِ الحظّ أنّهم أيضاً شديدو الغباء. فعلى سبيل المثال: تلك البيرسيفون التي بلا شكّ سمعتم عنها ليست سوى فتاةٍ بليدةٍ ظنّت بأنّ غناء أغنيةٍ يستحقّ الشنق.

أعضُّ بشدّةٍ على داخل فمي. جلدي يرتعش مِن شدّة الغضب عندما أكتشفُ أنّ زوجتي جزءٌ مِن خطاب هذا اللّعين!

- الفتاة لم تكن حتّى تعرف أنّ الفيديو سيُسرّب، لكنّ رغبتها بالمعاناة وشظف العيش هي التي منحتها القوّة. الشهداء -كما ترون- هُم مثل النحل؛ قوّتهم الوحيدة تأتي مِن موتهم. كم منكم مستعدّ للتضحية بنفسه ليس مِن أجل قتل عدوّه، إنّما لمجرّد إيذائه فقط؟ لا أحد منكم، أراهن على ذلك.

أشعر بطعم الدم في فمي. لديَّ سكّين الخاتم التي أعطاني إيّاها الراقص. لكنّني أنفث غضبي. أنا لست بشهيد. أنا لست انتقاماً. أنا حُلم إيو. مع ذلك، عَدمُ فعل أيّ شيءٍ بينما قاتِلُها يشمت مستمتعاً، يجعلني أشعر بالخيانة.

- «مع الوقت ستحصلون على ندوبكم مِن سيفي». ينهي أوغوستوس: «لكنْ أوّلاً عليكم أن تستحقوها».

17

الانتقاء

- «ابن لينوس وليكسوس ذهبيّي أندروميدوس، كلاهما مِن عُصبة أبولو. هل تحبّذ أن يذكر بأنّك تطلبُ عُصبة أبولو على نحوٍ تفضيلي؟».

يسألني موظّفٌ إداريٌّ مُمِلٌّ ذو بريقٍ ذهبيّ.

ولاء ذهبيّ الحاجب الأوّل هو للّون، ثمّ للعائلة، فالكوكب، وأخيراً للعُصبة. في معظم العُصَب هنالك عائلة واحدة، أو اثنتان قويّتان تسيطران عليها. ففي المرّيخ تؤثّر كلٌّ مِن عائلات: أوغوستوس، وبيلونا، وأركوس، على باقي العائلات.

- «كلّا!». أجيب.

يقلّبُ في لوحه الرقمي: «حسناً إذنْ، كيف تظنّ أنّك أدّيتَ اختبار الذكاء العامّ؟ إنّه اختبار الاستقراء». يوضّح.

- أعتقدُ أنّ نتائجي تتكلّم عن نفسها.

- إنكَّ غيرُ منتبهٍ يا دارو. عليّ أن أسجّل ذلك ضدّكَ. إنّني أطلبُ إليكَ أن تتكلّم على نتائجك.

- أعتقد أنّني أرسلتُ اختبارك إلى الجحيم يا سيّد.

- «أوه!». يبتسم: «في الواقع لقد فعلتَ ذلك. حقّاً فعلت. عُصبة مينيرفا للذكاء قد تكون مناسبةً لك. ربّما بلوتو للخِداع، أو أبولو للتفاخر. نعم. امـمم. حسناً، لديّ اختبارٌ لك. رجاءً، ابْذل كلّ ما بوسعك لإتمامه على أفضل وجه. وسنشرع بالمقابلات بعد انتهائك».

الاختبار سريعٌ، وهو على هيئة لعبة انغماسٍ في الواقع الافتراضيّ. هنالك كأسٌ على تلّةٍ يجب أن أحصل عليها، لكنّ عقباتٍ عديدةً تقف في طريقي. أجتازها بكلّ عقلانيّةٍ ممكنةٍ، محاولاً إخفاء غضبي عندما يقوم جِنيٌّ صغيرٌ بسرقة المفتاح الذي حصلتُ عليه. لكنْ في كلّ خطوةٍ في الطريق، هنالك بعضٌ مِن النكسات والضيق، ودائماً هنالك ما هو غير متوقّع، وخارج حدود الاستقراء. في نهاية المطاف، أصلُ إلى الكأس، ولكنْ فقط بعد قتلِ ساحرٍ مزعجٍ، واستعبادٍ وَحشيٍّ لعِرق الجنّ بوساطة العصا السحريّة لذلك الذي يُدعى ساحراً. كان بوسعي تركُ الجنّ وشأنهم، لكنّهم أزعجوني.

لم يطل الوقت بعدها، حتّى بدأ المُقابِلون بالتوافد على دفعات. يتبيّن لي أنّهم يُدعون بالمُشرِفين. كلّ واحدٍ منهم هو فريدٌ ذو ندبة، يُختارون مِن قِبل الحاكِم العامّ؛ ليقوموا بتعليم الطلّاب وتمثيلهم مِن كلّ عُصبةٍ ضمن المعهد.

مثلما قلت: المُشرِفون مثيرون للإعجاب. هنالك رجُلٌ ضخمٌ ذو ندبةٍ، وشعرٍ كالأسد، ودبّوسٍ على شكل برقٍ مثبّت على ياقته كرمزٍ لجوبيتر، وامرأةٌ رزينةٌ بعينين ذهبيّتين معتدلتين، ورجُلٌ سريع البديهة، مع شعارٍ لقدمين مجنّحتين مثبّت على ياقته. لا يمكنه البقاء جالساً، ووجهه الطفوليّ يبدو منبهراً جدّاً بيدَيّ. يجعلني ألعبُ لعبةً معه حيث يمدّ كلتا يديه، وراحتاهما إلى الأعلى، وأنا أضع يدَيَّ فوقهما، وراحتاهُما إلى

الأسفل. إنّه يحاول ضرب يدَيَّ، لكنّه لا يتمكّن مِن فعل ذلك. يغادر بعد أن ضمّ يديه مصفّقاً، وهو في غاية السعادة.

لقاءٌ غريبٌ آخر يقع عندما يقابلني رجُلٌ جميلٌ ذو شعرٍ ملفوف، مع قوسٍ مثبَّتٍ على ياقته؛ إنّه أبولو. يسألني كم أظنّ أنّني جذّابٌ، ويستاء عندما أكون دون توقّعاته. مع ذلك، أظنّ أنّني أعجبته؛ لأنّه يسألني ماذا أحبّ أن أكون في يومٍ ما.

- «إمبراتور أسطول». أقول.

- «بوسعك القيام بأشياء عظيمة مع أسطول. ولكنّ تصوّرك هذا في غاية الرفعة والسموّ». يتنهّد، مشدّداً على كلّ كلمةٍ بلكنةٍ أشبه بخرخرة القطط: «ربّما سامٍ أكثر ممّا ينبغي بالنسبة إلى عائلتك. ربّما لو لديكَ مُنعِمٌ ذو نسبٍ أفضل. أجل، ربّما حينها قد ينجح الأمر». ثمّ ينظر إلى لوحه الرقمي: «لكنّ هذا مستبعدٌ نظراً إلى مكان ميلادك. أمم. حظّاً موفّقاً».

أجلس وحيداً لقرابة ساعة، إلى أن جاء رجُلٌ متجهّمٌ لينضمّ إليّ. وجهه البائس النحيل حادّ الملامح، لكنْ لديه ندبةٌ، ومقبض شفرةٍ معلّقٌ على خصره. اسمه فيتشنير. هنالك علكة تملأ فمه. البِزّة التي يرتديها سوداء وذهبيّة، وهي -نوعاً ما- تُخفي الكرش البسيط الذي يبرز على الرغم مِن رائحة المستقلبات الخفيفة التي يستهلكها. مثل آخرين كثر، يرتدي شارةً تدلّ على شخصه؛ وهي ذئبٌ ذهبيٌّ برأسين يزيّن ياقته، ويَدٌ غريبةٌ موسومةٌ على أطراف أكمامه.

- «إنّهم يعطونني المتوحّشين المجانين». يقول: «إنّهم يعطونني قتلة عِرقنا، أولئك المملوئين بالفضلات، والنابالم، والخل». يَشمُّ الهواء: «تفوح منك رائحة الفضلات».

لا أتفوّه بأيّة كلمة. يستند إلى الباب، ويعبس، كأنّه مستاءٌ منه بطريقةٍ ما، ثمّ يعود إليَّ، ومن ثمّ يأخذ بالشمّ على نحوٍ غير لائق.

- «المشكلة هي أنّنا نحن -عُصبة مارس- نحترق على الدوام. الأطفال يسيطرون على المعهد في البداية، ثمّ يكتشفون بأنّ النابالم يبقى قرابة...». يفرقع أصابعه. ليس لديّ أيّ جواب. إنّه يتنهّد ويتأوّه في المقعد. وبعد مضيّ مدّةٍ على مراقبتي، يقف ويَلكُمني في وجهي: «إن قمتَ بلكمي، سيعيدونك إلى ديارك أيّها القرد الماجن».

أركله على قصبة ساقه.

راح يعرج مبتعداً، وهو يضحك مثل عمّي نارول الثمل.

لم أُرسَل إلى الديار. عوضاً عن ذلك، أجد نفسي مع مئةٍ آخرين وقد جرى اقتيادنا إلى غرفةٍ كبيرةٍ، بمقاعد عائمةٍ، وجدرانٍ ضخمةٍ، تغلبُ عليها شبكةٌ مِن العاج. الشبكة تشكّل رقعة مربّعةً على الحائط، عشرة صفوفٍ بالطول، وعشرة صفوفٍ بالعرض. أُرفعُ بوساطة مصعد إلى الصفّ الأوسط، نحو خمسين قدماً فوق الأرض. تسعة وتسعون طالباً آخر يُرشَدون إلى الداخل، إلى أن تمتلئ كلّ الصناديق. إنّهم خيرة المحصول، النخبة مِن الطلّاب. أنظر مِن صندوقي، محدّقاً إلى الأعلى. قدما فتاةٍ تتدلّيان مِن الصندوق الذي فوق رأسي. هنالك أرقامٌ وأحرفٌ تظهر أمام صندوقي؛ إنّها إحصائيّاتي. على ما يبدو يفترض أنّني شديد الاندفاع، ولديّ صفات متطرّفة عالية فيما يتعلّق بسرعة البديهة والولاء، وعلى نحوٍ خاصّ الغضب.

هنالك اثنتا عشرة مجموعةً بين الحضور. أفراد كلّ مجموعةٍ يجلسون معاً على مقاعد عائمةٍ حول راياتٍ ذهبيّةٍ منتصبة. مِن بين الرايات التي أراها

تلك التي تحمل رسوماً تمثّل رامياً، وصاعقةً مِن البرق، وبومةً، وذئباً ذا رأسين، وتاجاً مقلوباً رأساً على عقب، ورمحاً ثلاثيّ الشعب. كلّ مجموعةٍ يرافقها مُشرِف. هُم الوحيدون الذين لا يغطّون وجوههم. البقيّة يضعون أقنعةً احتفاليّةً، عديمة الملامح، وذهبيّةً تشبه نوعاً ما حيوانات عُصبِهم. لو كنت أعرف أنّ هذا سيحدث، لكنت أحضرت قنبلةً نوويّة. هؤلاء هُم المُنتقون، رجالٌ ونساءٌ رفيعو المستوى، قادة أسراب، وقادة أساطيل، وأطربونات، وقضاة، وحكّامٌ يجلسون هناك يشاهدونني محاولين انتقاء الطلّاب الجُدد لعُصبتهم، محاولين العثور على شبّان وشابّات بوسعهم اختبارهم ومنحهم إمكانيّة التتلمُذ لديهم. بقنبلةٍ واحدةٍ، كان بوسعي تدمير الأفضل والألمع مِن طبقتهم الذهبيّة الحاكمة. ربّما هذا هو الاندفاع الذي يَنطقُ منّي.

تبدأ عمليّة الانتقاء عندما يقع الخيار الأوّل على ولدٍ عملاقٍ مِن المُعدَّلين وراثيّاً لينضمّ إلى عُصبة صواعق البرق، عُصبة جوبيتر، ثمّ يُختارُ عدّة فتيات وفتيان ذوو جمالٍ غير طبيعيّ، وبراعةٍ جسديّة. يمكنني التخمين فقط بأنّهم عباقرة أيضاً. حان دور الاختيار الخامس. المُقابِل ذو الوجه الطفوليّ، والقدمين المجنّحتين، يحلّق نحوي بوساطة حذائه الذهبيّ. بعض المُنتقين مِن عُصبة ميركوري يحلّقون برفقته. يتحدّثون بصوتٍ خافتٍ فيما بينهم قبل أن يبدأوا بطرح الأسئلة عليّ.

– مَن هما والداك؟ ما إنجازات عائلتيهما؟

أخبرهم عن عائلتي المزيّفة المتواضعة. واحدٌ منهم يبدو أنّ لديه انطباعاً جيّداً جدّاً عن قريبٍ ما لي متوفّى منذ مدّةٍ طويلة، ولكنْ على الرغم مِن معارضة المُشرِف، يقومون بالتخلّي عنّي لصالح طالبٍ آخر مِن عائلةٍ تملك تسعين منجماً، وحصّةً في إحدى قارّات المرّيخ الجنوبيّة.

المُشرِف مِن عُصبة ميركوري أخذ يشتُم ويلعن، وأظهر لي ابتسامةً سريعة.

- «أتمنّى أن تبقى متاحاً في الجولة القادمة». يقول.

بعدها تُنتقى فتاةٌ رقيقةٌ ذات ابتسامةٍ ساخرة. بالكاد أحافظ على تركيزي، وبين الحين والآخر يصعب معرفة على مَن وقع الاختيار. لقد رُتِّبْنا بطريقةٍ غريبة. في الجولة العاشرة، المُشرِف الذي ضربني خلال المقابلات يحلِّق باتّجاهي. هنالك عدم إجماع بين المُنتقين. لديّ اثنان مِن المؤيّدين المتحمّسين لي: أحدهما فتاةٌ طويلةٌ كأوغوستوس، لكنّ شعرها ينساب بثلاث ضفائر ذهبيّة على طول ظهرها، والثاني عريض المنكبين ليس طويلاً جدّاً، وهو كبيرٌ في السنّ. يمكنني معرفة ذلك مِن الندوب والتجاعيد على يديه الثخينتين. اليدين اللّتين تحملان خاتم الخَتمِ لفارسٍ أولمبيّ. عرفته على الفور حتّى مِن دون رؤية وجهه. لورن ذهبيّ أركوس، فارس الغضب، ثالث أعظم رجُلٍ على المرّيخ، ذاك الذي اختار خدمة الجمعيّة مِن خلال صون اتّفاقيّتها، عوضاً عن السعي إلى أعلى المناصب السياسيّة. عندما يشيرُ إليّ، يكشِّر فيتشنير.

أنا الخيار العاشر، العاشر مِن أصل ألف.

18

زملاء الدراسة

أشعرُ بانقباضٍ في معدتي، وأنا أمشي مع الجَمع الثرثار إلى قاعة الطعام ذات الحجم الهائل، مع أرضيّةٍ وأعمدةٍ مِن الرخام الأبيض، وسماءٍ مُجسَّمةٍ تعرض صور الطيور، وهي تطيرُ عند غروب الشمس. المعهد ليس كما توقّعته. بالنسبة إلى أوغوستوس، الدروس ستكون صعبةً على تلك الآلهة الصغيرة. أضحكُ ساخراً. لو نجعل دفعتهم هذه تقضي سنةً في المناجم.

هنالك اثنتا عشرة طاولةً، كلّ واحدةٍ منها تتّسع لمئة مكانٍ للجلوس. أسماؤنا تحوم فوق المقاعد على شكل أحرف ذهبيّة. اسمي يحوم إلى الجانب الأيمن مِن رأس الطاولة. إنّه مكانٌ مميّز. الخيار الأوّل. إلى اليمين مِن اسمي يحوم عودٌ واحد. وعلى يساري يحوم 1- أوّل مَن يحصل على خمسة عيدان يصبح عريف عُصبته. كلّ عود هو بمنزلة مكافأة استحقاق. مِن الواضح أنّ نتيجة اختباري العالية هي أولى استحقاقاتي.

- «رائع! البتّار يتصدّر السباق نحو الفوز بمنصب العريف». يقولها صوتٌ مألوف؛ إنّها الفتاة مِن الامتحان. أقرأ اسمها. أنطونيا ذهبيّة

سيفيروس. مظهرها جميلٌ وقاسٍ، عظام وجنتين عالية، وابتسامةٌ متكلّفة، مع ازدراءٍ في عينيها. شعرها طويل، وكاملٌ، وذهبيٌّ كلمسةٍ مِن ميداس(*). ولِدَت لتَكرَه، ولتكون مَكروهة. بجانب اسمها تحوم 5- إنّها ثاني أقرب نتيجة إليّ على الطاولة. كاسيوس الفتى الذي قابلته في أثناء الاختبار، يجلس على نحوٍ قطريٍّ على الطرف المقابل لي. ابتسامته العريضة تجعل 6- تلمع بقربه. يمرّر يده عبْر تجاعيد شعره.

فتى آخر يجلس على الطرف المقابل لي مباشرةً؛ 1- وعودٌ ذهبيٌّ يحومان حول اسمه. في حين أنّ كاسيوس يتكئ في جلسته، هذا الفتى، بريام، يجلس منتصباً كالنصل. ملامح وجهه إلهيّة. عيونه متأهّبة. شعره مصفّف. إنه في مثل طولي، لكنّه عريض المنكبين. لا أعتقد أنّني رأيت كائناً بشريّاً بمثل هذا الكمال مِن قبل. أشبه بتمثالٍ لعين! اكتشف أنّه لم يكن موجوداً في عمليّة الانتقاء. إنّه ما يطلقون عليه اسم المقدَّم؛ لا يمكن أن يخضع للانتقاء. والداه هُما مَن يختاران عُصبته. لاحقاً أكتشف لماذا؛ فوالدته الفضائحيّة حاملة راية عائلة بيلونا، تملكُ قمرَيْ كوكبنا.

- «القدر يجمعنا مجدّداً». يقولها لي كاسيوس ضاحكاً: «وأنطونيا. يا حبّي! يبدو أنّ والِدينا تآمرا ليضعانا بجانب بعضنا».

تردّ أنطونيا باستهزاء: «ذكّرني أن أرسل إليه تشكّراتي».

- «طوني! لا داعي لأن تكوني بغيضة». يلوح بإصبعه: «ردّي عليّ بابتسامةٍ مثل فتاةٍ مطيعة».

تِظهرُ له حركةً بذيئةً بأصابعها: «بل أفضّل رميكَ من النافذة يا كاسي».

(*) ملك في الأساطير الإغريقيّة كان له قدرة على تحويل أي شيء يلمسه إلى ذهب. (م).

- «أوه!». كاسيوس يرسل إليها قبلة. تتجاهلها: «حسناً يا بريام، أعتقد بأنّه سيتوجّب علينا اللّعب بلطفٍ مع هؤلاء الحمقى، أليس كذلك؟».

- «ياه! إنّهم يبدون مِن الصنف الجيّد بالنسبة إليّ». يردُّ بريام بتكلّف: «أتخيّل أنّنا سنشكّل مجموعةً جيّدةً جدّاً».

إنّهم يتكلّمون بلغة الطبقة العليا.

- «إن لم تسحبنا حثالة عمليّة الانتقاء إلى القاع، يا سيّدي». يشير إلى الجانب البعيد مِن الطاولة، ويبدأ بإطلاق الأسماء عليهم: «المُتجهِّم؛ لأسبابٍ واضحة. المُهرِّج؛ بسبب ذلك الشعر السخيف المنفوش. الحشيشة؛ بسبب.. حسناً، لأنّه هزيل. أوه! أنتِ، أنتِ الشوكة؛ لأنّ أنفكِ يبدو معقوفاً مثلها. و... تلكَ الضئيلة إلى اليمين مِن الزميل الذي يبدو كبرونزيّ، تلكَ هي الحصوة».

- «أظنّ أنّهم سيفاجئونك على الأغلب». يقول بريام مدافعاً عن الجانب البعيد مِن الطاولة: «قد لا يكونون في مثل طولنا، أو بنيتنا، أو حتّى ذكائنا أنا وأنت، إن كان فعلاً يمكن للذكاء أن يُقاس بوساطة ذلك الاختبار، ولكنْ أظنّ أنّه لن يكون في ذلك نوع مِن الإحسان أن يقال بأنّهم سيكونون عماد مجموعتنا. ملح الأرض إن شئت. صنف جيّد».

على الجانب الآخر تماماً مِن الطاولة أرى الولد الصغير مِن المركبة، سيفرو. ملح الأرض لا يكوِّن صداقات. ولا حتّى أنا. كاسيوس يحدّق في 1- خاصّتي. أرى فيه إقراراً بأنّ بريام قد يكون أحرز نتيجة أفضل منه، لكنْ فيما يتعلّق بي فإنّ كاسيوس يبذل جهده لكي يؤكّد أنّه لم يسمع بوالديّ قطّ.

- «حسناً، يا عزيزي دارو، كيف تمكّنتَ مِن الغش؟». يسأل، وأنطونيا

تبعِدُ ناظريها عن محادثتها أريا: إنّها فتاةٌ صغيرةٌ مصنوعةٌ مِن شعرٍ مجعّدٍ وغمّازات.

- «أوه! كفى يا رجُل». أضحك: «لقد أرسلوا إليّ ضَبطَ الجودة. كيف كنت لأغش؟ مستحيل! هل غششت أنت؟ نتيجتك عالية».

أتحدّث بلغة الطبقة الوسطى. إنّها مريحةٌ أكثر مِن لغة الطبقة العليا التي يثرثر بها ذلك النكرة بريام.

- «أنا؟ أغش! لا. فقط لم أحاول بما فيه الكفاية على ما يبدو». يردّ كاسيوس: «لو كنتُ صافيَ الذهن، لقضيتُ وقتاً أقلّ مع الفتيات، وأكثر في الدراسة، مثلك».

إنّه يحاول إخباري أنّه لو بذلَ جهداً أكثر، لكان حصل على نتيجةٍ جيّدةٍ أيضاً، لكنّه مشغولٌ جدّاً ليبذل مثل هذا الجهد. إن أردتُ كسبهُ كصديق عليّ أن أظهِرَ بأنّني أصدِّق ذلك.

- «وهل درست؟». أسأل. أشعر فجأةً بحاجةٍ ملحّةٍ لإحراجه: «أنا لم أدرس على الإطلاق».

يتجمّد الجوّ.

ما كان عليّ قول ذلك. معدتي تتشقلب. آداب السلوك.

وجه كاسيوس يعتريه الغضب، وأنطونيا تبتسمُ بتصنّع. لقد أهنتُه. بريام يتجهّم. إن كنتُ أريد أن يكون لي مستقبل مهنيّ مع الأسطول، عندها على الأغلب أنا في حاجةٍ إلى رعايةٍ مِن والد كاسيوس ذهبيّ بيلونا، ابن الإمبراتور. ماتيو غَرسَ ذلك بي. كم مِن السهل نسيان ذلك! الأسطول موجود حيث توجد القوّة. الأسطول، أو الحكومة، أو الجيش. وأنا لا أحبّ الحكومة، ناهيك عن أنّه بمثل هذا النوع مِن الإهانات تبدأ

المبارزات. الخوف يَقطِر على طول ظهري مدركاً كم هو رفيع الخطّ الذي عليّ عدم تجاوزه. كاسيوس يجيد المبارزة؛ أمّا أنا ومع كلّ مهاراتي الجديدة، فلا أجيدها. سيمزّقني إلى أشلاء، ويبدو الآن أنّ لديه رغبة للقيام بذلك.

- «أنا أمزح». أحني رأسي باتّجاه كاسيوس: «هيّا يا رجُل! كيف لي أن أحرز نتيجةً عاليةً كهذه مِن دون أن أدرس حتّى تنزف عيوني؟ يا ليت كان بوسعي قضاء وقتٍ أكثر بالتسكّع مثلك. في نهاية الأمر لقد وصلنا إلى المكان نفسه. كلّ تلك الدراسة لم تصنع لي أيّ فرق».

يومئ بريام موافقاً على عرض الصلح هذا.

- «أراهن بأنّه كان عملاً شاقّاً». يقول كاسيوس متبجّحاً، ويميل برأسه موافقاً على أسلوبي العجيب بالاعتذار. توقّعتُ أن تنطلي اللّعبة عليه. ظننتُ بأنّ غروره سيعميه عن اعتذاري المفاجئ؛ الذهبيّ قد يكون مغروراً، لكنّه ليس غبيّاً. لا أحد منهم كذلك. عليّ تذكّر هذا.

بعدها جعلت ماتيو فخوراً بي. أغازل فتاةً تدعى كوين، وأصادق كاسيوس وبريام، وأمازحهما، بريام الذي لم يشتم على الأغلب في حياته قطّ، وأمدُّ يدي إلى وحشٍ طويلٍ يدعى تيتوس، ذي رقبةٍ ثخينةٍ كفخذي. أضغطُ بشدّةٍ متعمّداً. يتفاجأ عندما أكاد أكسر يده، لكنّ قبضته اللّعينة قويّة للغاية. هذا الفتى أطول حتّى منّا أنا وكاسيوس، ولديه صوتٌ مثل صوت العمالقة، لكنّه كشّر عندما أدرك أنّ قبضتي على الأقلّ أقوى مِن قبضته. على أيّة حال، هنالك شيءٌ غريبٌ في صوته، شيءٌ مُتكبّرٌ بلا ريب. هنالك أيضاً فتى كالريشة يدعى روكي، ذو هيئةٍ وحديثٍ يليق بشاعر. ابتساماته بطيئة، قليلة، ولكنْ صادقة. أمرٌ نادر.

- «كاسيوس!». ينادي جوليان. يقفُ كاسيوس، ويعانق توأمه الأنحف والأجمل. لم أربط الأمور ببعضها مِن قبل، لكنّهما شقيقان توأمان، لكنْ ليسا بتوأمين حقيقيّين. جوليان قد سبق أنْ قال بأنّ أخاه موجودٌ في أجيا مِن قبل.

- «إنّ دارو ليس كما يبدو عليه هنا». يخبر جوليان الطاولة، ووجهه يكتسي بجديّة. إنّ لديه موهبةً في الاستعراض المسرحيّ.

- «أنت لا تقصد بأنّه...». يضع كاسيوس يده على فمه.

أصابعي تتلمّس سكّين اللّحم على مائدتي.

- «نعم». يومئ جوليان بجديّة.

- «كلّا!». يهزُّ كاسيوس رأسه: «لا تقل بأنّه يُشجِّع يوركتن! جوليان، قل لي بأنّه ليس كذلك. دارو، دارو! كيف يمكنك ذلك؟ إنّهم لم يربحوا مباراةً قطّ. بريام أتسمع ذلك؟».

أرفع يدَيّ إلى الأعلى معتذراً: «أعتقدُ بأنّها لعنة الولادة. أنا نِتاجُ نشأتي. أنا أشجّع المخفقين». أتمكّن مِن قول ذلك بلا سخرية.

- لقد اعترف لي بذلك في المركبة.

جوليان يفتخر بمعرفتي. فخورٌ بأنّ أخاه يعرف بأنّه يعرفني. إنّه يتطلّعُ إلى موافقة كاسيوس. كاسيوس لا يغفل عن ذلك أيضاً؛ يمنحهُ إطراءً بسيطاً، ويغادر جوليان مكان المختارين الأوائل ليعود إلى مقعده بين المختارين الأواسط في منتصف الطاولة، مع ابتسامةٍ راضيةٍ، وكتفينْ مشدودين. لم أكن أعتقد بأنّ كاسيوس مِن ذلك النوع.

مِن بين أولئك الذين التقيتهم، فقط أنطونيا تكرهني على نحوٍ صريح. إنّها لا تنظر إليّ مثل البقيّة على الطاولة. أشعرُ بأنّها تبدي لي نوعاً مختلفاً

مِن الازدراء. بلحظة تضحك، تغازل روكي، ومِن ثمّ تشعر بنظراتي، فتتجمّد. الشعور متبادل.

غرفتي كأنّها مِن الأحلام: خطوطٌ ذهبيّةٌ تزيّن النافذة التي تطلّ على الوادي. السرير مزدانٌ بملاءةٍ ولحفٍ مِن الحرير والساتان. أستلقي عليه مع قدوم مُدلّكةٍ وَرديّةٍ بقيَت لساعةٍ تعجن عضلاتي. بعدها تأتي ثلاث وَرديّات رشيقات القِوام ليلبّين رغباتي. أرسلهنّ عوضاً عن ذلك إلى غرفة كاسيوس. للحدّ والتخفيف مِن الإغراء، آخذ حمّاماً بارداً، وأغمس نفسي في تجربة واقعٍ افتراضيٍّ مُجسَّمٍ لحفَّارٍ في مستوطنة كورنث للتنقيب. غطَّاس الجحيم في تجربة الواقع الافتراضيّ المُجسَّم أقلّ براعةً ممّا كنت عليه، لكنّ الجلجلة، والحرارة، والظلمة، وأفاعي الحُفَر التي تُحاكى يهدّئونني لدرجةٍ جعلتني ألفُّ خرقتي القرمزيّة القديمة حول رأسي.

يحضرون المزيد مِن الطعام. أوغوستوس كان كثير الكلام، ولم يتفوّه سوى بالمبالغات. أهذه هي نسختهم مِن شظف العيش! أشعرُ بالذنب، وأنا أغفو بمعدةٍ مملوءةٍ، ممسكاً بالقلادة التي تحتوي على زهرة إيو في داخلها. عائلتي ستخلد إلى النوم جائعةً الليلة. أهمسُ باسمها. أخرِجُ رِباط الزواج مِن جيبي وأُقبّله. أشعرت بالألم؟ لقد سرقوها. لكنّها سمحَت لهم بذلك. لقد تركتني، تركتني مع الدموع والألم والشوق، لقد تركتني لتمنحني الغضب، وليس بمقدوري إلّا أن أكرهها للحظةٍ، ولو أنّه بعد تلك اللحظة لا يوجد سوى الحُبّ.

- «إيو». أهمسُ وأغلقُ القلادة.

19

العُبور

أتقيّأ، وأنا أستيقظ. قبضة ثانية تضربُ معدتي الممتلئة، ثمّ ثالثة. أصبحَت معدتي فارغةً، ورحتُ ألتقط أنفاسي. أسعل غارقاً في قيئي وأتخبّط. أحاول الاندفاع بعيداً، لكنّ يد رجُلٍ تمسكُ بي مِن شعري، وترمي بي إلى الحائط. يا إلهي، اللّعنة كم هو قويّ، ولديه أصابع إضافيّة! أمدُّ يدي إلى سكّين الخاتم التي لديّ، لكنّهم كانوا قد شرعوا بجرِّي إلى الرواق. لم أعامل بمثل هذه القوّة مِن قبل، حتّى جسمي الجديد لا يسعه التعافي مِن ضرباتهم. هنالك أربعة منهم يرتدون السواد، إنّهم الغربان، القتلة. لقد اكتشفوا أمري. يعرفون ماذا أكون. لقد انتهى الأمر. كلّ شيءٍ انتهى. وجوههم عبارة عن جماجم خالية مِن أيّ تعبير، مجرّد أقنعة. أسحبُ السكّين التي أخذتها عند العشاء مِن خصري، وأهمُّ بطعن واحدٍ منهم في فَرْجِه، عندها ألمحُ بريقاً ذهبيّاً على معاصمهم فيضربونني إلى أن أفلت السكّين. إنّه اختبار. هجماتهم على مَن يعلوهم لوناً مُصادقٌ عليها مِن قِبَلِ مَن أصدر لهم الأساور. لم يكتشفوا أمري على الإطلاق. إنّه اختبار. هذا كلّ ما في الأمر. إنّه اختبار.

كان بوسعهم استخدام الصواعق. هنالك سببٌ للضرب. إنّه شيءٌ

معظم الذهبيّين لم يختبروه قطّ؛ لذا أنتظر. أتكوّر وأتركهم يضربونني. عندما أمتنع عن المقاومة، يظنّون بأنّهم أتمّوا عملهم. نوعاً ما نعم؛ فلقد أوسعوني ضرباً مبرحاً إلى أن شعروا بالرضا عن عملهم.

أُجرُّ عبر الرواق مِن قِبل رجالٍ بطول ثلاثة أمتارٍ تقريباً. يُحشَر رأسي في كيس. يتجنّبون استخدام التقنيّات كي يخيفوني. أتساءل: كم مِن هؤلاء الأولاد قد شعر بمثل هذه القوّة البدنيّة مِن قبل؟ كم منهم تعرّض لمثل هذا التجريد مِن الصفات الإنسانيّة مِن قبل؟ وهُم يجرّونني أشعر برائحة الموت والبول تفوح مِن الكيس. أبدأ بالضحك. إنّه أشبه ببزّة شوائي اللّعينة! حينها تُضرب قبضة صدري، فألتوي لاهثاً.

لا بدّ من أنّ في داخل القلنسوة جهازاً صوتيّاً مُثبّتاً؛ فأنا لا أتنفّس بشدّة، لكنّ أنفاسي تُسمَع بصوتٍ أعلى بكثيرٍ ممّا يجب. هنالك أكثرُ مِن ألف طالب. المفترض أنّ العشرات منهم يعانون في هذا الوقت المصيرَ ذاته، مع ذلك لا أسمع شيئاً. إنّهم لا يريدونني أن أسمع أصوات الآخرين. يُريدون أن أعتقد أنّني وحْدي، أنّ لوني لا معنى له. لكنْ على نحوٍ مدهشٍ، أجد نفسي أشعر بالإهانة لتجرّئهم على مهاجمتي. ألا يعرفون أنّني ذهبيٌّ لعين؟ أكتم ضحكتي. يا لها مِن حِيلٍ مؤثّرة!

أُحمَل إلى الأعلى، ثمّ يُلقى بي بقوّةٍ على الأرض. أشعر برجّةٍ، ورائحةٍ تشبه رائحة العادم، ثمّ لم يطل الأمر لأجد نفسي في الهواء. شيءٌ ما في الكيس يغطّي رأسي، يشوّشني ويفقدني حسّ الاتّجاه. لا أستطيع معرفة الجهة التي نطير باتّجاهها، ولا كم نرتفع. صوت أنفاسي الخشنة أصبح فظيعاً. أظنّ أنّ الكيس أيضاً يقوم بتنقية الهواء مِن الأكسجين؛ لأنّني بدأت أعاني تسارعاً في التنفّس. مع ذلك لم يكن الأمر بسوءِ بِزّة الشواء.

لاحقاً، بعد ساعة، أو اثنتين، نحطُّ على الأرض. يسحبونني مِن كعبي.

رأسي يرتطم بالأرض مسبّباً لي الضيق. لا يمضي وقتٌ طويلٌ بعدها، ويقومون بخلع الكيس مِن رأسي في غرفةٍ حجريّةٍ فارغةٍ مضاءةٍ بضوءٍ وحيد. هنالك شخصٌ آخر موجودٌ أيضاً. يجرّدني الغربان مِن ملابسي، وينزعون عنّي قلادة الحصان المجنّح الثمينة، ثمّ يغادرون.

- «ألا تشعرُ بالبرد هنا يا جوليان؟». أضحكُ ضحكةً مكتومةً، وأنا أنهض، مرخياً يدي اليسرى الممسكة بعُصابة عَرَقِ غطّاس الجحيم القذرة. يتردّد صدى صوتي. كلانا عاريان. أتظاهرُ بأنّني أعرج على قدمي اليمنى. أعرف ما سيكون هذا.

- «دارو، هل هذا أنت؟». يسأل جوليان: «هل أنت بخير؟».

- «أنا بأفضل حال، على الرغم مِن أنّهم سحقوا قدمي اليمنى». أكذب.

ينهض هو أيضاً، دافعاً نفسه إلى الأعلى بيده اليسرى؛ إنّها يده المهيمنة. يبدو طويلاً وهشّاً في الضوء، مثل قشّةٍ مُقوّسة. لقد تعرّضتُ لركلاتٍ ولكماتٍ أكثر منه، أكثر بكثير. ربّما أضلاعي مكسورة.

- «ماذا تظنّ هذا؟». يسأل.

- مِن الواضح أنّه العُبور.

- لكنّهم كذبوا! لقد قالوا بأنّه سيكون غداً.

يصدرُ الباب الخشبيّ الثخين ذو المفصلات الصدئة صريراً، ليتقدّم المُشرِف فيتشنير إلى الداخل، وهو يفرقع بالوناً مِن العلكة.

- «أيّها المُشرِف! لقد كذبتم علينا يا سيّدي». يحتجّ جوليان. يزيح شعره الجميل إلى الخلف بعيداً عن عينيه.

حركات فيتشنير ثقيلة، لكنّ عينيه مثل القطط: «الكذب يحتاج إلى كثير مِن الجهد». يهمهم بفتور.

- «حسناً... كيف تجرؤ على معاملتنا هكذا!». ينفجر جوليان: «مِن المؤكّد أنّك تعرف مَن هو أبي. وأمّي ليغاتوس. خلال لحظات بإمكاني اتّهامك بالاعتداء. وقد آذيت قدم دارو».

- «إنّها الواحدة صباحاً، أيّها الأحمق؛ إنّه الغد». فيتشنير يفرقع بالوناً آخر مِن العلكة: «كما أنّكما اثنان هنا. لكنْ مع الأسف، هنالك مكانٌ واحدٌ فقط متاحٌ في صفّكما». يقوم برمي خاتمٍ ذهبيٍّ عليه شعار ذئب مارس مع الدرع النجميّ للمعهد على الأرض الحجريّة القذرة: «بإمكاني جعل ذلك أكثر غموضاً، لكنْ يبدو أنّكما غلامان بِلُبٍّ أملس. واحد منكما فقط سيخرج حيّاً».

يغادر مِن حيث أتى. يصدر الباب صريراً يعقبه صوت إطباقٍ مُدوٍّ. يجفل جوليان مِن شدّة الصوت؛ أمّا أنا، فلا. كلانا يحدّق في الخاتم، وراح ينتابني شعورٌ سيّئٌ بأنّني الوحيد في هذه الغرفة المُدرِك لما حدث في الحال.

- «ماذا يعتقدون أنّهم يفعلون؟». يسألني جوليان: «هل يتوقّعون منّا أن...».

- «يَقتُل كلانا الآخر؟». أتمّم على الرغم مِن العقدة التي في حلقي: «نعم، هذا ما يتوقّعونه». أكوِّرُ قبضتيّ، ما يجعل رباط زواج إيو يضغط بشدّةٍ على إصبعي: «إنّني أعتزم لبس هذا الخاتم يا جوليان، هل ستدعني أحصل عليه؟».

إنّني أضخم منه. لست بطوله، لكنْ هذا لا يهمّ. ليس لديه أيّة فرصة.

- «عليّ أن أحصلَ عليه يا دارو». يهمهم. ينظرُ إلى الأعلى: «أنا مِن عائلة بيلونا. لا يمكنني العودة إلى الديار مِن دونه. هل تعرف مَن نحن؟

يمكنكَ العودة إلى ديارك مِن دون أن تشعر بالخزي والعار؛ أمّا أنا، فلا أستطيع. أحتاج إليه أكثر منك».

– لن نعود إلى الديار يا جوليان. واحدٌ فقط سيخرج حيّاً. لقد سمعته.

– «لن يقوموا بفعل ذلك...». إنّه يحاول.

– كلّا!

– أرجوك. أرجوك يا دارو. اذهب إلى ديارك فحسب. أنت لا تحتاج إليه مثلي. أنت لا تحتاج إليه. كاسيوس... سيشعر بخزي وعار كبيرين إن لم أتمكّن مِن الحصول عليه. لن أتمكّن مِن النظر إليه. كلّ فردٍ مِن عائلتي مِن ذوي الندبة. أبي إمبراتور، إمبراتور! إن لم يتمكّن ابنه حتّى مِن اجتياز مرحلة العُبور... ماذا سيظنّ جنوده؟

– سيظلُّ يحبّك. أبي كان ليفعل ذلك.

يهزُّ جوليان رأسه. يأخذ نفساً، ويقف منتصباً.

– أنا جوليان ذهبيّ بيلونا مِن عائلة بيلونا يا سيّدي.

لا أريد فعل ذلك. ليس بوسعي شرح كم أكره إلحاق الأذى بجوليان، ولكنْ متى كان لما أريد أيّة أهميّة؟ قَومي يحتاجون إلى هذا. إيو ضحّت بسعادتها وحياتها. بإمكاني التضحية برغباتي. بإمكاني التضحية بهذا الأمير الهزيل. بإمكاني حتّى التضحية بروحي.

أخطو نحو جوليان.

– «دارو...». يهمهم.

– دارو كان لطيفاً في ليكوس.

أمّا أنا، فلا. أكره نفسي لذلك. أظنّ أنّني أبكي؛ لأنّني لا أستطيع الرؤية بوضوح.

قواعد المجتمع، وسلوكه، وأخلاقه، تتنحّى جانباً. كلّ ما يتطلّبه الأمر غرفةٌ حجريّةٌ، وشخصان يريدان الشيء النادر نفسه. مع ذلك، هذا التحوّل ليس آنياً. حتّى مع لكمي لجوليان على وجهه، وتلطيخ دمائه لمفاصل أصابعي، لم يكن ذلك قتالاً. الغرفة هادئة. إنّه أمرٌ محرج. أشعر بأنّني وقحٌ عندما أضربه، كأنّني أمثّل. الحجارة باردةٌ تحت قدمَيّ. أشعر بوخزات في جلدي، وأصداء أنفاسي تتردّد.

يريدون منّي أن أقتله؛ لأنّه لم يحقّق علامةً جيّدةً في اختباراتهم. هذا عدم تكافؤ. أنا مِنجَلُ داروين. الطبيعة، وهي تفصل الحبوب عن القشّ. لا أعرف كيف أَقتُل. لم أقتُل إنساناً مِن قبل. ليس لديّ نصل، ولا هراوة، ولا حرّاق. يبدو مِن المستحيل أن أتمكّن مِن جعل هذا الفتى -ذي اللّحم والعضلات- ينزف حتّى الموت بيدَيّ فقط. أريدُ الضحك، وجوليان يفعل ذلك. أنا طفلٌ عارٍ، أَصفعُ طفلاً عارياً آخرَ في غرفةٍ باردة. ارتباكه جَليّ. قدماه تتحرّكان كأنّه يحاول تذكّر رقصة، ولكنْ عندما يصل مرفقاه إلى مستوى نظري، ينتابني الذعر. لا أعرف كيف يقاتل. إنّه يهجم بتراخٍ بأسلوبٍ فنيٍّ أجنبيّ. إنّه متردّدٌ وبطيء، لكنْ بقبضته الخجولة يصيبني في أنفي.

يمتلكني الغضب.

وجهي يتخدَّر، وقلبي يصدَح. إنّه في حلقي، وعروقي تتفجّر.

أكسر أنفه بضربةٍ مباشرة. يا إلهي كم أنّ يديّ قويّتان!

يتأوّه، وينحني نحوي ممسكاً بذراعي مِن زاويةٍ غريبة. يخلعها. أستخدم جبهتي. أصيبه مباشرةً في جسر أنفه. أجذب مؤخّرة عنقه، وأضربه بجبهتي مرّةً أُخرى. لا يمكنه الإفلات. أفعلها مجدّداً. شيءٌ ما

يتهشّم. الدماء والعَرقُ يرغيان في شعري. أسنانه تُقطّع فروة رأسي. أتراجع إلى الخلف كأنّني أرقص، ألتفّ على قدمي اليسرى مترنّحاً نحو الأمام، وبكلّ ثقلي أضربه بقبضتي اليمنى على صدره. مفاصل أصابع غطّاس الجحيم التي لدَيّ تُحطّم عظم القص المقوّى الذي لديه.

هنالك لهاثٌ مع صفيرٍ حادّ، وصوت فرقعةٍ مثل تكسّر الأغصان.

ينهار إلى الخلف ليسقط على الأرض. أشعر بدوارٍ؛ نتيجة ضربي له بجبهتي. أرى كلّ شيءٍ باللّون الأحمر. أرى كلّ شيءٍ مضاعفاً. أتقدّم متعثّراً نحوه. الدموع تنهمر على وجنتَيّ. إنّه ينازع. عندما أمسكتُ بشعره الذهبيّ، كان قد أصبح خائر القوى، مثل ريشةٍ ذهبيّةٍ رطبة. الدماء تندفع مِن أنفه. إنّه ساكن. لم يعد يتحرّك. لم يعد يبتسم.

أنطقُ متمتماً اسم زوجتي، وأنا أسقط على ركبتَيّ لأحتضن رأسه. وجهه أصبح أشبه بزهرةٍ دمويّة.

الفصل الثالث

الذهبيّون

«هذا نصلكَ المِنجَليّ، يا بني.

سيكشط عروق الأرض من أجلك. سيقتل أفاعي الحُفَر.

حافظ عليه حاداً، وفي حال عِلقتَ في الحفّار،

سينقذُ حياتك مقابل طَرَفٍ مِن أطرافِك».

هكذا قال عمّي.

20

عُصبة مارس

هنالك سكونٌ في روحي، وأنا أنظر إلى الفتى المحطّم. حتّى كاسيوس ما كان ليتعرَّف إلى جوليان الآن. هنالك فراغٌ حُفِر في قلبي. يداي ترتعشان، والدم يقطر منهما على الحجر البارد. أنهارٌ مِن الدم تنساب فوق شعارَيّ الذهبيّين على يدَيّ. أنا غطّاس جحيم، لكنّ الشهقات تأتي على الرغم مِن اختفاء الدموع. دمه يسيل مِن ركبتي على قصبتي الخالية مِن الشعر. إنّه أحمر. ليس ذهبيّاً. ركبتاي تشعران بالحجر، وجبهتي تلامسه، وأنا أشهق إلى أنْ ملأ الزفير صدري.

عندما أرفع ناظري، إنّه لا يزال ميّتاً.

هذا ليس صائباً.

ظننتُ أنّ الجمعيّة تلعب الألعاب فقط مع عبيدها. أنا مخطئ؛ لم تكن العلامة التي أحرزها جوليان في الاختبارات مثل علامتي. لم تكن لديه المقوّمات الجسديّة التي لديّ؛ لذا كان كبش فداء. مئة طالبٍ لِكُلِّ عُصبةٍ، وآخِرُ خمسين منهم موجودون هنا فقط لكي يُقتَلوا مِن قبل أوّل خمسين. هذا ليس سوى اختبارٍ دمويٍّ لعين!... بالنسبة إليّ. حتّى عائلة بيلونا، بكلّ قوّتها، لم يكن بوسعها حماية ابنها الأقلّ كفاءة؛ وهذا هو الهدف.

أكره نفسي.

أعلم أنّهم أرغموني على فعل ذلك، ومع هذا ما أزال أشعر بأنّه كان هنالك إمكانيّة للاختيار. تماماً مثلما قمتُ بسحب ساقَيْ إيو، وشعرت بطقطقة عمودها الفقريّ الصغير؛ إنّه خياري. لكنْ ماذا كان الخيار الآخر معها؟ مع جوليان؟ إنّهم يفعلون ذلك ليجعلونا نتّشح بالذنب.

لا يوجد مكانٌ لمسح الدم، لا شيء سوى الحجارة وجسدين عاريَيْن. هذا ليس مَن أكون، وليس ما أريد أن أكون. أريد أن أكون أباً، وزوجاً، وراقصاً. دعوني أحفر في الأرض. دعوني أغنّي أغاني قَومي، وأقفز، وأدور حول نفسي، وأجري على طول الجدران. لن أغنّي الأغنية الممنوعة أبداً. سأعمل. سأذعن. دعوني أغسل يدي مِن القذارة عوضاً عن الدم. أريد أن أعيش مع أسرتي فقط. لقد كنّا سعداء بما يكفي.

للحريّة ثمنٌ باهظٌ جدّاً.

لكنّ إيو لا توافق.

اللّعنة عليها!

أنتظِرُ، لكنْ لم يأتِ أحدٌ لرؤية الفوضى التي صنعتها. قفل الباب مفتوح. أضعُ الخاتم الذهبيّ بانسيابٍ على إصبعي بعد أن أغمضتُ عينيْ جوليان، وأمشي عارياً نحو الرواق البارد. إنّه خالٍ. ضوءٌ خافتٌ يقودوني لصعود درجٍ لا نهائي. الماء ينضحُ مِن سقف نفقٍ تحت أرضي. أستعمله في محاولةٍ لغسل جسمي، لكنْ كلّ ما فعلته هو رغي الدم وتمديده على جلدي. ليس بوسعي الهروب منه، ممّا فعلت، مهما أطلتُ المسير في النفق. أنا وحيدٌ مع خطيئتي. هذا هو سبب سيطرتهم. الفريدون ذوو الندبة يعلمون أنّ الأفعال السوداء تُحمل طوال الحياة. لا يمكن تخطّيها. يجب

على المرء أن يحملها إن أراد أن يحكم. هذا هو درسهم الأوّل. أو ألم يكن الدرس بأنّ الضعيف لا يستحقّ الحياة؟

أكرههم، لكنّني أنصت إليهم.

فُز. تحمّل الذنب. احكُم.

يريدون أن أكون بلا رحمة، وبذاكرةٍ قصيرة.

لكنّ نشأتي مختلفة.

إنّ كلّ ما يغنّيه قومي هو عن الذكريات؛ لذا سأتذكّر موته هذا. سيثقلني كما لن يثقل أيّاً مِن زملائي الطلّاب. يجب ألّا أدع ذلك يغيّرني. يجب ألّا أصبح مثلهم. سأتذكّر أنّ كلّ خطيئةٍ، وكلّ موتٍ، وكلّ تضحيةٍ، هي مِن أجل الحريّة.

لكنّني خائفٌ الآن.

هل بوسعي تحمّل الدرس الآتي؟

هل بوسعي التظاهر بأنّني باردٌ بلا مشاعر مثل أوغستوس؟ بِتُّ أعلم الآن لماذا لم يرفّ له جفنٌ عند شنق زوجتي. بدأت أفهم لماذا يحكم الذهبيّون. يمكنهم القيام بما لا أستطيع القيام به.

على الرغم مِن كوني وحيداً، إلّا أنّني أعرف أنّي سأعثر على الآخرين قريباً. يريدونني أن أتشبّع الشعور بالذنب الآن. يريدونني وحيداً وحزيناً، كي أتحرّر عند لقائي بالآخرين، بالفائزين. جرائم القتل ستجمعنا، وسأجد في صحبة الفائزين خلاصاً مِن ذنبي. لا أحبّ زملائي مِن الطلّاب، لكنْ أعتقد أنّني سأضطرّ إلى ذلك. أريد الشعور بالراحة التي يمنحونها،

وبتطميناتهم بأنّني لست شرّيراً. وهُم يريدون الشيء نفسه. مِن المفترض أن يجعل منّا ذلك عائلةً، عائلة ذات أسرارٍ مؤلمة.

أنا محقّ.

يقودني نفقي إلى الآخرين. روكي، الشاعر هو أوّل مَن أراه. إنّه ينزف مِن مؤخّرة رأسه. آثار بقع الدم باديةٌ على مرفقه الأيمن. لم أكن أظنّ أنّ لديه القدرة على القتل. دمُ مَن هذا؟ عيناه حمراوان مِن شدّة البكاء. بعد ذلك عثرنا على أنطونيا. إنّها مثلنا، عارية. تتحرّك كسفينةٍ ذهبيّةٍ، تطفو في الأنحاء، بهدوءٍ في عرض البحر. قدماها تتركان آثاراً دمويّةً حيثما تمشي.

إنّني أخشى العثور على كاسيوس. أتمنّى أن يكون ميّتاً؛ لأنّني أخاف منه. إنّه يذكّرني بالراقص، بوسامته وبشاشته، لكنّه يخفي وحشاً خلف هذا كلّه. مع ذلك هذا ليس سبب خوفي؛ فأنا خائفٌ لأنّ لديه سبباً ليكرهني، ليرغب بقتلي. لا أحد في حياتي كان لديه سبب مماثل مِن قبل. لم يكرهني أحدٌ مِن قبل قطّ. سيفعل إن اكتشف ذلك. عندها أدرك الأمر. كيف يمكن للعُصبة أن تلتفّ وتترابط مع بعضها بوجود أسرارٍ كهذه؟ لا يمكنها ذلك. كاسيوس سيعرف أنّ شخصاً ما هنا قتل أخاه. آخرون خسروا أصدقاءهم، وبذلك العُصبة ستفترس نفسها. الجمعيّة تتعمّد القيام بذلك؛ يريدون الفوضى. سيكون هذا اختبارنا الثاني؛ الصراعُ القَبليّ.

نحن الثلاثة نعثر على بقيّة الناجين في قاعة طعامٍ، أشبه بكهفٍ حجريٍّ، مع طاولةٍ خشبيّةٍ طويلةٍ مهيمنةٍ عليها. المشاعل تُضيء الغرفة. سديم اللّيل يَنسلُّ عبْر النوافذ المفتوحة. كلّ هذا أشبه بشيءٍ مِن الحكايات القديمة. مِن الأزمنة التي يدعونها بالعصور الوسطى. عند الجانب البعيد مِن الغرفة الطويلة توجد قاعدةٌ حجريّة. حجرٌ هائلٌ ينتصب هناك؛ مع يد عريفٍ ذهبيّة

مغروسة في مركزه. نجود(*) بلون ذهبيٍّ وأسْود تزيّن جوانب الحجر. ذئبٌ يَعوي فوق النجود، كأنّه يصدر تحذيراً. إنّها يد العريف التي ستمزّق هذه العُصبة إلى أشلاء. كلّ واحدٍ وواحدةٍ مِن هؤلاء الأمراء والأميرات الصغار يعتقدون أنّهم يستحقّون شرف قيادة العُصبة، لكنْ واحدٌ فقط بوسعه ذلك.

أتحرّكُ كالشبح مع باقي الطلّاب، أطوفُ في أرجاء القاعات الحجريّة، فيما يبدو أنّها قلعة ضخمة. هنالك غرفة حيث بوسعنا الاغتسال.

ماءٌ متجمّدٌ ينساب مِن الحوض على الأرضيّة الباردة. الآن تسيل الدماء مع الماء إلى اليمين، وتختفي في الحجر. أشعر كأنّني شبحٌ في أرض الضباب والصخور.

زِيٌّ أسْودُ وذهبيٌّ وضِع لنا في مستودع أسلحةٍ شبه فارغ. كلّ طالبٍ وجد زيّه على شكل رزمةٍ معلّمةٍ باسْمه، أو اسمها. رمزٌ ذهبيٌّ لذئبٍ يَعوي يزيّن الأكمام والياقات العالية لثيابنا. آخذ ثيابي، وأرتديها وحيداً في غرفة تخزينٍ ما. هنالك أنهارٌ في إحدى الزوايا، وأجلس بصمت. هذا المكان باردٌ جدّاً وهادئ. بعيدٌ جدّاً عن دياري.

روكي يعثر عليّ. إنّه يبدو ساحراً، وهو مرتدٍ لبزّته. نحيلٌ كسنبلةٍ مِن قمح الصيف الذهبيّ، مع عظام وجنتين عالية، وعينين دافئتين، لكنّ وجهه شاحب. يجلس أمامي في وضعيّة القرفصاء لبضع دقائق قبل أن يقترب ويطبق على يدَيّ. أنسحب إلى الخلف، لكنّه بقي ممسكاً بها إلى أن نظرتُ إليه.

- «إن رُميتَ في الأعماق، ولم تسبح، ستغرق». قالها، وهو يرفع حاجبيه النحيفين: «لذا استمرّ في السباحة، اتّفقنا؟».

(*) نوع من أقمشة الزينة. (م).

أبتسمُ على مضض.

- منطق الشاعر.

يهزُّ رأسه: «لا يُعتدُّ به كثيراً؛ لذا سأعطيكَ حقائقَ يا أخي. هذا هو النظام: بنو الألوان الدنيا ينجبون أولادهم بالمحفِّزات. ولادات سريعة. أحياناً خمسة أشهر فقط مِن الحمل قبل أن يُحفَّز المخاض. ما عدا السبجيّين، فقط نحن ننتظر تسعة أشهر كي نولد. أمّهاتنا لا يتلقّين أيّة محفّزات، ولا مسكّنات، ولا نيكليوتيدات. ألم تسأل نفسك لماذا؟».

- كي يكون المنتج نقيّاً.

- «ولكي تُمنَح الطبيعة الفرصة لقتلنا. مجلس ضبط الجودة مقتنعٌ تماماً بأنّ نسبة 13.6213 مِن مجموع الأطفال الذهبيّين يجب أن يموتوا قبل أن يبلغوا السنة مِن عمرهم. في بعض الأحيان يجعلون الواقع يطابق تلك الأرقام». يبسط يديه النحيلتين مباعداً: «لماذا؟ لأنّهم يؤمنون بأنّ الحضارة تُضعِف مِن عمليّة الاصطفاء الطبيعي. إنّهم يقومون بعمل الطبيعة كي لا نتحوّل إلى عِرقٍ ضعيف. العُبور على ما يبدو هو استمرارٌ لهذه السياسة. نحن مجرّد أدواتٍ يستخدمونها. ضـ... ضحيّتي، فلترقد روحه بسلام، كان أحمق. كان مِن عائلةٍ لا قيمة لها، ويفتقر إلى البديهة والذكاء، وبلا طموح». يتجهّم مع هذه الكلمات ثمّ يتنهّد: «لم يتحلَّ بأيّ مِن خصال المجلس؛ هنالك سببٌ لموته».

أكان هنالك سببٌ لموت جوليان؟

روكي يعرف ماذا يفعل؛ لأنّ أمّه في المجلس. إنّه يحتقر أمّه، وحينها فقط أدركُ بأنّ عليّ أن أعجب به. ليس هذا فحسب، في كلماته أعثر على ملجأ لي. إنّه يعارض القواعد، لكنّه يتّبعها. هذا ممكن. يمكنني القيام بمثل ذلك إلى أن تصبح لدي القدرة على تغييرِها.

- «علينا أن ننضمّ إلى الآخرين». أقولها، وأنا واقف.

في قاعة الطعام، تحوم أسماؤنا فوق الكراسي بأحرفٍ ذهبيّة. علامات اختبارنا اختفت. أسماؤنا ظاهرةٌ أيضا تحت يد العريف في الحجر الأسْود. إنّها ذهبيّةٌ، وتحوم نحو الأعلى باتّجاه اليد الذهبيّة. اسمي هو الأقرب، على الرغم مِن ذلك لا تزال هنالك مسافة كبيرة لقطعها.

بعض الطلّاب يكون مجتمعين معاً في مجموعاتٍ صغيرةٍ على طول الطاولة الخشبيّة. آخرون يجلسون متكئين على الحائط، ورؤوسهم بين أيديهم. فتاةٌ عرجاء تبحث عن صديقها. أنطونيا تُحدِّق غاضبةً نحو الطاولة حيث يجلس سيفرو الصغير ويأكل. بالطبع إنّه الوحيد الذي يملكُ شهيّةً للأكل. بصراحة، أنا متفاجئٌ لنجاته؛ إنّه صغيرٌ، وكان خِيارنا التاسع والتسعين والأخير في عمليّة الانتقاء. وفقاً للقوانين التي عرضها روكي، مِن المفترض أن يكون ميّتاً.

العملاق تيتوس حيٌّ ومملوءٌ بالكدمات والرضوض. مفاصل أصابعه تبدو كمنضدة جزّارٍ متّسخة. إنّه يقف متكبّراً بعيداً عن البقيّة، يبتسم ابتسامةً عريضةً، كأنّ هذا كلّه مجرّد متعةٍ رائعة. روكي يتحدّث بهدوء مع ليا، الفتاة العرجاء. تَسقطُ منهارةً باكيةً، وترمي بخاتمها. تبدو كغزالٍ بعيونٍ واسعةٍ وبرّاقة. إنّه يجلس معها ممسكاً بيدها. هنالك أمانٌ يشعّ منه يميّزه عن البقيّة في الغرفة. أتساءل: كم كان آمناً، وهو يخنق ولداً آخر حتّى الموت؟! أحرِّكُ خاتمي جيئةً وذهاباً على طول إصبعي.

أحدهم يصفعني بلطفٍ على رأسي مِن الخلف.

- هيه يا أخي.

- «كاسيوس». أهزُّ رأسي.

- «أباركُ لكَ انتصارك. كنت أخشى أن تكون مجرّد عقل». يضحكُ كاسيوس. تلافيف شعره الذهبيّة حتّى لم تتأثّر. يضع ذراعه حولي، ويتفحّص الغرفة مع أنفٍ متجعّد. إنّه يدّعي عدم المبالاة، لكنْ بوسعي معرفة أنّه قلق.

- «ياه! أهنالك شيءٌ أبشع مِن إشفاق المرء على نفسه؟ كلّ هذا البكاء». يبتسم، ويشير إلى فتاةٍ بأنف مكسور: «والآن أصبحَت قبيحةً على نحوٍ مزعج. مع أنّه لا يسعني القول بأنّها كانت مِن النوع الذي لا يمكنك تجاهله قط. هيه؟ هيه؟».

أنسى التكلّم.

- هل أنت في صدمة يا رجُل؟ أم أصابوا قصبتك الهوائيّة؟

- «فقط لست في مزاج مناسب للمزاح الآن». أقول: «تلقّيت بضع ضرباتٍ في الرأس. كتفي مهشّمٌ بعض الشيء. لست معتاداً على هذا».

- «الكتف يمكن إصلاحه على الفور. فلنُعِده إلى مكانه». مِن دون استعدادٍ مسبقٍ، يمسك بكتفي المخلوع، ويجذبه ليعيده إلى تجويفه قبل أن أتمكّن مِن الاعتراض. أشهق متألّماً. يضحك بصوتٍ خافت: «ممتاز، ممتاز». يربّت بيده على كتفي نَفسه: «هيّا ساعدني بالمقابل، ألن تفعل ذلك؟».

يمدُّ يده اليسرى. أصابعه المخلوعة بدت كصواعق برق. أسحبها لأسوّيها. يضحك متألّماً، وهو لا يعرف أنّ دم أخيه تحت أظافري. أحاول ألّا يتسارع تنفّسي.

- «هل رأيت جوليان يا رجُل؟». أخيراً يسأل. إنّه يتحدّث الآن بلغة الطبقة الوسطى مع عدم وجود بريام في الأنحاء.

- لا، أبداً.

- «إيه، الولد على الأغلب يحاول أن يكون لطيفاً بقتاله. والدي علّمنا الفنّ الصامت، الكرافات. جوليان بارع فيه جدّاً. يظنّ أنّني أحسن منه». يتجهّم كاسيوس: «يظنّ أنّني أحسن منه في كلّ شيء. إنّه أمرٌ مفهوم؛ فهذا يحثّه على التقدّم. بالحديث عن ذلك، مَن سحقت؟».

تتقلّب أحشائي.

أختلق كذبةً، إنّها كذبةٌ جيّدةٌ، ضبابيّةٌ ومملّة. كلّ ما كان يريده الآن هو الحديث عن نفسه. في نهاية المطاف، هذا ما رُبّي كاسيوس مِن أجله. هنالك تقريباً خمسة عشر ولداً لديهم ذلك البريق الهادئ نفسه في عيونهم. ليس شرّيراً، بل مجرّد إثارة. وهؤلاء هُم مَن يجب مراقبتهم؛ لأنّهم قتلةٌ بالفطرة.

بالنظر مِن حولي، إنّه لمن السهل رؤية أنّ روكي كان على حقّ. لم يكن هنالك الكثير مِن القتال القاسي. إنّه اصطفاءٌ طبيعيٌّ قسريّ. مَن هُم أسفل الكومة يُذبَحون مِن قِبل مَن هُم في الأعلى. بالكاد أُصيبَ أحدهم عدا اثنين مِن المختارين الأواخر الصغار. الاصطفاء الطبيعيّ يصنع مفاجآته الخاصّة به أحياناً.

كاسيوس يقول بأنّ قِتالهُ كان سهلاً. لقد قام بالأمر بطريقةٍ صحيحةٍ، وعادلةٍ، وسريعة. سحق القصبة الهوائيّة بلكمةٍ مسطّحةٍ بعد عشر ثوانٍ مِن اتّخاذ وضعيّة الهجوم. على الرغم مِن ذلك فقد علِقت أصابعه على نحوٍ غريب. رائع! لقد حوَّلتُ أخا أفضلِ قاتلٍ إلى جثّةٍ هامدة. يتسلّل الخوف إلى نفسي ليعشّش فيها.

كاسيوس يهدأ تدريجيّاً مع دخول فيتشنير، وأمرِنا بالاقتراب مِن

الطاولة. واحداً تلو الآخر، تمتلئ المقاعد الخمسون. وشيئاً فشيئاً أخذ وجهه يشتدّ قتامةً مع تلاشي فرصة جوليان بالانضمام إلى الطاولة. عندما يُملأ آخر مقعد، لا يبدي أيّة حركة. غضبٌ باردٌ يُشِعُّ منه. ليس ساخناً كما كنت أظنّ. أنطونيا تجلس في الطرف المقابل لنا، أمامي مباشرةً، وتنظر إليه. فمها يتحرّك، لكنّها لا تقول أيّ شيء. ليس بوسعك تعزية نوعٍ مثله. ولا أظنّ أنّها مِن النوع الذي سيحاول ذلك.

جوليان ليس الوحيد المفقود؛ أريا، ذات الشعر المجعّد والغمّازات، إنّها ممدّدةٌ بلا حياةٍ على أرضيّةٍ باردةٍ في مكانٍ ما، وبريام قد رحل أيضاً، بريام المُقدَّم المثاليّ، وريث أقمار المرّيخ. لقد سمعت أنّه كان المُبارِز الأوّل في المجموعة الشمسيّة في دفعة مولده. إنّه مُبارِزٌ لا مثيل له. أعتقد أنّه لم يكن فتّاكاً كفايةً بقبضتيه. أنظر مِن حولي نحو الوجوه المتعبة. مَن بحقّ الجحيم قتله؟ لقد أفسد المجلس الأمر، وأراهن أنّ أمه ستُحوِّل حياتهم إلى جحيم؛ لأنه مِن المؤكّد أنّه لم يكن مِن المفترض أن يُقتَل.

- «إننا نُفرِّط بأفضل ما لدينا». يتمتم كاسيوس بتحفُّظ.

- «مرحباً بكم أيّتها الحثالة الصغيرة». يتثاءب فيتشنير، ويرفع قدميه على الطاولة: «الآن، لا بدّ من أنكم أدركتم أنّ العُبور يمكن أن يُطلَق عليه أيضاً اسم الاصطفاء». فيتشنير يحكّ فرجه بمقبض شفرته.

تصرّفاته أسوأ مِن تصرّفاتي.

- «وستظنّون أنّه تفريطٌ بالذهبيّين الجيّدين، ولكنّكم حمقى إن كنتم تعتقدون أنّ خمسين طفلاً سيؤثّرون على تعدادنا. هنالك أكثر مِن مليون ذهبيٍّ على المرّيخ، وأكثر مِن مئة مليون في المجموعة الشمسيّة. لن يصبحوا كلّهم مِن الفريدين ذوي الندبة، أليس كذلك؟ الآن إن كنتم ما تزالون تظنّون

بأنّ هذا كان أمراً وضيعاً، فعليكم أن تأخذوا بعين الاعتبار أنّ الأسبرطيّين كانوا ليقتلوا أكثر مِن عشرة بالمئة مِن مواليدهم؛ والطبيعة كانت لتقتل ثلاثين أُخَر. بالمقارنة معهم، نحن في قمّة الإنسانيّة. مِن الستمئة طالب الذين تبقّوا، الغالبيّة هُم مِن الواحد بالمئة العليا مِن المتقدّمين؛ أمّا الستمئة الذين ماتوا، فأغلبهم مِن الواحد بالمئة الأخيرة مِن المتقدّمين. لا يوجد أيّ تفريط». يضحك بصوتٍ خافتٍ، وينظر إلى الجالسين حول الطاولة مِن حوله، مع نفحةٍ مفاجئة مِن الاعتزاز: «ما عدا ذلك الأحمق بريام. أجل. هذا درسٌ كبيرٌ لكم. لقد كان فتى رائعاً، وجميلاً، وقويّاً، وسريعاً. عبقريّاً درس ليلاً ونهاراً مع عشرات مِن المعلّمين، لكنّه كان مدلّلاً. وأحدٌ ما -لن أقول مَن، لأنّ ذلك سينسفُ المتعة مِن كلّ هذا المنهاج الدراسيّ- طرحه على الأرضيّة الحجريّة، ومِن ثمّ داس على قصبته الهوائيّة حتّى مات».

يضع يديه خلف رأسه.

- الآن، هذه هي عائلتكم الجديدة؛ عُصبة مارس، إحدى العُصب الاثنتي عشرة. كلّا! لستم مميّزين، ولا شيء مميّز في أنّكم تعيشون على كوكب مارس(*)، ومِن عُصبة مارس. أيضاً أولئك الذين مِن عُصبة فينوس، ويعيشون على كوكب فينوس(**) لا شيء مميّز فيهم. إنّهم ببساطة يناسبون العُصبة. إنّكم تدركون ماذا أريد أن أقول. بعد المعهد ستبحثون عن فرصة للتَلمُذ، على أمل أن يكون ذلك لدى عائلات: بيلونا، أو أوغوستوس، أو أركوس، إن كنتم تريدون جعلي فخوراً بكم. ربّما سيساعدكم الخرّيجون السابقون مِن عُصبة مارس في العثور على فرصةٍ للتَلمُذ، أو ربّما

(*) كوكب المريخ. (م).

(**) كوكب الزهرة. (م).

سيعرضونها عليكم بأنفسهم، أو ربّما ستكونون ناجحين لدرجة أنّكم لن تحتاجوا إلى مساعدةٍ مِن أحد.

لكنْ لنجعلَ الأمر واضحاً، الآن تحديداً أنتم أطفال. مجرّد أطفالٍ حمقى صغار. منحكم أهلكم كلّ شيء. فقد كان هنالك دوماً آخرون، يمسحون مؤخّراتكم الصغيرة، ويطبخون طعامكم، ويخوضون حروبكم، ويغطّون أنوفكم البرّاقة عندما تخلدون إلى النوم ليلاً، بينما الصدئون يبدأون بالحفر قبل أن يحصلوا على فرصةٍ للمضاجعة؛ إنّهم يبنون مدنكم، ويبحثون عن وقودكم، ويجمعون قذاراتكم، وكذلك الوَرديّون، يتعلّمون فنّ إمتاع الآخرين، قبل أن يبدأوا بالحلاقة بعد؛ أمّا السبجيّون، فلديهم أسوأ حياة متبّبة يمكن أن تتخيّلوها، لا شيء سوى الغابات، والفولاذ، والألم. يُستَولدون مِن أجل أعمالهم، ويُدرَّبون باكراً للقيام بها. كل ما كان عليكم فعله أيّها الأمراء والأميرات الصغار، هو أن تبدوا كنسخةٍ مصغرةٍ عن أمّهاتكم وآبائكم، وتتعلّموا آداب السلوك الخاصّة بكم، والعزف على البيانو، وركوب الخيل، والرياضة. لكنْ الآن، إنّكم تنتمون إلى المعهد، إلى عُصبة مارس، إلى ولاية المرّيخ، إلى لونكم، إلى الجمعيّة. بلا... بلا.

ابتسامة فيتشنير المصطنعة بليدة. يداه الممتلئتان بالعروق تستريحان على كرشه.

– في هذه اللّيلة أخيراً فعلتم شيئاً بأنفسكم. تغلّبتم على أطفالٍ مثلكم. لكنّ قيمة ذلك كقيمة الريح الذي تطلقه عاهرة وَرديّة. جمعيّتنا الصغيرة تتأرجح على رأس إبرة. بنو الألوان الأُخرى سيقتلعون قلوبكم المتبّبة مِن أجسادكم لو أتيحت لهم الفرصة. ومِن ثمّ هنالك الفضيّون أيضاً، والنحاسيّون، والزُّرق. أتظنّون أنّهم سيكونون مخلصين لمجموعةٍ مِن

الأطفال؟ أتعتقدون أنّ السبجيّين سيتبعون حثالةً صغيرةً مثلكم؟ خانقو الأطفال أولئك سيجعلون منكم عبيدهم الصغار للمتعة، إن رأوا منكم ضعفاً؛ لذا عليكم ألّا تظهروه أبداً.

- «وإن يكن، فمن المفترض أن يجعلنا المعهد أشدّاء؟». يهمهم تيتوس الضخم.

- كلّا! أيّها الأخرق العملاق. يفترض أن يجعلك ذكيّاً، وقاسياً، وحكيماً، وصلباً. مِن المفترض أن تكبروا خمسين عاماً خلال عشرة أشهر، وأن يريكم ماذا فعل أجدادكم ليمنحوكم هذه الإمبراطوريّة. هل عليّ أن أكمل؟

يفرقع بالوناً مِن العلكة.

- «حسناً يا عُصبة مارس». يده النحيلة تحكّ بطنه: «نعم، لدينا عُصبةٌ فخورةٌ يمكنها حتّى أن تقارن نفسها ربّما مع بعض العائلات القديمة. لدينا العديد مِن أهل السياسية، والقيادة، والقضاء. لدينا الحاكمان العامّان الحاليان لكلٍّ مِن: عطارد، وأوروبا، وأطربون، والعشرات مِن قادة الأسراب، وقاضيان، وقائد أسطول. حتّى لورن ذهبيّ أركوس مِن عائلة أركوس، ثالث أقوى عائلة على المرّيخ، لأولئك الذين لا يتابعون، يُبقي على صلاته الوثيقة معنا. كلّ أولئك مِن رفيعي المقام يبحثون عن مواهب جديدة. لقد اختاروكم مِن بين المرشّحين الآخرين لملء القائمة. أبهروا هؤلاء النساء والرجال المهمّين، وستحصلون على فرصةٍ للتَّلمُذ بعد ذلك. فوزوا وسيكون لديكم إمكانيّة اختيار التَّلمُذ ضمن العُصبة، أو لدى عائلةٍ قديمةٍ؛ ربّما أركوس بنفسه سيرغب بكم. إن حصل ذلك ستكونون على طريق مباشر لنيل المنصب، والشهرة، والسُّلطة».

أنحني إلى الأمام.

- «الفوز؟». أسأل: «ماذا يوجد هنالك لنفوز به؟».

يبتسم.

- الآن، أنتم في وادٍ بعيدٍ مُستصلحٍ في الجزء الجنوبيّ الأقصى ممّا يُعرف بوادي مارينر. في هذا الوادي توجد اثنتا عشرة عُصبة في اثنتي عشرة قلعة. بعد يومٍ اطّلاعيٍّ غداً، ستخوضون حرباً مع زملائكم مِن الطلاب للسيطرة على الوادي بأيّة وسيلةٍ متاحةٍ لكم. عدّوها بمنزلة دراسة حالة في الكسب، والحكم، والإمبراطورية.

هنالك همهمة مِن الإثارة. إنّها لعبة. وأنا الذي اعتقدت أنّه سيكون عليّ ارتياد الصفوف والدراسة هنا.

- «وماذا إن كنت عريفة العُصبة الرابحة؟». تسأل أنطونيا، وهي تلفّ شعرها الذهبيّ المجعّد على إصبعها.

- عندها أهلاً بكِ في المجد يا عزيزتي. أهلاً بكِ في الشهرة والسُّلطة.

إذنْ، عليّ أن أصبح العريف.

نتناول عشاءً بسيطاً. يغادر فيتشنير، ينتفض كاسيوس، مع نبرة صوته التي أصبحت باردةً، ويعتريها مزاحٌ سوداوي.

- «دعونا جميعاً نلعب لعبةً، يا أصدقائي. كلٌّ منّا سيذكرُ مَن قتل. سأبدأ أنا: نيكسوس ذهبي تشيلينتوس. عرفته عندما كنّا أطفالاً، كما أعرف بعضكم. كسرتُ قصبته الهوائيّة بأصابعي». لا أحد يتكلّم: «هيّا! العائلات يجب ألّا تخفي أسراراً فيما بينها».

مع ذلك لا يجيب أحد.

سيفرو أوّل مَن يغادر، ليجعل استهزاءه بلعبة كاسيوس واضحاً.

إنّه أوّل مَن أكل، وأوّل مَن ذهب للنوم. أريد أن أتبعه. عوضاً عن ذلك، أجري حديثاً بسيطاً مع روكي المُسالِم، وتيتوس الضخم، بعد أن استسلم كاسيوس مِن متابعة لعبته وانسحب كذلك. مِنَ المستحيل أن يروق تيتوس أيّ أحد؛ إنّه لا يتمتّع بحسّ الفكاهة، لكنْ كلّ شيءٍ بمنزلة نكتةٍ بالنسبة إليه. يبدو كأنّه يسخر منّي، ومِن الجميع، حتّى وهو يبتسم. أريد ضربه، لكنّه لم يعطني أيّ سببٍ للقيام بذلك. كلّ ما يقوله تافهٌ، وبلا قيمةٍ كليّاً. مع ذلك أكرهه، كأنّه لا يعتقد بأنّني إنسان، إنّما بيدق شطرنج، وينتظر ليقوم بتحريكي، كلّا! إنّما لطمي. كأنّه بطريقةٍ ما نسي أنّ عمره مجرّد سبعة عشر، أو ثمانية عشر كالآخرين. إنّه رجُل. طوله يتجاوز المترين بسهولة. ربّما قرابة المترين ونصف. في المقابل: روكي الرشيق، يذكّرني كثيراً بأخي كيران، لو كان بوسع كيران أن يَقتل. ابتسامته لطيفة. كلماته متأنّيةٌ، وحزينةٌ، وحكيمةٌ، تماماً كما كان مِن قبل. ليا: الفتاة التي تبدو كصغير غزالٍ أعرج، تتبعه أينما ذهب. إنّه يصبر عليها بطريقةٍ لا أستطيع فعلها.

في وقتٍ متأخّرٍ مِن اللّيل، أبحث عن الأماكن التي مات فيها الطلّاب. لا أستطيع العثور عليها. الأدراج لم تعد موجودة. ابتلعتها القلعة. أنال قسطاً مِن الراحة في مهجعٍ طويلٍ مملوءٍ بالمطارح. الذئاب تَعوي عَبْرَ السديم الذي يتحرّك؛ ليُخفيَ المرتفعات وراء قلعتنا. أغرق في النوم بسرعة.

21

حُكمُنا الذاتيّ

يوقظنا فيتشنير مِن المهاجع الطويلة في ظلمة الصبح. ساخطين ننهض مِن الأَسرَّة ذات الطابقين، ونخرج مِن البرج المُحصَّن إلى ساحة القلعة؛ حيث نقوم بتمارين التمدّد، ومِن ثمّ ننطلق للجري. نقفز بسهولةٍ عند قيمة 0.37 مِن الجاذبيّة.

الغيوم تمطرُ زخّاتٍ بسيطة. جدران الخندق تبعدُ خمسينَ كيلومتراً إلى الغرب، وأربعينَ كيلومتراً إلى الشرق مِن وادينا الصغير، وترتفع إلى علوّ ستّة كيلومترات. بينهما يوجد نظامٌ بيئيٌّ مِن الجبال، والغابات، والأنهار، والسهول. إنّه ميدان معركتنا.

أرضنا عبارة عن منطقة مرتفعات: ترتفع فيها تلالٌ مكسوّةٌ بالطحالب، وقِممٌ وعرةٌ تنحدر نحو وديان طوليّةٍ عشبيّةٍ ضيّقةٍ على شكل حدوة. السديم يغطّي كلّ شيء، حتّى الغابات الكثيفة التي تمتدّ كلحافٍ صوفيٍّ على سفوح التلال. قلعتنا تقع على تلّةٍ إلى الشمال مِن نهر، ووسط وادٍ طوليٍّ ضيّقٍ صغيرٍ على شكل قصعة، نصفه مغطّى بالعشب، والنصف الآخر بالأشجار. ومِن الشمال والجنوب هنالك تلالٌ أكبر تطوّق الوادي

على شكل نصف دائرة. مِن المفترض أن يعجبني المكان هنا. وإيو أيضاً كان ليعجبها، ولكنْ مِن دونها، أشعر بالوحدة تماماً مثلما تبدو قلعتنا وحيدةً على تلّتها العالية البعيدة. أتَلمَّسُ القلادة، أتَلمَّسُ زهرة الهايمانتوس خاصّتنا. كلتاهما ليستا معي. أشعر بالفراغ في هذا الفردوس.

ثلاثة جدران مِن جدران قلعتنا التلّيّة مبنيّةٌ فوق جرفٍ صخريٍّ بعلوّ ثمانين متراً. القلعة ذاتها ضخمةٌ جدّاً. جدرانها تعلو إلى ارتفاع ثلاثين متراً. وبوّابتها الرئيسة تبرز إلى الخارج من بين الجدران، لتبدو مثل بناءٍ محصّنٍ ذي أبراجٍ دفاعيّةٍ صغيرة؛ أمّا وراء الأسوار، فيعلو برجنا المحصّن إلى ارتفاع خمسين متراً، ليشكّل جزءاً من الجدار الشماليّ الغربيّ. منحدرٌ طفيفٌ يؤدّي مِن أرض الوادي الطوليّ الضيّق إلى البوّابة الغربيّة للقلعة مقابل البرج المُحصَّن. نجري إلى أسفل هذا المنحدر على طول طريقٍ منعزلٍ قذر. السديم يلفّنا. أستمتع بالهواء البارد. إنّه يُطهِّرني بعد ساعاتٍ مِن النوم المتقطّع.

السديم يتلاشى مع بزوغ فجر يومٍ صيفيّ. صَغيرُ غزال، أصغر وأسرع مِن تلك المَخلوقة على كوكب الأرض، يرعى في غابة شوح. فوقه طيور تحوم في دوائر. غرابٌ وحيدٌ يَعِدُ بأشياء خفيّة. الخراف منتشرةٌ في الحقل، والماعز تجوب التلال الصخريّة العالية التي نصعدها في رتلٍ مكوّنٍ مِن واحدٍ وخمسين فرداً. مِن الممكن أنّ الآخرين مِن عُصبتي قد شاهدوا الحيوانات على كوكب الأرض، أو المخلوقاتِ الغريبة التي قرّر النحّاتون صُنعها مِن باب التسلية، لكنْ أنا لم أشاهد سوى الطعام واللّباس.

حيوانات المرّيخ المقدّسة تجعل مِن أرضنا موطناً لها. نقّارو الخشب ينقرون الشوح والسنديان. في اللّيل، تعوي الذئاب عبْر المرتفعات،

وفي النهار تتجوّل في الغابات. هنالك أفاعٍ بالقرب مِن النهر، ونسورٌ في المسايل الهادئة، وقتلةٌ يركضون بجانبي. أيّ نوعٍ مِن الأصدقاء لديّ؟ لو أنّ لوران، أو كيران، أو ماتيو هنا ليحموا ظهري! أيّ أحد ممّن يمكنني الوثوق بهم. أنا خروفٌ في زيّ ذئبٍ بين قطيعٍ مِن الذئاب.

بينما يصعد بنا فيتشنير المرتفعات الصخريّة، ليا: الفتاة ذات العرج، تسقط. ينكزها بقدمه بفتورٍ، إلى أن نقوم بحملها على أكتافنا. أنا وروكي نتكبّد هذا العناء، تيتوس يبتسم بتصنّع، فقط كاسيوس مَن قام بالمساعدة عندما تعب روكي، ثمّ بولوكس: وهو فتى نحيلٌ بصوتٍ أجشّ، وشعرٍ محلوق، يحِلُّ محلّي. صوته يبدو كأنّه يدخّن السيجار منذ أن كان في الثانية مِن عمره.

نمشي بتثاقلٍ عبْر وادٍ صيفيٍّ مِن الغابات والحقول. الحشرات لا تكفّ عن قرصنا هناك. العَرق يسيلُ ويقطر مِن ذهبيِّ الحواجب؛ أمّا أنا، فلا. هذا أشبه بحمّامٍ متجمّدٍ مقارنةً مع ما كنت أعانيه مِن صملٍ في بزّة شوائي القديمة. الجميع مِن حولي يتمتّعون باللّياقة والرشاقة، لكنْ فقط كاسيوس، وسيفرو، وأنطونيا، وكوين (أسرع فتاةٍ، أو شيءٍ لعينٍ يمشي على قدمين رأيته في حياتي)، وتيتوس، وثلاثة مِن أصدقائه الجُدد، وأنا، مَن كان بوسعنا ترك البقيّة خلفنا. فقط فيتشنير بحذائه الثقاليّ بوسعه التفوّق علينا. إنّه يقفز في الأرجاء كصغير غزال، ثمّ يلاحق واحداً منها ساحباً شفرته بسرعة. إنّها تطوّق عنق صغير الغزال، ومِن ثمّ يقبضُ على النصل ليَقتل الحيوان.

– «العشاء». يقولها، وهو يبتسم ابتسامةً عريضة: «اسحبوه».

– «كان بوسعك أن تقتله في مكانٍ أقرب إلى القلعة». يتمتم سيفرو.

يحكُّ فيتشنير رأسه، وينظر مِن حوله: «هل سمع أحدٌ آخر صوت غوبلن(*) صغير بدين وشنيع... حسناً، أيّاً يكن الصوت الذي يصدره الغوبلن؟ اسحبه».

يمسكُ سيفرو برجْل الغزال: «أخرق!».

نبلغ قمّة مرتفعٍ صخريٍّ يبعد خمسة كيلومترات جنوب غرب قلعتنا. هنالك برجٌ حجريٌّ يهيمن على القمّة، نقوم مِن أعلاه باستطلاع أرض المعركة. في مكانٍ ما في الخارج، أعداؤنا يقومون بالأمر عينه. مسرح الحرب يمتدّ إلى الجنوب أبعد ممّا يمكننا رؤيته. سلسلة جبالٍ مكسوّةٌ بالثلج تملأ الأفق الغربي. وفي الجنوب الشرقيّ غابةٌ بدائيّةٌ تسيطر على المشهد الطبيعيّ. يفصل هذين الاثنين سهلٌ خصبٌ يشقّه نهرٌ ضخمٌ يجري نحو الجنوب؛ إنّه أرغوس وروافده. بعيداً في الجنوب، بعد السهول والأنهار، تنخفس الأرض لتشكّل مستنقعات. ليس بوسعي رؤية ما بعد ذلك؛ أمّا في السماء الزرقاء، فيحوم على ارتفاع كيلومترين جبلٌ عائمٌ عظيم؛ إنّه الأوليمبوس، يشرح فيتشنير: جبلٌ صناعيٌّ مِن حيث يراقب المُشرِفون دفعة طلّاب كلّ سنة. وفي قمّته تتلألأ قلعةٌ أشبه بتلك التي في الأساطير. تقترب ليا منّي بخطى متثاقلة، وتقف بجانبي.

– «كيف يحوم هكذا؟». تسألُ بلطف.

ليس لديّ أدنى فكرة.

أنظرُ شمالاً.

نهران في الوادي المكسوّ بالغابات يقسمان أرضنا الشماليّة، الموجودة

(*) Goblin كائنٌ خياليٌّ شائعٌ في الحكايات الأوروبية وغالباً ما يكون قصير القامة، وشريراً، ومحتالاً. (م).

على حافّة برارٍ شاسعة. إنّهما على شكل V يشيران إلى الجنوب الغربيّ نحو الأراضي المنخفضة؛ حيث يشكّلان رافداً واحداً لأرغوس. تحيط المرتفعات بالوادي، وهي تلالٌ أخّاذةٌ، وجبالٌ قزمةٌ تزدان بالمسايل كالندوب حيث لا يزال السديم عالقاً.

- «هذا برج فوبوس». يقول فيتشنير: البرج يقع بعيداً في الجانب الجنوبيّ الغربيّ مِن أرضنا. إنّه يشرب مِن القربة، بينما يفتك بنا العطش، مشيراً إلى الشمال الغربيّ؛ حيث نقطة التقاء النهرين في الوادي. هنالك برجٌ هائلٌ يزيّن كالتاج سلسلة جبالٍ قزمة بعيدة تقع مباشرةً خلف مكان الالتقاء: «وهذا ديموس». ثمّ يتتبّع خطّاً متخيّلاً ليرينا حدود منطقة عُصبة مارس.

النهر الشرقيّ يدعى فورور، والغربيّ الذي يمرّ غرب قلعتنا تماماً، يدعى ميتاس. جسرٌ واحدٌ يعبرُ ميتاس. على العدوّ أن يجتازه ليدخل إلى المنطقة بين النهرين، ويتقدّم نحو الوادي، ويهجم بجهة الشمال الشرقيّ عبْر الأرض الحراجيّة السهلة ليصل إلى قلعتنا.

- «هذه نكتة بلهاء، أليس كذلك؟». يوجّه سيفرو سؤاله لفيتشنير.

- «ماذا تعني أيّها الغوبلن؟». يفرقع فيتشنير بالوناً مِن العلكة.

- ساقانا مشرّعتان كعاهرةٍ وَرديّة. كلّ تلك الجبال والتلال المحيطة، إلّا أنّه يمكن لأيٍّ كان أن يصل مباشرةً إلى بابنا الأمامي. إنّه ممرٌّ منبسطٌ مثاليٌّ مِن الأراضي المنخفضة يصل مباشرةً إلى بوّابتنا. كلّ ما عليكَ فعله هو عبور نهرٍ آسنٍ واحد.

- «تشير إلى ما هو واضحٌ كالشمس، هذا ما تجيده، أليس كذلك؟ أتعلم، إنّك لم تعجبني قطّ أيّها الغوبلن الصغير الأحمق». يحدّق فيتشنير

في سيفرو متعمّداً لبرهةٍ، ثمّ يهزّ رأسه: «على كلّ حال، سأكون في الأوليمبوس».

- «ماذا يعني هذا أيّها المُشرِف؟». يسأل كاسيوس بحدّة. لا يعجبه أيضاً حال الأمور. على الرغم مِن أنّ عينيه حمراوان مِن البكاء طوال اللّيل على أخيه الميّت، فإنّ هذا لم يقلّل شيئاً مِن تأثير ما قاله.

- أعني أنّ هذه مشكلتكم، أيّها الأمير الصغير، وليست مشكلتي. لن يقوم أحدٌ بإصلاح أيّ شيءٍ لكم. أنا مُشرِفكم، ولست بأمّكم. إنّكم في مدرسة، أتذكُر ذلك؟ لذا إن كانت ساقاكما مشرّعتين، حينها عليكما بصنع حزام عفّةٍ لحماية النقاط الضعيفة.

يسود تَذمُّرٌ عام.

- «كان يمكن لهذا أن يكون أسوأ». أقول، مشيراً إلى ما وراء رأس أنطونيا نحو السهول الجنوبيّة؛ حيث يتخلّل حصن الأعداء نهرٌ عظيم: «كان يمكن أن نكون مكشوفين مثل أولئك الأوغاد البائسين».

- «أولئك الأوغاد البائسون لديهم محاصيل وبساتين». يفكّر فيتشنير متأمّلاً: «أنتم لديكم...». يلقي نظرةً على النتوء الصخري باحثاً عن الغزال الذي قتله: «حسناً، الغوبلن ترك الغزال خلفه؛ لذا ليس لديكم أيّ شيء. الذئاب ستأكل ما لم تأكلوه».

- «إلّا إن أكلنا الذئاب». يتمتم سيفرو، راسماً ملامح غريبة على وجوه البقيّة مِن عُصبتنا.

إذنْ، علينا أن نحصل على طعامنا بأنفسنا.

تشير أنطونيا إلى الأراضي المنخفضة.

- ماذا يفعلون؟

سفينة إمدادٍ سوداء تنزلق مِن الغيوم نحو الأسفل، لتَحطّ وسط السهل العشبيّ الذي يفصل بيننا وبين الحصن النهريّ البعيد لأعدائنا مِن عصبة سيريس. ثلاثة سبجيّين والعشرات مِن عُلَبِ الصفيحِ يقفون للحراسة، بينما يهرع البُنِّيون إلى الخارج ليجهّزوا طاولة، تُستخدم لمرّةٍ واحدةٍ، على بُعد ثمانية كيلومترات مِن برج فوبوس، ويملؤونها بلحم الهام، والستيك، والبسكويت، والنبيذ، والحليب، والعسل، والجبن.

- «مِن الواضح أنّه فخ». يسخر سيفرو.

- «شكراً يا غوبلن». يتنهّد كاسيوس: «لكنّني لم أتناول الفطور». تحيط الهالات بعيونه غير المبالية. يرمقني بنظرةٍ عبر الجموع من زملائنا، ويبتسم لي: «أنتسابق يا دارو؟».

أفاجأ أوّل الأمر، ثمّ أبتسم: «استعدّ!».

لقد اختفى.

قمت بالعديد مِن الأشياء الغبيّة لأطعم عائلتي. قمت بالعديد مِن الأشياء الغبيّة عندما مات الشخص الذي أحبّ. أدين لكاسيوس بالرفقة، وهو يتسابق لهبوط سفح التلّة المنحدر.

ثمانية وأربعون ولداً يشاهدوننا كيف نجري مسرعين لملء بطنينا؛ لا أحد يتبعنا.

- «أحضروا لي قطعةً مِن لحم الخنزير المغطّس بالعسل!». يصيح فيتشنير. أنطونيا تنعتنا بالأحمقين. سفينة الإمداد تحوم مبتعدةً، بينما نبلغ تضاريس أقلّ وعورةً مخلّفين المرتفعات وراءنا. ثمانية كيلومترات تحت قوّة جاذبيّة 0.376 (بمعايير كوكب الأرض) إنّها بغاية السهولة. نهبط باندفاعٍ عن سفح التلّة الصخريّ، ثمّ ننطلق بأعلى سرعةٍ على سهول

الأراضي المنخفضة، عبر عشبٍ بعُلوِّ الكاحل. يتغلَّب كاسيوس عليّ، ويصل إلى الطاولات أوّلاً بفارقٍ بطول قامة. إنّه سريع. كلانا يأخذ نصف ليتر مِن الماء المتجمّد الموجود على الطاولة. أشربه أسرع منه. يضحك.

- «يبدو كشعار عُصبة سيريس ذاك الذي على سارية علمهم؛ آلهة الحصاد». يشير كاسيوس عبر السهول الخضراء إلى الحصن. عدّة أشجار تتخلّل مسافة بضعة كيلومترات التي تفصلنا عن القلعة. رايات مثلّثة ترفرف على أسوارهم. يقذف بعنبة إلى فمه: «علينا إلقاء نظرةٍ عن قرب قبل التهام الطعام. قليل مِن الاستطلاع».

- «موافق... لكنْ شيءٌ ما ليس على ما يرام هنا». أقول بهدوء.

يضحك كاسيوس في السهل المفتوح: «هراء! سنلحظ المتاعب حال قدومها. ولا أظنّ أنّ أيّ أحدٍ منهم سيكون أسرع منّا نحن الاثنين. يمكننا التبختر أمام بوّاباتهم، والسخرية منهم إن أردنا».

- «شيءٌ ما يتخمّر في داخلي». ألمس معدتي.

مع ذلك، لا يزال هنالك شيء ما غير سليم. وليس فقط في بطني.

إنّها ستّة كيلومترات مِن الأرض المفتوحة بين الحصن النهريّ وبيننا. هنالك نهرٌ يعجعج بعيداً إلى اليمين، وغابةٌ بعيداً إلى اليسار، وسهولٌ في الأمام، وجبالٌ خلف النهر. بينما الريح تَحفُّ العشب الطويل، وعصفورٌ دوريٌّ ينزلق مع النسيم. إنّه ينقضُّ منخفضاً نحو الأرض قبل أن يجفلَ مرتدّاً إلى الأعلى ويبتعد. أضحك بصوتٍ عالٍ، وأتّكئ على الطاولة.

- «إنّهم في العشب». أهمس: «إنّه فخ».

- «يمكننا سرقة أكياسٍ منهم، والعودة محمّلين بالمزيد مِن هذا». يقول بصوتٍ عال: «أنركض؟».

- قردٌ ماجن.

يبتسمُ ابتسامةً عريضةً، على الرغم مِن أنّه لا أحد منّا متأكّد، إن كان مسموحاً لنا بدء القتال خلال يوم الاستطلاع. لا يهمّ.

عند العدّة الثالثة، نركل طاولة الاستخدام الواحد محطّمين أرجلها، ليحصل كلانا على متر مِن البلاستيك المقوّى كسلاح. أصرخ كرجُلٍ مجنونٍ، وأركض باتّجاه البقعة حيث هرب العصفور الدوريّ، كاسيوس بجانبي. خمسة مِن ذهبيّي عُصبة سيريس ينهضون مِن العشب. لقد ذعروا مِن انقضاضنا المجنون. كاسيوس يصيب الأوّل في رأسه بضربة مبارز سيفٍ متقنة؛ أمّا أنا، فأقلّ رقيّاً؛ لأنّ كتفي متيبّسٌ ويؤلمني. أصرخ وأكسر سلاحي على ركبة أحدهم، فينهار على الأرض متأوّهاً. تفاديت لكمة أحدهم، وكاسيوس يصدّها. نرقص كزوجين. بقي ثلاثة منهم. واحد منهم يقابلني معترضاً. ليس لديه سكّين، أو هراوة. كلّا، لديه شيءٌ مثيرٌ لاهتمامي أكثر بكثير؛ سيف على شكل علامة استفهام. نَصلٌ مِنجليٌّ لحصد الحبوب. إنّه يواجهني مع ظهر يده على خصره، والنصل المقوّس مشرعٌ كشفرة. لو كان شفرة، لكنت ميّتاً، لكنّه ليس كذلك. أجعله يخطئ، ليصد إحدى ضربات مَن يهاجم كاسيوس. أنقضُّ إلى الأمام على مهاجمي. إنّني أسرع منه بكثير، وقبضتي أشبه بالفولاذ المقوّى مقارنةً بقبضته؛ لذا آخذُ نصله المِنجَليَّ وسكّينه قبل أن ألكمه وأُسقطه أرضاً.

عند رؤيته كيف أتلاعب بالنصل المِنجَليِّ في يدي، يعلم آخر فتى غير مصابٍ بأنّه حان وقت الاستسلام. يقفز كاسيوس عالياً تحت قوّة جاذبيّة 0.376 وينفّذ ركلةً جانبيّةً دورانيّةً غير ضروريّةٍ في وجه الفتى. يذكّرني بالراقصين والوثّابين في ليكوس.

الكرافات، الرقص الصامت. يشبه على نحوٍ مخيفٍ رقصة الافتخار لشباب الحُمر.

لا شيء صامت في شتائم هذا الفتى. لا أشعر بأيّة شفقةٍ على هؤلاء الطلّاب. جميعهم قَتلوا أحداً ما اللّيلة الفائتة، مثلي تماماً. لا يوجد بريئون في هذه اللّعبة. الشيء الوحيد الذي يخيفني هو رؤية الكيفيّة التي يُجهز فيها كاسيوس على ضحاياه. إنّه الرُقيّ والإبداع؛ أمّا أنا، فالغيظ والزخم. بوسعه قتلي خلال ثانية، لو أنّه يعلم بسرّي.

- «يا لها مِن تسلية!». يدندن: «تبّاً كم كُنتَ مرعباً! لقد أخذتَ منه سلاحه. تبّاً كم كُنتَ سريعاً! كم أنا سعيدٌ لأنّهم لم يجمعونا مِن قبل. كان ذلك رائعاً! ما الذي لديكم لتقولوه دفاعاً عن أنفسكم، أيّها المتسلّلون الحمقى؟».

الذهبيّون المقبوض عليهم يشتمونا فقط.

أقف فوقهم وأحني رأسي نحوهم: «أهذه أوّل مرّة تخسرون فيها شيئاً ما؟». لا إجابة. أعبس: «حسناً، لا بدّ من أنّ هذا محرج».

يلمع وجه كاسيوس. للحظة ينسى موت أخيه، لكنْ أنا لا أنسى. أشعر بالظلمة، بالفراغ، بالشرّ عند تلاشي الأدرينالين. أهذا ما أرادته إيو؟ أن ألعَبَ الألعاب؟ يصل فيتشنير إلينا، وهو يحوم في الهواء فوقنا مصفقاً بيديه. حذاؤه الثقاليّ له بريقٌ ذهبيّ. إنّه يَعضُّ قطعة لحم الهام بأسنانه.

- «لقد أتت التعزيزات!». يضحك.

تيتوس وستّة مِن أسرع الفتيان والفتيات يركضون نحونا مِن المرتفعات. في الجانب المقابل، جسمٌ ذهبيٌّ يرتفع مِن الحصن النهريّ البعيد، ويطير باتّجاهنا. امرأةٌ جميلةٌ ذات شعرٍ قصيرٍ تستقرّ بالقرب

مِن فيتشنير في الهواء. مُشرِفة عُصبة سيريس. إنّها تحمل زجاجة نبيذٍ وكأسين.

- «مارس، هيّا للنزهة!». تنادي، مشيرةً إليه باسْم إله عُصبته.

- «إذنْ، مَن أعدّ هذه الدراما يا سيريس؟». يسأل فيتشنير.

- أوه! أبولو على ما أعتقد. إنّه وحيدٌ في مقرّه الجبلي. هاكَ نبيذ زينفاندل مِن كرومه. أفضل بكثير مِن صنف العام الفائت.

- «لذيذ!». يعلن فيتشنير: «لكنّ فِتيانك كانوا جاثمين في العشب، كأنّهم كانوا يتوقّعون حدوث النزهة على نحوٍ تلقائيّ. إنّه لأمرٌ مريبٌ، أليس كذلك؟».

- «تفاصيل». مُشرِفة سيريس تضحك: «تفاصيل متحذلقة».

- «حسناً، إليكِ بهذا التفصيل: يبدو أنّ اثنين مِن فتياني يساويان خمسة مِن فتيانك هذا العام يا عزيزتي».

- «هذان الفتيان الجميلان؟». تضحكُ سيريس بفتور: «ظننتُ أنّ عديمي الجدوى قد ذهبوا إلى أبولو وفينوس».

- أوه! حسناً فتيتكِ بكلّ تأكيد يقاتلون كربّات البيوت والمزارعين. لقد أحسنوا فرزهم.

- لا تحكم عليهم بعد أيّها الوغد. إنّهم مِن المختارين الأواسط. مجموعتي مِن المختارين الأوائل في مكانٍ آخر، يحصلون على بثراتهم الأولى.

- «يتعلّمون كيفيّة التعامل مع الأفران؟ مرحى!». يعلن فيتشنير ساخراً: «الخبّازون هُم أفضل الحكّام، كما سمعت».

تنكزه: «ياه، أيّها الشيطان! لا عجب بأنّك قوبِلْتَ لمنصب فارس الغضب. يا لكَ مِن نذلٍ وضيع!».

يقرعان كأسيهما، ونحن نشاهد مِن الأرض.

- «كم أحبّ يوم الاطّلاع!». تضحك سيريس بفتور: «ميركوري أطلق حالاً مئة ألف مِن الجرذان في قلعة جوبيتر، لكنّ جوبيتر كان بالمرصاد؛ لأنّ ديانا كشفَت الأمر بثرثرتها، وأمّنت بذلك وصول ألف قطّة. فتيان جوبيتر لن يجوعوا مثل السنة الفائتة. القطط ستكون سمينة كباخوس».

- «ديانا عاهرة». يعلن فيتشنير.

- كن لطيفاً!

- لقد كُنت؛ أرسلتُ إليها قالِب حلوى على شكل قضيبٍ ذكريٍّ، ومملوءٍ بطيور نقّار خشبٍ حيّة.

- لا، لم تفعلها.

- بلى.

- «أيّها الوحش!». تربّتُ سيريس على ذراعه لألحظ كم تسود سلوك هؤلاء الناس ممارسات الحُبِّ الحرّ. أتساءل إن كان بقيّة المُشرِفين عُشاقاً أيضاً: «حِصنها سيكون مُخرَّماً بالفتحات. أوه! الصوت لا بدّ من أن يكون فظيعاً. أحسنتَ صُنعاً يا مارس. يقولون بأنّ ميركوري الأكثر دهاءً، لكنْ لطالما كانت ألاعيبك تتمتّع بـ... حِسٍّ مرهف!».

- حِسٌّ مرهفٌ، إذنْ؟ حسناً، أنا متأكّد أنّ بوسعي إعداد بعض الألاعيب بسرعة مِن أجلكِ في الأوليمبوس...

- «مرحى!». تتودّدُ على نحوٍ لافت.

يشربان النخب مجدّداً، وهُما يطوفان فوق طلّابهما الذين يسيل منهم العَرقُ والدم. لم أستطع إلّا أن أضحك. هؤلاء الناس مجانين. لقد أصابَ جنونٌ ملعونٌ رؤوسهم الذهبيّة الخاوية. كيف يمكن أن يكونوا حُكّامي؟

- «هيه! فيتش! إن لم تمانع. ماذا علينا أن نفعل مع هؤلاء المزارعين؟». ينادي كاسيوس ناكزاً واحداً مِن أسراهم المصابين في أنفه: «ما القواعد؟».

- «كلوهم!». يصيح فيتشنير: «ودارو، ضع ذلك المنجل المتبَّب مِن يدك. تبدو كحصّاد حبوب».

لا ألقيه. إنّه شبيهٌ جدّاً بنصلي المِنجَليّ مِن الديار. ليس بتلك الحدّة؛ لأنّه لم يُصنع ليَقتل، لكنّ توازنه مماثل.

- «أنتم تعلمون أنّه بوسعكم أن تطلقوا سراح أبنائي، وتعيدوا لهم مناجل الحصاد». تقترح سيريس علينا.

- «أعطِني قبلةً وسنتفّق». يصيح كاسيوس.

- «فتى الإمبراتور؟». تسألُ فيتشنير. يومئ برأسه: «تعال واطلب واحدةً عندما تصبح ذا ندبةٍ أيّها الأمير الصغير». تنظرُ مِن فوق كتفها: «إلى أن يحين ذلك، أنصحكَ أنت والحصّاد بالهرب».

نسمعُ وقع الحوافر قبل أن نرى الأحصنة الملوّنة، وهي تعدو نحونا عبْر السهل. لقد أتوا مِن البوّابات المفتوحة لقلعة عُصبة سيريس. الفتيات على ظهر الأحصنة يحملن شباكاً.

- «أعطوكِ أحصنة، أحصنة؟». يعترضُ فيتشنير: «هذا غير عادلٍ أبداً!».

نركضُ وبالكادِ نصل إلى الغابة. لم يعجبني أوّل لقاءٍ لي مع الأحصنة. إنّها ما تزال ترعبني بشدّة. كلّ هذا الصهيل والدوس. أنا وكاسيوس نلتقط أنفاسنا. كتفي يؤلمني. يُلقى القبض على اثنين مِن تعزيزات تيتوس، بعد

أن وجدا نفسيهما محاصرين في أرضٍ مفتوحة. تيتوس المقدام يطيحُ بحصانٍ أرضاً، ويضحكُ، وهو يهمُّ بالإجهاز على إحدى الفتيات تحت حذائه. سيريس تقصفه بالقبضة الصاعقة، وتعقد سلاماً مع فيتشنير. القبضة الصاعقة تجعلُ تيتوس يتبوّل على نفسه. فقط سيفرو غير آبهٍ بما يكفي كي يضحك. كاسيوس يقول شيئاً عن السلوك السيّئ، لكنّه يضحكُ ضحكةً خافتة. تيتوس يلْحظ ذلك.

– «هل مِن المسموح لنا قتلهم أم لا؟». يتذمّر تيتوس تلك اللّيلة على العشاء. نأكلُ ما تبقّى مِن مأدبة باخوس: «أو سأُصعَقُ كلّ مرّة؟».

– «حسناً، ليس الهدف قتلهم». يقول فيتشنير: «لذا لا. لا تتجوّل في الأنحاء وتنحر زملاءك في الصفّ، أيّها القرد المجنون!».

– «لكنّنا فعلنا ذلك مِن قبل». يعترضُ تيتوس.

– «ما خطبك؟». يسألُ فيتشنير: «العُبور كان مكاناً للاصطفاء. إلّا أنّ الأمر لم يعد بعد الآن مجرّد نجاة الأصلح، يا كيس العضلات العملاق المجنون الأحمق! ماذا سيكون الهدف الآن مِن جعلنا الأصلح يقتل بعضهم بعضاً إلى أن تبقى قِلّة منهم؟ هنالك اختباراتٌ جديدةٌ الآن يجب اجتيازها».

– «انعدام الرحمة». تشبك أنطونيا ذراعيها: «إذنْ، الآن لم تعد مقبولة؟ أهذا هو ما تقوله؟».

– «أوه! مِن الأفضل أن تكون مقبولة». يبتسم تيتوس ابتسامةً عريضةً، وأخذ يتبجّح طوال اللّيل بإطاحته بالحصان أرضاً، كأنّ ذلك سيجعل الجميع ينسون البول الذي لوّث سرواله. بعضهم فعل. لقد جمع مِن حوله

قطيعاً مِن الكلاب المتزلّفة. فقط أنا وكاسيوس من يبدو أنّه يكنّ لنا ذرّة احترام، ولكنْ مع ذلك فهو يبتسم لنا بتصنّع، وكذلك فيتشنير.

فيتشنير يضع جانباً قطعة الهام بالعسل التي يتناولها.

– لنوضح الأمر يا أولاد، كي لا يتجوّل جاموس الماء هذا في الأرجاء، ويسحق الجماجم. انعدام الرحمة مقبولٌ يا عزيزتي أنطونيا. إن مات أحدهم نتيجة حادثٍ، هذا مفهوم. الحوادث تحدث لأفضلنا. لكنّكم لن تقتلوا بعضكم بالحرّاقات. لن تشنقوا الناس على أسواركم إلّا في حال كانوا أمواتاً مِن قبل. الروبوتات الطبيّة متأهّبةٌ في حال كانت هنالك حاجة ماسّة لأيّ تدخّلٍ طبيّ. إنّهم سريعون بما يكفي لإنقاذ الحيوات في معظم الأوقات.

– على الرغم من ذلك تذكّروا: الهدف ليس القتل. نحن لا نهتمّ إن كنتم بلا رحمة مثل فلاد دراكولا. لقد خسر على الرغم مِن ذلك. الهدف هو الفوز؛ هذا ما نريده.

وهذا الاختبار البسيط للوحشيّة قد أصبح مِن الماضي.

– نريد منكم أن تظهروا لنا ألمعيّتكم، مثل الإسكندر، مثل: قيصر، ونابليون، وميريووتر(*). نريد منكم أن تقودوا جيشاً، وتنشروا العدالة، وتنظّموا مخصّصات الغذاء والدروع. أيّ أحمق بوسعه أن يغرسَ نصلاً في بطن أحمق آخر. دور المدرسة هو العثور على قادة الرجال، وليس قتلة الرجال. إذنْ، الهدف –يا أيّها الأولاد الحمقى الصغار– ليس القتل، إنّما الغزو. وكيف تغزون في لعبة يوجد فيها إحدى عشرة قبيلة معادية؟

(*) John Merrywater شخصية مِن ابتكار المؤلف، يفترض بأنّه قائدٌ عسكريٌّ أمريكيٌّ عبقريٌّ في أثناء فترة غزو الذهبيّين لكوكب الأرض. (م).

- «القضاء عليها واحدة تلو الأُخرى». يجيب تيتوس مظهراً معرفةً مسبقة.

- كلّا أيّها العملاق آكل البشر!

- «أخرق!». يبتسمُ سيفرو ابتسامةً عريضةً لذاته. قطيع تيتوس يراقبُ بصمتٍ أصغر فتى في المعهد. لا تُطلَق أيّة تهديدات. لا تَرتعِش الوجوه. مجرّد وعدٍ صامت. مِن الصعب التذكّر دائماً بأنّ جميعهم عباقرة. إنّهم يبدون في غاية الجمال، والقوّة، والوحشيّة لكي يكونوا عباقرة.

- «أيّ أحد غير العملاق آكل البشر يريد أن يخمّن؟». يسأل فيتشنير.

لا أحد يجيب.

- «ستشكّلون قبيلةً واحدةً مِن اثنتي عشرة قبيلة». أقول أخيراً: «عن طريق الاستعباد».

تماماً مثل الجمعيّة؛ تُبنى على أكتاف الآخرين. إنّه ليس عملاً وحشيّاً، بلْ إنّه عَمليّ.

يصفّقُ فيتشنير على نحوٍ ساخر: «رائع يا حصّاد. رائع! يبدو أنّ أحدهم يسعى جاهداً لنيل لقب العريف». الجميع يتحرّك في مكانه مضطّرباً عند آخر مقطع. يخرج فيتشنير علبة طويلة مِن تحت الطاولة: «الآن يا أيّها السيّدات والسادة، هذا ما سوف تستخدمونه للاستعباد». يخرج رايتنا: «اِحموها. احموا قلعتكم. واغزوا كلَّ الآخرين».



22

القبائل

يرحلُ فيتشنير في الصباح. الراية ممدّدةٌ على كرسيّه، وهي: عبارة عن قطعةٍ حديديّةٍ بطول قدمٍ مُنتهية بذئبنا العَوّاء، وثعبان مُلتوٍ تحت أقدامه، وتحته هرم الجمعيّة المنتهي بنجمة، مع عصا مِن السنديان بطول خمسة أقدام مثبّتة إلى نهاية القطعة الحديديّة. إن كانت القلعة هي وطننا، فالراية هي شرفنا. بوساطتها يمكننا تحويل الأعداء إلى عبيدٍ لنا عن طريق ضغطها على جباههم. سيظهر هنالك شعار ذئبٍ إلى أن يُضغط شعارٌ آخر على الجبهة. على العبيد أن يطيعوا أوامرنا الصريحة، أو سينبذون إلى الأبد.

أجلس قبالة الراية في ظلمة الفجر، آكل مخلّفات وليمة أبولو. ذئبٌ يَعوي عبْر السديم. يجتازعواؤه نافذة البرج المُحصَّن العالية. أنطونيا الطويلة هي أوّل مَن ينضمّ إليّ. تنزلق إلى الداخل مثل برجٍ وحيد، أو عنكبوتٍ ذهبيٍّ جميل. لم أقرّر بعد في أيّ طريق ستمضي شخصيّتها. نتبادل النظرات، ولكنْ لا ترحيب. إنّها تريد منصب العريف.

كاسيوس وبولوكس ذو الصوت الأجشّ يدخلان بعدها. بولوكس يتذمّر مِن أنّه اضطرّ إلى الخلود إلى النوم مِن دون أن يقوم الوَرديّون بوضعه في الفراش.

- «مِن الواضح أنّها رايةٌ قبيحةٌ للغاية، ألا تعتقدون ذلك؟». تتذمّر أنطونيا: «بوسعهم على الأقلّ منحها القليل مِن اللّون. أعتقد أنّها يجب أن تُرشَّ بالأحمر كرمزٍ للغضب والدم».

- «ليست ثقيلة». يرفع كاسيوس الراية مِن عصاتها: «ظننت أنّها ستكون ذهبيّة». مبدياً إعجابه بيد العريف الذهبيّة ضمن كتلة الحجر الأسْود. إنّه يريد منصب العريف أيضاً: «وقد أعطونا خريطة أيضاً. رائع!».

خريطة حجريّة جديدة تهيمن على أحد الجدران. التفاصيل بالقرب مِن قلعتنا لافتةٌ للنظر، وتقلّ عند البقيّة. ضباب الحرب. يربّت كاسيوس على ظهري، وينضم إليّ، وأنا آكل. إنّه لا يعلم أنّني سمعته، وهو يبكي في اللّيل مجدّداً. إنّنا نتشارك سريراً طابقيّاً جديداً في المهاجع في القسم الأعلى مِن البرج المُحصَّن. الغالبيّة الأُخرى ما تزال تنام في القسم الرئيس مِن البرج. تيتوس وأصدقاؤه أخذوا القسم السفليّ مِن البرج على الرغم مِن أنّهم لا يملكون ما يكفي مِن أجسام لملئه.

غالبيّة أفراد العُصبة تستيقظ في الوقت الذي يظهرُ فيه سيفرو، وهو يجرّ ذئباً ميّتاً مِن أرجله إلى الداخل. لقد قام بسلخه وإخراج أحشائه أيضاً.

- «الغوبلن أحضر المؤونة!». يهلّل كاسيوس بلطف: «همم. نحن بحاجةٍ إلى حطب. أيعرف أحد ما كيفيّة إشعال النار؟»، سيفرو يعرف. يبتسم كاسيوس ابتسامة عريضة: «بالطبع، إنّك تعرف أيّها الغوبلن».

- «هل اكتشفت أن قتل الخراف سهل جدّاً عليك؟». أسأل: «مِن أين حصلت على سلاح؟».

- «ولدت معه». أظافره مغطّاةٌ بالدم.

يتجعّد أنف أنطونيا: «أين نشأت بحقّ الجحيم؟».

سيفرو يشير إليها بإصبعه الوسطى، إنّه جوهر الموضوع.

- «آه». تقولها أنطونيا، وهي تستنشق: «الجحيم إذنْ».

- «إذنْ، كما لحظتم جميعاً، سيستغرق الأمر وقتاً لا بأس به قبل أن يحصل أيّ أحد على ما يكفي مِن عيدان الاستحقاق ليصبح عريفاً». يعلن كاسيوس، وجميعنا مجتمعون حول الطاولة: «بطبيعة الحال، كنت أفكّر بأنّنا بحاجةٍ إلى قائدٍ قبل اختيار العريف». ينهض ويبتعد عن سيفرو بحيث تلامس أصابعه حافّة الراية: «مِن أجل أن نتمكّن مِن العمل، يجب أن يكون لدينا قرارات فوريّة ومنظّمة».

- «ومَن منكما أيّها الأحمقان يجب أن يكون بحسب رأيك؟». تسأل أنطونيا بلؤمٍ ناقلةً نظرات عينيها الكبيرتين منه إليّ. تستدير لتنظر إلى الآخرين، صوتها حلو كشرابٍ سكّريٍّ سميك: «الآن، ما الذي يجعل أيّاً منّا أنسب للقيادة مقارنةً بالآخرين؟».

- «أمّنوا لنا العشاء... والفطور». تقول ليا على نحوٍ وديع، وهي بجانب روكي، مشيرةً إلى بقايا طعام النزهة.

- «عندما ركضا إلى الفخّ مباشرة...». يذكّر روكي الجميع.

تومئ أنطونيا برأسها بحكمة: «نعم، نعم. نقطة حكيمة. العجَلة قد تؤذينا».

- «...لكنّهما قاتلا مِن أجل حريّتهما». يكمل روكي، لينال زورة مِن أنطونيا.

- «بأرجُلِ طاولة في مواجهة أسلحةٍ حقيقيّة». يهدر تيتوس موافقاً، مع تحفّظ: «لكنْ بعد ذلك هربا وتركا الطعام خلفهما؛ لذا كان فيتشنير هو مَن أعطانا الطعام. هما كانا ليعطيانه للعدو، كانا ليقدّمان الطعام مثل البُنّيين».

- «هيه، هذا تشويهٌ لحقيقة ما حدث». يقول كاسيوس.

يهزُّ تيتوس رأسه. «كلّ ما رأيته هو فِراركما كقرودٍ ماجنةٍ صغيرة».

يستاء كاسيوس.

- انتبه إلى سلوكك يا سيّد!

يرفع تيتوس يديه: «إنّني أراقب فقط؛ لماذا أنت غاضبٌ هكذا، أيّها الأمير الصغير؟».

- «انتبه إلى سلوكك يا سيّد! أو سنضطرّ إلى استبدال النصال بكلماتنا».

يمسكُ كاسيوس بمِذراته التي سرقها ويوجّهها نحو تيتوس: «أسمعت يا تيتوس ذهبيّ لادروس؟».

أخذ تيتوس يحدّق فيه، ثمّ ينظر إليّ، ليجمعني مع كاسيوس. فجأةً! شكّلنا أنا وكاسيوس قبيلةً في عيون الآخرين. المنظور الفكريّ يتبدّل بسرعة. آخذ وقتي مدوّراً سكّينتي التي سرقتها بين أصابعي. الطاولة بأكملها تراقب السكّين، خاصّةً سيفرو. يدي اليمنى الحمراء جمعت مليون طنٍّ مِن الهيليوم-3 ببراعتها، واليسرى نصف مليون. إنّ براعة أحمر دونيّ عاديّ كانت لتدهش هؤلاء الذهبيّين. لقد أبهرتهم. السكّين بين أصابعي الرشيقة أشبه بجناح الطائر الطنّان. أبدو هادئاً، لكنّ عقلي يسابق الأفكار.

جميعنا قد قَتلنا. كان هذا هو الرهان سابقاً. لكنْ ما هو الآن؟ تيتوس أوضح حالاً أنّه يريد أن يَقتل. أراهن أنّ بوسعي إيقافه الآن، بإقحام سكّيني في عنقه، لكنّ الفكرة بحدّ ذاتها كادت تجعلني أُسقِط نصلي. أشعر بموت إيو بين يديّ. أسمع صوت الارتطام الرطب لموت جوليان. لا أحتمل الدم، خاصّةً عندما يكون غير مسوّغ. بوسعي طرح هذه الدُمية الكبيرة أرضاً.

أرفع عينَيّ ببرودٍ نحو تيتوس. ابتسامته بطيئة، الازدراء بالكاد ملحوظ. إنّه يتحدّاني. عليّ أن أقاتله، أو أن أفعل شيئاً ما، إن لم ينظر في اتّجاهٍ آخر؛ هذا ما تفعله الذئاب، على ما أعتقد.

سكّيني تدور وتدور. وفجأةً! يضحك تيتوس. ينظر بعيداً. قلبي يتباطأ. لقد ربحت. أكره السياسة، خاصّةً في غرفة مملوءةٍ بالذكور المسيطرين.

– «بالطبع سمعتك، يا كاسيوس. إنّك تقف على بعد عشرة أقدام». يضحك تيتوس بصوتٍ خافت.

تيتوس لا يعتقد بأنّه قويٌّ كفاية ليتحدّانا أنا وكاسيوس على نحوٍ علنيٍّ، حتّى مع وجود قطيعه. لقد شاهد ما فعلناه بصِبيَة سيريس. ولكنْ هكذا فقط تُرسَم الحدود. أنهض فجأةً! مؤكّداً على أنّني مع كاسيوس. يجرّد ذلك تيتوس مِن أيّ زخم.

– «أهنالك أيّ أحد يمانع تولّي أيّ منّا القيادة؟». أسأل.

– «لا أريد لأنطونيا أن تقود؛ إنّها عاهرة». يقول سيفرو.

أنطونيا تطأطئ رأسها، لكنّها تهزّه موافقة.

– «كاسي، لمَ أنتَ على عجلةٍ مِن أمرك هكذا لإيجاد قائدٍ لنا؟». أسأل.

– «إن لم يكن لدينا قائد واحد، ستتشرذم وستتصرّف وفقاً لما سيعتقد كلٌّ منّا أنّه الأفضل». يقول كاسيوس: «هكذا سنخسر».

– «عوضاً عمّا تعتقدُ أنتَ بأنّه الأفضل». تقولُ ذلك مع ابتسامةٍ خفيفةٍ وإيماءة: «لقد فهمت».

– دعكِ مِن هذا التعجرف يا أنطونيا. حتّى بريام وافق على حاجتنا إلى قائدٍ واحد.

– «مَن هو بريام؟». يضحك تيتوس. يحاول لفت الانتباه إليه مجدّداً.

كلّ ولدٍ ذهبيٌّ على سطح الكوكب يعرف مَن هو بريام. تيتوس يحاول الآن أن يُوضِّح مَن قتله، وجَعلِ الآخرين يلحظون ذلك. إنّه يستعيد الزخم. لولا أنني أعرف أنّ تيتوس لم يَقتل بريام. ما كانوا ليضعوا شخصاً مثله مع بريام، سيضعون له أحداً ضعيفاً وهزيلاً هناك؛ لذا فتيتوس كاذبٌ ومتنمّر.

- «هيه، لقد فهمت. ألأنك تآمرت مع بريام، فستكون على علمٍ بالذي يجب فعله يا كاسيوس؟ أستعرف أفضل منّا جميعاً؟». تُلوِّح أنطونيا على الطاولة: «أتُخبِرنا بأنّه لا حول لنا ولا قوّة مِن دون قيادتك؟».

لقد أوقعته في الفخّ، وأوقعتني أيضاً.

- «اسمعوا يا فتية، أعرفُ بأنكم توّاقون إلى القيادة». تُكمِل: «أدركُ ذلك. جميعنا قادة بالفطرة. كلّ شخصٍ في هذه الغرفة عبقريٌّ بالفطرة، قائدٌ بالفطرة، ولكنْ هذا هو سبب وجود نظام استحقاق العريف. عندما يفوز أحدهم بخمسة عيدان استحقاقٍ، ويكون جاهزاً ليصبح عريفاً، عندها سيكون لدينا قائد.

حتى ذلك الوقت، أقول بأن نتريّث. إن فاز بها كاسيوس، أو دارو، فليكن كذلك. سأفعل أيّ شيءٍ يأمرون به، سأكون مطيعةً كوَرديّةٍ، وساذجةً كحمراء». تشير نحو الآخرين: «حتّى ذلك الوقت، أعتقد بأنّ أيّ أحدٍ منكم يجب أن يحصل أيضاً على فرصةٍ للفوز بالمنصب... في نهاية المطاف، قد يحدّد ذلك مستقبلكم المهنيّ».

إنّها ذكيّة. ولقد جعلتنا نغرق. كلّ ولدٍ في الغرفة يتمنّى بلا شك لو أنه كان أكثر حزماً منذ البداية، متمنّياً لو يحصل على فرصةٍ أُخرى ليجعل الناس تلْحظه. الآن، أنطونيا منحتهم إيّاها. ستَعمُّ الفوضى هنا، وسينتهي بها المطاف عريفة. إنّها عنكبوتٌ بكلّ تأكيد.

- «انظروا!». تقول ليا الموجودة بجانب روكي.

صوت بوقٍ يصدح مِن خلف القلعة.

الراية تختار هذا الوقت لكي تلمع. الثعبان والذئب يتجرّدان مِن الحديد لأجل الذهب البرّاق. ليس هذا فحسب، فالخريطة الحجريّة على الجدار تدبّ فيها الحياة أيضاً. فشِعارُنا الذي يحتوي على ذئب، راح يرفرف فوق مُجسّمٍ مُصغَّرٍ لقلعتنا. شعار سيريس يفعل الشيء نفسه. لا توجد علامات لأيّة قلاعٍ أُخرى على الخريطة، لكنّ شعارات العُصب غير المكتشفة ترفرف في مفاتيح الخريطة الدلاليّة. بلا شك، ستجد لها موطناً حالما نقوم باستطلاع الأراضي المحيطة.

بدأت اللّعبة، والجميع يريد أن يصبح عريفاً الآن.

بِتُّ أدركُ لمَ الديمقراطيّة غير قانونيّة. بداية يأتي الصراخ، فالإحباط، فالتردّد، فالخلافات، فالأفكار، فالاستكشاف، فالتحصّن، فجمع الطعام، فنصب الفخاخ، فشنّ حربٍ خاطفة، فالإغارة، فالدفاع، فالهجوم. ثمّ يبصق بولوكس. تيتوس يفقده وعيه. أنطونيا تغادر. سيفرو يقول شيئاً ما بذيئاً لتيتوس، ويسحب ذئبه إلى الخارج، إلى مكانٍ لا يعلمه سوى الله وحده، ولا يشعل النار. هذا يشبه ما كان يحدث بفريقٍ حَفريٍّ مِن عشيرة اللامبدا، كلّما غادر رئيس العمّال في إجازةٍ مَرضيَّةٍ لمدّة ساعة. هكذا تعلّمت أنّه باستطاعتي الحَفر: حينما كان يتسلّل بارلو ليدخّن، فأقفز إلى آلة الحفر، وأفعل ما ظننت أنّه الأفضل. أفعل الشيء نفسه الآن بما أنّ الأطفال يتشاجرون.

كاسيوس، وروكي، وليا -التي تتبع روكي في كلّ مكان- يأتون معي، على الرغم مِن أنّ كاسيوس على الأرجح يظنّ أنّنا نتبعه. نتّفق على أنّ

الآخرين لن يعرفوا ما الذي عليهم فعله، وكذلك نحن لن نقوم بأيّ شيءٍ غير ضروريّ اليوم. إنّهم سيحرسون القلعة، أو سيبحثون عن حطبٍ لإيقاد النار، أو سيتجمّعون حول الراية خوفاً مِن أن تُسرق.

لا أعرف ماذا أفعل. لا أعرف إن كان أعداؤنا يتسلّلون عبْر التلال نحونا. لا أعرف إن كانوا يقومون بعقد تحالفات ضدّ مارس. لا أعرف حتّى كيف يجب أن تُلعب هذه اللّعبة الملعونة! لكنْ لسببٍ ما، أفترض أنّه لن تشهد جميع العُصب الأُخرى نزاعاتٍ كهذه؛ نحن في عُصبة مارس يبدو أنّ لدينا نزعة أكبر للاختلاف.

أسأل كاسيوس ماذا يظنّ أنّ علينا أن نفعل.

- ذات مرّة، تحدّيتُ متعجرفاً أخرقَ كهذا في نِزالٍ؛ لإهانته عائلتي، وهو مُتظارِفٌ مِن أوغوستوس. كان شديد المنهجيّة، فقد شدّ قفّازيه، وربط شعره الجميل، وحَفَّ شفرته، مثلما يفعل قبل كلّ جولة تدريبٍ متبَّبة خاضها يوماً في نادي أجيا القتالي.

- و؟

- «أطبقت عليه، وطعنته في رضفته، بينما كان لا يزال يَحفُّ شفرته في أثناء استعداده». ينال استهجان ليا: «ماذا؟ كان النزال قد بدأ. أنا ماكرٌ، ولكنْ لست وحشاً. لقد ربحت فقط».

- «أشعر كأنّكم جميعكم تفكّرون هكذا». أقول: «جميعنا أقصد».

لم يلحظوا زلّتي.

إنّه على حق؛ عُصبتنا غير قادرةٍ على مهاجمة العدوّ بوضعنا هذا، لكنَ العدو بوسعه مهاجمتنا، ونحن مشغولون بالاستعداد، ليُحطِّم كلّ آمالي بالصعود ضمن الجمعيّة؛ لذا، أهمّ شيءٍ هي المعلومات. نحن بحاجةٍ إلى

معرفة إن كان أعداؤنا في وادٍ طوليٍّ ضيّقٍ يبعد نصف كيلومتر إلى الشمال أم على بُعد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب. هل نحن في زاوية ميدان اللّعب أم في مركزه؟ هل هنالك أعداء في المرتفعات؟ أو إلى الشمال مِن المرتفعات؟

أتّفق مع كاسيوس. علينا الاستطلاع.

نقسم: نتّجه أنا وكاسيوس نحو فوبوس، ومِن ثمّ نتحرّك عكس عقارب الساعة. ليا وروكي ينطلقان نحو ديموس ويقومان بالاستطلاع مع عقارب الساعة. سنلتقي عند الغسق.

لا نلحظ أثراً لأيّ أحدٍ من فوق قمّة فوبوس. الأراضي المنخفضة خاليةٌ مِن الأحصنة ومقاتلي سيريس؛ أمّا سلسلة المرتفعات إلى الجنوب، فمملوءةٌ بالبحيرات والماعز. وإلى الجنوب الشرقيّ، على قمّة جبلٍ قَزمِيّ مرتفعٍ، نلمح جزءاً مِن الغابة الكبرى في الجنوب والجنوب الشرقيّ. يمكن لجيشٍ مِن العمالقة أن يختفي هناك، وليس بوسعنا تفحّص المكان؛ فسنستغرق نصف يومٍ كي نقلّص المسافة، ونصبح قريبين مِن خطّ الأشجار فقط.

على بُعد قرابة عشرة كيلومترات مِن قلعتنا، نعثر على حصنٍ مِن الحجارة البالية بفعل العوامل الجويّة، يتموضع فوق تلّةٍ منخفضةٍ بغرض حراسة ممرّ. في الداخل يوجد صندوق نجاةٍ بسيطٌ يحتوي على اليود، والطعام، وبوصلة، وحبل، وستّة أكياس حفظ مقوّاة، وفرشاة أسنان، وأعواد كبريت، وضماداتٍ بسيطة. نجمع الأغراض ونضعها ضمن أكياس الحفظ المقوّاة النظيفة.

إذنْ، الإمدادات مخفيّةٌ في أنحاء الوادي. شيءٌ ما يخبرني بأنّ هنالك

أغراضاً مخفيّةً في الريف أكثر أهميّةً مِن عِدَدِ النجاة الصغيرة. ربّما أسلحة؟ أو وسيلة نقل؟ أو درع؟ أو تقنيّة ما؟ لا يمكن لهم أن يتوقّعوا منّا شنّ الحرب بالعصيّ، والحجارة، والأدوات المعدنيّة. وإن كانوا لا يريدون منّا أن يَقتُل بعضنا الآخر، فأسلحةٌ صاعقةٌ يجب أن تَحلَّ محلّ أسلحتنا المعدنيّة قريباً.

في هذا اليوم الأوّل نتعرّض لحروق شمسٍ شديدة، يُرطّبها السديم خلال عودتنا. تيتوس وقطيعه أصبحوا ستّة الآن، يعودون حالاً مِن تَوغُّلٍ غير مثمرٍ في السهول. لقد قتلوا عنزتين، لكنّهم لم يتمكّنوا مِن إيقاد النار للطهي، بما أنّ سيفرو تسلّل إلى مكانٍ ما في الخارج. لا أخبرهم عن عيدان ثقابي. نتّفق أنا وكاسيوس على أنّه إن كان تيتوس يريد أن يكون الرجُل الكبير، فعليه على الأقلّ أن يكون قادراً على تطويع النار. سيفرو، أينما يكون، عليه أن يوافق على ذلك أيضاً. صِبية تيتوس يضربون المعدن على الحجارة محاولين خلق شرارات، لكنّ حجارة القلعة لا تُولّد أيّة شرارة. المُشرِفون أذكياء حقّاً.

قطيع تيتوس يُرغِم الحثالة -إنّهم المختارون الأواخر- على جمع الحطب، على الرغم مِن عدم وجود نارٍ لديهم. جميعهم يبيتون، وهُم جائعون تلك اللّيلة، ما عدا روكي وليا، اللّذين يحصلان على بِضعة أصابع نجاة مِن التي لدينا. أحبّ هذا الزوج على الرغم مِن أنّهما ذهبيّان، وأسوّغ مصادقتهما بالقول لنفسي بأنّني أفعل ذلك كي أنشئ قبيلتي الخاصّة فقط. يبدو أنّ كاسيوس يظنّ أنّ كوين، تلك الفتاة السريعة مِن المختارين الأواسط، ستكون مفيدةً، لكنْ مِن السهل أن يفكّر هكذا بمعظم الفتيات الجميلات.

القبائل تكبر، والدرس الأوّل يجري حالاً.

أنطونيا تعثر على صديقٍ لها في زميل مُجحدَر: إنّه العِدائيُّ ذو الرأس المُجعَّد الذي يُدعى سيبيو. كما أنّها تتدبّر أمر إرسال مجموعاتٍ مسلّحةٍ بمعاول وفؤوسٍ عُثِر عليها في القلعة؛ لاحتلال ديموس وفوبوس. قد تكون الفتاة مشعوذةً عَفِنةً، لكنّها على الأقل ليست غبيّة. لكنْ لاحقاً يسرق قطيع تيتوس فؤوسهم، وهُم نيامٌ، فأعدل عن رأيي.

نخرج أنا وكاسيوس للاستطلاع معاً. في اليوم الثالث نرى دخاناً يتصاعد مِن بعيد، قرابة عشرين كيلومتراً إلى الشرق. إنّه أشبه بمنارةٍ في الغسق. فِرَقُ الاستطلاع المعادية ستكون في الخارج مثلنا. لو أنّهم أقرب، أو لو أنّ لدينا أحصنة، لتحرّينا عن الأمر، أو لو أنّ لدينا رجالاً أكثر، لانطلقنا في اللّيل، وخطّطنا لغارةٍ؛ بغية الحصول على عبيد، لكنّ المسافة البعيدة، وافتقادنا إلى الانسجام يصنع كلّ الفارق. بيننا وبين الدخان توجد أفاجيج ومسايل يمكن لها أن تخفي فِرقاً مِن المحاربين، وأيضاً هنالك عدّة كيلومترات مِن السهول المكشوفة التي سيتوجّب علينا قطعها. لن نقوم بهذه الرحلة الطويلة المرهقة. لن نقوم بها مع امتلاك بعض العُصب لأحصنة. لا أخبر كاسيوس، لكنّني خائف. المرتفعات تمنح شعوراً بالأمان، لكنْ في الأراضي الموجودة خلفها مباشرةً تطوف عِصاباتٌ مِن صغار الآلهة المختلّين عقليّاً. صغار آلهةٍ لا أريد أن ألتقي بهم بعد.

فكرة لِقاء عُصبٍ أُخرى، تجعل الجميع مذعورين أكثر مِن فكرة أنّ المنزل نفسه ليس آمناً. إنّه مثل ما كانت تقول أوكتافيا ذهبيّة لونا دائماً: لا يمكن لأيّ إنسانٍ أن يبذل أيّ مجهودٍ لتحقيق مساعيه، وهو يواجه حروباً قبليّة. لا يمكننا المخاطرة بترك تيتوس وحده مدّةً طويلة؛ لقد سرق في الحال ثمار التوت البريّ التي جمعها كلٌّ مِن ليا وكوين، وفي هذا الصباح

حاول استخدام الراية على كوين ليرى إن كان بالإمكان استعباد أحدٍ مِن أفراد عُصبته لصالح فِرَق الإغارة الخاصّة به. ويكتشف بأنّ ذلك ليس ممكناً.

- «علينا أن نوحّد العُصبة معاً بطريقةٍ ما». يقول لي كاسيوس، ونحن نستطلع المرتفعات الشماليّة: «المعهد سيكون معنا لبقيّة حياتنا. إن خسرنا، لن نحصل على منصبٍ أبداً».

- «وإن استعبدنا خلال مجريات اللّعبة؟». أسأل.

ينظر إليّ بقلق: «وهل هنالك ما هو أسوأ مِن هكذا خسارة؟».

وكأنّني بحاجةٍ إلى مزيدٍ مِن التحفيز.

- «والدك فاز في سَنتِه، أراهن على ذلك. ألم يكن عريفاً؟». أسأل، فلكي يصبح إمبراطوراً لا بدّ من أن يربح في سَنتِه.

- بالفعل، لطالما عرفت بأنّه رَبح سنته، على الرغم مِن ذلك لم يكن لديّ أدنى فكرة عن معنى ذلك إلى أن أتينا إلى هنا.

يتّفق كلانا على أنّه مِن أجل توحيد عُصبتنا مجدّداً، على تيتوس أن يرحل. لكنّ قِتاله على نحوٍ صريحٍ بات بلا جدوى، هذه الفرصة تبخّرت بعد اليوم الأوّل؛ لقد باتت قبيلته كبيرةً جدّاً.

- «أقول بأن نَقتُله، وهو نائم». يقترح كاسيوس: «أنا وأنت يمكننا فعل ذلك».

كلماته تجعل القشعريرة تسري في جسمي. لم نقرّر بعد، على الرغم مِن ذلك يسْهم اقتراحه في تذكيري بأنّنا مخلوقان مختلفان. أو هل نحن هكذا حقّاً؟ إنّ غضبه وحشيٌّ وباردٌ، ومع ذلك لا أرى الغضب مجدّداً، ولا حتّى بالقرب من تيتوس. إنّه كثير الابتسام والضحك، ويتحدّى أفراد قطيع

تيتوس بالجري والمصارعة عندما لا يخرجون للإغارة، تماماً مثلما أخفي غضبي، وأنا بين أعدائي.

وبينما يتواصل الجميع معي بحذر، فإنّ كاسيوس محبوبٌ مِن الجميع عدا قطيع تيتوس. حتّى إنّه بدأ بالاختفاء مع كوين. إنّها تَروقني. قتلَت غزالاً بوساطة فخّ، ثمّ راحت تروي قصّةً عن كيفيّة قتلها له بأسنانها، حتّى إنّها أظهرت لنا دليلاً، متمثّلاً بشعرٍ بين أسنانها واللّثة، وعلامات عضٍّ على الغزال. ظننّا أنّنا حظينا بسيفرو آخر أجمل إلى أن ضحكت بشدّة حتى عجزَت عن متابعة القصّة الطويلة. كاسيوس ساعدها بإزالة شعر الغزال مِن أسنانها. يعجبني الكذّاب الملتزم.

تسوء الظروف في الأيّام الأولى. يبقى الناس جائعين؛ لأنّنا ما زلنا بحاجةٍ إلى إشعال النار في القلعة، والنظافة الشخصيّة باتت منسيّةً بعد أن خُطفت اثنتان مِن فتياتنا، مِن قِبل فرسان سيريس، وهُما تستحمّان في النهر أسفل بوّابتنا تماماً. الذهبيّون يرتبكون عندما تبدأ حتّى مسامهم الدقيقة بالانسداد، ويصابون بالبثور.

- «تبدو كلسعة نحلة». يضحك روكي علينا أنا وكاسيوس: «أو شمس شعاعيّة بعيدة».

أتظاهر بأنّني منبهرٌ بها، مع أنّني لم أحصل عليها خلال حياتي الحمراء بأسْرها.

كاسيوس ينحني إلى الأمام ليتفحّصها: «ياه يا صاح! إنّها مجرّد...». حينها يفقأ روكي البثرة مباشرةً في وجه كاسيوس، ليجعله ينحني إلى الخلف، ويتقيّأ مِن شدّة القرف. تنفجر كوين ضاحكة.

- «أتساءل أحياناً». يبدأ روكي الحديث بعد تعافي كاسيوس: «ما

الغرض مِن كلّ هذا. كيف يمكن لهذا أن يكون الطريقة الأكثر كفاءةً لاختبار استحقاقاتنا، لتحويلنا إلى كائناتٍ تستطيع حكم الجمعيّة؟».

- «وهل توصّلت إلى نتيجةٍ ما؟». يسأل كاسيوس بقلق. إنّه يبقي نفسه بعيداً عن هذا الآن.

- «الشّعراء لا يتوصّلون إلى ذلك أبداً». أقول.

يضحك روكي ضحكةً خافتةً: «على النقيض مِن معظم الشّعراء، تمكّنتُ مِن ذلك في بعض الأحيان، ولديّ إجابتي عن ذلك».

- «انطقها». يُلِّح كاسيوس.

- «كأنّني ما كنت لأفعل ذلك مِن دون تعليماتٍ مِن فتانا المدلّل». يتنهّد روكي: «لقد أتوا بنا إلى هنا؛ لأنّ الوادي يمثّل البشريّة قبل حُكمِ الذهبيّين. مشرذمين، متفرّقين حتّى في قبيلتنا نفسها. يريدون منّا أن نَمرَّ بالعمليّة التي مرّ بها أجدادنا خطوةً خطوة. هذه اللّعبة ستتطوّر لتُعلِّمنا دروساً جديدة. الهَرَميّات ضمن اللّعبة ستتطوّر. سيكون لدينا حُمرٌ، وذهبيّون، ونحاسيّون».

- «ووَرديّون؟». يسأل كاسيوس متأملاً.

- «هذا منطقي». أقول.

- «ياه! هذا سيكون في غاية الغرابة». يضحكُ كاسيوس، وهو يَلفُّ خاتم الذئب الذي على إصبعه: «الأمّهات والآباء سيستشيطون غضباً إن حدث ذلك. ربّما لهذا ينظر تيتوس بشبقٍ إلى الفتيات؛ إنّه على الأرجح يريد الحصول على لعبة. بالحديث عن الألعاب، إلى أين أرسَلَ فيكسوس؟».

أضحك. فيكسوس، أخطر تابعٍ لتيتوس على الأرجح، والآخرون غادروا منذ قرابة ساعتين، بناءً على أوامر تيتوس، لاستغلال ميزة ارتفاع

برج فوبوس في استطلاع السهول، بغرض الإعداد لغارةٍ على عُصبة سيريس.

- «مِن الأفضل أن يكون فيكسوس في صفّنا عندما نقوم بلعبةٍ ما». أقول: «إنّه اليد اليمنى لتيتوس».

روكي يتابع بتسلسلٍ آخر مِن الأفكار.

- «لا... أعرف أيّ شيءٍ عن الوَرديّين». يقول روكي. فكرة أن يصبح الذهبيّون وَرديّين جعلته يستاء: «ولكنْ... الباقي أسهل. إنّه عالمٌ مصغّرٌ عن المجموعة الشمسيّة».

- «تبدو لي أشبه بلعبة انتزاع العَلَمِ بالسيوف، إن كنتم تذكرونها». أردُّ. لم ألعب هذه الرياضة قطّ، لكنْ خلال دراستي مع ماتيو تزوّدت بأحدث المعلومات عن الألعاب التي كان يلعبها هؤلاء الأطفال في حدائق آبائهم.

- «همم». يومئ كاسيوس برأسه. يقحم إصبعه في صدر روكي متظاهراً بالجديّة: «أوافقكَ؛ لذا يمكنكَ أخذ حديثكَ السريع هذا ووضعه حيث لا تجرؤ الشمس على السطوع يا روكي. نحن أصحابَ العقول العظيمة اتّخذنا قرارنا. إنّها لعبة انتزاع العَلَمِ».

- «فهمت». يضحك روكي: «ليس بوسع كلّ الرجال فهْم الاستعارات والمعاني المزدوجة مثلي، لكنْ لا تخافا يا صديقَيّ ذوَيّ العضلات، سأكون هنا لأقودكما عبْر الأمور المعقّدة، فمثلاً: بوسعي إخباركما بأنّ اختبارنا الأوّل سيكون إعادة جمع عُصبتنا معاً قبل أن يطرق العدوّ بابنا».

- «سحقاً!». أتمتم، وأنا أنظر مِن فوق حافّة الدريئة.

- «هل مِن شيء يزعج مؤخّرتك؟». يسأل كاسيوس.

- «يبدو أنّ اللّعبة قد بدأت في الحال». أشير نحو الأسفل.

عبْر الوادي الطوليّ الضيّق، تماماً حيث تَلتقي الغابة بالسهل العشبيّ، يجرُّ فيكسوس فتاةً مِن شعرها. أولى عبيد عُصبة مارس. وبعيداً كلّ البعد عن الشعور بالاشمئزاز، أنا أغار؛ أنا أغار مِن آنّني لستُ أنا مَن أمسكَ بها، بل تابعُ تيتوس مَن فعل ذلك، وهذا يعني أنّ تيتوس تزدادُ مصداقيّته.

23

التَّشرذُم

على الرغم مِن أنّنا جميعاً ما نزال ننام تحت سقفٍ واحدٍ، استغرق الأمر أربعة أيّامٍ فقط كي تتفكّك العُصبة إلى أربع قبائل. أنطونيا -مِن الواضح أنّها سليلة العائلة التي تملك حزام كويكباتٍ هائلاً- تحصلُ على المختارين الأواسط، وهُم: المتحدّثون، والمتذمّرون، والمخطّطون، والاتكاليّون، والضعفاء، والمتكبّرون، والسياسيّون.

غالباً ما يستقطب تيتوس المختارين العُلويّين، أو المختارين الأواسط: إنّهم نماذج البنية الجسديّة القويّة، والعنيفون، والسريعون، والجسورون، والأذكياء على نحوٍ نموذجيٍّ، والطموحون، والانتهازيّون؛ أي: الاختيار البديهيّ لعُصبة مارس. عازفة البيانو الأعجوبة، كاساندرا الهادئة، معه، كذلك بولوكس الأجش، وفيكسوس المختلّ عقليّاً، الذي ترتعش أواصره فرحاً مِن مجرّد فكرة إقحام المعدن في اللّحم.

لو كان لدينا أنا وكاسيوس حِسٌّ سياسيٌّ أكبر، لكنّا تدبّرنا أمر سرقة المختارين الأوائل مِن تيتوس. سحقاً! كان بإمكاننا جعل كلّ واحدٍ منهم قابلاً للانقياد، إنْ أخبرناهم بأنّ عليهم الانصياع فقط. بصرف النظر عن هذا

كلّه، أنا وكاسيوس كنّا الأقوى لبعض الوقت، لكنْ بعدها مَنحنا لتيتوس الوقتَ كي يُرهِب، ولأنطونيا كي تتلاعب.

- «سحقاً لأنطونيا!». أقول.

كاسيوس يضحك، ويهزُّ رأسه الذهبيّ، ونحن نتّجه شرقاً على طول المرتفعات، بحثاً عن مخابئ مخفيّةً أُخرى للإمدادات. ساقاي الطويلتان بوسعهما قطع مسافة كيلومتر في غضون دقيقة.

- «أوه! عليكَ توقُّع هذه الأشياء منها. لو لم تقضِ عائلتانا أوقات العطل معاً عندما كنّا صغاراً، لكنت ربّما نعتها بالديمقراطيّة منذ اليوم الأوّل، لكنّها بعيدةٌ كلّ البعد عن ذلك. أشبه أكثر بقيصر، أو... ماذا يطلقون عليهم، رؤساء؟ طاغية متخفٌّ في ثياب الضرورة».

- «إنّها كروثٍ في كأس شراب». أقول.

- «ماذا يعني هذا الهراء المتبَّب الذي تفوّهتَ به؟». يضحكُ كاسيوس.

عمّي نارول كان ليخبره.

- عفواً؟ آه. سمعت ذلك مرّةً مِن أحمر عُلويّ في يوركتن. تعني: أنّها كذبابةٍ في نبيذ.

- «أحمر عُلويّ؟». يضحك كاسيوس مِن أنفه: «إحدى مربّياتي كانت مِن الحُمر العُلويّين. أعلم أنّ الأمر غريب. كان يجب أن تكون بُنيَّةً، لكنّ المرأة كانت تقصُّ عليّ الحكايات، وأنا أحاول النوم».

- «هذا جميل». أقول.

- «ظننتُ أنّها مغرورةٌ، وتافهةٌ مزعجة. حاولتُ إخبار أمّي بأن تجعلها تصمت، وتدعني وشأني، لأنّ كلّ ما كانَت تريد فعله هو الحديث عن

الوديان، وعلاقات الحُبّ الكئيبة التي تنتهي دائماً بشكلٍ مِن أشكال الحزن. مخلوقٌ كئيب!».

– ماذا فعلَت والدتك عندما اشتكيت؟

– «أمّي؟ هيه! صفعتني على رأسي، وقالت: هنالك دوماً شيءٌ ما تتعلّمه مِن أيّ أحد، حتّى مِن الحُمر العُلويّين. هي وأبي يحبّان التظاهر بأنّهما تَقدُّميّان. إنّهما يُربكاني». يهزُّ رأسه: «لكنْ يوركتن. جوليان لم يستطع التصديق بأنّك مِن يوركتن».

تعود الظلمة إلى داخلي. حتى التفكير في إيو لم يبدّدها. حتّى التفكير في مهمّتي النبيلة، وكلّ الرُخَص التي تمنحني إيّاها لم يُعفِني مِن الشعور بالذنب. أنا الوحيد الذي عليّ ألّا أشعر بالذنب بسبب العُبور، لكنْ أعتقد -إضافةً إلى روكي- أنّني الوحيد الذي يشعرُ بذلك. أنظرُ إلى يدَيّ، فأتذكرُ دماء جوليان.

فجأةً! يشيرُ كاسيوس نحو السماء إلى الجنوب الغربيّ منّا: «ما هذا بحقّ الجحيم المتبَّب؟».

العشرات مِن الروبوتات الطبيّة التي تومض تتدفّق مِن قلعة الأوليمبوس العائمة. نسمع طنينها البعيد. المُشرِفون ينطلقون مسرعين خلفهم مثل سهامٍ مشتعلةٍ باتّجاه الجبال الجنوبيّة البعيدة. مهما حدث، شيء واحد مؤكّد: الفوضى تسود في الجنوب.

على الرغم مِن أنّ قبيلتي ما تزال نائمةً في القلعة، إلّا أنّنا انتقلنا مِن البرج العالي إلى البوّابة، بحيث لن نضطرّ إلى الالتقاء بزمرة تيتوس. لكي نظلَّ بأمان، نبقي أمر طهينا سرّاً.

نجتمعُ مع قبيلتنا لتناول العشاء، عند بحيرةٍ في المرتفعات الشماليّة.

ليسوا جميعهم مِن المختارين العُلويّين. لدينا بعضهم: كاسيوس، وروكي. لكنْ بعدها، فلا أحد ذا ترتيبٍ أعلى مِن الاختيار السابع عشر. لدينا بعض المختارين الأواسط: كوين، وليا، لكنّ البقيّة مِن الحُثالة، المختارين الأواخر: المُهرِّج، المُتجهِّم، الحشيشة، الحصوة، الشوكة. هذا يزعج كاسيوس على الرغم مِن أنّ حُثالة المعهد لا يزالون بشراً خارقين، ومُصادَقٌ عليهم مقارنةً مع بقيّة الألوان؛ إنّهم ذوو بنيةٍ جسديّةٍ قويّة. إنّهم مِطواعون. لا يطلبون منكَ الإعادة إلّا في حال أرادوا إضافة فكرة، ويتقبّلون أوامري، حتّى إنّهم يحاولون تَوقُّع ما الذي سأطلبه منهم لاحقاً. أعزو ذلك إلى الرعاية المحدودة التي تلقّوها في أثناء نشأتهم.

معظمهم أذكى منّي، لكنْ لديّ ذلك الشيء المميّز الذي يدعونه بالذكاء العامّ، والمُثبَت مِن خلال علامتي العالية في اختبار الاستقراء. لا يمكن القول بأنّ لذلك أهميّةً كبيرةً، لكنْ لديّ عيدان كبريت، وهذا يجعل منّي الإله بروميثيوس. على حدّ علمي لا أنطونيا، ولا تيتوس لديهما نار؛ لذا أنا الوحيد الذي بإمكانه ملء البطون. أجعل كلّ واحدٍ مِن قبليتي يقتل عنزةً، أو نعجة. ليس مسموحاً لأيّ أحدٍ بأن يكونَ طفيليّاً، ولو أنّ المُتجهِّم يحاول فعل ذلك. لا يلحظون رعشة يدَيّ، وأنا أذبح معزتي الأولى بالسكّين. هنالك الكثير مِن الثقة في عيون الوحش، متبوعة بالارتباك، وهو يموت، ولا يزال يعتقد بأنّني صديقه. الدم دافئ، مثل دم جوليان. عضلة العُنقِ قاسية. السكّين المثلّمة تضطرّني إلى حزّه كأنّها منشار، تماماً كما تفعلُ ليا لدى قتلها نعجتها الأولى، وهي تبدي استياءها. أجعلها تسلخها أيضاً بمساعدة الشوكة، وعندما لا تتمكّن مِن فعل ذلك، آخذُ يديها بين يدَيّ وأقودها مانحاً إيّاها قوّتي.

- «هل البابا سيضطرّ إلى أن يقطّع لك اللّحم أيضاً؟». تقول الشوكة ساخرة.

- «اسكتي!». يقول روكي.

- «يمكنها خوض معاركها وحدها يا روكي. ليا، لقد سألتكِ الشوكة سؤالاً». ترمقني ليا بنظرةٍ سريعةٍ مع عينين واسعتين مرتبكتين: «اسأليها سؤالاً آخر يا شوكة».

- «ما الذي سيحدث عندما سنجدُ أنفسنا في صدامٍ مع تيتوس، هل ستتأفّفين حينها أيضاً؟ يا لكِ مِن طفلة!». الشوكة تعرفُ ما الذي كنتُ أريدُ أن أسألها إيّاه. كنت قد طلبتُ إليها ذلك قبل ثلاثين دقيقة مضت، قبل إحضاري الماعز لليا.

أحرِّكُ رأسي مومئاً مِن ليا إلى الشوكة.

- «هل ستبكين؟». تسألُ الشوكة: «امسحي دموعكِ في...».

تزمجرُ ليا، وتقفز عليها. تتدحرجُ الاثنتان، وكلّ منهما تَلكمُ الأُخرى في وجهها. لم يطلِ الأمر قبل أن تتمكّن الشوكة مِن الإطباق على ليا وخَنقِها. روكي يتحفّزُ بجانبي، لكنّ كوين تسحبهُ إلى الخلف. وجهُ ليا يصبح أرجوانيّاً. يداها تضربان الشوكة، ثمّ تفقدُ وَعيها. أومئ للشوكة شاكراً. الفتاة ذات الوجه المظلم تومئ لي ببطءٍ برأسها.

في الصباح التالي تقف ليا منتصبة. حتّى إنّها تستجمع ما يكفي مِن الشجاعة لتمسك بيد روكي. كذلك تدّعي بأنّها تجيد الطهو أفضل منّا جميعاً، ولكنّها لا تجيد. روكي يحاول المساهمة أيضاً، لكنّه بالكاد يخرج بنتيجةٍ أفضل. تناولُ الطعام الذي أعدّوه أشبه بتناول إسفنجٍ ليفيٍّ جافّ. حتّى كوين، مع كلّ قصصها، لا تتمكّن مِن الإتيان بوصفةٍ واحدة.

نطهو لحم الماعز والغزال في مطبخ مخيّمنا الذي يبعد ستّة كيلومترات عن القلعة، ونقوم بذلك في المسيل في أثناء اللّيل؛ بحيث لا يمكن رؤية الضوء والدخان. لا نقتل النعاج؛ على العكس، نجمعهم ونودعهم بأمانٍ في الحصن الشمالي. بوسعي ضمُّ المزيد مِن الأفراد إلى قبيلتي بوساطة الطعام، لكنّ الطعام خطرٌ كبيرٌ بقدر ما هو نعمةٌ كبيرة. ماذا سيفعل تيتوس وقَتلتُه إن اكتشفوا أنّ لدينا ناراً، وطعاماً، وماءً نظيفاً...؟

كنّا أنا وروكي عائدين إلى القلعة مِن رحلة استطلاعٍ إلى الجنوب عندما سمعنا صوتاً قادماً مِن أجمةٍ صغيرةٍ مِن الأشجار. نقترب زاحفين، نسمعُ أصوات همهمةٍ وتقطيع. متوقّعين رؤية قطيعٍ مِن الذئاب يفتك بمعزة، نحدِّق عبر الأجمة لنجد أربعةً مِن جنود تيتوس يجثمون القرفصاء حول جثّة غزال. وجوههم مدمّاة، عيونهم قاتمة وشرهة، وهُم يقتطعون بسكاكينهم شرائح مِن الغزال الميّت. خمسة أيّام بلا نار، خمسة أيّامٍ مِن التوت البريّ السيّئ، كانت كافيةً لتحويلهم إلى همج متوحّشين.

- «علينا أن نعطيهم أعواد ثقاب». يخبرني روكي بعدها: «الحجارة هنا لا تصدر شرارةً مِن الصوّان».

- كلّا! إن أعطيناهم أعواد ثقاب، عندها سيصبح لتيتوس أيضاً قوّة أكبر.

- وهل لهذا أهميّة عند هذه النقطة؟ سيمرضون إن استمرّوا بأكل اللّحم النيّئ. إنّهم مرضى أصلاً!

- «إذنْ، فليتبرّزوا في بناطيلهم». أصدر نخيراً: «هنالك أشياء أسوأ».

- أخبرني يا دارو، ما الأسوأ: أن يكون تيتوس صاحب السُّلطة في مارس قويّة أم أن يكون دارو صاحب السُّلطة في مارس ضعيفة؟

- «أسوأ لمن؟». أسأل بغضب.

يكتفي بهزّ رأسه.

- «دعهم يفسدون بطونهم المتبَّبة». إنّه رأي كاسيوس: «لقد فعلوا ما يريدون. فليجنوا ما يستحقّون».

جيشي يوافق.

- أنا معجبٌ بجيشي، الحثالة، المختارين الأواخر. إنّهم ليسوا مؤهّلين، أو مهذّبين مثل المختارين العُلويّين. معظمهم يتذكّر أن يشكرني عندما أعطيهم الطعام فقط، في البداية لم يكونوا يفعلون. إنّهم لا يقفزون خلف تيتوس في أثناء غارات الفؤوس عند منتصف اللّيل، ببساطة لأنّهم لم يعودوا يستمتعون بذلك. كلّا! إنّهم يتبعوننا لأنّ كاسيوس ساحرٌ كالشمس، وفي ضوئه يبدو الظلّ الذي ألقيه كأنّه يعرف ماذا يفعل، لكنّه لا يعرف. إنّه مثلي؛ ولدٌ في منجم.

مع ذلك، لا يزال الأمر يبدو كأنّ لديّ استراتيجيّة مِن نوعٍ ما. أجعلُ مَن معي يصنعون خرائط منطقتنا على الألواح الرقميّة التي وجدناها في الأقبية الرطبة في قعر الفجّ، لكنْ ما زلنا بلا أسلحةٍ سوى نصلي المِنجَليّ، وبضع سكاكين، وعصيٍّ مدبّبة؛ لذا فمهما كانت الاستراتيجيّة التي لدينا فإنّها مبنيّةٌ على الحصول على المعلومات.

الشيء المضحك هو أنّ قبيلةً واحدةً فقط لديها فكرةٌ لعينةٌ عمّا يحدث، وهي ليست قبيلتنا، وليست قبيلة أنطونيا، وبكلّ تأكيد ليست قبيلة تيتوس؛ إنّها قبيلة سيفرو، وأنا متأكّدٌ تقريباً بأنّه العضو الوحيد فيها، إلّا في حال أنّه قام بتبنّي ذئابِ الآن. مِن الصعوبة القول: إنْ قام بذلك أم لا. عُصبتنا لا تقيم وجبات عشاء عائليّة، لكنْ على الرغم مِن ذلك، نراه بين الحين

والآخر، يركض على طول سفوح التلال في اللّيل مرتدياً جلد الذئب، ليبدو -كما أجاد كاسيوس وصفه- «كطفلٍ شيطانيٍّ بشعرٍ كثيفٍ يتعاطى المهلوسات». حتّى إنّ روكي سمع في إحدى المرّات شيئاً -ليس بذئب- يَعوي في خبايا المرتفعات. في بعض الأيّام، يمشي سيفرو في الأنحاء على نحوٍ طبيعيٍّ مُهيناً كلّ ما يتحرّك عدا كوين. إنّه يقوم باستثنائها، يمنحها اللّحوم والمشروم الصالح للأكل عوضاً عن الإهانات. أظنّ بأنّه مغرمٌ بها على الرغم مِن أنّها مغرمةٌ بكاسيوس.

نطلب إليها أن تخبرنا قصصاً عنه، لكنّها لا تفعل. إنّها مخلصةٌ، وربّما لهذا تُذكّرني بالديار. إنّها دائماً تروي قصصاً جيّدة، أغلبها على الأرجح أكاذيب مُجمَّلة. فيها شرارة حياة، تماماً مثل تلكَ التي كانت لدى زوجتي. هي الوحيدة منّا التي ما تزال تنادي الغوبلن بـ«سيفرو»، وهي أيضاً الوحيدة التي تعرف أين يعيش. حتّى مع كلّ ما قمنا به مِن استطلاع، إلّا أنّنا لم نتمكّن مِن العثور على أيّ أثرٍ لمكان نومه. كلّ ما أعرفه أنّه في الخارج يسلخ فروات الرؤوس وراء المرتفعات. أعلم أنّ تيتوس أرسل مُستطلِعين ليتعقّبوه، ولكنْ لا أظنّ أنّهم نجحوا في ذلك، فهُم لا يستطيعون حتّى تَعقُّبي. أعلم أنّ ذلك يُزعِج تيتوس جدّاً.

- «أظنّ أنّه يستمني في مكانٍ ما بين الشجيرات». يضحك كاسيوس ضحكةً خافتة: «فقط ينتظرنا حتّى يقتل بعضنا بعضنا الآخر».

مع عودة ليا، وهي تعرج إلى القلعة، يخرج روكي للبحث عنّا أنا وكاسيوس.

- «لقد ضربوها». يقول: «الأمر ليس سيّئاً جدّاً، لكنْ ركلوها على معدتها، وأخذوا منها ما جنته طوال اليوم».

- «مَن؟». يسأل كاسيوس منزعجاً: «أيّ نذلٍ حقير؟».

- «لا يهمّ. ما يهمّ أنّهم جائعون؛ لذا توقّفوا عن اللّعب بأسلوب العين بالعين. لا يمكن لذلك أن يستمر». يقول روكي: «فتية تيتوس يتضوّرون جوعاً. ما الذي كنت تتوقّع منهم أن يفعلوه؟ اللّعنة! المتوحّش الكبير يطارد الغوبلن؛ لأنّه يريد النار والطعام. إن أعطيناه ذلك فقط، سنستطيع توحيد العُصبة، والحفاظ على التحضّر. ربّما حتّى أنطونيا ستعيدُ قبيلتها إلى رشدها».

- «أنطونيا؟ الرشد؟». يسأل كاسيوس مقهقهاً.

- «حتى لو حدث ذلك، سيكون تيتوس الأكثر قوّة». أقول: «وهذا لن يحُلَّ أيّ شيء».

- «أوه! حسناً. هذا شيء لا يمكنك تحمّله؛ شخص آخر يمتلك القوّة. حسناً إذنْ». يجذب روكي شعره الطويل: «تَحدَّث إلى فيكسوس، أو بولوكس. جرّده مِن قادته إن اضطّررت إلى ذلك، لكنْ قم برأب صدع العُصبة يا دارو، وإلّا سنخسر عندما تأتي عُصبة أُخرى وتدقّ بابنا».

في اليوم السادس آخذُ بنصيحته، مع علمي بخروج تيتوس في غارة، أخاطر بالبحث عن فيكسوس في البرج المُحصَّن. مع الأسف، يعود تيتوس باكراً أكثر مِن المتوقّع.

- «تبدو في قمّة النشاط والحيويّة». يقول لي قبل أن أتمكّن مِن العثور على فيكسوس في القاعات الحجريّة للبرج المُحصَّن. يقف في طريقي بجسمه الضخم، كتفاه يمتدّان تقريباً بعرض الحائط. أشعر بأحدٍ ما آخر في الردهة خلفي. فيكسوس مع اثنين آخرين. أشعرُ بمعدتي تسقط قليلاً. لقد كان مِن الغباء القيام بهذا: «إلى أين أنت ذاهب، إن كان مسموحاً لي أن أسأل؟».

- «أريد مقارنة خرائط استطلاعنا مع الخريطة الرئيسة في غرفة القيادة». أكذب، وأنا أعرف أنّ لديَّ لوحاً رقمياً في جيبي.

- أوه! تريد مقارنة خرائط الاستطلاع بالخريطة الرئيسة... أمن أجل صالح مارس، يا دارو النبيل؟

- «وهل هنالك مصلحة أُخرى؟». أسأل: «جميعنا في جانبٍ واحد، أليس كذلك؟».

- «أوه! نحن في جانبٍ واحد». يقول تيتوس مفجّراً ضحكةً منافقة: «فيكسوس، إن كنّا في جانبٍ واحدٍ، ألا تعتقد أنّه سيكون من الأفضل أن نتشارك خرائطه الصغيرة مع بعضنا؟».

- «سيكون ذلكَ أفضل شيء». يوافق فيكسوس: «المشروم، الخرائط، لا فرق». إذنْ، هو مَن هاجم ليا الصغيرة. عيناه ميّتتان مثل عينَي غراب.

- «أجل؛ لذا سألقي نظرةً مِن أجلك يا دارو». يقتلع تيتوس خرائط الاستطلاع منّي. لم يكن هنالك ما يمكنني فعله كي أوقفه.

- «على الرحب والسعة». أقول: «ما دُمتَ تعرفُ أنّ هنالك نيران أعداءٍ بعيداً في الشرق، وأعداء على الأغلب في الغابة الكبرى في الجنوب، أغِر كما تريد. فقط لا تدعهم يمسكونك، وسروالك مرخيّ».

تيتوس يشمّ الهواء. لم يكن يستمع إليّ.

- «بما أنّنا نتشارك يا دارو». يشمُّ مرّةً أُخرى، مقترباً مِن رقبتي: «ربّما ستشاركنا وتخبرنا لِمَ تفوح منك رائحة دخان الحطب».

أتجمّدُ، ولا أدري ماذا أفعل.

- «انظر إليه، وهو يتلوّى. انظر إليه، وهو ينسج الأكاذيب». صوت

تيتوس مملوءٌ بالاشمئزاز: «أستطيع شمَّ خداعك. شمَّ الأكاذيب تقطرُ منكَ كالعَرق».

- «مثل امرأة في خصوبتها». يقول بولوكس بطريقةٍ ساخرةٍ، ويهزُّ رأسه معتذراً إليّ.

- «مقرف!». يقول فيكسوس ساخراً: «إنّه وغدٌ تافه. بائسٌ مخنّث». لا أعرف لمَ ظننت أنّه سيكون بمقدوري جعله ينقلب على تيتوس.

- «إنّك طفيليٌّ صغير». يتابع تيتوس: «تقتطعُ مِن الأخلاق شيئاً فشيئاً؛ لأنّك لن تخضع؛ منتظراً أن يتضوّر مِن الجوع فتياني وفتياتي النبلاء». إنّهم يضيّقون الخناق عليّ مِن الخلف، ومِن الجوانب: تيتوس ضخم، بولوكس وفيكسوس متوحّشان، إنّهما بحجمي تقريباً: «إنّك مخلوقٌ بائس. دودةٌ في ظهرنا».

أهزُّ كتفي على نحوٍ عرضيّ، محاولاً جعلهم يعتقدون أنّني لست خائفاً.

- «بوسعنا إصلاح الأمر». أقول.

- «أوه؟». يتساءل تيتوس.

- «الحل بسيطٌ أيّها الرجُل الكبير». أنصح: «أحضر فتيتك وفتياتك إلى المنزل. توقّف عن غزو سيريس كلّ يوم قبل أن تأتي عُصبةٌ أُخرى وتذبحكم جميعاً؛ عندها سنتحدّث عن النار، وعن الطعام».

- «أتعتقد بأنّه بوسعك أن تُملي علينا ما يجب فعله يا دارو؟ أهذا هو المغزى مِن الأمر؟». يسأل فيكسوس: «أتظنّ أنّك أفضل لأنّك أحرزت نتيجةً أعلى في اختبارٍ صغيرٍ غبيّ؟ أو لأنّ المُشرِفين اختاروك أوّلاً؟».

- «إنّه كذلك». يضحك تيتوس بصوتٍ خافت: «إنّه يظنّ أنّه يستحقّ أن يكون العريف».

فيكسوس بوجهه الشبيه بالباز ينحني مقترباً منّي، شفتاه تلفظان كلّ كلمةٍ بسخرية. إنّه وسيمٌ عندما يكون هادئاً، لكنّ شفتيه تتقشّران بشدّةٍ الآن، وأنفاسه نتنة، وهو ينظر إليّ ليقيّمني محاولاً جعلي أظنّ أنّه ليس مبهوراً. إنّه يضحك مِن أنفه بازدراء. أرى أنّه يُزيح رأسه ليبصق في وجهي. أتركه يفعل ذلك. كرة اللّعاب تضرب وتنساب ببطءٍ على خدّي نحو شفتَيّ.

تيتوس ينظر مع ابتسامةٍ ذئبيّة. عيناه تلمعان. فيكسوس ينظر إليه باحثاً عن التشجيع. بولوكس يقترب.

- «إنّك ذَكرٌ صغيرٌ مدلّل». يقول فيكسوس. أنفه يكاد يلامس أنفي: «إذنْ، هذا ما سآخذه منك، يا سيّد؛ ذَكركَ الصغير».

- «أو يُمكنكَ تركي أرحل». أقول: «يبدو أنّكَ تسدُّ الباب».

- «أوه!». يضحك، وهو ينظر إلى سيّده: «إنّه يحاول أن يظهر أنّه ليس خائفاً يا تيتوس. يحاول تجنّب القتال». إنّه يبدو مثلي بتلك العين الميّتة الذهبيّة: «لقد سبق أن حَطمتُ فتيةً مغرورين مثلك في أندية المبارزة آلاف المرّات».

- «سبق؟». أسأل متشكّكاً.

- أحطّمهم كالأغصان، ثمّ آخذ فتياتهم كنوعٍ مِن الرياضة. يا للإحراج الذي سبّبته لهم أمام آبائهم! يا للفوضى الباكية التي أحدثتها في الفتية أمثالك!

- «ياه! فيكسوس». أقول متنهّداً، تاركاً ارتعاش الغضب والخوف الذي فيَّ بعيداً عن صوتي: «فيكسوس، فيكسوس، فيكسوس. لا وجود لفتيةٍ مثلي».

أعيدُ النظر إلى تيتوس لكي أتأكّد أنّ نظراتنا قد التقت، وأنا ألوِّح

عرضيّاً، كأنّني أرقص، بيد غطّاس الجحيم خاصّتي، وأنهال بها على جانب عنق فيكسوس على الوريد الوداجيّ بقوّةٍ، كأنّها ضربة مِرزَبّة. لقد حطّمته، ومع ذلك أضربه بمرفقي، وركبتي، ويدي الأُخرى، وهو يسقط. لو أنّه كان يقف على قدميه بثباتٍ أكثر، لكانت الضربة الأولى قسمت عنقه إلى نصفين. عوضاً عن ذلك، إنّه يتشقلبُ نحو الجانب تحت الجاذبيّة الخفيفة، ليصبح بوضعيّةٍ أفقيّةٍ، وليختلج من جرّاء الضربات التي أمطرها به، وهو يرتطم بالأرض. نظراته باتت خاوية. الخوف يملأ جوفي. جسمي قويٌّ جدّاً.

تيتوس والآخرون منذهلون مِن هذا العنف المفاجئ، لدرجة أنّهم لا يوقفونني، وأنا أستدير مارّاً بالقرب مِن أيديهم الممدودة، وراكضاً عبْر الأروقة.

أنا لم أقتله!

أنا لم أقتله!

24

حَربُ تيتوس

لم أقتل فيكسوس، لكنّني قتلتُ فرصة توحيد العُصبة. أركضُ إلى الأسفل عبر السلالم الحلزونيّة للبرج المُحصَّن. الصيحات تعلو مِن خلفي. أمرُّ بجوار تلاميذ تيتوس المتسكّعين؛ إنّهم يتشاركون فُتاتاً مِن السمك النّيء الذي تمكّنوا مِن اصطياده بالرمح مِن النهر. بوسعهم عرقلتي لو أنّهم يعرفون ما الذي فعلته. فتاتان تريانني، وأنا أمرّ بجانبهما، وتسمعان صيحات قادتهم، تتأخّران جدّاً في التحرّك. أمرُّ بالقرب مِن أيديهما، بالقرب مِن البوّابة السفلى للبرج المُحصَّن، متّجهاً إلى داخل الساحة الرئيسة للقلعة.

– «كاسيوس!». أنادي عند بوّابة القلعة؛ حيث ينام رجالي: «كاسيوس!». يطلّ برأسه عبر النافذة، وينظر إلى وجهي.

– «أوه، سحقاً، روكي!». يصرخ: «لقد حدث الأمر. أيقظ الحثالة!».

ثلاثة مِن فتية تيتوس، وواحدةٌ مِن فَتياته، يلاحقونني عبر الساحة. إنّهم أبطأ منّي، ولكنّ واحدةً أُخرى تأتي مِن موقعها على الجدار لتعترضني، إنّها كاساندرا. شعرها القصير يخشخش مع قِطَع المعدن المثبّتة به. بلا

أيّ مجهود، تقفزُ مسافة ثمانية أمتار مِن الدريئة، مع فأسٍ في يدها، وتنطلقُ لتعترضَ طريقي قبل أن أصل إلى الأدراج. خاتمها بذئبه الذهبيّ يلمعُ في الضوء المنحسر. مِن الجميل النظر إليها.

عندها تهرع قبيلتي بأكملها إلى خارج البوّابة. مُحضرينَ معهم حقائبهم الأوليّة، وسكاكينهم، وهراواتهم التي نحتناها مِن الأغصان المتساقطة المأخوذة مِن غابتنا، لكنّهم لا يتوجّهون نحوي. إنّهم أذكياء؛ لذا يفتحون البوّابة الضخمة المزدوجة التي تفصل القلعة عن المَمَرّ المُنحَدر المُفضِي إلى الأسفل نحو الوادي الطوليّ الضيّق. السديم يتسرّب عبر البوّابة المفتوحة ليختفوا في الظلمة. فقط كوين تبقى في الخلف.

كوين، هي الأسرع مِن عُصبة مارس، تَثِب على الأرض المرصوفة مثل غزال، وتأتي لمساعدتي. تديرُ هراوتها في الهواء. كاساندرا لا تراها. شعرها الذهبيّ الطويل المربوط كذيل حصان، يَصفِق في هواء اللّيل المنعش لدى تأرجح كوين مع ابتسامةٍ على وجهها، وصدمها لكاساندرا مِن طرفها، وضربها بكامل قوّتها بهراوتها على ركبتها. لتَشقّقِ الخشب على العَظم الذهبيّ القويّ صوتٌ عالٍ، وكذلك صراخ كاساندرا. ساقها لم تُكسر، لكنّها تنقلب في الهواء، وتسقط على الأرض المرصوفة. لا تبطئ كوين تقدّمها، بل تنطلق مسرعةً إلى جواري، لنترك معاً زمرة تيتوس خلفنا.

نلحقُ بالآخرين عند قعر الوادي الطوليّ الضيّق. متحرّكين عبر التلال الوعرة، نتوجّه نحو حصننا الشماليّ الموجود عميقاً في المرتفعات المغطّاة بالسديم. البخار يلتصق بشعرنا، متقطّراً على شكل لآلئ. نصل إلى الحصن بعد حلول منتصف الليل بمدّة. إنّه برجٌ كهفيٌّ قاحلٌ ينحني فوق الإفجيج كساحرٍ ثمل. الإشنيات تغطّي الأحجار الرماديّة الثخينة.

السديم يغطّي دريئته، ونحن نُعِدُّ أوّل وجبةٍ لنا مِن الطيور الموجودة في أطناف(*) البرج الوحيد. بعضهم يهرب. أسمع صوت أجنحتها في اللّيل المظلم؛ حربنا الأهليّة بدأت.

لسوء الحظ، تيتوس ليس عدوّاً غبيّاً. لم يأتِ للنيل منّا كما كنّا نعتقد أنّه سيفعل. تَمنّيتُ لو يأتي محاولاً فرض حصارٍ على حصننا الشماليّ، ليرى جيشهُ بذلك نيراننا داخل الأسوار الحجريّة، ويشمَّ اللّحم، وهو يَنِشُّ بالدهن. الخراف التي جمعناها سابقاً يمكن أن تبقى لأسابيع، ولأشهر في حال توفّر الماء لدينا. يمكننا إقامة الولائم كلّ ليلة. سينكسرون حينها. سيتركون تيتوس خلفهم. لكنّ تيتوس يعرف بأمر سلاحي، النار؛ لذا يتجنّبنا كي لا يتمكّن فتيته وفتياته مِن رؤية الرفاهية التي لدينا.

لا يترك قبيلته لمدّةٍ طويلةٍ كي لا يدع لها وقتاً للتفكير. فالسعار والحرب يسبّبان انعدام الأحاسيس لدى المرء؛ لذا فهُم يغيرون على عُصبة سيريس منذ اليومِ السادس، وهو يصنع جوائز لأفعال الشجاعة والعنف، مانحاً الفتية والفتيات علامات بالدم على خدودهم ليحملوها بكلّ فخر. نتسلّل في الأنحاء لنراقب وِحداتهم الحربيّة مِن بين الأجمة والأعشاب الطويلة للسهول. أحياناً، نحصل على إطلالةٍ مِن قمم المرتفعات الجنوبيّة بالقرب مِن فوبوس، لنشهد منها حِصار عُصبة سيريس.

يرتفعُ الدخان حول عُصبة سيريس على شكل تاجٍ مُكفهرّ. أشجار التفّاح تُقطع، والأحصنة تُسرق. مُغيرو تيتوس يسرقون -حتّى بوساطة الوَهَنِ- مشعلاً مِن أحد أسوار سيريس، في محاولةٍ لجلب النار إلى

(*) إفريز يشرف خارجاً عن البناء للحماية مِن المطر. (م).

قلعة مارس. فرسان سيريس يلحقون بهم بدِلاءٍ مِن الماء قبل أن يصلوا إلى ديارهم. تيتوس يضربُ بغضبٍ عندما يحدث ذلك، وأحصنة سيريس تعدو مسرعةً لتنقضّ على اللّهب بالماء قبل أن تستدير عائدةً إلى ديارها. بمساعدة فيكسوس، جنديّه الأفضل، يقلبُ واحداً مِن الأحصنة بوساطة غصن شجرةٍ مدبّبٍ على هيئة رمح. تسقطُ الفارسة عن السرج، وينقضّ عليها بولوكس. يأخذون عبدين آخرين ذلك اليوم، وتيتوس يأخذ الحصان لنفسه.

إنّه اليوم الثامن لنا في المعهد، وأنا أشاهدُ الحصار مع كاسيوس وروكي مِن المرتفعات. يمتطي تيتوس اليوم الحصان الذي أمسكوه، ويسير به مع وهق تحت سور عُصبة سيريس، متحدّياً رامياتهم بأن يطلقن سهامهنّ عليه، وعلى حصانه. فتاةٌ مسكينةٌ تُطِلّ برأسها إلى الخارج لتحصل على زاويةٍ أفضل مع قوسها. تسحبُ السهم إلى الخلف حتّى أذنها، تصوّب، وتماماً قبل إطلاقها للسهم، يقذف تيتوس بوهقه إلى الأعلى. يندفع مرفرفاً عبر الهواء. تنتفضُ إلى الخلف، لكنْ ليس بالسرعة الكافية، فالوهق أحاط بعنقها، وتيتوس يركل حصانه لينطلق مبتعداً عن السور، ويُحكِم شدّ الوهق. صديقاتها يسرعن للإمساك بها؛ إنّهنّ يمسكْن بها بقوّةٍ، لكنّهنّ يُجبَرن على تركها قبل أن يقتلع عنقها.

يتردّد صدى صيحات صديقاتها عبر السهول، وهي تُجذب بقوّةٍ نحو الأسفل مِن فوق قمّة السور، وتُسحب مِن قبل تيتوس العائد إلى أتباعه المُهلّلين. هنالك، تركل كاساندرا الفتاة على ركبتيها، وتستعبدها بوساطة رايتنا. ألسنة اللّهب مِن المحاصيل المحترقة تطالُ الشفق، حيث بضعة مُشرِفين يطوفون مع أباريق مِن النبيذ، وصينيّة مِن الأطايب النادرة.

- «والقلوب العنيفة تشعلُ أكثر ألسنة اللهب شراسة». روكي يدمدم، وهو راكع.

- «إنّه جريء». أقولها باحترام: «وهو يحبّ ذلك». لقد لمعت عيناه عندما ضربت فيكسوس في عنقه. كاسيوس يومئ أيضاً: «كثيراً جدّاً».

- «إنّه قاتل». يوافق كاسيوس، لكنّه يعني شيئاً مختلفاً. أنظرُ إليه. هنالك نبرةٌ حادّةٌ صرفة في صوته: «وكاذب».

- «هل هو فعلاً؟». أسأل.

- هو لم يقتل بريام.

يصمت روكي. بحجمه الأصغر منّا، يبدو كالطفل، وهو لا يزال جاثياً على ركبتيه. شعره الطويل مربوطٌ كذيل حصان. الأوساخ تغطّي أظافره، التي يخدشها، وهو يربط حذاءه في أثناء نظره إلى الأعلى.

- «إنّه لم يقتل بريام». يعيد كاسيوس. الرياحُ تصفرُ متأوّهةً فوق التلال مِن خلفنا. اللّيل يحلّ ببطءِ اليوم. وجنتا كاسيوس تتواريان خلف الظلال، مع ذلك لا يزال وسيماً: «ما كانوا ليجمعوا بريام مع وحشٍ مثل تيتوس. بريام قائد، وليس سيّد حرب. سيضعون بريام مع أحدٍ ما سهلٍ كواحدٍ مِن حُثالتنا».

أعرفُ إلى أين ينوي كاسيوس أن يصل بهذا؛ إنّها الطريقة التي يراقب فيها تيتوس. البرود في عينيه يذكّرني بنظرات أفعى الحُفَر، وهي تتابع فريستها. يغمرني شعورٌ سيّئٌ، وأنا أقوم بذلك، لكنّني أقود كاسيوس بالاتّجاه الذي يبدو أنّه يودّ الذهاب إليه، مغرياً إيّاه بعضّ فريسته. يميل روكي رأسه نحوي، ملاحظاً شيئاً غريباً في تفاعلي مع كاسيوس.

- «كانوا ليجمعوا تيتوس مع أحد آخر». أقول.

- «أحد آخر». يكرّر كاسيوس مومئاً.

يظنّ أنّه جوليان. لا يقولها، ولا أقولها أنا. مِن الأفضل تركُ ذلكَ ينخرُ في رأسه: تركُ صديقي يظنُّ أنّ عَدوّنا هو مَن قتلَ أخاه؛ إنّ في ذلك مخرجاً.

- «الدماء تولّد الدماء تولّد الدماء تولّد الدماء...». كلمات روكي للرياح التي بدورها تحملها إلى الغرب نحو السهول الواسعة ونحو ألسنة اللّهب التي ترقص منخفضةً في الأفق؛ حيث تجثم وراءها جبالٌ باردةٌ ومظلمة، مع ثلجٍ قد تجمّع على قممها. إنّه مشهدٌ يسرق الأنفاس، مع ذلك لا يرفع روكي ناظريه عن وجهي أبداً.

أجد القليل مِن المتعة في أنّ عبيد تيتوس ليسوا بالحلفاء المؤثّرين له؛ فبعيداً عن كونهم غير ملقّنين عقائديّاً على نحوٍ كاملٍ مثلما هو حال الحُمر، إلّا أنّ هؤلاء العبيد الجُدد مخلوقاتٌ عنيدة. إنّهم يتّبعون الأوامر كي لا يخاطروا بنعتهم بالمنبوذين بعد التخرّج. ولكنّهم عن قصد، لا يقومون بأيّ شيءٍ أكثر، أو أقلّ ممّا يأمرهم به؛ تلك طريقتهم في ممارسة التمرّد. إنّهم يقاتلون حيثما يأمرهُم بذلك، ومَن يأمرهُم بأن يقاتلوه، حتّى إنّهم لا ينسحبون إلّا إذا أمرهم بالانسحاب. إنّهم يجمعون التوت البريّ الذي يُريه لهم، حتّى لو أنّهم يعرفون أنّه سام، ويكوّمون الحجارة فوق بعضها إلى أن تنهار الكومة، ولكنْ إن كانت هنالك بوّابة مفتوحة تفضي إلى حصن العدوّ، وتيتوس لم يأمرهم بدخولها، سيقفون في مكانهم، ويحكّون مؤخّراتهم.

على الرغم مِن اكتسابه للعبيد، وإتلافه محاصيل وبساتين سيريس، فإنّ قوّات تيتوس التي يمكنُ الاعتماد عليها في أمور العنف، تصبح مثيرةً

للشفقة عندما يحاولون فعل أيّ شيءٍ آخر. رجاله يُفرغون أمعاءهم في مراحيض الخنادق الضحلة، أو خلف الأشجار، أو في النهر، في محاولةٍ لتسميم طلّاب عُصبة سيريس. حتّى إنّ إحدى فتياته تسقط في الماء، بعد أن أفرغَت أمعاءها في النهر، متخبّطةً في فضلاتها. إنّه مشهدٌ كوميديٌّ، لكنّ الضحك بات أمراً نادراً إلّا مِن قِبل طلّاب سيريس. إنّهم يجلسون خلف أسوارهم العالية، ويصطادون السمك مِن النهر، ويأكلون الخبز مِن أفرانهم، والعسل مِن مناحلهم.

ردّاً على الضحك، يسحبُ تيتوس أحد العبيد الذكور إلى أمام البوّابة. العبد طويل القامة، وذو أنفٍ طويلٍ، وابتسامةٍ عابثةٍ مخصّصةٍ للسيّدات. ظلّ يعتقد أنّ هذا كلّه لعبة، إلى أن قام تيتوس بقطع إحدى أذنيه، ثمّ راح يبكي مستنجداً بأمّه كطفلٍ صغير. لن يقود سفناً حربيّة أبداً.

المُشرِفون -حتّى أولئك الذين لعُصبة سيريس- لا يوقفون العنف. يراقبون مِن السماء في مجموعاتٍ ثنائيّةٍ وثلاثيّة، يطوفون في الأرجاء بينما تهبط الروبوتات الطبيّة مع أزيزها مِن الأوليمبوس لتكوي جرحاً، أو تعالج إصابةً بليغةً في الرأس.

في صباح اليوم العشرين على وجودنا في المعهد، يرمي المدافعون سلّةً مِن أرغفة الخبز إلى الأسفل، بينما يحاول رجال تيتوس تحطيم البوّابة الكبيرة واختراقها بوساطة شجرةٍ مقطوعة. ينتهي الأمر بالمُحاصِرين بالاقتتال فيما بينهم على الطعام ليكتشفوا لاحقاً أنّ الخبز معجونٌ بنصال شفرات. الصراخ يستمرّ إلى ما بعد الظهيرة.

ردُّ تيتوس يأتي قبل هبوط اللّيل تماماً. مع خمسة عبيدٍ جُدد، ومِن بينهم الذكر ذو الأذن الناقصة، يقترب مِن البوّابة إلى أن يصبح على بُعد

ميلٍ عنها. إنّه يستعرض أمام العبيد، ممسكاً بأربع عِصيٍّ طويلة بيده. يعطيها لكلّ واحدٍ مِن العبيد عدا الفتاة التي سحبها بالوهق مِن الدريئة.

مع انحناءةٍ صغيرةٍ باتّجاه بوّابة سيريس، يلوِّح بيده، ويأمر العبيد بأن يشرعوا بضربِ الفتاة. مثل تيتوس، إنّها طويلة وقويّة؛ لذا مِن الصعب الإشفاق عليها بادئ الأمر.

يضرب العبيد الفتاة بحذرٍ، مع تلويحٍ استباقيٍّ، ثمّ يذكّرهم تيتوس بالعار الذي سيوصمون به إلى الأبد إن لم يطيعوا؛ فيقومون بالتلويح على نحوٍ أقوى، ويصوّبون باتّجاه رأس الفتاة الذهبيّ. يضربونها ويضربونها إلى أن خَفتَ صراخها، وتلبَّدَ شعرها الأشقر بالدماء. وحينما يستفحل الملل بتيتوس، يقوم بسحب الفتاة الجريحة مِن شعرها، ويعود إلى مخيّمه. تنزلق على الأرض بلا حولٍ ولا قوّة.

نقوم بالمراقبة مِن موقعنا في المرتفعات، ويتطلّب الأمر كلّاً مِن ليا وكوين؛ لمنع كاسيوس مِن الركض إلى الأسفل نحو السهول. «ستعيشُ الفتاة». أقول له. العصيّ مجرّد استعراض. روكي يبصق بمرارةٍ في العشب، ويمدُّ يده نحو يدِ ليا. مِن الغريب رؤيتها تمنحه القوّة.

في الصباح التالي، نكتشف أنّ ردّ تيتوس لم ينتهِ عند الضرب؛ فبعد أن انسحبنا إلى قلعتنا، تسلّل تيتوس عائداً تحت جنح اللّيل ليخبّئ الفتاة مباشرةً أمام بوّابة سيريس تحت دثارٍ سميكٍ مِن العشب، وهي مكمّمةٌ ومقيّدة، ثمّ جعل إحدى الإناث مِن أتباعه تصرخ في أثناء اللّيل لتتظاهر بأنّها العبدة مِن المخيّم. أخذت تصرخ عن تَعرُّضها للاغتصاب والاعتداء.

ربّما ظنّت الفتاة الأسيرة مِن سيريس أنّها في أمانٍ تحت العشب. ربّما ظنّت أنّ المُشرِفين سينقذونها، وأنّها ستعود إلى المنزل إلى أمّها وأبيها،

إلى دروسها في الفروسيّة، إلى جرائها وكتبها، لكنْ في ظلام الصباح الباكر كانت ترتجف مع عَدوِ أحصنة الفرسان لدى خروجهم مِن حصن سيريس، متأثرين بالصراخ المزيّف، لإنقاذها مِن مخيّم تيتوس المؤقّت. لم يكتشفوا حماقتهم إلّا حينما سمعوا الروبوتات الطبيّة تهبط مِن خلفهم لتحمل جسدها المُهشَّم إلى الأوليمبوس.

لم تعد أبداً. مع ذلك، إلى الآن لم يتدخّل المُشرِفون. لستُ متأكّداً مِن سبب وجودهم أصلاً.

أفتقد الديار. ليكوس بالطبع، ولكنْ أيضاً المكان حيث كنت في أمان مع الراقص، وماتيو، وهارموني.

قريباً لن يبقى هنالك أحد ليُستعبَد. لم تعد عُصبة سيريس تخرج أبداً بعد حلول الظلام. وأسوارهم العالية تحت حراسةٍ دائمة. الأشجار خارج الأسوار قُطعَت كلّها، لكنْ هنالك محاصيلُ وبساتينُ وراء أسوارهم أيضاً. ما زال الخبز يُخبز، والنهر يتدفّق عبْر أسوارهم. ليس بوسع تيتوس أن يفعل أيّ شيءٍ سوى أن يَعيثَ فساداً في أرضهم، ويسرق ما تبقّى مِن تفّاحهم. أغلبه مكسوٌّ بالإبر، ووخزات الدبابير. لقد أخفق تيتوس؛ ولذلك مثل أيّ طاغيةٍ بعد خسارته للحرب، يوجِّه أنظاره إلى الداخل.

25

الحربُ القَبليّة

ثلاثون يوماً مضى على وجودي في المعهد، ولم أعثر على أيّ أثرٍ لِعُصبةٍ معاديةٍ أُخرى سوى علامات دخانٍ لنيران بعيدة. جنود عُصبة سيريس يجوبون الأطراف الشرقيّة لأرضنا. وبعد أن انسحبت قبيلة تيتوس إلى قلعتنا، باتوا يركبون خيولهم بلا خوف. لا، ليست بقلعة، بل أصبحت مجرّد كوخ.

أنا وروكي نتوصّل إلى ذلك عند الصباح الباكر. الضباب لا يزال ملاصقاً للأبراج الأربعة، والضوء يكافح ليخترق السماء المكفهرّة لمناخ مرتفعاتنا. الأصوات مِن داخل الأسوار الحجريّة يتردّد صداها في الصباح الهادئ مثل خشخشة العملات المعدنيّة في وعاءٍ مِن صفيح. ها هو صوت تيتوس، إنّه يلعن ويشتم رجال قبيلته كي ينهضوا. مِن الواضح أنّ القليل يفعل ذلك. أحدهم يلعنه كي يدعه وشأنه، وهذا أشبه بمعجزةٍ صغيرة. الأَسِرَّةُ الطابقيّة هي مِن وسائل الراحة الحقيقيّة الوحيدة التي تملكها القلعة، لا شكّ بأنّهم وضعوها هنا لتعزيز الكسل. قبيلتي لا تملك وسائل الراحة تلك؛ نحن ننام على الحجر متكوّرين واحداً جانب الآخر حول نيراننا المتّقدة. أوه، كم كنت لأعطي مقابل الحصول على سرير مجدّداً!

أنا وكاسيوس نتسلّل على طول الطريق المنحدر القذر الذي يفضي إلى البوّابة. بالكاد يمكننا رؤيتها، الضباب كثيفٌ للغاية. المزيد مِن الأصوات يعلو مِن الداخل. يبدو أنّ العبيد قد نهضوا. أسمعُ سعالاً، وتذمّراً، وبضع صيحات. الطقطقة الطويلة، وجلجلة السلاسل تعني أنّ البوّابة تُفتح. يسحبني كاسيوس إلى جانب الطريق، لنختبئ في السديم بينما يمرّ العبيد بمشيةٍ متثاقلةٍ بالقرب منّا. وجوههم شاحبة في الضوء الباهت. التجاويف تملأ وجناتهم الغائرة، وشعرهم متّسخ. الوحل يغطّي الجلد حول شِعاراتهم. إنّه يمرُّ قريباً جدّاً منّي لدرجة أنّني أشمُّ رائحة جسمه. أتجمّدُ فجأةً! قلقاً مِن أنّه قد يشُمُّ مرّةً أُخرى رائحة الدخان التي تفوح منّي، لكنّه لم يفعل. كاسيوس هادئٌ بجانبي، على الرغم مِن أنّني أشعر بأنّه غاضب.

نتسلّل عائدين إلى الأسفل عبر المسار، ونراقب كدح العبيد مِن مسافةٍ آمنةٍ نسبيّاً في الغابات. إنّهم ليسوا ذهبيّين عندما يقومون بكشط الروث، وتمشيط الشجيرات الشائكة بحثاً عن التوت البريّ. واحد، أو اثنان منهم بلا آذان. فيكسوس، المتعافي مِن هجومي بكدمةٍ أرجوانيّةٍ كبيرةٍ على عنقه، يمشي في الأرجاء ويضربهم بعصا طويلة. إن كان الاختبار هو توحيد العُصبة المتشرذمة، فأنا أخفقت.

الصباح الباكر يتلاشى، والشهيّة تتبدّل مع قدوم أشعّة الشمس الدافئة، أنا وكاسيوس نسمع صوتاً يجعل أبداننا تقشعر. إنّها صرخات، صرخات مِن البرج العالي لمارس، وهي نوعٌ استثنائيٌّ، نوعٌ يُحزِن الأرواح.

عندما كنت صبيّاً في ليكوس، كانت أمّي تُقدِّم لي حساء على مائدتنا العائليّة الحجريّة في ليلة احتفاليّة منح الإكليل. كان ذلك بعد سنةٍ مِن موت أبي. كيران وليانا يجلسان معي، لم يبلغا العاشرة بعد. وِحدةُ إضاءة

وحيدة كانت تومض فوق المائدة؛ لذا فإنّ أمّي كانت مغطّاةً بالظلام، ما عدا ذراعها مِن المرفق نحو الأسفل، ثمّ أتى الصراخ الذي كان مكتوماً من جرّاء بُعد المسافة، وانحناءات مَجمَعنا الكهفيّ. ما زلت أرى كيف اهتزّ الحساء في المغرفة، وكيف اهتزّت يد أمّي عندما سمعته. الصراخ لم يكن مِن الألم، إنّما مِن الرعب.

- «ما الذي يفعله بالفتيات...». يهسهس كاسيوس لي، ونحن ننسلّ بعيداً عن القلعة مع حلول اللّيل: «إنّه وحش!».

- «إنّها حرب». أقولها على الرغم مِن أنّ الكلمات بدت خاويةً حتّى في أذنَيّ.

- «إنّها مدرسة». يذكّرني: «ماذا لو فعل تيتوس ذلك لفتياتنا؟ لليا... لكوين؟».

أصمت.

- «سنقتله». كاسيوس يجيب عوضاً عنّي: «سنقتله، ونقطع قضيبه، ونقحمه في فمه». وأعلم أنّه يفكّر أيضاً بالذي فعله تيتوس لجوليان.

على الرغم مِن تمتمة كاسيوس، إلّا أنّني آخذ بذراعه، وأسحبه بعيداً عن القلعة. البوّابات تقفل في اللّيل. لا شيء يمكننا فعله. أشعرُ بالعجز مرّةً أُخرى. عاجزٌ مثلما كنت عندما أخذ دان الشنيع إيو منّي. لكنّني مختلفٌ الآن؛ يداي تحوّلتا إلى قبضتين، أنا أكثر ممّا كنت عليه حينها.

في طريق عودتنا إلى حصننا الشماليّ، نرى بريقاً في السماء. الأحذية الثقاليّة الذهبيّة تلمع مع اقتراب فيتشنير. إنّه يمضغ علكة، ويمسك بقلبه عندما يرى نظراتنا الشرّيرة.

- ما الذي فعلته يا أصدقائي الشباب كي أستحقّ مثل تلك النظرات؟

- «إنّه يعامل الفتيات كحيوانات!». يستشيط كاسيوس غضباً، وتبرز العروق في رقبته: «إنهنّ ذهبيّات، وهو يعاملهنّ كالكلاب، كأنهنّ وَرديّات».

- إن كان يعاملهنّ كالورديّات، فذلك لأنهنّ لا يَستحقِقنَ في هذا العالم الصغير أن يُعاملن أفضل مِن الوَرديّات في عالمنا الكبير.

- «إنّك تمزح!». كاسيوس لا يستطيع أن يفهم: «إنهنّ ذهبيّات، لَسنَ وَرديّات. إنّه وحش!».

- «إذنْ، أثبت أنّك رجُل وأوقفه». يقول فيتشنير: «طالما أنّه لا يقوم بقتلهنّ واحدةً تلو الأُخرى، فإنّ ذلك لا يهمّنا. جميع الجراح ستندمل، حتّى هذه».

- «هذا كذب!». أخبره. لن أشفى أبداً ممّا أصابني من جرّاء إيو. ذلك الألم سيدوم إلى الأبد: «بعضُ الأمور لا تتلاشى. بعض الأمور لا يمكن إصلاحها».

- «على الرغم مِن ذلك، فإنّنا لا نستطيع القيام بأيّ شيءٍ؛ لأنّ لديه مقاتلين أكثر». يبصق كاسيوس.

فكرة تنتابني: «بوسعنا إصلاح الأمر».

يلتفتُ كاسيوس نحوي. لقد سَمِعَ الموت في صوتي كما رأيته في عينيه، حينما تحدّث عن تيتوس. شيءٌ مميّزٌ ذلك الذي نتشارك به. إنّنا مصنوعان مِن النار والجليد، مع أنّني لستُ متأكّداً أيّنا هو الجليد وأيّنا هو النار. على الرغم مِن ذلك، النقائض تسيطر علينا أكثر ممّا نريد؛ لذا نحن مِن مارس.

- «لديك خطّة؟». يقول كاسيوس.

أومئ ببرود.

فيتشنير يراقبنا، ويبتسم مكشّراً: «تبّاً، لقد آن الأوان أخيراً».

الخطّة تبدأ باعترافٍ لا يمكن أن يقوم به سوى شخص كان متزوّجاً يوماً ما. كاسيوس لم يستطع التوقّف عن الضحك عندما أخبرته التفاصيل. حتّى كوين أخذت تنخر ضاحكةً في الصباح التالي، ثمّ تغادر لتركض كغزالةٍ إلى برج ديموس لتنقل اعتذاري الرسميّ إلى أنطونيا. ستلتقي بي مع ردّ أنطونيا عند أحد مخابئ مؤونتنا بالقرب مِن نهر فورور إلى الشمال مِن القلعة.

يحرسُ كاسيوس حصننا الجديد مع مَن تبقّى مِن قبيلتنا، في حال حاول تيتوس مهاجمتنا، بينما نذهب أنا وروكي إلى مخبأ المؤونة خلال النهار. حَضُرَ الغسق، ولم تحضر كوين. على الرغم مِن الظلام نتعقّب المسار الذي كانت لتسلكه مِن برج ديموس. سرنا إلى أن وصلنا إلى البرج نفسه، الذي يقع في الهضاب المنخفضة محاطاً بغابةٍ كثيفة. خمسة مِن رجال تيتوس يتسكّعون حول قاعدته. يجذبني روكي ويسحبني إلى الأسفل إلى أيكة الشجر. إنّه يشير إلى شجرةٍ على بعد خمسين متراً حيث يجلس فيكسوس على غصنٍ عالٍ ينتظر وهو مختبئ. هل أمسكوا بكوين؟ كلّا! إنّها أسرع بكثير مِن أن تُمسَك. هل خاننا أحد ما؟

نعود إلى حصننا بحلول الصباح الباكر. أنا متأكّدٌ بأنّني سبق أن تعبتُ أكثر مِن ذلك، لكنْ ليس بوسعي تذكّر متى. البثور دمَّرت قدمي على الرغم مِن الحذاءين المناسبين، وعنقي يتسلَّخُ مِن التعرّض للشمس طِوال أيّام. شيءٌ ما ليس على ما يرام.

ليا تلتقي بي عند بوّابة الحصن. تعانق روكي، وتنظر إليّ كأنّني أبوها، أو ما شابه. إنّه ليس كيانها الفزع المعتاد. جسمها الأشبه بالعصافير يرتعش ليس مِن الخوف، بل مِن الغضب.

– عليك أن تقتل ذلك الوغد القذر يا دارو. عليك أن تقطع خصيتيه النتنتين.

تيتوس. «ما الذي حدث؟». أنظرُ مِن حولي: «ليا. أين كاسيوس؟».

تخبرني.

تيتوس أمسكَ بكوين، وهي في طريق عودتها مِن البرج. لقد ضربوها، ثمّ قام تيتوس بإرسال إحدى أذنيها إلى هنا. كان يجب أن تصل إليّ. لقد ظنّوا أنّ كوين هي فتاتي، وتيتوس يظنّ أنّه يعرف طبعي الانفعالي. حصلوا على ردّ الفعل الذي أرادوه، لكنْ ليس منّي.

كاسيوس كان يقوم بنوبته، وعندما نام البقيّة، غادرَ متسلّلاً إلى القلعة لتحدّي تيتوس. بطريقةٍ ما كان الشابّ الرائع متبجّحاً بما فيه الكفاية، ليعتقد بأنّ مئات السنين مِن الشرف والتقاليد الذهبيّة، ستنجو مِن المرض الذي التهم قبيلة تيتوس خلال بضعة أسابيع. كان ابن الإمبراتور على خطأ. إضافةً إلى كونه غير معتادٍ على أن يكون إرثه على هذا القدر الصغير مِن الأهميّة. في العالم الحقيقيّ، كان ليكون بأمان، لكنْ في هذا العالم الصغير، إنّه ليس كذلك.

– «لكنّه حي». أقول.

– «أجل، أنا حيّ أيّها القرد الماجن!». يخرج كاسيوس متعثّراً بلا قميصٍ مِن الحصن.

– «كاسيوس!». تتقطّع أنفاس روكي، ويبهت وجهه فجأةً!

عين كاسيوس اليسرى مطبقة مِن شدّة تورّمها. شفتاه مشقوقتان. أضلاعه أرجوانيّة كالعنب. عينه الأُخرى مُدمَّاة. ثلاثة أصابع مخلوعة تبرز مثل جذور شجرة، وكتفه ذو شكلٍ غريب. يحدّق البقيّة نحوه بنظراتٍ ملؤها الحزن. كاسيوس كان ابن الإمبراتور، فارسهم اللامع، والآن هذا الفتى محطّم، والنظرة التي تعلو وجوههم، واللّون الشاحب لبشرتهم، يخبرني بأنّهم لم يشاهدوا من قبْل قطّ شخصاً جميلاً قد شُوِّه.

أنا شاهدت.

رائحته كالبول.

يحاول أن يجعل الأمور تبدو كلهوٍ عابث: «لقد أبرحوني ضرباً عندما تحدّيته. ضربوني برَفشٍ على جانب رأسي. ثمّ وقفوا في دائرةٍ مِن حولي وتبوّلوا عليّ، ثمّ قيّدوني في ذلك البرج النتن، لكنّ بولوكس حرّرني، مثل فتى صالح، ووافق على أن يفتح البوّابة إن احتجنا إلى فعل ذلك».

- «لم أعتقد أنّك على هذا القدر مِن الغباء». أقول.

- «بالطبع هو كذلك، إنّه يريد أن يكون واحداً مِن فرسان الحاكمة المُعظَّمة». يتمتم روكي: «حيث كلّ ما يفعلونه هو المبارزة». يهزُّ شعره الطويل. الأوساخ تغطّي العُصابة الجلديّة التي تربط شعره على شكل ذيل حصان: «كان عليك أن تنتظرنا».

- «ما حدث قد حدث». أقول: «سنمضي قدماً بالخطّة».

- «حسناً». يصدر كاسيوس نخيراً: «لكنْ عندما يحين الوقت، سيكون تيتوس لي».

26

الموستانغ

جزءٌ مِن كاسيوس كان قد اختفى. ذلك الفتى الصلب الذي قابلته أوّل مرّة مختلفٌ الآن بطريقةٍ ما؛ الإذلال غَيَّره. على الرغم مِن ذلك ليس بوسعي الجزم، وأنا أُقوِّم أصابعه، وأساعده في علاج كتفه. إنّه ينهارُ مِن الألم.

- «شكراً لك، يا أخي». يقول لي، وهو يمسك برأسي مِن جانبيه ليساعد نفسه على النهوض. إنّها المرّة الأولى التي يقولها: «لقد أخفقتُ في الاختبار». لا أخالفه: «ذهبتُ إلى هنالك مثل أحمق متهوّر. لو حدث هذا في أيّ مكانٍ آخر، لكانوا قتلوني».

- «على الأقلّ لم يكلّفك ذلك حياتك». أقول.

يضحك كاسيوس ضحكة خافتة: «كبريائي فقط».

- «جيّد. فهو شيءٌ لديك فائض منه». يقول روكي مبتسماً.

- «علينا أن نستعيدها». تكشيرة كاسيوس تتلاشى، وهو ينظر إلى روكي، ثمّ إليّ: «كوين. علينا أن نستعيدها قبل أن يأخذها إلى برجه».

- «سنفعل ذلك». سنفعل ذلك بحقّ الجحيم.

نذهب أنا وكاسيوس شرقاً وفقاً لخطّتي، أبعد ممّا ذهبنا إليه مِن قبل. نبقى في المرتفعات الشماليّة، لكنّنا نحرص على أن نسير على طول قمم المرتفعات المرئيّة المطلّة على السهول المفتوحة في الأسفل. شرقاً، ثمّ شرقاً تقودنا أقدامنا الطويلة بعيداً وسريعاً.

- «هنالك خيال إلى الجنوب الشرقي». أقول. لا ينظر كاسيوس.

نمرُّ عبر وادٍ طوليٍّ ضيّقٍ رطبٍ؛ حيث تمنحنا بحيرةٌ مظلمةٌ فرصة الشرب على الطرف المقابل لعائلةٍ مِن صغار الغزلان. الوحل يغطّي أرجلنا. الحشرات تحوم فوق المياه الباردة. الأرض بين أصابعي تمنحني شعوراً مريحاً، وأنا أنحني كي أشرب. أغطّس رأسي وأنضمُّ إلى كاسيوس في تناوله بعضاً مِن لحم حَمَلِنا الآخذ في القِدم. ينقصه الملح. بطني يتشنّج مِن كلّ هذا البروتين.

- «كم نبعد شرقاً عن القلعة باعتقادك؟». أسأل كاسيوس، وأنا أشير إلى خلفه.

- «ربّما عشرين كيلو متراً. مِن الصعب تقدير ذلك. أشعر بأنّنا أبعد، لكنّ ساقيَّ منهكتان فعلاً». يستقيم وينظر إلى حيث كنت أشير: «حسناً. فهمت».

فتاةٌ تمتطي موستانغ(*) مبرقشاً تراقبنا مِن حافّة الوادي الطوليّ الضيّق. قضيبٌ طويلٌ مغطّى مُثَبّتٌ على سرجها. لم أستطع تحديد عُصبتها، لكنّني رأيتها مِن قبل. أتذكّرها كأنّه البارحة. الفتاة التي نعتتني بالقرد الماجن عندما سقطتُ مِن المهر الذي جعلني ماتيو أمتطيه.

(*) نوعٌ مِن الخيول البريّة الطليقة التي تستوطن غرب الولايات المتّحدة الأمريكيّة. (م).

– «أريد حصانها لأمتطيه في طريق العودة». يخبرني كاسيوس. لم يسترجع بعد الرؤية بعينه اليسرى، لكنّه استرجع تبجّحه، وعلى نحوٍ زائدٍ عن حدّه بعض الشيء: «هيه، يا عزيزتي!». ينادي: «تباً، هذا يؤلم الأضلاع. ركوبٌ رائع! مِن أيّة عُصبةٍ أنت؟».

ينتابني القلق بشأن هذا.

تقتربُ الفتاة ممتطيةً الحصان لمسافة عشرة أمتار، لكنّ الشعارات على كمّها ورقبتها مغطّاةٌ بقطعتين مِن القماش المخيط. وجهها مخطّطٌ بثلاثة خطوطٍ قطريّةٍ مِن عصارة التوت الأزرق المخلوط بالدهن الحيوانيّ. لا نعرف إن كانت مِن سيريس. أتمنّى ألّا تكون. مِن الممكن أن تكون مِن الغابة الجنوبيّة، أو مِن الشرق، أو حتّى مِن المرتفعات الشماليّة الشرقيّة البعيدة.

– «هيه، أتباع مارس». تقول بتعجرفٍ، وهي تنظر إلى الشعار على سُتَرِنا.

ينحني كاسيوس على نحوٍ مثيرٍ للشفقة؛ أمّا أنا، فلم أكلّف نفسي عناء ذلك.

– «ياه، هذا رائع!». أركلُ حجراً بحذائي: «هيه... موستانغ. شعارٌ جميلٌ، والحصان أيضاً». أجعلها تدرك أنّ امتلاك حصان هو شيءٌ نادر.

إنّها صغيرةٌ ورقيقةٌ، لكنّ ابتسامتها ليست كذلك. إنّها تسخر منّا: «ما الذي تفعلونه أيّها الشبّان في المناطق الداخليّة؟ تحصدون الحبوب؟».

أربّت على نصلي المِنجَليّ: «لقد اكتفينا، سنعود إلى ديارنا». أشير إلى الجنوب مِن قلعتنا.

تكتم ضحكتها على كذبتي الخرقاء.

- أكيد، طبعاً ستفعلون.

«سأكون عادلاً معكِ». يجبر كاسيوس وجهه المُهشَّم على الضحك: «إنّكِ فائقة الجمال. لا بدّ من أنّكِ مِن الزهرة. اضربيني بذلك الشيء المغطّى بالقماش تحت سرجك أيّاً يكن، وخذيني معك إلى الحصن. سأكون وَرديّك إن وعدتني بألّا تشاركيني مع أحد، وتبقيني دافئاً كلّ ليلة». يقوم بخطوةٍ غير ثابتة نحو الأمام: «وكلّ صباح». حصانها الموستانغ يقوم بأربع خطواتٍ إلى الخلف إلى أن استسلم كاسيوس مِن محاولة سرقته.

- «حسناً، ألستَ أنتَ الساحر الوسيم؟ وبتلك المذراة في يدك، يجب أن تكون مقاتلاً بارعاً أيضاً». تَرمش بأهدابها.

ينفخُ كاسيوس صدره موافقاً.

فتنتظرهُ حتّى يفهم.

ثم يَتجهَّم.

- «نعم. أوه! كما ترين، ليس لدينا أيّة أدوات في مَعقلِنا عدا تلك العائدة إلى إلهنا؛ لذا لا بدّ من أنّكِ صادفتِ عُصبة سيريس». تنحني إلى الأمام في سِرجها بطريقةٍ ساخرة: «ليس لديكم محاصيل. إنّكم تقاتلون مَن يملكها فقط، ومِن الواضح أنّه حتّى ليس لديكم أيّة أسلحة أفضل، وإلّا كنتم حملتموها معكم. إذنْ، سيريس موجودة في هذه الأنحاء أيضاً. على الأرجح في الأراضي المنخفضة بالقرب مِن الغابة مِن أجل المحاصيل، أو بالقرب مِن ذلك النهر الكبير الذي يتحدّث عنه الجميع».

وجهها الذي على شكل قلب تَطغى عليه عيونها الضاحكة، وفمها ذو الضحكة الساخرة. شعرها الذهبيّ شديد اللّمعان في الشمس، وينساب بضفائر على ظهرها.

- «إذنْ، أنتم في الغابة؟». تسأل: «شمالاً في المرتفعات، على الأرجح. أوه هذا مُسلٍّ! كم هي سيّئة أسلحتكم؟ مِن الواضح بأنّه ليس لديكم أحصنة. يا لكم مِن عُصبةٍ مسكينة!».

- «عاهرة!». يوضِح كاسيوس.

- «يبدو أنّكِ فخورةٌ جدّاً بنفسك». أضع نصلي المِنجَليّ على كتفي.

ترفع يدها، وتلوِّح بها إلى الأمام والخلف: «نوعاً ما. نوعاً ما. لكنْ على الأقلّ أكثرُ فخراً ممّا يجب أن يكون عليه هذا الوسيم. إنّه كثير الثرثرة». أنقل وزني نحو أصابع قدمَيّ، لأرى إن كانت ستلحظُ ذلك. يتحرّك حصانها إلى الخلف: «الآن، الآن، يا حصّاد، هل ستحاول امتطاء سرجي أيضاً؟».

- أحاولُ إسقاطكِ عنه فقط يا موستانغ.

- لديكَ رغبةٌ عارمة للتَمرُّغ في الوحل معي، أليس كذلك؟ حسناً، ما رأيكَ أن أعِدكَ بأن أدَعكَ تمتطي الحصان معي إن أعطيتني أدِلّة أكثر عن موقع قلعتكَ؟ عن أبراجها ومساحتها؟ بوسعي أن أكون سيّدة رؤوفة.

ترمقني بنظرة لعوبٍ، وهي تتفحّصني مِن أعلى رأسي إلى أخمص قدمَيّ. عيونها تلمع كعيون الثعلب. كلّ هذا لا يزال مجرّد لعبةٍ بالنسبة إليها، ما يعني بأنّ عُصبتها في مكانٍ متمدّن. أحسدها، وأنا أتفحّصها بطريقةٍ مماثلة. كاسيوس لم يكذب؛ فمِن الجميل حقّاً النظر إليها، لكنّني أفضّل أن أسقِطها عن حصانها الموستانغ. قدماي متعبتان، ونحن نلعب لعبةً خطرة.

- «ما كان ترتيبكِ في عمليّة الانتقاء؟». أسأل على أملِ الحصولِ على مزيدٍ مِن الاهتمام.

– أعلى منك، أيّها الحصّاد. أذكرُ أنّ ميركوري أرادكَ بشدّة، لكنّ المُنتقِين لم يسمحوا له بانتقائك في الجولة الأولى. شيءٌ يتعلق بمدى شدّة غضبكَ وانفعالكَ.

– «كنتِ أعلى منّي؟ إذنْ، أنتِ لستِ مِن ميركوري؛ لأنّهم اختاروا فتى عوضاً عنّي، ولستِ جوبيتر؛ لأنّهم أخذوا ولداً عملاقاً متبَّياً». أحاولُ تذكُّر مَن أيضاً انتقوه قبلي، لكنّني لم أتمكّن؛ لذا أبتسم: «ربّما ليس عليكِ أن تكوني مغرورةً هكذا. عندها ما كنتُ لأعرفَ ما هو ترتيبك في عمليّة الانتقاء».

ألحظ السكّين تحت سُترتِها السوداء، لكنّني ما زلتُ غير قادرٍ على تذكّرها مِن عمليّة الانتقاء. لم أكن منتبهاً. مِن المفترضِ أنّ كاسيوس قد تذكَّرها مِن طريقتِه بالنظرِ إلى الفتيات، لكنْ ربّما ليس بوسعِه التفكير سوى بكوين، وأذنها المفقودة.

انتهى عملنا. بوسعنا تركُ موستانغ. إنّها ذكيّةٌ بما يكفي لتكتشفَ ما تبقّى، لكنّ المغادرة بلا حصان قد تكون مشكلة، ولا أظنّ أنّ موستانغ بحاجةٍ فعلاً إلى حصانها.

أتظاهرُ بالضجر. كاسيوس يبقي ناظريه على التلال مِن حولنا، ثمّ أبدأُ بالتكلُّمِ فجأةً! كأنّني لمحتُ شيئاً. أهمسُ: «أفعى». في أذنِه، وأنا أنظرُ إلى حوافر الحصان الأماميّة. ينظر هو أيضاً، وعندها حركةَ الفتاة أصبحت لا إراديّة. حتّى مع إدراكها بأنّها خدعة، إلّا أنّها تنحني إلى الأمام لتلقي نظرةً على الحوافر، فأندفع إلى الأمام كي أقلّص فجوة الأمتار العشرة التي بيننا. أنا سريع، وكذلك هي، لكنّها تفقد توازنها بعض الشيء، وكان عليها أن تميل إلى الخلف لتجذب حصانها بعيداً بشدّة. إنّه يتخبَّطُ في الوحل.

أرمي بنفسي عليها لأمسكَ بيدي اليمنى القويّة ضفائرها الطويلة عندما ينطلق الحصان بعيداً. أحاولُ جذبها بقوّةٍ عن السِرج، لكنّها كانت كالنار المستعرة.

أنتهي مع يدٍ مملوءةٍ بالذهب الملفوف. يبتعدُ حصان الموستانغ، والفتاة تضحكُ وتشتُم من جرّاء ما حدث لشَعرِها. عندها تطير مذراة كاسيوس مهتزّةً عبر الهواء وتُعرقِل الحصان. الفتاة والوحش يسقطان معاً في العشب الموحِل.

- «كاسيوس، اللّعنة!». أصيح.

- آسف!

- كِدتَ تقتلها!

- أعلم، أعلم. آسف!

أركض نحوها لأرى إن كُسِر عنقها. سيُدمِّر هذا كلّ شيء. إنّها لا تتحرّك. أنحني فوقها لأتحسّس نبضها، فأشعر حينها بنصلٍ يلامِسُ أعلى فخذي. على الفور أمدُّ يدي إلى هنالك، لألوي مِعصمها مبعداً يدها، ثمّ آخذ السكّين وأغرسها في الأرض.

- «عرفت بأنّكَ أردتَ تمريغي في الوحل». تبتسمُ شفتاها وتزمُّهما، كأنّها تريد قبلة. أرتَدُّ إلى الخلف، لكنْ عوضاً عن ذلك، تطلقُ صفيراً لتصبح الخطّة أكثر تعقيداً بعض الشيء.

أسمع صوت حوافر.

الجميع لديهم أحصنة ملعونة إلّا نحن.

ترمِشُ الفتاة، فأنزعُ القماش عن شِعارها. عُصبة مينيرفا. الإغريق يطلقون عليها اسم أثينا. طبعاً. سبعة عشر حصاناً ينقضّون مِن قمّة التلّة

نحو الوادي الطوليّ الضيّق، وفرسانها يحملون رماحاً صاعقة. مِن أين حصلوا -بحقّ الجحيم- على رماحٍ صاعقة؟

- «حان وقت الجَري يا حصَّاد». تقول الموستانغ مستهزئة: «لقد حضر جيشي».

لن يكون هنالك أيّ جَريٍ. يغطس كاسيوس في البحيرة. أقفز مبتعداً عن الموستانغ، وأركضُ خلفه عبر الوحل، وأرمي بنفسي عن الضفّة إلى الماء لأنضمّ إليه. لا أجيدُ السباحة، لكنّني أتعلّم بسرعة.

فرسان عُصبة مينيرفا يسخرون منّا أنا وكاسيوس، بينما نخوض الماء وسط البحيرة الصغيرة. إنّه الصيف، لكنّ المياه باردةٌ وعميقة. بدأ الغسق يَحِلّ. أطرافي خدرة. فرسان مينيرفا لا يزالون يحيطون بالبحيرة بانتظار أن يصيبنا التعب. لكنّنا لا نتعب. لديّ ثلاثة مِن أكياس الحفظ المقوّاة في جيوبي. أنفخها بالهواء، وأعطي اثنين منها لكاسيوس، وأحتفظ بواحد. إنّها تساعدنا على العوم، وبما أنّه لا أحد مِن عُصبة مينيرفا ينوي السباحة لملاقاتنا، فإنّنا بأمان حتّى الآن.

- «ينبغي أن يكون روكي قد أشعلها الآن». أخبر كاسيوس، وقد انقضتْ بضع ساعات علينا، ونحن نسبح. إنّه بحالةٍ سيّئةٍ نتيجة جراحه والبرد.

- سيشعلها روكي. الإيمان... يا صديقي... الإيمان.

- مِن المفترض أيضاً أنّنا أوشكنا على الوصول إلى الديار.

- حسناً، ما زالت الأمور تجري أفضل مِن خطّتي.

- «تبدين ضجرة يا موستانغ!». أصرخ وأسناني تصطك: «تعالي واسبحي».

- «كي أصاب بانخفاضٍ في درجة الحرارة؟ لست غبيّة. أنا مِن عُصبة مينيرفا، وليس مِن مارس، تَذكَّر!». تضحك من فوق الضفّة: «أفضِّل تدفئة نفسي بوساطة مَوقِد قلعتكم. هل ترى؟». تشير وراءنا متحدّثة بسرعة إلى ثلاثة شبّان طوال، أحدهم يبدو ضخماً كالسبجيّين، عريض المنكبين، أشبه بغيمةٍ ركاميّةٍ عظيمة.

عمودٌ مِن الدخان الكثيف يرتفع مِن بعيد.

أخيراً.

- «تبّاً! كيف تمكَّن هؤلاء الأوغاد مِن اجتياز الاختبار؟». أسألُ بصوتٍ عالٍ: «لقد كشفوا مكان قلعتنا».

- «إن تَمكَّنا مِن العودة، سأجعلهم يغرقون في قذارتهم». يردّ كاسيوس بصوتٍ أعلى أيضاً: «عدا أنطونيا. إنّها جميلة جدّاً على ذلك».

أسنانُنا تصطك.

الفرسان الثمانية عشر يظنّون بأن عُصبة مارس غبية، بلا أحصنة، وغير مستعدة.

- «يا حصّاد ويا أيها الوسيم، عليّ ترككما الآن». تصيح بنا موستانغ: «حاولا ألّا تغرقا قبل عودتي مع رايتكم. يمكنكما أن تكونا حارسيّ الجميلين، وتحصلا على قبّعاتٍ مناسبة، ولكنْ علينا أن نعلّمكما التفكير على نحوٍ أفضل».

تعدو بحصانها مبتعدةً مع خمسة عشر فارساً، الذهبيّ الضخم يقود حصانه بجانب حصانها، كأنّه ظِلٌّ هائلٌ عظيم. أتباعها يصرخون، وهُم يركبون الأحصنة. كما أنّها تتركُ رِفقةً معنا: هُما فارسان مع رماحٍ صاعقة. أدواتنا الزراعيّة مرميّة في الوحل على الشاطئ.

- «مـ موستانغ إنّها اممـ امرأة ششش شهوانيّة». يتمكّن كاسيوس مِن نطقها على الرغم مِن رعاشه.

- إنّها مـ مممـ مخيفة.

- تتت تذكّرني ببب بأمّي.

- ققق قد أصصصـ أصابك خطببب خطبٌ ما.

يومئ برأسه موافقاً: «إذنْ... الخخخخ الخطّة نااا ناجحة نوعاً ما».

إن استطعنا الخروج مِن البحيرة مِن دون أن يُقبَض علينا.

في نهاية الأمر يحلّ اللّيل بكلّ جديّةٍ، ومع الظلام يأتي عِواء الذئاب في المرتفعات السديميّة. بدأنا نغرق مع تسريب أكياسنا المقوّاة الحافظة للهواء مِن الشقوق الصغيرة الناتجة عن الضغط. ربّما قد تتاح لنا الفرصة للتسلّل بعيداً في اللّيل، لكنْ مَن بقي مِن عُصبة مينيرفا لا يجلسون بكسلٍ حول النار؛ إنّهم ينتشرون في الظلام بحيث لا نعرف حتّى أين هُم. لماذا لا يمكنهم الجلوس بغباءٍ في قلعتهم مِن دون قتالٍ مثل أتباعنا؟

سأصبح عبداً مجدّداً. ربّما ليس عبداً حقيقيّاً، لكنّ ذلك لا يهمّ. لن أخسر. لا أستطيع أن أخسر. سيكون موت إيو بلا فائدةٍ لو تركتُ نفسي أغرق، لو تركتُ خطّتي تُخفق. مع أنّني لا أعرف كيف سأهزِم أعدائي. إنّهم أذكياء والحظوظ تميل لصالحهم بشدّة. حُلم إيو يغرق معي في ظلام البحيرة، وبينما أستعدّ للسباحة نحو الشاطئ، بصرف النظر عن النتيجة، عندها تجفلُ الأحصنة لسببٍ ما.

ثمّ صوت صراخٍ يشقُّ طريقه عبر الماء.

الخوفُ يقطر على طول ظهري مع سماع عِواء شيءٍ ما. إنّه ليس ذئباً.

لا يمكن أن يكون ذلك ما أظنّه. ضوء أزرق يومض مع رفرفة رمحٍ صاعقٍ في الهواء. الفتى يصرخ ويشتم مرّةً أخرى. يتلقّى طعنة سكّين. أحدهم يهبّ لمساعدته والكهرباء توهّجت باللّون الأزرق مجدّداً. إنّني أرى ذئباً أسْودَ يقف فوق أحد الأجساد بينما يسقط الآخر. الظلام مجدّداً. سكون، ثمّ الأنين الحزين للروبوتات الطبيّة التي تهبط مِن الأوليمبوس.

أسمع صوتاً مألوفاً.

- المكان آمنٌ الآن. اخرجوا مِن الماء يا أسماك.

نجدِّف نحو الشاطئ، ورحنا نلهثُ في الوحل. أُصِبنا بانخفاض حرارةٍ خفيف. إنّها لن تقتلنا، لكنّ أصابعي ما تزال بطيئةً، والوحل يُسحَق مِن بينها. جسمي يرجف كصبيّ حفّار في أثناء العمل.

- «غوبلن، أيّها المختل، أهذا أنت؟». أنادي.

القبيلة الرابعة تنسلُّ خارجةً مِن الظلام. إنّه يرتدي فرو الذئب الذي قتله، ويغطّيه من رأسه حتّى أخمص قدميه. اللّعنة أيّها الصبيّ الصغير! ذَهَبُ زِيِّه الأسود مغطّى بالوحل، وكذلك وجهه.

يزحف كاسيوس لينهض على ركبتيه، ويحتضن سيفرو معانقاً: «أوه أأ أنت ججججـ جميل، يا أيّها الغوبلن، ججـ جميل، ججججـ جميل، وذو رائحةٍ نتنة».

- «هل يتعاطى الفطر المسموم؟». يسأل الغوبلن مِن فوق أكتاف كاسيوس: «توقّف عن لمسي أيّها القرد الماجن». يدفع كاسيوس بعيداً عنه بحرج.

- «هل ققق قتلت هذَين الاا اثنين؟». أسأل، وأنا أرتعش. أنحني فوقهم، وآخذ ملابسهم الجافّة لأستبدلها بملابسي. أتحسّسُ النبض.

- «كلّا!». يدير سيفرو رأسه نحوي: «هل كان عليّ فعل ذلك؟».

- «للل لماذا تسألني كككـ كأنّني ققق قائد سِربك؟». أضحكُ: «أنت تعلم كيف تجري الأمور».

يهزُّ سيفرو رأسه: «أنت مثلي». ينظر إلى كاسيوس بازدراء: «وبطريقةٍ ما ما تزال مثله؛ لذا، هل عليّ قتلهم؟». يسأل بلا مبالاة.

أنا وكاسيوس نتبادل نظرات التعجّب.

- «ككـ كلّا!». كنّا قد اتّفقنا عندما وصلت الروبوتات الطبيّة لأخذ أتباع مينيرفا بعيداً. لقد آذاهم بما يكفي لإنهاء وجودهم في اللّعبة.

- «إذنْ، بحقّ السماء، ما الذي تتتـ تفعله هنا مممـ متجوّلاً ببـ بفراء الذئب هذا؟». يسأل كاسيوس.

- «روكي قال بأنّكما ستكونان في الشرق». يردّ سيفرو باقتضاب: «يقول بأنّ الخطّة ما تزال قائمة».

- «ههههـ هل وصل أتباع مينيرفا إلى القلعة؟». أسأل.

يبصق سيفرو على العشب، بينما يلقي القمران التوأمان بظلالٍ مخيفةٍ على وجهه القاتم: «تبّاً! كيف لي أن أعرف؟ لقد تجاوزوني على الطريق. لكنْ ليس لديكم أيّ تأثير، تعلمون ذلك. إنّها خطّةٌ بلا مخرج». هل يساعدنا سيفرو حقّاً؟ بالطبع تبدأ مساعدته بذكر نقائصنا: «إن وصل أتباع مينيرفا إلى الحصن، سيدمّرون تيتوس، وسيستولون على أرضنا».

- «أجل، هذه هي الفكرة». أقول.

- سيأخذون رايتنا أيضاً..

- إنّها مخاطرةٌ علينا القيام بها.

- ... لذا سرقتُ الراية مِن الحصن، ودفنتها في الغابة.

كان عليّ التفكير في ذلك.

- «سرَقتَها، هكذا بكلّ بساطة». يضحك كاسيوس: «أيّها المجنون الصغير الأحمق. أنت مجنونٌ رائع! الاختيار المئة. مجنون رائع!».

يبدو سيفرو مستاءً ومسروراً، ولكنّه مستاءٌ أكثر: «حتّى مع هذا، لا يمكننا أن نضمن مغادرتهم لأرضنا».

- «ماذا تقترح؟». أسأل، ما زلت أرتعش لكنّ صبري نفد. كان بوسعه مساعدتنا مِن قبل.

- نستعيد الأفضليّة كي نطردهم بعد أن يؤدّوا عملهم بإسقاط تيتوس، كما هو جليّ.

- «أجل، أجل. هذا مفهوم». أتخلّص مِن آخر رعشاتي: «ولكنْ كيف؟». يهزّ سيفرو رأسه.

- سنستولي على راية مينيرفا.

- «اااانتظر». يقول كاسيوس: «أتعرف كيفيّة القيام بذلك؟».

يطلق سيفرو صوت نخير ساخر: «ماذا كنت تعتقد بأنّني أفعل طوال الوقت، أيّها الغبيّ المدلّل؟ أستمني بين الشجيرات؟».

ينظر كلٌّ منّا أنا وكاسيوس إلى الآخر.

- «نوعاً ما». أقول.

- «في الواقع نعم». يوافق كاسيوس.

نمتطي أحصنة مينيرفا، ونتّجه إلى الشرق مِن المرتفعات. لستُ بفارسٍ جيّد. على العكس مِن كاسيوس طبعاً؛ لذا تشبّثتُ جيّداً بأضلاعه

المرضوضة. وجوهنا مطليّةٌ بالوحل. إنّها تبدو كظلالٍ في اللّيل؛ لذا سيرون أحصنتنا، ورماحنا، وشعاراتنا، وسيظنّون بأنّنا منهم.

قلعة مينيرفا تقعُ في أرضٍ متموّجةٍ مكسوّةٍ بالأزهار البريّة، وأشجار الزيتون. للقمرين بريقٌ ساطعٌ فوق الأرض المنحدرة. البومُ ينعب على الأغصان المتفرّعة فوقنا. ولدى بلوغنا حصنهم مترامي الأطراف ذا الحجارة الرمليّة، يعترضنا صوتٌ مِن السور فوق البوّابة. سيفرو لن يكون موضع قبولٍ بعباءة الذئب التي يرتديها؛ لذا يقوم بحراسة طريق الفرار.

- «وجدنا عُصبة مارس». أنادي: «أوه! افتح البوّابة المتبية».

- «كلمة السرّ». يطلبها الحارس بكسلٍ مِن البرج المُحصَّن.

- «نهد-ردف-رأس!». أصيح. سمعها سيفرو آخر مرّة كان هنا.

- «حسناً. أين فيرجينيا والفرسان؟». يصيح الحارس.

موستانغ؟

- «أخذوا رايتهم يا رجُل! الأوغاد لم يكن لديهم حتّى أحصنة. ربّما قد نتمكّن مِن الاستيلاء على قلعتهم».

ينطلي الأمر على الحارس.

- أخبار رائعة! إنّ فرجينيا شيطانة. جون أعدّت العشاء. تناولا بعضه في المطبخ، ثمّ انضمّا إليَّ إن أحببتما. أنا ضجرٌ، وأريدُ أن يسلّيني أحدٌ ما.

تصدر البوّابة صريراً، وتُفتح ببطءٍ شديد. أضحكُ عندما تُفتح أخيراً على نحوٍ كافٍ لنا كي ندخل جنباً إلى جنب. حتّى إنّ الحرّاس لم يقابلانا أنا وكاسيوس. إنّ قلعتهم مختلفة: أجفّ، وأنظف، وأقلّ كآبة. لديهم حدائق وأشجار زيتون تلتفُّ بين أعمدة الطابق السفليّ ذي الحجارة الرمليّة.

نختبئ في الظلال بينما تمرّ فتاتان مع كؤوس الحليب. ليس لديهم أيّة مشاعل، أو نيران موقدة يمكن للعدوّ أن يلحظها مِن بعيد، شموعٌ صغيرةٌ فقط، ما يجعل التسلّل أسهل. مِن الواضح أنّ الفتاتين جميلتان؛ لأنّ كاسيوس يقوم برسم تعابير على وجهه، ويتظاهر بأنّه يتبعهما على الدرج.

بعد أن وجّه إليّ ابتسامةً برّاقةً، يتسلّل باتّجاه الأصوات الصادرة مِن المطبخ، بينما أبحث أنا عن غرفة قيادتهم. وجدتها في الطابق الثالث. النوافذ تطلّ على السهل المظلم. أمام النوافذ هنالك أطلس مينيرفا ممدّد. علمٌ محترقٌ يحوم فوق قلعة عُصبتي. لا أعرف ما الذي يعنيه ذلك، لكنْ لا يمكن أن يكون هذا جيّداً. حصنٌ آخر، عُصبة ديانا، يقع إلى الجنوب مِن حصن مينيرفا في الغابة الكبرى؛ هذا كلّ ما اكتُشِف.

لديهم سجلّات بنتائج كلٍّ منهم كي يتمكّنوا مِن متابعة إنجازاتهم. واحدٌ منهم يُدعى باكس، يبدو أنّه كابوسٌ دمويّ. قام شخصياً باستعباد ثمانية، وتسبّب بهبوط الروبوتات الطبيّة لالتقاط تسعة طلّاب؛ لذا أعتقد أنّه ذلك الضخم الطويل كالسبجيّين.

لا أعثر على رايتهم في أيّ مكانٍ في غرفة القيادة. إنّهم مثلنا، ليسوا أغبياء بما يكفي ليتركوها ملقاةً هنا هكذا. لا مشكلة، سنعثرُ عليها بطريقتنا. في هذه اللّحظة تماماً، أشمُّ دخان النار التي أشعلها كاسيوس يتسرّب عبر النافذة. يا لها مِن غرفة حربٍ جميلة تلك التي لديهم! أجمل بكثير مِن تلك التي لدى عُصبة مارس.

أحطِّم كلّ شيء.

وبعدما أتلفتُ خريطتهم، وانتهيت مِن تشويه تمثال مينيرفا، أستخدم فأساً وجدته لحفر اسم مارس على طاولة حربهم الطويلة الجميلة. تنتابني

رغبةٌ بحفر اسم عُصبةٍ أُخرى في الحطام لإرباكهم، لكنّني أردت أن يعلموا مِن قام بهذا. هذه العُصبة مُتَّحِدة بقدْرٍ كبير، ومُنظَّمَةٌ بقدْرٍ كبير، ومُتَّزِنة. لديهم قائدٌ، وفرسانٌ، وحرّاس (ساذجون) وطبّاخون، وأشجار زيتون، وحليبٌ دافئٌ، ورماحٌ صاعقةٌ، وأحصنةٌ، وعسلٌ، واستراتيجيّة. أتباع مينيرفا جشعون متكبّرون، فلْندعهم يشعرون بعض الشيء كعُصبة مارس؛ فلندعهم يشعرون بالغضب والفوضى.

صرخاتٌ تُسمَع. نار كاسيوس تنتشر. فتاةٌ تركض إلى غرفة الحرب. كِدتُ أجعلها تفقدُ وعيها، وأنا أرفعُ فأسي. لا جدوى مِن إيذائها. لا يمكننا أخذ أسرى، ليس بسهولة؛ لذا سحبتُ كلّاً مِن النصل المِنجَليّ، والرمح الصاعق. وَحلٌ على وجهي، وشعري الذهبيّ أشعث. أبدو مثيراً للرعب.

- «هل أنتِ جون؟». أهدر.

- كككـ كلّا... لماذا؟

- أتجيدين الطهي؟

تضحكُ على الرغم مِن خوفها. ثلاثة فتية استداروا حول الزاوية. اثنان أعرض، لكنّهما أقصر منّي. أصرخُ كإله الغضب. ياه، كيف يفرّون!

- «الأعداء!». يصيحون: «الأعداء!».

- «إنّهم في الأبراج». أزمجرُ لأربكهم مراراً وتكراراً، وأنا أهبط الدرج: «الطوابق العلويّة. في كلّ مكان. كثيرون. العشرات، العشرات! عُصبة مارس هنا، عُصبة مارس قد أتت!». الدخان ينتشر، وكذلك أصوات بكائهم.

- «عُصبة مارس!». يصرخون: «عُصبة مارس قد أتت!».

فتى يافع يركض كالبرق مارّاً بجانبي. أمسكُ بياقتِه وأرمي به عبر النافذة

إلى الساحة في الأسفل، مُفَرِّقاً أتباع مينيرفا المجتمعين هناك. أذهبُ إلى المطبخ. نار كاسيوس ليست سيّئة. معظمها دهنٌ وأشواك. فتاةٌ زاعقةٌ تحاول إطفاءها بالضرب.

- «جون!». أنادي. تستديرُ نحو رمحي الصاعق، فترتعش بينما كانت الكهرباء تَشلُّ عضلاتها. هكذا سَرقتُ طبَّاختَهم.

يعثرُ عليّ كاسيوس، وأنا أركض مع جون على كتفي عبر حدائقهم.

- ما هذا بحق الجحيم؟

- «إنّها طبّاخة». أشرح.

يضحكُ بشدّة إلى درجة أنّه بالكاد يتمكّن مِن التنفّس.

تسيطر الفوضى على أتباع مينيرفا، وهُم يركضون خارج مَهاجِعهم. يظنّون أنّ العدوّ في أبراجهم. يظنّون أنّ قلعتهم تحترق. يظنّون أنّ عُصبة مارس قد أتت بكامل قوّتها. يسحبني كاسيوس إلى إسطبلاتهم. لقد خلّفوا وراءهم سبعة أحصنة. نسرق ستّة بعد أن ألقينا شمعة في مخازن تبنهم، ونخرج عبر البوّابة الرئيسة بينما كان الدخان والذعر يلتهم حِصنَهم. الراية ليست معي. تماماً مثلما خطّطنا. قال سيفرو بأنّ هنالك بوّابة خلفيّة مخفيّة تقودُ إلى الحصن. راهنّا على أنّ شخصاً ما، مِن الذين سيرغبون على نحوٍ يائسٍ بالهروب مِن الحصن المتهاوي؛ سيستخدمها للنجاة، هو شخصٌ سيحاول حماية الراية. كنّا على حق.

سيفرو ينضمُّ إلينا بعد دقيقتين. إنّه يَعوي مِن تحت عباءة الذئب، وهو قادم. بعيداً في الخلف، العدوّ يلاحقه جرياً على الأقدام مع رِماحٍ صاعقة. هُم الآن مَن ليس لديهم أحصنة. وليس لديهم أيّة فرصةٍ لاستعادة راية

البومة التي تلمع بين يديه الملطّختين بالوحل. مع الطبّاخة فاقدة الوعي، والمرميّة على سرجي، نركبُ أحصنتنا تحت سماء ليلةٍ مرصّعةٍ بالنجوم عائدين إلى مرتفعاتنا التي مزّقتها المعارك، نحن الثلاثة نضحك، ونبتهج، ونعوي.

27

عُصبة الغضب

عثرنا على روكي في برج فوبوس مع ليا، والمُتجهِّم، والمُهرِّج، والشوكة، والحشيشة، والحصوة. لدينا ثمانية أحصنة، اثنان سُرِقا عند البحيرة، وستّة مِن القلعة. نضيفهم إلى خطّتنا. نعبر أنا، وكاسيوس، وسيفرو الجسر المُشيَّد فوق نهر ميتاس. مُستطلِعٌ عَدوٌّ يفرُّ شمالاً ليُحذِّرَ موستانغ. أحصنتنا الأخرى المسروقة تنطلق بقيادة أنطونيا في مسارٍ التفافيٍّ نحو الشمال حالما يغادر المُستطلِع. روكي بلا أحصنة يلتفُّ جنوباً.

حصاني فقط ليس مغطّى بالوحل. إنّها فرسٌ بهيّة. وأنا أبدو بمنظرٍ بهيّ. أحمل راية مينيرفا الذهبيّة بيدي اليسرى. بوسعنا أن نُخفيَها ونبقيها بأمان، لكنْ عليهم أن يعرفوا أنّها بحوزتنا. على الرغم مِن أنّ سيفرو هو مَن سرقها، لكنّه لا يريد أن يحملها. إنّه يحبّ سكاكينه المعقوفة كثيراً. أعتقد أنّه يَهمسُ لها. وكاسيوس نحتاج إليه لأمورٍ أُخرى غير حمل الراية، إضافةً إلى ذلك، لو قام بحملها فسيبدو هو القائد، ولا يمكن لهذا أن يحدث.

صمتٌ قاتلٌ يخيّم، ونحن نسيرُ عبر أراضينا المنخفضة. الضباب ينسابُ حول الأشجار فأخترقه. كاسيوس وسيفرو يسيران بحصانيهما

إلى جانبي. لا أستطيع رؤيتهما، أو سماعهما الآن، لكنّ الذئاب تعوي في مكانٍ ما. سيفرو يردّ بعواء. أكافح للبقاء في مكاني كلّما جفلت الفرس. أسقطُ مرّتين. ضحكات كاسيوس تُسمع عبر الظلام. مِن الصعب تذكُّر أنّني أفعل كلّ هذا مِن أجل إيو، كلّ هذا مِن أجل بدء تمرّد. أشعرُ هذه اللّيلة كأنّها لعبة. بطريقةٍ ما هي كذلك؛ لأنّني بدأتُ أشعرُ بالمرح أخيراً.

لقد استوليَ على قلعتنا؛ ضوء توهّج النيران على طول الأسوار يخبرني بذلك. القلعة تقع عالياً على تلّةٍ فوق وادٍ طوليٍّ ضيّق، مشاعِلُها تخلق هالاتٍ غريبةً في الظلمة المشبعة بالضباب. لحوافر حصاني وَقعٌ ناعمٌ على العشب الرطب بينما على يميني ميتاس يَخِرُّ مثل طفلٍ مريضٍ في اللّيل. كاسيوس يسير بحصانه هناك، لكنّني لا أستطيع رؤيته.

- «يا حصَّاد!». تصيح موستانغ عبر السديم. صوتها يخلو مِن المزاح. إنّها تبعد أربعين متراً، بالقرب مِن أسفل الطريق المنحدر الذي يفضي إلى القلعة. تنحني إلى الأمام، وتشبك يديها على الحنو الأمامي لسرجها. هنالك ستّة فرسان على جانبيها، أمّا البقيّة، فلا بدّ من أنّهم يحرسون القلعة، وإلّا كنت لأسمعهم. تنظرُ إلى الفتية مِن خلفها. باكس ضخمٌ لدرجة أنّ رمحه في يديه الكبيرتين يبدو كصولجان.

- هيه يا موستانغ.

- «إذنْ، لم تغرق. كان ليكون الأمر أسهل». وجهها الذكيّ قاتم: «إنّك مِن نَسلٍ تافهٍ وضيع، أتعلم ذلك؟». إنّها في البرج المُحصَّن، وليس لديها كلمات لوصف غضبها: «اغتصاب؟ تشويه؟ قتل؟». تبصق.

- «أنا لم أفعل شيئاً». أقول: «وكذلك لم يفعل المُشرِفون».

- أجل، إنّك لم تفعل أيّ شيء. ومع ذلك لديك الآن رايتنا، وماذا

إذنْ؟ هل الوسيم في مكان ما هنالك في السديم؟ استمرّ بالتظاهر بأنّك لستَ قائدهم. بأنّك لستَ المسؤول.

- تيتوس هو المسؤول.

- «الوغد الكبير؟ نعم، باكس حيَّدَهُ». تشير إلى الفتى العملاق بجانبها. شَعرُ باكس مَحلوقٌ بطولٍ قصيرٍ. عيناه صغيرتان. ذقنه مثل كَعب مع انبعاج. حصانه يبدو كالكلب مِن تحته. ذراعاه العاريتان أشبه بجلاميد مكسوّة باللّحم.

- لم آتِ للحديث يا موستانغ.

- «أتيتَ لتقطع أذني؟». تقول مستهزئة.

- كلّا، غوبلن مَن فعل.

عندها ينزلقُ واحدٌ مِن رجالها مِن السرج، وهو يصرخ.

- «ما الذي...». يدمدمُ الفارس.

تتساقط السكاكين في الحال مِن خلفهم، وسيفرو يَعوي كالمجنون. ستّة آخرون ينضمّون إليه ويَعوُون، بينما تنقضّ أنطونيا مع نصف رجالها مِن حرّاس فوبوس، مِن التلال الشماليّة، وهُم يَمتَطون الأحصنة السوداء المسروقة الملطّخة بالوحل. إنّهم يَعوُون كمختلّين عقليّاً في السديم. جنود موستانغ يستديرون.

سيفرو يطيح بواحدٍ آخر. إنّه لا يستخدم الرماح الصاعقة. الروبوتات الطبيّة تصدح عبر السماء التي امتلأت بالمُشرِفين فجأةً! جميعهم يأتون ليتفرّجوا. ميركوري يتبع البقيّة حاملاً ملْء يديه مشروباتٍ روحيّةً، ويوزّعها

على رفاقه. أخذ كلٌّ منّا يحدّق إلى الأعلى مراقباً ظهورهم الغريب، بينما تستمرّ الأحصنة في العدْو، ويتوقّف الوقت.

- «إلى القتال!». أبولو القاتم يسخرُ، وهو في الأعلى. لباسه الذهبيّ يشير إلى أنّه نهض حالاً مِن فراشه: «إلى القتال».

ثمّ تعمّ الفوضى عندما تبدأ موستانغ تصرخ بالأوامر والاستراتيجيّة. أربعة فرسان إضافيّين ينقضّون مِن البوّابة إلى الأسفل عبر الطريق المنحدر ليدعموا قوّاتها. يحين دوري. أغرس بعنفٍ راية مينيرفا في الأرض، وأصرخ بطريقةٍ جنونيّة. أركلُ فرسي بكعبي. تنطلقُ فجأةً إلى الأمام، تكاد تطيح بي. جسمي يهتزّ، وهي تضرب الأرض الرطبة بحوافرها. يدي اليسرى القويّة تمسك باللّجام، وتسحب نصلي المِنجَليّ. أشعر بأنّني غطّاس جحيمٍ مِن جديد عندما أعوي.

يتفرّق الأعداء لدى رؤيتهم لي، وأنا أتّجه نحوهم بغضب. إنّ الغضب هو الذي أربكهم. إنّه جنون سيفرو. إنّها الوحشيّة المجنونة لأتباع مارس. يتشتّت الفرسان، عدا واحد. يقفزُ باكس عن حصانه، ويركض نحوي.

- «باكس ذهبيّ تيليمانوس». يصرخ العملاق المهووس، والزبد يخرج مِن فمه. أكِزُّ حصاني بكعبيّ وأعوي. بعدها يعرقل باكس حصاني، ضارباً كتِفهُ بعظم صدر حصاني. يصرخ الوحش وينقلب عالمي. أُقذفُ مِن سرجي مِن فوق رأس حصاني وأرتطم بالأرض.

مشوّش الذهن أتعثّر وأسقط على ركبي في ميدانٍ دهسته الحوافر.

الجنون يلتهم الميدان. قوّات أنطونيا تصطدم بقوّات موستانغ مِن الأطراف. لديهم أسلحةٌ بدائيّةٌ، لكنّ أحصنتهم تكفي لدبِّ الفزع. بعض أتباع مينرفا يُقذَفون مِن سروجهم. آخرون يركلون أحصنتهم ليدفعوا

بها نحو رايتهم المتروكة، لكنّ كاسيوس يظهر مِن بين الضباب، ويعدو بحصانه، وينتزع الراية ليأخذها بعيداً نحو الجنوب. ينطلق اثنان مِن الأعداء لملاحقته، ما يُفرّق مِن قواهم. جنود أنطونيا الستّة الآخرون مِن حرّاس البرج ينتظرونهم، وقد كمنوا لهم في الغابة؛ حيث لا تستطيع الأحصنة العدْو.

ردّ الفعل يجعلني أخفض رأسي مع إطلاق رمحٍ سريعٍ نحو جمجمتي. أنهضُ ممسكاً بالنصل المِنجَليّ. أضرب به على المعصم. إنّ هذا بطيءٌ جدّاً. أتحرّك كأنّني أرقص، متذكّراً خطوات ضربات القدمين التي علّمني إيّاها عمّي في المناجم المهجورة. رقصة الحَصَاد تحمل حركاتي واحدةً تلو الأُخرى مثل انسياب الماء. أهوي بالنصل المِنجَليّ على واقي الركبة. عظمُ ذي البريق الذهبيّ لا ينكسر، لكنّ قوّة الضربة تطيح بالفارس عن السرج. أستدير نحو الجانب، وأضرب مرّةً تلو أخرى؛ لأكشط حافر الحصان، وأكسر حَوشَبه؛ يسقط الحيوان.

رمحٌ صاعقٌ آخر يحاول طعني. أتفادى سنّه، وأقتلعه بيدَيْ أحمر، وأُقحم الرأس المُكهرِب في مهاجمٍ آخر. يسقطُ الفتى. يزيحه جانباً جبلٌ، ويندفع راكضاً نحوي. إنّه باكس. في حال كنت أحمق، فإنّه يصرخ عليّ منادياً اسمه. والداه نسلاه كي يقود فِرقَ الإنزال السبجيّة إلى داخل الفجوات في أجسام السفن.

– «باكس ذهبي تيليمانوس!». يضربُ رمحه الكبير على صدره، ويصيب المهرّج ذا الشعر المنفوش بقوّة، لدرجة أنّ صديقي يُقذَف إلى الخلف لمسافة أربعة أمتار: «باكس ذهبيّ تيليمانوس».

– «إنّه مخنّث». أكمِلُ ساخراً.

ثمّ يضربني حصانٌ مِن جانبه على ظهري، لأتعثّر مترنّحاً نحو الفتى الضخم. إنّني هالِكٌ لا محالة. بوسعه النيل منّي بِرُمحه، ولكنْ عوضاً عن ذلك يعانقني؛ هذا أشبه بأنْ تُحتَضَنَ مِن قِبَل دبٍّ ذهبيٍّ، لا يتوقّف عن الصراخ، وهو ينادي اسمه اللّعين! ظهري يطقطق. يا أمّاه! إنّه يَعصرُ جمجمتي. كَتِفي يؤلمني. اللّعنة! لا أستطيع التنفّس. لم أواجه قطّ قوّةً كهذه. يا إلهي، إنّه غولٌ لعين! لكنّ أحداً ما يعوي. عشرات يعوون، والظهر يفرقع.

باكس يزمجرُ معلناً انتصاره الشخصيّ: «نِلتُ مِن قائدكم. تبّاً لكم يا أتباع مارس! باكس ذهبيّ تيليمانوس حوّلَ قائدكم إلى غُثاء. باكس ذهبيّ تيليمانوس!».

عيوني لا ترى سوى السواد، وأخذت رؤيتي بالتلاشي، لكنّ الغضب ليس في داخلي.

أُطلِقُ مزمجراً آخر ذرّة غضبٍ في داخلي قبل أن يغمى عليّ. ما فعلته رخيص؛ فباكس جديرٌ بالاحترام، لكنْ مع ذلك أسحقُ خصيتيه بركبتي. أحرصُ على أن أستهدف الاثنتين ما أمكنني. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. يحملِقُ بعينيه، ثمّ ينهار. أسقطُ فوقه مغميّ عليّ في الوحل، مع تعالي صيحات المُشرِفين.

يخبرني سيفرو بالقصّة، وهو يفتّش جيوب أسراهم بعد المعركة. فبعد أن أجهز كلٌّ منّا أنا وباكس على الآخر، اندفع روكي مع ليا وقبيلتي إلى الوادي الطوليّ الضيّق. موستانغ، تلك الفتاة البارعة، هربت إلى القلعة، وتمكّنت مِن الاحتفاظ بها بوساطة ستّة مقاتلين. جميع الأسرى

مِن أتباع مارس الذين أمسَكت بهم، لن يكونوا لها إلى أن تلمِسهُم برأس رايتها، لكنْ هذا محال؛ فلدينا أحد عشر مِن رجالها، وروكي يُخرِج رايتنا ليجعلهم عبيداً لنا؛ لذا بوسعنا فَرضُ حِصارٍ على قلعتنا، ليس هنالك مِن طريقة لاقتحام جدرانها العالية، لكنّ أتباع سيريس، أو ما تبقّى مِن أتباع مينيرفا يمكنهم أن يأتوا في أيّ وقت. إن فعلوا ذلك، عندها يفترض أن يذهب كاسيوس، ويعطي لعُصبة سيريس راية مينيرفا؛ هذا أيضاً سيبقيه بعيداً بينما أُثبِّت موقعي كقائد.

روكي وأنطونيا يأتيان معي لمفاوضة موستانغ عند البوّابة. أعرُج مراعياً ضلعاً مشعوراً. مِن المؤلم التنفّس. يتراجع روكي خطوةً إلى الخلف، كي أبدو أنّني في المقدّمة عندما نصل إلى البوّابة. تعلو أنف أنطونيا تكشيرةٌ، لكنّها في نهاية الأمر تفعل الشيء نفسه. موستانغ مدمّاةٌ مِن الاشتباك بحيث أعجز عن إيجاد أثرٍ لابتسامةٍ على وجهها البائس.

- «المُشرِفون شاهدوا كلّ هذا». تقول منتقدةً بشدّة: «لقد شاهدوا ما حدث في ذلك... المكان. كلّ شيء...».

- «قام به تيتوس». تتشدّق بذلك أنطونيا، والتعبُ بادٍ عليها.

- «ولا أحد غيره؟». تنظر موستانغ إليّ: «الفتيات لم يتوقّفن عن البكاء».

- «لم يمت أحد». تقول أنطونيا باستياء: «مع أنهنّ ضعيفات، لكنهنّ سيرمّمن أنفسهنّ. على الرغم ممّا حدث، لم يكن هنالك أي استنفادٍ للعِرق الذهبيّ».

- «العِرق الذهبيّ...». تدمدم موستانغ: «كيف يمكنكِ أن تكوني باردةً هكذا؟».

- «يا للبنت الصغيرة!». تتنهّد أنطونيا: «الذهب معدنٌ بارد».

تنظرُ موستانغ إلى أنطونيا غير مصدّقة، ومِن ثمّ تهزُّ رأسها: «مارس إلهٌ مريع! وأنتم ملائمون له كثيراً، أليس كذلك؟ البربريّة، القرون الغابرة، والعصور المظلمة».

لست بمزاجٍ يسمح لي بتحمّل ذي بريقٍ ذهبيٍّ، وهو يلقي عليّ محاضرات عن الأخلاق.

- «نريد منكم أن تغادروا القلعة». أخبرها: «افعلي ذلك مع رجالكِ، وستحصلين على هؤلاء الذين أسرناهم. لن نحوِّلهم إلى عبيد».

أسفل التلّة، يقف سيفرو بجانب الأسرى ممسكاً رايتنا بيده؛ إنّه يدغدغُ باكس المُمتعِض بشعر حصان.

موستانغ ترفعُ يدها في وجهي، وتريني حركة الإصبع.

- هذه مدرسة. إنّكَ تدركُ هذا، أليس كذلك؟ لا يهمّ ما القواعد التي تلعبُ وِفقها عُصبتك. كُن عديم الرحمة كما تشاءُ نَفسكَ المتبّة. لكنْ هنالك حدود. هنالك حدود متبّة لما يمكنكَ فِعله في هذه المدرسة، في هذه اللّعبة. كلّما كنتَ وحشيّاً أكثر، بدوتَ أكثر حمقاً للمُشرِفين، للبالغين الذين سيعرفون ما الذي فعلته، وما الذي أنتَ قادرٌ على فعله. أتعتقد أنّهم يريدون وحوشاً لتقود الجمعيّة؟ مَن سيرغب بأن يكونَ تِلميذهُ وحشاً؟

أرى طيف أوغوستوس، وهو يراقب زوجتي المُعلّقة، بعيونٍ ميّتةٍ كأفعى حُفَر. الوحش كان ليرغب بتلميذ على شاكلته.

- «إنّهم يريدون أصحاب رؤى. قادة للرجال. وليس حاصِدين لهم. هنالك حدود». تُكمِل.

أنفجِر: «لا وجود لأيّة حدودٍ متبة!».

يتشنّج فم موستانغ. إنّها تفهم إلى ماذا ستؤول الأمور هنا. في نهاية المطاف، لن يكلّفها أيّ شيء أن تعيد لنا قلعتنا المزرية؛ لكنّ محاولة الاحتفاظ بها ستكلّفها الكثير. مِن الممكن أن ينتهي بها المطاف كإحدى فتيات البرج العالي. لم تُفكِّر بذلك مِن قبل قطّ. مِن الواضح لي أنّها تريدُ المغادرة. إنَّ حِسَّ العدالة الذي لديها هو الذي يقتلها. بطريقةٍ ما تعتقد أنّ علينا أن ندفع، أنّ على المُشرِفين أن يهبطوا إلى الأسفل ويتدخّلوا. معظم هؤلاء الأولاد يظنّون أنّ الأمور تسير هكذا في هذه اللّعبة؛ سحقاً! هذا ما قاله كاسيوس مئات المرّات عندما كنّا نَستطلِع معاً. لكنّ اللّعبة لا تسير على هذا النحو؛ لأنّ الحياة ليست كذلك، الآلهة لا تَنزلُ إلينا في الحياة لتمنحنا العدالة التي نبتغيها. الأقوياء يفعلون ذلك. هذا ما يعلّمونَنا إيّاه، ليس فقط الألم المصاحب لاكتساب القوّة، ولكنْ اليأس المصاحِب لعدم امتلاكها أيضاً، اليأس المصاحب لعدم كونكَ ذهبيّاً.

- «سنبقي أتباع سيريس عبيداً». تطالبُ موستانغ.

- «كلّا، إنّهم ملكنا». أردُّ بتشدّق: «وسنفعلُ بهم ما يحلو لنا».

تنقضي مدّةٌ، وهي تنظر إليّ، وتمعن في التفكير.

- إذنْ، سنحصلُ على تيتوس.

- كلّا!

تنتفضُ موستانغ وتردُّ بحدّة: «سنحتفظُ بتيتوس، أو لن يكون هنالك أيّ اتّفاق».

- لن تحتفظي بأحد.



ليست معتادة أن يُقالَ لها: لا.

أريد أن أحصلَ على ضمانٍ بأنهنّ سيكنّ بأمان. أريد لتيتوس أن يدفع.

- «لا أحد يكترث مثقال ذرّةٍ بما تريدين. هنا تحصُلين على ما تأخذين. هذا جزءٌ مِن المخطّط التعليمي». أسحبُ نصلي المِنجَليّ، وأغرس رأسه في التراب: «تيتوس مِن عُصبة مارس، إنَّه منّا؛ لذا رجاءً، حاولي أخذه».

- «سَيمثُل أمام العدالة». يقول روكي لموستانغ كي يطمئنها.

- ألتَفتُ إليه، وعيوني تقدحُ شرراً: «اخرس!».

يشيح بنظره إلى الأسفل، مدركاً أنّه لم يكن عليه أن يتكلّم. لا يهمّ. عيون موستانغ لا تنظر إلى أنطونيا، أو روكي. لا تنظر إلى أسفل المنحدر حيث ليا وسيبيو يحتجزان محاربيها راكعين في الوادي الطوليّ الضيّق، والشوكة تجلس مع الحشيشة على ظهر باكس ليدغدغاه بدورهما. عيونها لا تنظر إلى النصل. إنّها تنظر إليّ فقط. أنحني نحوها.

- «إن اغتصب تيتوس فتاةً صغيرةً يُصادفُ أنّها مِن بني اللّون الأحمر، ماذا كنتِ ستشعرين؟». أسأل.

لا تعرِف كيفَ تجيب. القانون يَعرِف. لا شيء سيحدث. إنّه ليس اغتصاباً إلّا في حال كانت تحمل شعار عائلةٍ قديمةٍ كأوغوستوس. حتّى حينها، ستعدّ الجريمة ضدّ سيّدها.

- «الآن انظري مِن حولك». أقول بهدوء: «لا وجود للذهبيّين هنا. أنا أحمر، وأنت حمراء. جميعنا حُمر إلى أن يَكتسِب واحدٌ منّا ما يكفي مِن القوّة، عندها سنحصلُ على حقوق. عندها سنضع قوانيننا». استقمتُ ورفعتُ صوتي: «هذا هو المغزى مِن كلّ هذا. جعلُكم تخافون مِن عالمٍ لا تحكمون فيه. الأمن والعدالة لا تُعطى. إنّها تُفرَض مِن قِبَلِ الأقوى».

- «مِنَ الأفضلِ لكَ ألّا يكونَ ذلكَ صحيحاً». تقول لي موستانغ بهدوء.

- لماذا؟

- «لأنّ هنالك فتى مِثلكَ هنا». وجهها يأخذ منحى مُتجهِّماً، كأنّها نادمةٌ على ما هي مضطرّة لقوله: «مُشرِفتي تُطلِق عليه اسم الشغبر. إنّه أذكى منك، وأكثر وحشيّةً وقوّة، وسيفوز بهذه اللّعبة، وسيجعلنا عبيده إن استمرّ بقيّتنا بالتصرّف كحيوانات». عيونُها تناشدني: «لذا رجاءً، أسرع وتطوّر».

28

أخي

أتظاهرُ بأنّ أعواد الكبريت قد جاءت مِن أحدِ أتباع مينيرفا، وأنا أشعلُ نارنا الأولى داخل قلعة مارس. تُجلَبُ جون مِن سجنها المؤقّت، وخلال وقتٍ قصيرٍ كانت قد أعدَّت لنا وليمةً مِن لحم الماعز، والنعاج، والأعشاب التي جمعتها قبيلتي. يتظاهر أفراد قبيلتي بأنّها الوجبة الأولى لهم منذ أسابيع. بقيّة أفراد العُصبة جائعون بما يكفي ليصدّقوا الكذبة. كان قد مضى زمنٌ على عودة أتباع مينيرفا ومقاتليها منسلّين إلى ديارهم.

- «ماذا سنفعل الآن؟». أسأل روكي، بينما يأكل البقيّة في الساحة. البرج المُحصَّن لا يزال مكاناً للرجاسة، وضوء النار لم يفعل شيئاً سوى إيضاح كلّ تلك النجاسة. كاسيوس ذهب لرؤية كوين؛ لذا فأنا وروكي وحدنا بعضَ الوقت.

قبيلة تيتوس تجلسُ في مجموعاتٍ هادئة. الفتيات لا يتكلّمن مع الفتيان؛ بسبب رؤيتهنّ لما قد فعله بعضهم. الجميع يأكلون، ورؤوسهم مطأطأة. يوجد عارٌ هناك. أتباع أنطونيا يجلسون برفقة أتباعي، ويحدّقون في أتباع تيتوس. الاشمئزاز يملأ عيونهم، والخيانة أيضاً، حتّى مع ملئهم

لبطونهم. عِدَّة مشاجرات تصاعدَت مِن كلِماتٍ قليلة إلى لَكمات. ظننتُ أنّ النصر سيجمعهم، لكنّه لم يفعل. الانقسام أسوأ مِن ذي قبل، لكنّني الآن لا أستطيع تحديده، وأعتقد أنّ هنالك طريقة واحدة فقط لرأب هذا الصدع.

ليس لدى روكي الإجابة التي كنتُ أريد سماعها.

- المُشرِفون لا يتدخّلون؛ لأنّهم يريدون يا دارو رؤية إن كنّا سنحقّق العدالة والكيفيّة التي سنحققها بها. إنّها السِمةُ الأعمق التي تَسبرها هذه الحالة. كيف سنتعامل مع القانون؟

- «رائع!». أقول: «ماذا إذنْ؟ هل علينا جلدُ تيتوس أم قتله؟ هذا سيكون القانون».

- هل سيكون ذلك بالفعل؟ أم سيكون مجرَّد انتقام؟

- «أنت الشاعر. أنت اكتشف ذلك». أركلُ أحد أحجار السور.

- لا يمكن إبقاؤه مقيّداً في القبو. أنتَ تعرف ذلك. لن نتجاوز حالة العجز والجمود التي نحن فيها إن بقي هكذا، ويجب أن تكون أنتَ مَن يقرّر ما الذي علينا فعله به.

- «ليس كاسيوس؟». أسأل: «أعتقدُ أنّه يستحق أن يبدي رأيه. في نهاية الأمر، لقد طالبَ به». لم أكن أريد أن يشارك كاسيوس في القيادة، لكنْ لا أريد له أن يخرج مِن المعهد بلا أيّة فرصة؛ أدين له بذلك.

- «طالبَ به؟». يسعلُ روكي: «وكم يبدو ذلك بربريّاً!».

- إذنْ، لن يكون لكاسيوس أي دور؟

- «أحِبُّه كأخ، ولكن لا». وجه روكي الضيّق ينقبضُ، وهو يضعُ يده على ذراعي: «كاسيوس لا يستطيع قيادة هذه العُصبة. ليس بعد الذي

حدث. قد يطيعه فتية تيتوس وفتياته، لكنّهم لن يحترموه. لن يعدّوه أقوى منهم، حتّى لو كان كذلك. لقد بالوا عليه يا دارو. نحن ذهبيّون؛ إنّنا لا ننسى».

إنّه على حق.

أجذبُ شعري بيأسٍ، وأحدِّق في روكي كأنّه لم يكن متعاوناً.

- أنتَ لا تدرك كم يعني هذا لكاسيوس. بعد موت جوليان... عليه أن ينجح. لا يمكن أن يُذكر فقط لما حدث. لا يمكن.

لماذا أهتمّ كثيراً هكذا؟

- «لا يهمّ على الإطلاق كم يعني هذا له». يعيد روكي ترديدَ كلماتي مع ابتسامة. أصابعه رقيقة كقشّةٍ على عضلتي ذات الرأسين: «لن يخافوا منه أبداً».

الخوف ضروريٌّ هنا. وكاسيوس يعرفُ ذلك. فلأيّ سببٍ آخر غاب عند النصر؟ أنطونيا لم تبرح جانبي. بولوكس، فاتح البوّابة، لم يفعل أيضاً. إنّهم يبقون خلفي على بعد بضعة أمتارٍ عنّي ليقترنوا بقوّتي. سيفرو والشوكة يراقبانهم مع تكشيرةٍ ماكرة.

- «ألهذا أنتَ أيضاً هنا، أيّها الخبيث المتآمر؟». أسأل روكي: «لمشاركة المجد؟».

يهزُّ رأسه، ويقضِمُ لحم ضأن أحضرته له ليا.

- تبّاً لك! أنا هنا مِن أجل الطعام.

أعثرُ على تيتوس في القبو. أتباعُ مينيرفا قيّدوه وأوسعوه ضرباً حتّى دَمِيَ بعد رؤية الفتياتِ المُستعبَدات في برجه. هذه كانت عدالتهم. يضحك لدى وقوفي فوقه.

- «كم قتلتَ مِن عُصبة سيريس في غزواتك؟». أسأل.

- «العق خِصيتَيّ». يبصقُ بلغماً ممزوجاً بالدم. أتفاداه.

بالكاد أمتنع عن ركله بين قدميه. اكتفيت بباكس اليوم. لدى تيتوس ما يكفي مِن الوقاحة ليسأل عمَّا حدث.

- أنا أحكمُ عُصبة مارس الآن.

- استعنتَ بأتباع مينيرفا للقيام بالعمل القذر، أليس كذلك؟ لم ترد مواجهتي؟ مِثالُ الذهبيّ الجبان.

أنا خائفٌ منه. لا أعرف لماذا. مع ذلك أركعُ على ركبتي، وأحدِّق في عينيه.

- إنّك أحمقُ تافهٌ يا تيتوس. لم تتطوّر قط. لم تتجاوز الاختبار الأوّل قطّ. ظننتَ أنّ كلّ هذا سيكون عن العنف والقتل فقط. غبيّ أحمق. إنّه عن الحضارة وليس الحرب. كي يكون لديكَ جيش، يجب أن يكون لديكَ حضارة في البداية. لقد ذهبتَ مباشرةً نحو العنف مثلما أرادوا منّا. باعتقادك، لماذا لم يعطونا -نحن في مارس- أيّ شيء، بينما أعطوا باقي العُصب الكثير مِن الموارد؟ أرادونا أن نقاتل كالمجانين، لكنّهم أرادوا منّا أن نُستَنزف ونخبو مثلما فعلت. لكنّني تغلّبتُ على هذا الاختبار؛ أنا بطلٌ الآن، ولستُ مغتصباً. وأنت لستَ سوى عملاقٍ شنيعٍ في زنزانةٍ تحت الأرض.

- «أوه، هيه. مرحى!». يحاول أن يُصفِّق بيديه المقيّدتين: «لا أبالي البتّة».

- «كم قتلت؟». أسأل.

- «ليس ما يكفي». يحني رأسه الكبير. شعره زيتيٌّ، وقاتمٌ، ومتّسِخٌ،

كأنّه يحاول تعتيم اللّون الذهبيّ. يبدو كأنّ الوسخَ يروقه. إنه تحت أظافر أصابعه، يغطي جلده المصقول: «حاولتُ سحق رؤوسهم. قتلهم قبل وصول الروبوتات الطبيّة، لكنّهم كانوا دائماً سريعين جدّاً».

- لماذا أردتَ قتلهم؟ لم أفهم ما الغاية مِن ذلك؛ إنّهم قَومُك.

يبتسمُ بتصنُّع عند سماعه ذلك: «كان بوسعكَ تغيير الأمور أيّها اللّقيط». عيناه الكبيرتان، أكثر هدوءاً وحزناً ممّا أذكر. إنّه لا يحبُّ نفسه، أدركُ ذلك. فيه شيءٌ ما يدعو إلى الحِداد والحُزن. الكبرياء الذي اعتقدت أنّه يملكه ليس كبرياء؛ إنّه مجرّد ازدراء: «إنّكَ تقول بأنّني متوحّشٌ قاسٍ، لكنْ أنتَ مَن لديه أعواد الكبريت واليود. أتظنُّ بأنّني لم أكن أعرف ذلك حتّى قبل أن أشمّك؟ كنّا نتضوّر جوعاً، وأنت استخدمتَ ما عثرتَ عليه لتصبح قائداً؛ لذا لا تُلقِ عليّ محاضرةً في الأخلاق، أيّها الوغد الخائن».

- إذنْ، لماذا لم تفعل أيّ شيءٍ حيال ذلك؟

- بولوكس وفيكسوس كانا خائفين منك، وكذلك الآخرون أيضاً. وظنّوا أنّ غوبلن سيقتلهم في أثناء نومهم. ما الذي كان بوسعي فعله عندما كنتُ أنا الوحيد الذي لم يكن خائفاً؟

- لماذا لم تكن؟

يضحكُ بشدّة: «إنّكَ مجرَّد صبيٌّ مع نصلٍ مِنجَليّ. بدايةً اعتقدتُ بأنّكَ قاسٍ. اعتقدتُ بأنّنا نرى الأمور على نحوٍ مماثل». يلعقُ شفته المدمّاة: «اعتقدتُ بأنّكَ مثلي، ولكنْ أسوأ فقط بسبب البرود الذي في عينيك. لكنّك لستَ بارداً؛ إنّكَ تهتمّ لأمر هؤلاء المخنّثين».

أقطبُ حاجبَيّ: «كيف ذلك؟».

- هذا بسيط؛ إنكَ تصنع لنفسك أصدقاء: روكي. كاسيوس. ليا. كوين.

- كذلك فعلتَ أنت: بولوكس، كاساندرا، فيكسوس.

ينقبضُ وجه تيتوس على نحوٍ مريع: «أصدقاء؟». يبصق: «أصدقاء؟ ذهبيّو الحاجب أولئك؟ إنّهم وحوش، أوغادٌ بلا روح. مجرّد مجموعةٍ مِن آكلي لحوم البشر، جميعهم. إنّهم يفعلون ما أفعل تماماً، لكنْ... ايع!».

- «ما زلت لا أفهم لماذا فعلتَ ما فعلته بالعبيد». أقول: «الاغتصاب يا تيتوس، الاغتصاب».

وجهه هادئ وقاس: «لقد قاموا بذلك أوّلاً».

- مَن؟

لكنَّه لم يكن يَستمِع. فجأةً! راح يخبرني كيف أخذوها، وقاموا باغتصابها أمامه، ثمّ عاد الأوغاد القذرون بعد أسبوعٍ ليقوموا بفعل المزيد؛ لذا قتلهم؛ سحق رؤوسهم: «قتلتُ الوحوش الملاعين. الآن، نال بناتُهم بحقّ ما نالوه».

بدا الأمر كأنّني تلقّيتُ لكمةً في وجهي.

ياه سحقاً!

قشعريرة تسري في أنحاء جسمي.

الملاعين!

أبتعدُ إلى الوراء متعثّراً.

- «ما الذي يحدث لك بحقّ الجحيم؟». يسأل تيتوس.

لو كنت ذهبيّاً، ما كنت لألحظَ ذلك، كنت لأرتبكَ فقط مِن هذه الكلمة الغريبة. لست ذهبيّاً.

- دارو؟

أشقُّ طريقي مترنّحاً نحو القاعة. أتحرّك مشوّش الذهن. بات كلّ شيء منطقياً الآن: الكُره، الاشمئزاز، الانتقام. آكلو لحوم البشر يأكلون بني جنسهم. لقد سمّاهم آكلي لحوم البشر. بولوكس، كاساندرا، فيكسوس، مَن هم بنو جنسهم؟ بنو جنسهم الذهبيّون، الملاعين، وليس المتبَّين. تيتوس قال: الملاعين. لا يقول ذهبيّ ذلك أبداً. وسمَّاه بالنصل المِنجَليّ، وليس بمِنجَل الحصَّاد.

ياه، سحقاً!

تيتوس أحمر.

29

الاتّحاد

يمثّل تيتوس كلّ ما لم يردني الراقص أن أصبح عليه، إنّه مثل هارموني؛ مخلوقٌ مجبولٌ على الانتقام. تمرُّد بقيادة تيتوس سيخفق في غضون أسابيع. الأسوأ مِن ذلك أنّه في حال استمرّ تيتوس على هذا النحو، استمرّ بعدم اتّزانه، سيعرّضني للخطر. الراقص كذَّبَ، أو لم يكن يعرف بوجودِ حمُر آخرين قد نُحِتوا، حُمر آخرين يرتدون قناع الذهبيّين. كم يوجد من هؤلاء الآخرين؟ كم زرع أريس منهم هنا، في الجمعيّة؟ في المعهد؟ لا يهمّ إن كانوا واحداً، أو ألفاً. عدم توازن تيتوس يعرِّض كلّ ذهبيٍّ نحت يوماً ما مِن أحمر للخَطر. إنّه يعرِّضُ حلم إيو للخطر. وهذا شيءٌ ليس بوسعي تحمّله. إيو لم تمت كي يتمكّن تيتوس مِن قتل بعض الأولاد.

أجهشُ بالبكاء في مستودع الأسلحة عندما أقرّر ما الذي يجب فعله.

دماءٌ أُخرى ستُدنِّس هاتين اليدين؛ لأنّ تيتوس كلبٌ مسعورٌ، وينبغي إسكاته.

في الصباح، أسحبه إلى الساحة أمام العُصبة. يقومون بإزالة بقايا وليمة

اللّيل. أحضرُ العبيد كي يشاهدوا. بضعة مُشرِفين يحومون عالياً فوقنا. لا يوجد روبوتات طبيّة تحوم بجانبهم، ما يجب أن يكون علامةً على موافقتهم الصامتة.

ألقي بتيتوس على الأرض أمام قبيلته السابقة. يراقبون بصمت، السديم معلّقٌ في الهواء فوقهم، الأقدام المتوتّرة تكشطُ الحجارة الباردة للساحة المرصوفة. القشعريرة تتسلّل إلى يدَيّ عبر الفولاذ المقوّى لنصلي المِنجَليّ.

- «لارتكاب جرائم الاغتصاب والتشويه، ومحاولة قتل أفراد عُصبته، أحكمُ عليكَ يا تيتوس ذهبيّ لادروس بالإعدام». أعدّدُ الأسباب: «هل لدى أيّ أحدٍ اعتراض على حقّي في القيام بذلك؟». أوّلاً: نظرت إلى المُشرِفين في الأعلى. لم ينبس أحدٌ ببنت شفة.

أحدّقُ في فيكسوس المتوحّش. كدماته لم تتلاشَ بعد. ثمّ أنظرُ إلى كاساندرا. أنظرُ حتّى إلى بولوكس الخشن، الذي أنقذ كاسيوس، وفتح البوّابات لنا. إنّه يقف بجانب روكي. كيف تتبدّل الولاءات هنا!

كيف تبدَّل ولائي! سأجعلُ أحمر يموت؛ لأنّه قتل ذهبيّين. كان يحفرُ الأرض مثلي. لديه روحٌ مثلي. بعد مماته ستذهب إلى الوادي، لكنْ في حياته كان غبيّاً وأنانيّاً في حزنه ولوعته. كان ينبغي له أن يكون أفضل مِن ذلك. الحُمر أفضلُ منه، ألسنا كذلك؟

قبيلة تيتوس تلتزم الصمت. ذنبهم مرتبطٌ بقائدهم. عندما يمضي، سيتلاشى أيضاً. هذا ما أخبرتُ نفسي به. كلّ شيء سيكون على ما يرام.

- «أنا أعارضُ الحكم». يقول تيتوس: «وأتحدّاك في نزالٍ يا لاعق الروث».

- «وأنا أقبل بذلك يا سيّد». أنحني باقتضاب.

- «إذنْ، فليكن نزالاً وِفقَ تقليد فرسان السيف». يعلن روكي.

- «سأختار إذنْ». يقول تيتوس، وهو ينظرُ إلى نصلي المِنجَليّ: «نصولاً مستقيمة. بلا أيّ شيءٍ معقوف».

- «لكَ ذلك». أقول، لكن وأنا أتقدّم أشعرُ بيدٍ على مرفقي، أشعر بصديقي يقترب منّي مِن الخلف.

- «إنّه لي يا دارو». يهمس كاسيوس ببرود: «أتذكُرُ ؟». لم أبدِ أيّة علامةٍ على الموافقة: «أرجوكَ يا دارو. دعني أردّ الاعتبار لعائلة بيلونا».

أنظرُ إلى روكي؛ يهزّ رأسه: «كلّا!». كذلك تفعلُ كوين، الواقفة خلف كاسيوس. لكنّني القائد هنا، ولقد وعدت صديقي الذي يعترف الآن بسيادتي. إنّه يَطلبُ عوضاً عن أن يُطالِبَ؛ لذا أقوم بقليلٍ مِن الاستعراض الذي يوحي بالتفكير وأوافقُ على طلبه. أتنحّى جانباً بينما يتقدَّم كاسيوس مع نصلٍ مستقيمٍ ممسكاً به مسكة مبارزٍ بالسيف. إنّه سلاحٌ بشعٌ، لكنّه قام بشحذه على الحجارة.

- «الأمير الصغير». يضحك تيتوس ضحكةً مكبوتة: «رائع! سأسعدُ بإشباع جثّتك بالبول مجدّداً بعد أن ننتهي مِن كلّ هذا!».

خُلِق تيتوس للقتال. خُلِق لميادين القتال الموحلة والحروب الأهليّة. أتساءل إن كان يعلم كم سيموت بسهولةٍ اليوم.

يرسمُ روكي دائرةً في الرماد مِن حول المقاتلَين. المهرّج والمتجهّم يتقدّمان مُحمَّلين بالأسلحة. تيتوس يلتقط سيف صفيحة طويلاً أخذه مِن جنديٍّ مِن أتباع سيريس قبل خمسة أيّامٍ مضت. يتردّد صدى احتكاك المعدن بالحجارة في الساحة. إنّه يلوِّح به مرّةً، مرّتين؛ ليختبر المعدن. كاسيوس لا يتحرّك.

- «هل فعلتها بسروالك؟». يسأل تيتوس: «لا تقلق، سأكون سريعاً».

يقوم روكي بما هو ضروري، ويبدأ النزال.

- كاسيوس يأخذ وقته، ولا يتسرّع في إنهاء الأمر.

النِصال البشعة تُصدِر صوتَ تقصُّفٍ عندما تَضرِب ببعضها. صليلها حادّ. النِصال تتشظّى. إنّها تسحقُ بعضها، لكن كم تصبح صامتةً عندما تعثر على اللّحم!

الصوتُ الوحيدُ الآن هو لهاث تيتوس.

- «لقد قتلتَ جوليان». يقول كاسيوس بهدوء: «جوليان ذهبيّ بيلونا مِن عائلة بيلونا».

يسحب نصله محرّراً إيّاه مِن ساق تيتوس، ويغرسه في مكانٍ ما آخر، ثمّ يقتلعه.

تيتوس يضحك ويلوِّح بضعف. باتَ الأمر محزناً عند هذه النقطة.

- «لقد قتلتَ جوليان». طعنة تصاحب الكلمات، كلمات يعيدها إلى أن توقّفتُ عن المشاهدة: «لقد قتلتَ جوليان». لكنّ تيتوس كان قد مات منذ مدّة. الدموع تنهمر على وجه كوين. روكي يأخذها مع ليا بعيداً. جيشي صامت. الشوكة تبصقُ على الحجارة المرصوفة، وتضعُ ذراعها فوق كتف الحصوة. المهرّج يبدو أكثر حزناً مِن المعتاد. حتّى المُشرِفون لا يبدون أيّ تعليق. إنّه غضب كاسيوس الذي يملأ الساحة، رثاءٌ وحشيٌّ لأخٍ لطيف. لقد قال بأنّه فعل ذلك مِن أجل العدالة، مِن أجل شرف عائلته والعُصبة، لكنّ هذا مجرّد انتقام، وكم يبدو فارغاً!

أتجمّد في مكاني.

كان مِن المفترض أن يكون ذلك لي، وليس لأخي المسكين تيتوس، إن كان هذا اسمه الحقيقيّ أصلاً. إنّه يستحقّ ما هو أفضل مِن هذا.

أريد أن أبكي. الغضب والحزن يتفجّران في صدري، وأنا أمُرُّ بين أفراد الجيش. روكي ينظر إليّ، وأنا أمرّ بجانبه. وجهه يبدو كجثّةٍ هامدة.

- «هذه لم تكن العدالة». يدمدم مِن دون أن ينظر في عينَيّ.

لقد شَعرتُ بالطَّعمِ. إنّه على حقّ؛ لم تكن عدالة. العدالة غير منحازة؛ إنّها عادلة. أنا القائد، وقد أصدرتُ حكماً. كان عليّ تنفيذه. عوضاً عن ذلك، منحتُ رخصةً للثأر والانتقام. لم يُجتثّ السرطان، بل جعلته أسوأ.

- «على الأقل أصبح كاسيوس مخيفاً مجدّداً». يتمتم روكي: «لكنْ هذا هو الشيء الوحيد الذي أحسنتَ فعله».

تيتوس المسكين. أدفنه في أيكةٍ بالقرب مِن النهر. آمل أن يُسرِّع هذا مِن وصوله إلى الوادي.

لم أنم في تلك اللّيلة.

لا أعلم إن كانت زوجته أم أخته، أو أمّه هي التي أذوها. لا أعرف مِن أيّ مَنجمٍ هو. ألمهُ هو ألمي. ألمهُ حطَّمهُ مثلما حطَّمني ألمي على المِشنَقَة، لكنّني مُنِحتُ فرصةً ثانية. أين كانَت فرصته؟

أتمنّى أن يكون ألمه قد تلاشى في مماته. لم أحبّه إلّا بعد أن مات. وكان عليه أن يموت، لكنّه لا يزال أخي؛ لذا أصلّي كي يجد السلام في الوادي، ولأراه مجدّداً في يومٍ ما، لنَحضُن بعضنا كإخوةٍ، وسيغفر لي كلّ ما فعلته به، لأنّني فعلتُ ذلك مِن أجل حلم، مِن أجل قَومِنا.

اسمي، يطفو بالقرب مِن يد العريف مع ثلاثة عيدان بجانبه الآن.

كاسيوس ارتفع أيضاً.

لكنْ لا مكان إلّا لعريفٍ واحد.

بما أنّني لا أستطيع النوم، آخذُ نوبة الحراسة مِن كاساندرا. السديم يَلتفُّ محيطاً بالأبراج المُحصَّنة؛ لذا نربط نعجةً حول الجدران. ستصدر ثُغاءً في حال أتى العدوّ. أشمُّ رائحة شيءٍ غريب، دسِم ومُدخَّن.

- «بطّة مشويّة؟». ألتفتُ لأجدَ فيتشنير يقف بجانبي، بشعره الأشعث الذي يغطّي جبينه الضيّق، غير مرتدٍ درعاً ذهبيّاً اليوم، فقط سترة سوداء مخطّطة بالذهب. يناولني قطعةً مِن البطّة، رائحتها تجعلُ معدتي تقرقر.

- «يجب أن نكون جميعاً مستائين منكَ». أقول.

تعتري وجهه المفاجأة: «الأطفال الذين يقولون ذلك، عادةً ما يقصدون شرح لماذا ليسوا مستائين».

- أنتَ وباقي المُشرِفين يمكنكم رؤية كلّ شيء، أليس كذلك؟

- حتّى عندما تمسح مؤخّرتك.

- ولم تمنعوا تيتوس؛ لأنّ كلّ هذا جزءٌ مِن المنهاج.

- السؤال الحقيقي هو: لماذا لم نمنعكَ أنت؟

- مِن قتله؟

- نعم، يا صغير. كان ليكون ذا قيمةٍ في الجيش، ألا تعتقد ذلك؟ ربّما ليس كبريتور مع سفن تحت إمرته، ولكنْ أيّ ليغاتوس كان ليكون! يقود الرجال في البِدَل الفضائيّة الواقية عبْر بوّابات الأعداء، بينما تنهال النيران على واقياتهم النبضيّة. هل رأيت المطر الحديديّ مِن قبل؟ عندما يُطلَق الرجال مِن المدار للاستيلاء على المدن؟ لقد خُلِق لأجل ذلك.

لا أردّ.

يمسح فيتشنير الدّهن عن شفتيه بكُمّ سترته الأسْود.

- «الحياة هي المدرسة الأكثر فاعليّةً مِن أيّة مدرسةٍ وُجدت قطّ. في يومٍ مِن الأيّام كانوا يجعلون الأطفال يحنون رؤوسهم ويقرؤون الكتب. كان الأمر يتطلّب وقتاً طويلاً كي يفهموا أيّ شيء». ينقرُ على رأسه: «لكنْ الآن، لدينا أدواتٌ، وألواحٌ رقميّة، ونحن -الذهبيّين- لدينا بنو الألوان الدنيا ليقوموا بأبحاثنا. ليس علينا أن ندرسَ الكيمياء، أو الفيزياء؛ فلدينا الحواسيب والآخرون ليقوموا بذلك. ما يجب علينا دراسته هي البشريّة، وكيف نَحكُم. أبناء جلدتنا عليهم أن يدرسوا علوم السياسة، والنفس، والسلوك، وما هي ردود فعل البشر البائسين تجاه بعضهم، كيف تتشكّل القطعان، كيف تعمل الجيوش، كيف تنهار الأمور، ولماذا؛ لا يمكنك تعلّم هذا في أيّ مكانٍ آخر إلّا هنا».

- «كلّا! أنا أفهم الغاية». أدمدم: «أتعلَّمُ أكثر عندما أرتكبُ الأخطاء، طالما أنّها لن تقتلني». كم تعلّمت جيّداً مِن محاولة كوني شهيداً!

- جيّد. لقد ارتكبتَ العديدَ منها. إنّكَ وغدٌ صغيرٌ شديد الاندفاع، لكنْ هذا هو المكان المناسب لتجمعَ شتات نفسك. لتتعلّم. إنّها الحياة... لكن مع روبوتاتٍ طبيّةٍ، فرصٍ أُخرى، وسيناريوهاتٍ صُنعيَّة. ربّما تكون قد خَمَّنتَ أنّ الاختبار الأوّل، العُبور؛ كان عبارة عن مقياسٍ للحاجة في مواجهة العاطفة؛ أمّا الثاني، فقد كان الصراع القبليّ، ثمّ كان هنالك بَعضٌ مِن العدالة. الآن سيكون هنالك المزيد مِن الاختبارات. المزيد مِن الفرص الأُخرى، والمزيد مِن الدروس لتتعلّمها.

- «كم منّا مِن الممكن أن يموت؟». أسألُ فجأة.

- لا تقلق حيال ذلك.

- كم؟

- «هنالك حدٌّ يوضع كلّ عامٍ مِن قِبل مجلس ضبط الجودة، لكنّنا ضمن الحدود بصرف النظر عمّا سيحدثُ مع الشغبر». يبتسم فيتشنير.

- «الشغبر...». أقول: «أهذا ما حدث في تلك اللّيلة، عندما اندفعت الروبوتات الطبيّة مسرعةً نحو الجنوب؟».

- «هل قلتُ اسمه؟ أوه». يقول مكشّراً: «قصدتُ القول بأنّ الروبوتات الطبيّة فعّالةٌ جدّاً؛ إنّها تعالج كلّ أنواع الجروح تقريباً. لكنْ هل ستكون فعّالةً هكذا عندما يكتشفُ كاسيوس مَن قتلَ أخاه فعلاً؟».

تتقلّصُ معدتي.

- لقد قَتلَ قاتِل جوليان على الفور. مِن الواضح أنّك لم تكن تشاهد.

- طبعاً، طبعاً. أتعلم؟ ميركوري يعتقد بأنّك بارع، وأبولو يعتقد بأنّك مغرور؛ إنّه لا يحبّك أبداً.

- لا أبالي البتّة.

- أوه! عليك أن تكترثَ أكثر بكثير لذلك. إنّ أبولو ذُو حظوةٍ كبيرة.

- حسناً، ما رأيك أنت؟ إنّكَ مُشرِفي.

- «أعتقدُ أنّكَ روحٌ قديمة». ينظر إليّ متكئاً على السور. تبدو اللّيلة سديميّةً وراء القلعة، ومِن أعماقها يَعوي ذئبٌ: «أعتقد بأنّك مثلُ ذلك الوحش هناك: جزءٌ مِن القطيع، لكنّكَ في أعماقكَ حزينٌ ووحيد. ولا يمكنني اكتشاف سبب ذلك، يا فتاي العزيز. هذا كلّه مُمتعٌ جدّاً. اِستمتع به. الحياة لن تصبح أفضل».

- «أنتَ مثلي أيضاً». أقول: «وحيدٌ. مملوءٌ بالتعليقات الساخرة والدنيئة، مثل سيفرو تماماً، لكنّ هذا مُجرَّد قناع. هذا لأنّكَ لا تبدو مثل الآخرين، أليس كذلك؟ أو هل أنت فقير؟ بطريقةٍ ما إنّكَ دخيل».

- «مظهري؟». يطلقُ صوتاً أشبه بالنباح الضاحك: «ما أهميّة ذلك؟ أتظنّ بأنّني برونزيٌّ؛ لأنّني لست أدونيس؟». ينحني نحو الأمام، لأنّه يكترثُ حقّاً بما سوف أقوله.

- إنّكَ قبيحٌ، وتأكل كالخنزير يا فيتشنير، لكنّكَ تمضغُ مُحفِّزات استقلاب عوضاً عن ذهابك إلى نحّاتٍ ليقوم بإصلاحك كي تبدو مثل الآخرين. يمكنهم معالجة هذا الكرش خلال ثوانٍ.

تنتفضُ عضلةُ فيتشنير الماضغة. أهو الغضب؟

- «لمَ عليَّ زيارة نحّات؟». يهسهسُ فجأة: «بوسعي قتلُ سَبجِيّ بيدَيّ العاريتين. سَبجِيّ... بوسعي التفوّق على فِضيٍّ في النقاش والتفاوض. بوسعي إجراء حساباتٍ لا يستطيع الخُضر سوى أن يَحلموا بها. لمَ عليّ جعل شكلي يبدو مختلفاً؟».

- لأنّ هذا هو ما يمنعكَ مِن التقدُّم.

- «بِصرف النظرِ عن مولدي الوضيع، إنّني شخصٌ بارز. إنّني شخصٌ مُهِمّ». وجهه الطويل يتحدّاني كَي أُنكِر ذلك: «أنا ذهبيّ. أنا مَلِكٌ بين البشر. لن أتغيّر كي أناسِب الآخرين».

- «إن كان هذا صحيحاً، لماذا تمضغُ مُحفِّزات الاستقلاب؟». لا يجيب: «ولماذا لستَ سوى مجرّد مُشرِف؟».

- «أن تصبحَ مُشرِفاً فهو منصبٌ ذو منزلةٍ ومقامٍ رفيعين يا فتى». ينفجرُ فيتشنير: «المتفوّقون انتخبوني كي أمثّل العُصبة».

- مع ذلك أنتَ لست بإمبراتور. لا تقود أيّة أساطيل. حتّى إنّك لست بريتوراً يقود سرباً، ولا حاكماً مِن أيّ نوع كان. كم رجُلاً يستطيع القيام بالأمور التي ذكرت بأنّكَ قادرٌ على فعلها؟

- «القليل». يقول بهدوءٍ كبير، ووجه مملوءٌ بالغضب: «القليل جدّاً». ينظر إلى الأعلى: «ما الجائزة التي تريدها مقابل الحصول على راية مينيرفا؟».

- «أليس سيفرو مَن عليه عقدُ هذه الصفقة؟». أقول ذلك، مدركاً أنّ الحديث يقتربُ مِن نهايته.

- لقد تركَ ذلكَ لك.

أطلبُ أحصنةً، وأسلحةً، وأعواد كبريت. يوافق باقتضابٍ ويستدير ليغادر قبل أن أتمكّن مِن سؤاله سؤالاً آخر أخيراً. أمسكُ بذراعه بينما كان يهمّ بالارتفاع. شيءٌ ما يحدث. أعصابي تشتعل. كإبر أسيد تخترقُ يدي وذراعي. ألهثُ. رئتاي تعجزان عن العملِ لثانية.

- «تبّاً!». أسعل وأسقط على الأرض. إنّه يرتدي درعاً نبضيّاً. ليس بوسعي حتّى رؤية المولّد. إنّه أشبه بواقٍ نبضيٍّ، لكنّه مُدمجٌ بالدرع نفسه.

ينتظر مِن دون أيّة ابتسامة.

- «الشغبر...». أقول: «لقد ذكرتَه. وفتاة مينيرفا ذكَرَتْهُ أيضاً. مَن يكون؟».

- إنّه ابن الحاكم العامّ يا دارو. تيتوس يبدو مقارنةً به كطفلٍ كثير البكاء.

في صباح اليوم التالي، ترعى أحصنةٌ كبيرةٌ في الحقول، وتحاول ذئابٌ الإيقاع بفرسٍ صغيرة، ويعدو حصانٌ فحلٌ شاحب اللّون مُسرِعاً، ويركلُ

واحداً مِن الذئاب حتّى الموت. أُطالِب به. يطلقُ الآخرون عليه اسم كوايتوس، الذي يعني: «الضربة القاضية».

إنّه يُذكّرني ببيغاسوس الذي أنقذ أندروميدا. بالأغاني التي كنّا نغنّيها في ليكوس، التي كانت تتحدّثُ عن الأحصنة. أعرفُ أنّ إيو كانت لتُحبَّ الحصول على فرصةٍ لركوب أحدها.

لم أدركْ إلّا بعد انقضاء عدّة أيّامٍ أنّهم عندما أطلقوا على حصاني اسم كوايتوس، كانوا يسخرون منّي لدوري في موت تيتوس.

30

عُصبة ديانا

مَرَّ شهرٌ، وأصبحت عُصبة مارس أقوى إثْر موت تيتوس. القوّة لا تأتي مِن المختارين الأوائل، إنّما مِن الحثالة، مِن قبيلتي، ومِن المختارين الأواسط. حظرتُ الإساءة للعبيد، لكنْ على الرغم من ذلك ما زال عبيد سيريس يحومون حول فيكسوس وبعض الآخرين بتوتّرٍ، مؤمِّنين لنا الطعام والنار، لا ينفعون لأيّ شيءٍ آخر. جمعنا خمسين عنزةً ونعجةً في القلعة في حال حوصرنا؛ كذلك خزنّا الحطب، لكنْ ليس لدينا ماء. المضخّات في المغسل أُطفِئَتْ منذ اليوم الأوّل، وليس لدينا دِلاء لتخزين الماء في حال حوصرنا. أشكُّ بكون ذلك مجرّد حادث.

نُشكّل بالطَرَقِ أجراناً مِن الدروع، ونستخدم الخُوَذ لجلبِ الماء مِن النهر، الذي يمرّ بالوادي الطوليّ الضيّق أسفلَ قلعتنا العالية. نقطعُ الأشجار ونُجوِّفها لصُنعِ أحواض ترويةٍ نخزّن فيها الماء. استخرجنا الأحجار وحفرنا بئراً، لكنّنا لم نستطع الحفر عميقاً بما يكفي لتجاوز الطين. عوضاً عن ذلك، كَسونا البئر بالحجارة والخشب، وحاولنا استخدامه كخزّانٍ للمياه. إنّ الماء يتسرَّبُ مِنه دائماً؛ لذا لدينا أحواض ترويتنا، وهذا كلّ شيء. لا يمكنُ أن نسمحَ لأنفسنا بأن نُحاصَر.

البرج المُحصَّن باتَ أنظف.

بعد رؤيتي ما حدث لتيتوس، أطلبُ إلى كاسيوس أن يعلِّمني استخدام النصل. إنّني سريعُ التعلّم على نحوٍ لا يصدَّق. أتعلَّم استخدام النصل المستقيم. لا أستخدم نصلي المِنجَليّ أبداً؛ إنّه أصلاً أشبه بقطعةٍ مِن جسمي. والفكرة لا تكمن بتعلُّم استخدام النصل المستقيم الذي يشبه الشفرة، إنّما بتعلُّم كيف يمكن أن يُستخدَم ضدّي، كذلك لا أريد أن يتعلَّم كاسيوس كيفيّة مواجهة النصل المعقوف. إنْ حصل واكتشف يوماً ما حدث لجوليان، سيكون المعقوف هو أملي الوحيد.

لستُ بارعاً بالكرافات. لا أجيدُ تنفيذَ الركلات، على الرغم مِن ذلك أتعلَّم كيفيّة كسر الرغامى. وأتعلَّم كيفَ أستخدمُ يدَيّ على نحوٍ صحيح. لا مزيد مِن لكمات طواحين الهواء، ولا مزيد مِن الدفاع الغبيّ. أنا مميتٌ وسريعٌ، لكنّني لا أحبّ الانضباط الذي تحتاج إليه الكرافات. أريد أن أكونَ مقاتلاً كفوءاً؛ هذا كلّ شيء. يبدو أنّ الكرافات عازمةٌ على تعليمي السلام الداخلي. إنّه أمرٌ ميؤوسٌ منه.

إلّا أنّني بتُّ أرفع يدَيّ في الهواء مثل كاسيوس، مثل جوليان: المِرفقان عند مستوى النظر؛ بحيث أضربُ، أو أصدُّ دائماً نحو الأسفل. يقوم كاسيوس أحياناً بذكر جوليان، وحينها أشعر بالظلمة تجتاحني. أفكِّر بالمُشرِفين، وهُم يراقبون ويضحكون على ذلك؛ لا بُدَّ من أنّني أبدو كمخلوقٍ شرّيرٍ مُتلاعِب.

أنسى أنّ كاسيوس، وروكي، وسيفرو، وأنا أعداء؛ أحمر، وذهبيّ. أنسى أنّه يوماً ما سيتوجّب عليّ قتلهم جميعاً. ينادونني بأخي، وليس بوسعي إلّا أن أفكِّر فيهم بالطريقة نفسها.

المعركة مع عُصبة مينيرفا قد تجزّأت إلى سلسلةٍ مِن المناوشات بين فِرَق المقاتلين، لا يستطيع أيّ جانبٍ الحصول على أفضليّةٍ على الآخر تمكّنه مِن تسجيل نصرٍ حاسم. موستانغ لن تُجازِف بمعركةٍ مُدوِّيةٍ مثلما أريد، ولن تسمح بأنْ تُستدرَج إلى ذلك. لا تقع بسهولةٍ ضحيّة إغراءات نَوباتِ المجدِ والعنفِ كما هو حالُ جنودي.

مع ذلك، ما زال أتباعُ مينيرفا يتحرَّقون شوقاً للإمساك بي. باكس يتحوّل إلى رجُلٍ مجنونٍ عندما يراني، حتّى موستانغ تحاولُ أن تعرضَ على أنطونيا -أو هكذا تدَّعي أنطونيا- اتّفاقية دفاعٍ مشترك. عشرات الأحصنة، وستّة رماحٍ صاعقة، وسبعة عبيد، مقابل الحصولِ عليّ. لا أعلم إن كذَّبَت، وهي تخبرني بذلك.

- «ستخونينني بطرفة عينٍ لو أنّ ذلك سيجعلكِ تنالينَ منصبَ العريف». أقول لها.

- «أجل». تقولُ بانفعالٍ لدى مقاطعتي لجَلستِها الدقيقة للعناية بالأظافر: «لكنْ بما أنّكَ تتوقّع ذلك، فلن يكون الأمر بمنزلة خيانةٍ حقيقيّةٍ يا عزيزي».

- إذنْ، لماذا لم تقبلي بالعرض؟

- أوه! الحثالة تتطلّعُ إليكَ الآن. حالياً سيكون لذلك وَقعٌ كارثيّ. ربّما بعد أن تخفق في شيءٍ ما، نعم، ربّما حينها عندما يكون الزَخمُ ضِدَّك.

- أم تنتظرين سعراً أعلى؟

- تماماً يا عزيزي.

لا يذكر أيٌّ منّا سيفرو. أعلم أنّها ما تزال خائفةً مِن أن ينحَرها إن لمستني. إنّه يتبعني الآن، مرتدياً جلد الذئب. راجلاً تارةً، وممتطياً فرساً

سوداء صغيرةً تارةً أُخرى. إنّه لا يحبّ الدروع. الذئاب تقتربُ منه على نحوٍ عشوائيّ، كأنّه واحدٌ مِن قطيعها. إنّهم يأتون لأكل الغزال الذي قَتلَه؛ لأنّهم باتوا يتضوّرون جوعاً بعد أن جمعنا الماعز والخراف. الحصوة دائماً تترك لهم طعاماً على الأسوار كلّما ذبحنا وحشاً. إنّها تراقبهم كالأطفال، وهُم يأتون في مجموعاتٍ مِن أربعة، أو ثلاثة.

- «قتلتُ قائدَ قطيعهم». يقول سيفرو، عندما سألتُ لماذا تتبعه الذئاب. يتفقّدني مِن أعلى رأسي إلى أخمص قدمَيّ ملقياً عليّ تكشيرةً شيطانيّةً مِن تحت فراء الذئب: «لا تقلق، جِلدكَ ليس على مقاسي».

أمنحُ الحثالةَ لسيفرو كي يقودهم؛ لأنّني أعلم أنّهم سيكونون الأناس الوحيدين الذين سيحِبُّهم. في البداية يتجاهَلهُم، ثمّ ببطء، بدأتُ ألحظُ أنّ عُوَاءً غير اعتياديٍّ أخذ يصدحُ في اللّيل أكثر مِن ذي قبل. الآخرون يطلقون عليهم اسم العَوّائين، وبعد بضع ليال مِن رعاية سيفرو، باتَ كلٌّ منهم يرتدي عباءة ذئبٍ سوداء. هنالك ستّة منهم: سيفرو، والشوكة، والمُتجهِّم، والمُهرِّج، والحصوة، والحشيشة. عندما تنظرُ إليهم، يبدو كأنّ كلّ وجهٍ مِن وجوههم الجامدة يحدّق مِن خلال فكِّ الذئبِ ذي الأنياب. أستخدمهم مِن أجل المهمّات الصامتة. مِن دونهم لا أعتقد أنّني كنتُ لأبقى قائداً. جنودي يتهامسون بشتائم عنّي لدى مروري. الجراح القديمة لم تندمل بعد.

أنا بحاجةٍ إلى نصر، لكنّ موستانغ لن تواجه في معركة، وأسوار عُصبة مينيرفا ذات الثلاثين متراً ليس مِن السهل تجاوزها كما في البداية. في غرفة حَربِنا، سيفرو يمشي جيئةً وذهاباً واصفاً اللّعبة بأنّها صُمِّمَت بغباء.

- تبّاً! كان عليهم أن يعلموا أنّه ليس بوسع أيٍّ منّا اجتيازُ أسوار الآخر،

وأنّه لا يوجدُ أحدٌ بهذه الدرجة مِن الغباء كي يُرسِل قوّةً لا يمكنهُ تحمُّل خسارتها، خاصّة موستانغ. ربّما باكس؛ فهو أحمق بهيئة إله، لكنَّه أحمقُ ويريد خِصيَتيك؛ سمعتُ أنّكَ سحقتَ إحداهما.

- كليهما.

- «عليك فقط أن تضع الحصوة، أو الغوبلن في مقلاع، وتقذفهما مِن فوق السور». يقترحُ كاسيوس: «طبعاً علينا إيجاد مِقلاع...».

إنّني مُتعَبٌ مِن هذه الحرب مع موستانغ. في مكانٍ ما في الجنوب، أو الغرب، الشغبر يبني قِواه. في مكانٍ ما عَدُوّي، ابن الحاكِم العام، يُعِدُّ العُدَّة لتدميري.

- «إنّنا ننظرُ إلى الأمرِ بطريقةٍ خاطئة». أقول لسيفرو، وكوين، وروكي، وكاسيوس. إنّهم وحدهم معي في غرفة الحرب. نسيم الخريف يَجلِب معه رائحة الأوراق الميّتة.

- «أوه! هلّا شاركتنا حِكمتكَ». يقول كاسيوس ضاحكاً. إنّه يستلقي على عدّة كراسٍ، ورأسه في حِجْرِ كوين، وهي تُداعِب شعره: «إنّنا نتوقُ إلى سماع ذلك».

- هذه المدرسة، كم مضى على وجودها؟ أكثر مِن ثلاثمئة عام؟ لذا كلُّ ترتيبٍ قد جرتْ رؤيته مِن قبل. كلّ مشكلةٍ نُواجِهها صُمِّمَت بحيث يمكِنُ التغلُّب عليها. سيفرو، إنّك تقول بأنّ الحصون لا يمكن الاستيلاء عليها؟ حسناً، مِن المفترض أنّ المُشرِفين يعلمون بذلك؛ لذا فهذا يعني بأنّه علينا تغييرُ منظورِ التفكير الذي نعتمده. نحن بحاجةٍ إلى حِلفٍ.

- «ضِدَّ مَن؟». يسألُ سيفرو: «فرَضاً».

- «ضِدّ مينيرفا». يجيب روكي.

- «فكرةٌ غبيّة». يُكشِّر سيفرو، ويُنظِّف السكّين ويَدسّها في كُمِّه الأسْود: «قلعتهم بلا أهميّةٍ تكتيكيّة. بلا قيمة. لا شيء. إنّ الأرض التي نريدها هي التي بقُربِ النهر».

- «أتعتقدُ أنّنا بحاجةٍ إلى أفران سيريس؟». تسألُ كوين: «أرغب بشدَّةٍ ببعض الخبز».

- جميعنا نرغبُ بذلك. طعامٌ مُكوَّن مِن اللّحم والتوت جعلنا مُجرَّد عظامٍ وعضلات.

- «نعم، إن استمرّت اللّعبة خلال الشتاء». سيفرو يفرقع مفاصل أصابعه: «لكنّ هذه الحصون لا تنكسر. إنّها لعبةٌ غبيّة؛ لذا فنحن بحاجةٍ إلى خبزهم ومصادر مياههم».

- «لدينا ماء». يذكّره كاسيوس.

يتنهّدُ سيفرو مُحبَطاً: «كي نحصل عليها علينا مغادرة القلعة يا سيادة الجاهل؛ لذا في حال تعرّضنا لحصارٍ فِعليٍّ، فلا أدري! ربّما يمكننا الصمود لخمسة أيّامٍ مِن دون إعادة التزوّد بالماء، ولسبعة أيّامٍ إن قمنا بشرب دماء الحيوانات، مثل: المورغدي(*). لذا فنحن بحاجةٍ إلى حصن سيريس. مع أنّ جُناة المحاصيل المخنّثين هؤلاء لا يجيدون القتال لإنقاذ حيواتهم، إلّا أنّ لديهم ما يثير الاهتمام هناك».

- «جُناة المحاصيل المخنّثون؟ ههههه». يضحكُ كاسيوس مبتهجاً.

- «توقّفوا جميعاً عن الكلام». أقول، لكنّهم لا يفعلون. بالنسبة إليهم هذا مُسلٍّ. إنّها لعبة. ليس لديهم حاجة مُلحّة، أو رغبة يائسة. كلّ لحظة نضيّعها هي لحظة يبني فيها الشغبر قوّته. هنالك أمرٌ ما يخيفني بالطريقة

(*) Morgdy يبدو أنه حيوان مِن وحي خيال المؤلف. (م).

التي تحدّث بها عنه كلٌّ مِن موستانغ وفيتشنير. أم ذلك بسبب حقيقة كونه ابن عَدوّي؟ ينبغي أن أتوق إلى قتله، وعوضاً عن ذلك، أريد الفرار والاختباء لمجرّد التفكير باسمه.

اضطّراري إلى النهوض هو دليلٌ على زعامتي المتلاشية.

- «سكوت!». أقول، وأخيراً يفعلون.

- لقد شاهدنا نيراناً في الأفق. الحرب تستهلك الجنوب حيث يتجوّل الشغبر.

يضحكُ كاسيوس ضحكةً خافتةً مِن فكرة الشغبر، يظنّه شبحاً أقوم باستحضاره.

- «هلّا توقّفت عن الضحك على كلّ شيء؟». أنفجر في وجه كاسيوس: «تبّاً! إنّها ليست مزحة، إلّا في حال كنت تعتقد أنّ أخاك مات في سبيل المتعة».

أخرسه هذا.

- «قبل أن نقوم بأيّ شيءٍ آخر». أشدّد: «علينا إقصاء عُصبة مينيرفا وموستانغ».

- «موستانغ. موستانغ. موستانغ. أعتقد أنّ كلّ ما تريده هو الوصول إلى فرْج موستانغ». يقول سيفرو مستهزئاً. تبدي كوين اعتراضها.

أمسكُ بسيفرو مِن ياقته، وأرفعه إلى الأعلى في الهواء بيدٍ واحدة. يحاول الإفلات منّي، لكنّه لم يكن بسرعتي؛ لذا فهو يتدلّى من قبضتي على ارتفاع قدمين فوق الأرض.

- «لا تكرّر ذلك». أقول، وأنا أُخفِضه بمحاذاة وجهي.

- «عُلِم يا حصّاد». عيونه الخرزيّة على بُعد إنشاتٍ عن عيوني:

«تجاوزتُ الحدود». أُنزِله فيُقَوِّم ياقته: «إذنْ، ستتوجّه نحو الغابة الكبرى مِن أجل هذا الحلف، صحيح؟».

- نعم.

- «إذنْ، ستكون حَملَةَ سعيدةً جدّاً!». يعلن كاسيوس، ويستوي في مكانه: «سنشكِّل فرقة».

- «كلّا! أنا وغوبلن فقط. أنتَ لن تذهب». أقول.

- أشعر بالملل، أظنّ بأنّني سآتي معكم.

- «ستبقى هنا». أقول: «أحتاجُ إليك هنا».

- «أهذا أمر؟». يسأل.

- «نعم». يقول سيفرو.

يحدِّق كاسيوس فيّ: «أتصدِرُ لي الأوامر؟». يقولها بطريقةٍ غريبة: «ربّما نسيت بأنّني أذهب أينما أريد».

- «إذنْ، ستترك القيادة لأنطونيا، بينما نذهب كلانا لتعريض أرواحنا للخطر؟». أسأل.

تضغط كوين بشدّة على ساعده. تظنُّ أنّني لم ألحظ ذلك. ينظر إليها كاسيوس ويبتسم: «بالطبع يا حصَّاد. بالطبع سأبقى هنا. تماماً مثلما اقترحت».

نقيمُ أنا وسيفرو مخيّماً في المرتفعات الجنوبيّة على مرمى البصر مِن الغابة الكبرى. لا نُشعِل النار. المُستطلِعون مِن عُصبتنا والعُصبِ الأُخرى يجوبون هذه التلال في اللّيل. أرى حصانين على تلّةٍ بعيدةٍ، وقد رُسِمَ ظلّاهما في مواجهة الشمس الغاربة خلف قبّة. الطريقة التي تنعكس فيها

أشعّة الشمس على الأسطُحِ تُكسِب الغروبَ ألواناً أرجوانيّةً، وحمراء، ووردِيّة؛ إنّه يذكّرني بشوارع يوركتن كما تبدو مِن السماء، ثمّ تغيب، فنجلسُ أنا وسيفرو في الظلام.

سيفرو يظنُّ أنّها لعبةٌ غبيّة.

- «إذنْ، لماذا تلعبها؟». أسأل.

- «كيف لي أن أعرف ما ستكون عليه؟ أتظنّ أنّني حصلتُ على نشرةٍ دعائيّة؟ تبّاً! هل حصلت على واحدةٍ مثلها؟». يسألُ بانفعال. إنّه يُنظِّف أسنانه بعظمة: «يا للحماقة!».

مع أنّه قد بدا عليه -عندما كنّا في المركبة- أنّه على عِلمٍ بماهيّة مرحلة العُبور، أخبرهُ بذلك.

- لا، لم أعرف.

- ويبدو أنّ لديكَ كلّ مهارةٍ متبَّبةٍ مطلوبة في هذه المدرسة.

- وإن يكن؟ إن كانت أمّك جيّدةً في الفراش، فهل ستعتقد بأنّها وَرديّة؟ الجميع يتأقلمون.

- «جميل». أدمدم.

يخبرني أن أدخلَ في صُلبِ الموضوع.

- لقد تسلّلتَ إلى داخل البرج المُحصَّن، وسرقت رايتنا، ودفنتها لتحميها، ومِن ثمّ تدبّرت أمر سرقة راية مينيرفا. على الرغم مِن ذلك، لم تحصل حتّى على عود استحقاقٍ واحدٍ مِن أجل منصب العريف. ألا يبدو لكَ ذلكَ غريباً؟

- كلّا!

- كن جادّاً.

- «ماذا تريد منّي أن أقول؟ لم أكن محبوباً قطّ». يهزُّ رأسه: «لم أولد جميلاً وطويل القامة مثلكما أنت وغُلامكَ كاسيوس. كان عليّ أن أحاربَ مِن أجل ما أريد. هذا لم يجعلني محبوباً، إنّما مجرّد غوبلن صغير بغيض».

أخبرهُ بما سمعت؛ بأنّه آخر مَن اختيرَ. فيتشنير لم يكن يريده، لكنّ المنتقين أصرّوا. سيفرو يراقبني في الظلام. لا يتكلّم.

- لقد جرى اختيارك لأنّك الفتى الأصغر، والأضعفُ بنيةً، ونتائجكَ فظيعة، وحجمك صغيرٌ جدّاً. لقد انتقوكَ مثلما انتقوا بقيّة المختارين الأواخر؛ لأنّه سيكون مِن السهل قتلُكَ خلال مرحلة العُبور. كبشُ فداءٍ لأحدٍ ما. كانت لديهم خِططٌ كبيرة له. لقد قتلتَ بريام يا سيفرو؛ ولهذا هُم لا يريدونكَ أن تصبح عريفاً. هل أصبت؟

- «لقد أصبت. قَتلتُه كما كنتُ لأقتُلَ كلباً جميلاً: بسرعة، وبسهولة». يبصقُ العظمة على الأرض: «وأنتَ قتلتَ جوليان. هل أصبت؟».

لم نتحدّث عن العُبور بعدها مرّةً أُخرى.

في الصباح، نتركُ المرتفعات خلفنا، ونغادرُ نحو سفوح التلال. العشب والأشجار بدؤوا بالتداخل. نتحرّك خبباً في حال كانت فِرقُ محاربي مينيرفا في الأنحاء. أرى واحدةً مِن بعيد، ونحن نقترب مِن الأشجار. لم يرونا. بعيداً في الجنوب، هنالك دخان في السماء. الغربان يتجمّعون فوق مناطق الشغبر.

أريدُ قولَ المزيد لسيفرو، وسؤاله عن حياته، لكنّ نظراته نافذةٌ للغاية. لا أريدُ أن يسألَ عنّي، كي لا ينفذَ إلى داخلي بالسهولة التي نفذتُ بها إلى داخل تيتوس. إنّه أمرٌ غريبٌ! هذا الفتى يحِبُّني. إنّه يهينني، لكنّهُ يحِبُّني. والأغرب مِن ذلك أكثر، أنّني أريد -على نحوٍ بائسٍ- أن يحِبَّني. لماذا؟

أظنّ أنّ مرّد ذلك شعوري بأنّه الوحيد هنا الذي يفهمُ الحياة، إضافةً إلى روكي وكاسيوس. إنّه قبيحٌ في عالمٍ حيث يجب أن يكون جميلاً، وبسبب عِلّته هذه فقد اختير كي يموت. إنّه في نواحٍ كثيرةٍ ليس بأفضل مِن أحمر.

أريدُ أن أخبره بأنّني أحمر. جزءٌ منّي يظنُّ أنّه هو أيضاً كذلك، وجزءٌ آخر منّي يعتقدُ أنّه سيحترمني أكثر إن علم بأنّني أحمر. لم أولد مِن ذوي الحظوة، أنا مثله، لكنّني أحفظُ لساني؛ فلا شكّ أبداً في أنّ المُشرِفين يراقبوننا.

كوايتوس لا يحبّ الغابة. بادئ الأمر، الشجيرات كثيفةٌ لدرجة أنّنا نضطرّ إلى شقّ طريقنا بوساطة السيوف، لكنْ لا يطول الأمر حتّى تقِلّ الشجيرات، وندخل مملكة أشجار الآلهة. أنواع أُخرى قليلة فقط يمكنها أن تنمو هنا: إنّها أشجارٌ شامخةٌ تحجبُ الضوء، وجذورها تمتدّ إلى الأعلى كأذرعٍ تمتصُّ الطاقة مِن التربة، إنّها تنمو لتصبح بعلوّ أبنية. أنا في مدينةٍ مجدّداً، حيث حركة الحيوانات وجذوع الأشجار تحجب رؤيتي عوضاً عن المعدن والخرسانة. ومع تجرّؤنا على التعمّق في الغابة، أتذكّرُ منجمي: أتذكّرُ الظُلمَة، وضيق المكان تحت الأغصان، كأنّه لا وجود لشمسٍ، أو سماء.

أوراقٌ خريفيّةٌ بحجم صدري تخشخش تحت قدمَيّ. أعلم أنّنا مُراقَبون. سيفرو لا يحِبُّ ذلك. إنّه يرغب بالانسلال بعيداً للعثورِ على الأعين التي في أثرنا.

- «هذا سيُفسِد هدفنا». أخبره.

- «هذا سيُفسِد هدفنا». يقول ساخراً.

نستريح لتناول وجبة غداءٍ مِن لحم الماعز والزيتون المسروق. الأعين

التي في الأشجار تظنُّ أنّني على درجة مِن الغباء تمنعني مِن تغيير منظوري الفكريّ، كأنّني لن أعتقد أبداً أنّهم قد يختبؤون فوقي عوضاً عن الأرض. على الرغم مِن ذلك لا أنظر إلى الأعلى. لا حاجة لإخافة الحمقى، أو جعلهم يظنّون أنّني أعرفُ لعبتهم؛ عليّ أن أغزوهم قريباً، إنْ ما زلت قائد عُصبتي. أتساءلُ إن كانت لديهم حبالٌ لعبورِ الأشجار أم إنّ أطرافهم عريضة كفاية؟

سيفرو لا يزال متلهّفاً لسحب سكاكينه، وتَسلُّقِ إحدى الأشجار. ما كان عليّ جَلبُه؛ هو لم يُخلَق للدبلوماسيّة.

أخيراً، قرّر أحدهم أن يخاطبني.

- «مرحباً يا عُصبة مارس». يقول أحدهم. أصوات أُخرى تُرَدِّدُ صدى ذلك على يميني. أطفالٌ أغبياء. عليهم توفيرُ خدعهم للّيل. كان سيكون الوضع بائساً في هذه الغابة في الظلام، الأصوات ستأتي مِن كلّ جانب. شيءٌ ما يُفزِع الأحصنة. حيوانات الآلهة ديانا هي: الدبّ، والخنزير البريّ، والغزال. أحضرنا معنا رِماحاً مِن أجل أوّل اثنين. مِن المفترض وجود دببة دمويّة عملاقة في هذه الغابة: إنّها دببةٌ ضخمةٌ مصنوعةٌ مِن قِبَل النحّاتين؛ لأنّ النحّاتين على الأغلب قد ضجروا مِن صُنعِ صغار الغزلان. نسمع سهيف الدببة الدمويّة العملاقة في أعماق الغابة. أقوم بتهدئة كوايتوس.

- أُدعى دارو، قائد عُصبة مارس. أنا هنا لمقابلة عريفكم، إن كان لديكم واحد. وإن لم يكن، فقائدكُم سيكون كافياً، وإن لم يكن لديكم واحدٌ مِن هؤلاء أيضاً، خذوني إلى أكثركم شجاعة.

يسودُ الصمت.

- «شكراً لمساعدتكَ». ينادي سيفرو.

أنظرُ إليه رافعاً حاجبي، فيكتفي بهزِّ رأسه. هذا الصمتُ سخيف. إنّهم يفعلون ذلك ليجعلوني أعتقدُ أنّهم لا يأخذونَ أوامرَ منّي، فهُم يقومون بالأشياء وفقاً لمواعيدهم. يا لهم مِن كبار هؤلاء الفتيان والفتيات! ثمّ تأتي فتاتان طويلتان مِن خلف شجرةٍ بعيدةٍ، ترتديان زيّاً بلون الغابة، مع أقواسٍ مُعلَّقةٍ على ظهريهما، وسكاكين مدسوسة في أحذيتهما. أظنُّ أنّ إحداهما لديها سكّين في شعرها المَلفوف. استخدمتا توت الغابة لرَسمِ علامة قَمرِ الصيد(*) على وجهيهما، وتتدلّى فراء حيوانات مِن حزاميهما.

لا أبدو عِدائيّاً؛ لأنّني كنتُ قد غسلتُ شعري حتّى أصبح لامعاً، ونظَّفتُ وجهي، وغطَّيتُ جراحي، وقمتُ بخياطة الأماكن الممزّقة في زيّي الأسود، حتّى إنّني غسلتُ بُقعَ العَرق بالرملِ والدّهن الحيوانيّ. أبدو كما أكَّدَ كلٌّ مِن كوين وليا؛ وسيماً وشديدَ الجاذبيّة. لا أريدُ أن تشعرَ عُصبة ديانا بالتهديد؛ لهذا جعلتُ سيفرو يأتي. إنّه يبدو تافهاً وطفوليّاً طالما يبقي سكاكينه بعيدة.

هاتان الفتاتان ابتسمتا بتصنُّعٍ لسيفرو، لكنّهما لم تستطيعا منعَ نفسيهما مِن أن يتشتّتَ تركيزهما لدى رؤيتي. يَنزلُ المزيدُ منهم. يأخذون مُعظَم أسلحتنا، تلكَ التي استطاعوا العثور عليها. ويغطُّون رؤوسنا بالفرو كيلا نتمكّن مِن معرفة الطريق إلى حصنهم. أعُدُّ الخطوات. سيفرو يعُدُّ أيضاً. تفوح مِن الفرو رائحة عفونة. أسمعُ نقّار الخشب، وأتذكَّرُ مَقلَبَ فيتشنير. يجبُ أن نكونَ قريبين؛ لذا تعثَّرتُ وسقطتُ على الأرض. لا توجد شجيرات. دُرنا مجدّداً في الأنحاء، اقتادونا بعيداً عن نقّاري الخشب. في

(*) البدر في شهر تشرين الأول/ أكتوبر حين كان السكان الأصليون في أمريكا الشمالية يصيدون الغزلان. (م).

البداية، خشيتُ من أنّ هؤلاء الصيّادين أذكى ممّا كنتُ أعتقد، لكنْ بعدها أدركتُ أنّهم ليسوا كذلك، فها أنا أسمع نقّاري الخشب مجدّداً.

- هيه، يا تمارا، لقد جلبناه، إنّه هنا في الأسفل!

- «لا تحضروهم إلى الأعلى، أيّها الحمقى!». تصيح الفتاة: «لن ندعهم يقومون بحفلة استطلاعٍ مجانيّةٍ هنا. كم مرّة عليّ أن... انتظروا فقط. سأنزلُ إلى الأسفل».

لقد أخذوني إلى مكانٍ ما، ودفعوا بي نحو شجرة.

فتى يتكلّم فوق كتفي. صوته بطيءٌ وفاترٌ، كنصلِ سكّينٍ يُشحَذ ببطء: «أقترح سلخَ خصاهم».

- اخرس يا تاكتوس! فقط اجعلي منهما عبيداً يا تمارا. لا مكان للدبلوماسيّة هنا.

- انظري إلى نصلِه. مِنجلُ الحصَّاد قاتِلُ عُصبته.

- «أوه! إذنْ، هذا هو». يقول أحدهم.

- «أطالبُ بنصلِه عند اقتسام الغنائم. كذلكَ أحبُّ فروة رأسه، إن لم يكن لأحدٍ آخر رغبة بها». يبدو تاكتوس كفتى بغيضٍ جدّاً.

- «اخرسوا جميعكم!». تنفجرُ الفتاة: «تاكتوس، ضع هذه السكّين جانباً».

ينزعون الفرو عن رأسي. نقف أنا وسيفرو في أيكةٍ صغيرةٍ مِن الأشجار. لا أرى أيّة قلعةٍ، لكنّني أسمعُ نقّاري الخشب. أنظرُ مِن حولي، فأتلقّى ضربةً حادّةً على الرأس، مِن شابٍّ هزيلٍ بارز الأعصاب، ذي عيونٍ ضجرة، وشعرٍ برونزيٍّ مُسرَّح إلى الأعلى، ومُثبَّتٍ بعُصارة وعصيرِ

التوتِ الأحمر. بشرتهُ داكنة كعسلِ السنديان، ووجنتاه المرتفعتان، وعيناه الغائرتان تمنحانه منظراً يوحي بالاستهزاء المُستمِرّ.

- «إذنْ، أنتَ مَن يدعونهُ بالحصَّاد». يتشدَّقُ تاكتوس، مُلوِّحاً بنصلي على سبيل التجربة: «حسناً، إنّكَ تبدو جميلاً جدّاً لدرجة يصعبُ معها تَخيُّل أنّكَ قد تسبّب أيّ ضَررٍ على الإطلاق».

- «أيغازِلُني؟». أسألُ الفتاة تمارا.

- «تاكتوس، ابتعد! شكراً لك، لكنْ ابتعد الآن». تقول الفتاة النحيلة المتشدِّدة. شعرُها أقصر مِن شعري. يحيط بها ثلاثة فتيان ضِخام مِن كلِّ جانب. الطريقة التي كانوا يحدّقون بها إلى تاكتوس أكّدت حُكمي المُسبَق على شخصيّته.

- «يا حصَّاد، لمَ أنتَ مع هذا القزم؟». يسألُ تاكتوس مشيراً إلى سيفرو: «أيُلمِّع أحذيتك؟ ويُخرِج أشياء مِن شَعرك؟». يتوجّه نحو بقيّة الفتية بضحكةٍ مكتومة. «أم ربّما هو خادم؟».

- «ابتعد يا تاكتوس!». تزمجرُ تمارا.

- «بالطبع». ينحني تاكتوس: «عليّ أن أذهب، وألعب مع بقيّة الأطفال يا أمّي». يرمي النصلَ على الأرض، ويغمزني، كأنّنا الوحيدان اللّذان يعرفان ما هي المزحة التي ستحدثُ بعد قليل.

- «آسفة لهذا». تقول تمارا: «إنّه ليس مهذّباً أبداً».

- «لا عليكِ». أقول.

- «أنا تمارا مِن... كِدتُ أقول اسمَ عائلتي الحقيقيّة». تضحك: «مِن عُصبة ديانا».

- «وهُم؟». أسألُ عن الفتية.

- «حرّاسي الشخصيّون. وأنت...». ترفعُ إصبعها: «دعني أخمّن. دعني أخمّن. الحصّاد. أوه! لقد سمعنا عنك. عُصبة مينيرفا لا تحِبُّك على الإطلاق».

يصدر سيفرو صوت نخيرٍ على سمعتي السيّئة.

- «وهو؟». تسألُ مع حاجبين مرفوعين.

- حارسي الشخصي.

- حارسٌ شخصيّ؟ لكنّه قصيرٌ جدّاً.

- «وأنتِ تبدين كـ...». يتذمّر سيفرو.

- «هكذا هي الذئاب». أجيبُ مقاطعاً سيفرو، وهو يشتم.

- إنّنا هنا نخشى الشغابر أكثر من الذئاب.

ربّما كان على كاسيوس أن يأتي معنا فقط لكي يعرفَ أنّني لا أبالغُ بأمر الوغد. أسألها عن الشغبر، لكنّها تتجاهل سؤالي.

- «ساعدني هنا». تقول تمارا بلطف: «لو أنّ أحداً كان ليقول لي بأنّ الحصّاد مِن عصبة السفّاح سيأتي إلى فُسحَتي الغابيّة طلباً للدبلوماسيّة، كنت لأظنُّ بأنّها إحدى دُعاباتِ المُشرِف. إذنْ، ماذا تريد فعلاً؟».

- التخلّص مِن إزعاجات عُصبة مينيرفا.

- «كي تأتي إلى هنا وتقاتلنا عوضاً عن ذلك؟». يتذمّر أحدُ حُرّاسها.

ألتفِتُ إلى تمارا مع ابتسامةٍ معتدلةٍ، وأخبرها الحقيقة: «أريدُ التخلّصَ مِن عُصبة مينيرفا، كي آتي إلى هنا وأهزمكِ، طبعاً». ومِن ثمّ الفوز باللّعبةِ الغبيّة، وتدمير حضارتكم، رجاءً!

يضحكون.

- «حسناً، إنّكَ صريح، لكنْ لستَ بالذكاء الذي تبدو عليه. هذا متوافق. دعني أخبركَ شيئاً يا حصّاد: مُشرِفنا يقول بأنّ عُصبتكم لم تفز منذ سنين. لماذا؟ لأنكم، أيّها السفّاحون؛ مِثلُ حرائق الغابات: في المراحل الأولى مِن اللّعبة، تَحرِقون كلَّ ما تلمسونه. تُدمِّرون وتقتاتون. تُدمِّرون العُصَب؛ لأنكم غير قادرين على تأمين أنفسكم، لكنْ بعدها تتضوّرون جوعاً؛ لأنّه لم يعد هنالك ما تحرقونه. الحصار، والشتاء، والتقدّم التكنولوجيّ، إنّها تقتل تعطّشكم للدماء، ووحشيّتكم المشهورة؛ لذا أخبرني لماذا عليّ أن أصافِح حريقَ الغابات، إن كان بإمكاني الجلوسُ بعيداً، ومشاهدة كيف ستنفدُ لديه الأشياءُ التي بوسعه أن يقتاتَ عليها؟».

أومئ برأسي، وأهزّ الطعمَ.

- النار قد تكون مفيدة.

- فَسِّر.

- قد نتضوّرُ جوعاً، وأنتِ تشاهدين ذلك، ولكنْ أستشاهدينه كعَبدةٍ لعُصبةٍ أُخرى أم ستشاهدين ذلك مِن حِصنكِ القويّ، وجَيشُكِ يَتجهَّزُ لكنسِ الرماد وقد تضاعف حجمه؟

- هذا لا يكفي!

- أعدكِ شخصياً بأنّ عُصبة مارس لن تقوم بأيّة تصرّفاتٍ عدائيّةٍ تُجاه عُصبة ديانا، طالما لم يُنقَض اتّفاقنا. إن ساعدتني بالاستيلاء على مينيرفا، سأساعدكِ في الاستيلاء على سيريس.

- «عُصبة سيريس...». تقول، وهي تنظرُ إلى حُرَّاسها.

- «لا تكوني جشعة». أقول: «إن هاجمتِ عُصبة سيريس بمفردك، فإنّ كلّاً مِن عُصبتَيْ: مارس، ومينيرفا سينقضّان عليكِ».

- «أجل، أجل». تلوِّح يدها بسخط: «هل عُصبة سيريس قريبة؟».

- «جدّاً. ولديهم خبز». أنظرُ إلى الفَروِ الذي يرتديه رجالها: «الذي برأيي سيكونُ تغييراً لطيفاً عوضاً عن كلّ هذا اللّحم».

تنقلُ وزنها على أصابع أقدامها، فأدركتُ بأنّني تمكّنتُ منها. دائماً فاوض بوساطة الطعام. أحفظُ ذلك.

تَسعُلُ تمارا: «إذنْ، أنتَ تقول بأنّه يمكنني زيادة حجمِ جيشي إلى الضعف؟».

31

سقوط الموستانغ

أركبُ حِصاني مرتدياً ثياب الحرب. أتّشِح بالسواد، وشعري أشعثُ ومربوطٌ برباطٍ مِن أمعاء الماعز. ساعداي مغطّيان بدروعٍ مِن الفولاذ المقوّى غُنمَت في المعركة، وكذلك درع الصدر مصنوعٌ مِن الفولاذ المقوّى، إنّه أسْود اللّون، وخفيف الوزن، وبوسعه صدُّ أيّ شيءٍ أضعفُ مِن نصل أيوني، أو شفرة. حذائي متّسخٌ بالوحل. خطوطٌ سوداء وحمراء مرسومة عبر وجهي. نصلٌ مِنجَليٌّ على ظهري، والسكاكين في كلّ مكان. تِسعُ عظام متصالبة حمراء، وعشرة ذئاب تغطّي جوانب كويتوس. رسمتها ليا. كلُّ عظمتين متصالبتين تمثّلان خصماً قد أُعيقَ، الذي غالباً ما يُعالَج بوساطة الروبوتات الطبيّة ويُرمى به مجدّداً في القتال. كلُّ ذئبٍ يمثّل عبداً. كاسيوس يسير ممتطياً حصانه إلى جانبي. إنّه يتلألأ. الفولاذ المقوّى الذي حصل عليه كمكافأةٍ قد لُمِّعَ ليشعّ مثل سيفه البرّاق، وشعره الذي يقفز مرتدّاً عن وجهه الملكيّ كنوابض ذهبيّة ملفوفة، كأنّهم لم يحيطوا به، ولم يبولوا عليه قطّ.

– «حسناً، أظنُّ بأنّني البرق». يعلنُ كاسيوس: «وأنتَ يا صديقي الجادّ، أنتَ الرّعد».

- «إذنْ، ماذا أكونُ أنا؟». يسأل روكي، وهو يركل حصانه ليلحق بنا جاعلاً الوحل يتطاير: «الريح؟».

- «إنّكَ مملوءٌ به». أقولها مصدراً خنفرة: «النوعُ الحارّ منه».

بقيّة العُصبة تسيرُ خلفنا ممتطيةً أحصنتها. الجميعُ ما عدا كوين وجون اللّتين بقيتا خلفنا كحرّاسٍ لقلعتنا. إنّها مُقامرة. نسيرُ ببطءٍ كي تعرف مينيرفا أنّنا قادمون. ما لا يعرفونه هو أنّني كنت هناك في اللّيل قبل بضع ساعات فقط، وسيفرو موجود هناك الآن. ما زال الوحلُ ملتصقاً تحت أظافري.

مُستطلِعو مينيرفا يندفعون عبر قمم تلالهم الصخريّة. إنّهم يقومون باستعراض للسخرية منّا، لكنّهم في الواقع يحصون أعدادنا ليعرفوا استراتيجيّتنا على نحوٍ أفضل. مع ذلك يبدونَ مرتبكين عندما ندخل إلى أراضيهم ذات العشب العالي وشجر الزيتون. مرتبكين لدرجة أنّهم يسحبون مُستطلِعيهم إلى ما وراء أسوارهم. لم نأتِ مِن قبل بكامل قوّتنا هكذا. العَوّاؤون كمُستطلِعين لنا يمتطون أحصنتهم السوداء بكامل حُلّتهم، وعباءتهم السوداء ترفرفُ كأجنحة الغربان. القتلةُ مِن المختارين الأوائل يتحرّكون كطلائع الجيش الأساسيّة، ومكوّنون مِن: فيكسوس المتوحّش، وبولوكس الخشن، وكاساندرا الحاقدة، والعديد مِن عِصابة تيتوس؛ أمّا العبيد، فيهرولون حول مُلّاكهم، أولئك الذين أسروهم.

أتقدّم إلى الأمام مع كاسيوس وأنطونيا إلى جانبي. إنّها تحملُ الراية اليوم. يوجد بِضعة رماةٍ فقط على الأسوار؛ لذا أطلبُ إلى كاسيوس أن يتأكّد أنّنا لن نُباغت بكمينٍ مِن الجوانب، في حال كان هنالك أيٌّ مِن أتباع مينيرفا في الأنحاء، فينطلق بحصانه مبتعداً.

حصن مينيرفا محاطٌ على نحوٍ دائريٍّ بمئات الأمتار مِن الأراضي

الجرداء، التي تحوّلت إلى موحلةٍ من جرّاء أمطار الفيضانات الأسبوع الفائت. إنّه ميدان القَتلِ. اخطُ إلى قلب الدائرة، وسيحاول الرُّماة قتل حصانك. إن لم تنسحب سيحاولون قتلك. هنالك قرابة عشرين حصاناً تقريباً مِن كلتا العُصبتين مبعثرين في الميدان؛ حيث قادَ كاسيوس هجوماً دمويّاً على فرقة محاربي مينيرفا، بلغ فيه بوّابات القلعة نفسها قبل يومين فقط.

وراء ميدان القَتلِ هنالك عشب، إنّه أشبه بمحيطٍ مِن العشب العالي، الذي يبلغ في بعض الأماكن حدّاً يسمح فيه لسيفرو بالوقوف منتصباً، بدون أن يكون مِن الممكن رؤيته. نقفُ على حافّةِ دائرةِ الوحلِ وسط مَرجٍ مِن أزهار الخريف البريّة. الأرضُ تُسحَق مِن تحت الأقدام، وكوايتوس يَصهُل مِن تحتي.

- «باكس!». أصرخُ بعدها: «باكس».

ظللتُ أنادي بالاسم في وجه الأسوار إلى أن فُتحَت بتثاقلٍ بوّابتهم الرئيسة، تماماً مثلما فُتحَت ذات مرّةٍ في تلك اللّيلة عندما تسلّلنا أنا وكاسيوس إلى الداخل. تخرجُ موستانغ ممتطيةً حصانها. تسير ببطءٍ عبر الوحل، وتتوقّف على مقربةٍ منّا. عيونها تلحظ كلّ شيء.

- «أسيكون هذا نزالاً؟». تسأل متجهّمة: «باكس مِن مينيرفا الحكيمة والنبيلة ضدّ الحصّاد مِن عُصبة السفّاح الدمويّ؟».

- «إنّكِ تجعلين ذلكَ يبدو مثيراً للغاية». تتثاءب أنطونيا، التي لا يوجد عليها أيّة بقعةٍ مِن الوسخ.

موستانغ تتجاهلها.

- «وأنتَ متأكّدٌ مِن أنّه لا يوجد لديكَ أيّ أحد مختبئ في ذلك العشب

كامناً لنا، ليباغتنا عند خروجنا لدعم بطلنا؟». تسألني موستانغ: «هل نحرقه لنكتشف ذلك؟».

- «لقد أحضرنا الجميع». تقول أنطونيا: «إنّكِ تعرفين عددنا».

- «أجل، أجيدُ العدّ. شكراً لكِ». لا تنظر موستانغ إليها. فقط إليّ. تبدو قلقةً، وصوتها منخفض: «باكس سيؤذيك».

- «باكس، كيف حال خصيتيك؟». أصرخُ مِن فوق رأسها. تجفلُ عندما يُقرَع طبل مِن داخل الحصن فجأةً! عدا أنّه ليس طبلاً. يخرجُ باكس مِن البوّابة. فأسُه الحربيّة تضرب بترسِه. موستانغ تصيح به كي يعود، فيطيعها مثل الكلب، لكنّ ضربات الفأس على الترس لا تنقطع. نتّفقُ بأنّنا سنراهن بما تبقّى مِن عبيدٍ لدى كلينا. إنّها مكافأةٌ ضخمة.

- «ظننتُ أنّ الوسيم هو مَن يخوض النزالات». تقول موستانغ، وتهزُّ رأسها. عيونها ما تزال متّجهةً نحو العشب: «أين صاحبكَ المجنون؟ ظِلُّكَ، ذاك الذي يقود قطيع الذئاب؟ هل يختبئ في العشب؟ لا أريد أن ينبثق مِن خلفي مجدّداً».

أصرخُ منادياً على سيفرو، فترتفع يَدٌ مِن بين العَوّائين. الوحل يغطّي الوجوه التي تحدّق مِن تحت عباءات الذئب السوداء. راحت موستانغ تعدُّ. لقد أخذت جميع العَوّائين الخمسة بعين الاعتبار. في الواقع، أحصَت كامل قوّتنا ما عدا كوين. مع ذلك ما زالت موستانغ غير راضية. علينا أن نبعد جيشنا إلى مسافة ستّمئة متر بعيداً عن حافّة دائرة الوحل. وستحرقُ كلَّ العشب الموجود على مسافة مئة متر مِن مكان وجودنا الآن. وبعد أن يحترق كلّ العشب، ستكون الأرض المحروقة هي ميدان النزال. عشرة رجال مِن اختيارها سينضمّون إلى عشرة مِن اختياري في صنع دائرةٍ؛ حيث

سيجري القتال. ما تبقّى مِن رجالها سيبقون داخل المدينة، وما تبقّى مِن رجالي سيبقون بعيدين مسافة ستّمئة متر.

- «ألا تثقين بي؟». أسأل: «ليس لديّ رجال في العشب».

- جيّد. إذنْ، لن يحترقَ أحد.

لا يحترق أحد. أتركُ جيشي بعد أن تخمد النار، وتصبح الأرض ضمن ميدان القتال مجرّد رمادٍ، ودخانٍ، ووحل. عشرة مِن رجالي يرافقونني. باكس يضربُ بفأسه الحربيّة على ترسٍ زيَّنهُ برأس امرأةٍ شعرها مملوء بالثعابين؛ إنّها ميدوسا. لم أقاتل رجُلاً مع ترسٍ مِن قبل. لباسهُ المُدرَّع مُحكَم، ويغطّي كلّ شيءٍ عدا مفاصله. أرفعُ الرُمحَ الصاعقَ بيدٍ لوّنتها بالأحمر، والنصلَ المِنجَليّ بيدٍ لوّنتها بالأسود.

قلبي يتخبَّط مع رسم الدائرة مِن حولنا. كاسيوس يلوِّح لي كي آتي إليه. حتّى في الضوء الخافت يظلّ يشعّ بالألوان. يبادلني ابتسامةً ساخرة.

- «لا تتوقّف عن الحركة! هذا مثل الكرافات». يَتفحَّص باكس: «أنتَ أسرعُ مِن هذا الوغد المتبَّب. أليس كذلك؟». يغمزني، ويربت على كتفي: «أليس كذلك يا أخي؟».

- «طبعاً». أغمزه.

- رعدٌ وبرقٌ، يا أخي، رعد وبرق!

لباكس بنية سَبجيّ: طوله يفوق السبعة أقدام بسهولة، ويتحرّك كفهدٍ لعين! ضمن تسارع جاذبيّة 0.37 ج، يمكنه أن يرميني لمسافة ثلاثين متراً، أو أكثر. أتساءل إلى أيّ ارتفاعٍ يمكنه أن يقفز. أقفزُ كي أبسطَ ساقَيّ. أبلغ الثلاثة أمتار تقريباً. إذنْ، بوسعي أن أقفز مِن فوق رأسه بسهولة. ما زال الدخان يتصاعد مِن الأرض.

- «اقفز، اقفز، أيّها الجندب الصغير». يدمدم متذمّراً: «ستكون هذه آخر مرّة تستخدم فيها ساقيك».

- «ما هذا؟». أسأل.

- قلتُ بأنّ هذه ستكون آخر مرّة تستخدم فيها ساقيك.

- «غريب!». أقول متململاً.

يرمشُ بعيونه، وينظر إليّ عابساً: «ما... الغريب؟».

- صوتكَ يبدو كفتاة. هل حدث شيء ما لخصيتيك؟

- أيّها الضئيل...

موستانغ تخبّب حصانها مع رايتهم، وتقول شيئاً ما عن كون الفتيات لا يتحدّين بعضهنّ في نزالاتٍ غبيّة: «سيستمرّ هذا النزال حتّى...».

- «الاستسلام». يقول باكس مقاطعاً، وقد نَفذَ صبره.

- «حتّى الموت». أصحّح. في الواقع لا يهمّ. أنا فقط أعبثُ بهم عند هذه النقطة. كلّ ما عليّ فعله هو إعطاء الإشارة.

- «حتّى الاستسلام». تؤكّدُ موستانغ. إنّها تُنهي الضروريّات، والنزال يوشك على البدء، لتنطلق حينها سلسلة مِن الفرقعات عالياً في السماء، مشيرةً إلى حدوث انفجاراتٍ صوتيّةٍ، بينما يأتي المُشرِفون مِن الأوليمبوس لينضمّوا إلينا. إنّهم يهبطون بحركةٍ حلزونيّةٍ مِن جبلهم الطافي عالياً، قادمين مِن عدّة أبراجٍ مختلفة. كلّهم يرتدون اليوم شعاراتهم: وهي عبارة عن خوذ كبيرة مِن الذهب البرّاق. لدروعهم مظهرٌ خلّاب. هُم ليسوا بحاجةٍ إليها، لكنّهم يحبّون ارتداءها. اليوم أحضروا طاولةً معهم. إنّها تطفو بوساطة مصعدٍ ثقاليٍّ خاصٍّ بها، حاملةً أباريق ضخمةً مِن النبيذ، وصوانيَ مِن الطعام، كأنّها أعِدَّت خصوصاً مِن أجل حفل عشاء.

- «آمل بأن نكون تسليةً كافية». أصيح نحو الأعلى: «أتمانعون مِن رمي بعض النبيذ؟ لقد مرَّت مدّةٌ منذ أن حصلنا عليه».

- «حظّاً موفّقاً في مواجهة العملاق، أيّها الإنسان الفاني الصغير!». يصيح ميركوري نحو الأسفل. وجهه الطفوليّ يضحكُ ببشاشةٍ، ويُقرِّب بطريقةٍ مُبهرَجةٍ إبريقَ النبيذ مِن شفتيه. القليل منه يسقط لمسافة ربع ميل مِن السماء لينتهي على دِرعي. إنّه يقطر إلى الأسفل كالدم.

- «أعتقد أنّه علينا أن نقدّم لهم عرضاً». ينفجرُ باكس.

نتبادلُ أنا وباكس ابتسامةً عريضة. بطريقةٍ ما، إنّه نوعٌ مِن الإطراء أن يأتي الجميع للمشاهدة، ثمّ تقوم نبتون، بخوذتها ذات الرُمحِ ثلاثيّ الشّعَب، وهي ترتعشُ مِن ابتلاع بيض السمّان بالصُراخِ علينا كي نبدأ. عندها تمسحُ فأس باكس ساقيّ، كأنّها مكنسة ساحرةٍ شرّيرة. أعرفُ أنّه يريدني أن أقفز؛ لأنّه ينوي الهجومَ بترسه ليسحقني في الهواء كذبابة؛ لذا أخطو إلى الخلف، ثمّ أثبُ إلى الأمام مع انتهاء ذراعه مِن الضربة. إنّه يتحرّكُ أيضاً، لكنْ إلى الأعلى وبتَرقُّب؛ لذا أنطلقُ نحو اليمين مارّاً تحت ذراعه اليمنى، ومقحماً الرُّمحَ الصاعق في إبطه بكلّ ما أوتيتُ مِن قوّة، فينقسم الرمحُ إلى نصفين، لكنّ باكس لا يسقط حتّى مع جريان الكهرباء عبْره. عوضاً عن ذلك، يضربني بظاهر يده بقوّةٍ تجعلني أطيرُ عبر الدائرة، وأنتهي في الوحل مع ضرسٍ مكسورٍ، وفمٍ مملوءٍ بالوحل والدم، ومَصعٍ في الرقبة. إنّني أتدحرج بالفعل.

أقفُ على قدمَيّ مترنّحاً مع نصلي المِنجَليّ. الوحل يغطّيني. أنظر إلى الأسوار. جيشهم يحيط بالدريئة. لا يستطيعون مقاومة مشاهدة قتال الأبطال؛ هذه هي الغاية. بوسعي إعطاء الإشارة الآن، فالبوّابات مفتوحةٌ

في حال اضطرّوا إلى إرسال مساعدة. أقربُ فارسٍ إلينا يبعد ستّمئة متر، إنّه بعيدٌ جدّاً. خطّطتُ لذلك، لكنْ مع كلّ هذا لا أعطي الإشارة. أريد الحصول على فوزي الخاصّ اليوم، حتّى لو كان ذلك أنانيّاً. على جيشي أن يعرف لماذا أقودهم أنا.

أعودُ إلى الدائرة. ليس لديّ شيءٌ ذكيٌّ لقوله. إنّه أقوى، وأنا أسرع. هذا كلّ ما تعلّمهُ كلانا عن الآخر. هذا لا يُشبِه قِتال كاسيوس. لا وجودَ لأشكالٍ جميلة. توحّشٌ خالصٌ. يضربني بعنفٍ بترسه. أبقى قريباً كي لا يتمكّن مِن أرجحة فأسه. التِرس يسحقُ كتفي. كلُّ ضربةٍ تُولّد ألماً مُبرحاً في ضِرسي. يضربُ به مجدّداً، فأقفزُ وأسحب التِرس بيدي اليسرى، وأنطلقُ مِن فوقه. سكّينٌ تقفزُ مِن معصمي لأطعنه في عينيه، وأنا أعبُر. لا أصيبُه، ولكنْ أخدشُ واقي خوذته.

مع بقاء مسافةٍ صغيرةٍ بيننا، أمسكُ بسكّينٍ، وأجرّبُ خدعةً معروفة. بازدراءٍ يصدُّ بعيداً النصلَ الطائرَ، مستخدماً تِرسه، لكنْ عندما يخُفِضه لينظرَ إليّ، أكون في الهواء لأحطَّ على تِرسه بكامل ثقلي. المفاجأة تجعلهُ يُخفِض التِرس نحو الأسفل بمقدار شعرة. بيدي الفارغة أقذفُ الوحل بقوّةٍ في خوذته.

لقد أصبحَ أعمى. يدٌ تحملُ الفأس، والأُخرى تحملُ التِرس. لا يمكن لأيٍّ منهما أن يمسح الواقي لتنظيفه. كان الأمر ليكون سهلاً لو باستطاعته القيام بذلك فقط، لكنّه لا يستطيع. أضربهُ عدّة مرّاتٍ على معصمه إلى أن يُسقِط فأسه. عندها آخذُ ذلك الشيء الضخمَ، وأضربهُ بِه على خوذته. لم ينكَسِر الدّرع بعد. كاد أن يطيحَ بي بترسِه، ويفقدني وَعيي. أؤرجحُ الفأسَ الثقيلة مجدّداً، وأخيراً يسقطُ باكس مُكوَّماً في مكانه. أسقطُ على ركبتَيّ لاهثاً.

ثمّ أقوم بالعُواء.

ثمّ قام الجميع بالعُواء.

العُواء يملأ أرضَ مينيرفا. عُواءٌ مِن جيشي البعيد. عُواءٌ مِن قَتلَتي العشرة مِن المختارين الأوائل الذين ساعدوا في إنشاء دائرة النِزال هذه. عُواءٌ مِن ميدان القَتلِ. تسمعُ موستانغ الصوتَ الرهيبَ خلفها فتديرُ حصانها. وجهها يفيضُ بالرُعب. عُواءٌ مِن مُشرِفين يضحكون، عدا مينيرفا، وأبولو، وجوبيتر. عُواءٌ مِن بطون الأحصنة الميّتة وسط ميدان القَتلِ، ذلكَ القريبُ مِن بوّابتها المفتوحة.

- «إنّهم في الوحل!». تصرخُ موستانغ.

إنّها على حقّ تقريباً، لكنّها تُفكّر كذهبيّة. أحدٌ ما يصرخُ لدى رؤيتهم لسيفرو وعَوّائيه، وهُم يشقّون طريقهم نحو الخارج عبر البطون المخيطة المنفوخة للأحصنة الميّتة، والمبعثرة في الوحل حتّى حدود البوّابة. إنّها أشبه بولادة الشياطين، إنّهم يزحفون مِن الأحشاء المنتفخة والمعدة المقسّمة. عشرةٌ مِن أفضل جنود عُصبة ديانا يخرجون معهم. تاكتوس وشعره المُثبَّت إلى الأعلى يخرجُ مِن بطن فرسٍ شاحبة اللّون. إنّه يركضُ مع الحشيشة، والشوكة، والمهرّج؛ جميعهم على بُعد خمسين متراً عن البوّابات البطيئة الثقيلة.

حُرَّاس عُصبة مينيرفا يقفون على الأسوار لمشاهدة النِزال. لا يمكنهم صدُّ الانقضاض الخاطف للجنود الشياطين بوساطة إغلاق بوّاباتهم البطيئة؛ فبالكاد يستطيعون ضَبطَ السِهام على أقواسهم، قبل أن يتمكّن سيفرو، والعَوّاؤون، وحلفاؤنا مِن الانسلال عبر البوّابة لحظة إغلاقها؛ أمّا في الجانب الآخر مِن المدينة، فجنود عُصبة ديانا سيتسلّقون ببطءٍ الأسوار

بوساطة الحِبال التي يستعملونها لتسلُّقِ أشجارهم السخيفة. أجل. الصافرةُ تُسمَع الآن مِن الجانب الآخر. لا بدَّ من أنّ حارساً هناك قد رآهم، لكنْ لا أحد سيأتي لمساعدته. يتقدّم جيشي إلى الأمام، وأولئك العَوّاؤون المزيّفون أيضاً، الذين استعرناهم مِن ديانا، وألبسناهم ليبدوا مثل سيفرو وعِصابته.

نُدمِّر عُصبة مينيرفا خلال دقائق. هنالك في الأعلى، ما زال المُشرِفون يَعوُون ويضحكون. أظنّ أنّهم ثَمِلون. لقد انتهى الأمر قبل أن تتمكّن موستانغ مِن فِعل أيّ شيء، عدا الجري مبتعدةً لتقطع الميدان الموحِل، عبر العُشبِ الذي لا يزال يحترق. عشرات الأحصنة تنطلقُ في أثرها، مِن بينهم فيكسوس وكاساندرا. سيمسكون بها قبل حلول الظلام، ورأيت ما الذي فعلهُ فيكسوس بالسجناء وآذانهم؛ لذا أمتطي كوايتوس، وأنطلقُ في أثرهم.

تتركُ موستانغ حصانها عند طرف غابةٍ صغيرةٍ في الجنوب. نترجّلُ عن أحصنتنا، ونتركُ ثلاثة رجالٍ ليحرسوها في حال عادت أدراجها. تقتحمُ كاساندرا الغابة؛ أمّا فيكسوس، فيتبعني ويلاحقني، كأنّني أعرف أين يمكن لموستانغ أن تختبئ. لا أحبّ ذلك. لا أحبّ وجودي في الغابة مع فيكسوس وكاساندرا. كلّ ما يحتاج إليه الأمر نصلٌ في الظهر. وكلاهما على استعدادٍ للقيام بذلك. على عكس بولوكس، ما زالا يكرهاني، وعَوّائيَّ وكاسيوس بعيدون جدّاً. على الرغم مِن ذلك لا أتلقّى أيّ سكّين.

أعثرُ على موستانغ مصادفةً. عينان ذهبيّتان تنظران مِن حفرةٍ موحِلةٍ تلتقيان بعيوني. فيكسوس معي. أسمعه يقسمُ قائلاً شيئاً ما عن مدى تحمُّسِه لتحطيم الفرس المتبَّة، ورؤية كيف ستبدو مع رسن. واقفاً هناك

محدّقاً بعهرٍ في الأجمة، بدا منحنياً، وملتوياً، وشرّيراً، أشبه بشجرةٍ ذاويةٍ بعد حريق. مقدار الدهون في جسمه أقلّ مِن أيّ أحدٍ رأيته في حياتي؛ لذا فكلُّ عِرقٍ ووترٍ يتموَّج تحت جلده المشدود. لسانه يتحرّكُ جيئةً وذهاباً فوق أسنانه المثاليّة. أعلم أنّه يستفزّني؛ لذا أقتاده بعيداً عن الحفرة الموحِلة.

إيو لم تستحقّ الموتَ كعبدةٍ للجمعيّة، وبصرف النظرِ عن لونها، فإنّ موستانغ لا تستحقّ أيّ نوعٍ مِن أنواع الأرسُن.

32

أنطونيا

اجتزت هذا الاختبار. الحرب المُطوَّلة مع عُصبة مينيرفا انتهت، وأوقعتُ -أيضاً- بعُصبة ديانا.

كان لدى عُصبة ديانا ثلاثة خيارات قبل المعركة. كان بوسعهم أن يخونوني مع مينيرفا، ويَستعبِدوا عُصبتي، لكنّني جعلتُ كاسيوس يُسيِّر دوريات مراقبة لاعتراض أيّ فارس؛ أو قبول عَرضي، أو الذهاب إلى قلعتنا ومحاولة الاستيلاء عليها. ما كنتُ لأهتمَّ كثيراً لو اختاروا ذلك، فلقد كان فخّاً: لم نترك أيّ ماءٍ في الداخل، وسيكون بإمكاننا فرضُ حصارٍ عليهم بسهولة.

الآن أصبح لديهم حصن مينيرفا. ونحن في الخارج، في السهول. بوسعهم الالتزام باتّفاقهم. نحن سنحصلُ على الراية، وهُم سيحصلون على المدينة وجميع سكّانها، لكنّني أعلم أنّهم سيصبحون جشعين، وقد أصبحوا كذلك. البوّابات مُغلقة، ويظنّون أنّ لديهم معقلاً استراتيجيّاً؛ حسناً، لهذا لديّ سيفرو في الداخل معهم.

أعمدة الدخان سترتفع قريباً. إنّه يُدمِّر مخازن طعامهم، في أثناء قيامهم

باستعباد أتباع مينيرفا وحراسة الأسوار مِن جيشي، ثمّ يلوِّث الآبار بالبراز، ويختبئ مع عوّائيه في الأقبية.

عُصبة ديانا ليست معتادةً على مثل هذا النوع مِن الحروب. هُم لم يغادروا غابتهم قطّ. انتظارهم ليس بالأمر الصعب أبداً. مضت ثلاثة أيّام، ومِن الواضح أنّهم ما زالوا متفاجئين بأنّنا لم نرحل. عوضاً عن ذلك، نُخيِّم شمال المدينة، وجنوبها مع أحصنتنا، والنيران تُضيء كلّ مكانٍ كي لا يتمكّنوا مِن التسلّل إلى الخارج في اللّيل. إنّهم عطشى. قائدتهم تمارا لا تستقبلني؛ فهي مُحرَجة كثيراً مِن اكتشافنا لخيانتها.

أخيراً، في اليوم الرابع، تعرضُ عليّ تمارا عشرة عبيد مِن أتباع مينيرفا، وجميع جنودنا المُستعبَدين، إن سَمحتُ لها بالعبور إلى ديارها. أرسلُ ليا لكي تخبرها ردّي، بأنْ: تبّاً لكِ! أخذت ليا تقهقه كالأطفال عند عودتها. تُقلِّب شعرها، وتُمسِك بذراعي، وتنحني مقتربةً منّي لتُقلِّد ساخرةً يأس تمارا.

- «احترم نفسك!». تصيح: «ألست رجُلاً يلتزم بكلامه؟».

لدى محاولتهم كسر الحصار في اللّيلة الخامسة، نأسرهم جميعاً حتّى آخر واحد فيهم عدا تمارا. سقطَت عن حصانها ودُهسَت حتّى الموت في الوحل.

- «سَرجها قُطِع مِن الأسفل». يريني سيفرو قطعة الجلد المقطوعة على نحوٍ نظيف: «أهو تاكتوس؟».

- ربّما.

- «فأمّه عضوةٌ في مجلس الشيوخ، وأبوه بريتور». يبصق سيفرو: «التقيتُ به عندما كنّا أطفالاً. ضربَ فتاةً حتّى كاد يَقتلُها لأنّها لم تُقبّله على خدّه. وغدٌ مجنون!».

- «دع الأمر كذلك». أقول: «ليس بوسعنا إثبات أيّ شيء». إنّ تاكتوس عَبدٌ لنا، مِثلُ كلِّ أتباع ديانا ومينيرفا، حتّى باكس. أجلسُ مع كاسيوس وروكي على ظهور أحصنتنا نراقب عبيدنا الجُدد، وهُم يُكدِّسون الخشب والقشَّ في أرجاء حصن مينيرفا. يُشعِلون ناراً هائلة، ونشرب ثلاثتنا نخبَ الانتصار.

- «هذا سيكون آخر عود استحقاقٍ لك». يخبرني كاسيوس: «سيجعلُك هذا عريفاً يا أخي». يربّتُ على كتفي، ولكنّني لا أرى في عينيه سوى بريق الغيرة: «لا خِيار أفضل مِن هذا».

- «بربّ السماء، لم أظنّ قطّ أنّني سأشهدُ هذا الجانب مِن صديقنا الوسيم». يقول روكي: «التواضع! أحقّاً هذا أنت يا كاسيوس؟».

يهزُّ كاسيوس رأسه: «هذه اللّعبة هي مجرّد عامٍ واحدٍ مِن حياتنا، ربّما أقلّ، وبعدها، سنذهبُ للتَلمُذ، أو إلى الأكاديميّة، ومِن ثمّ سنحصلُ على حياتنا. أنا سعيدٌ بأنّ ثلاثتنا مِن العُصبة نفسها. في نهاية الأمر، مكافآت عادلة ستكون بانتظار ثلاثتنا».

أضغطُ على كتفه. «أوافقكَ الرأي».

ما زال ينظر إلى الأسفل، غير قادرٍ على النظرِ في عينيّ إلى أن يستجمع صوته مجدّداً.

- «ربّما... فقدتُ أخاً هنا. هذا الألمُ لن يخبو، لكنّني أشعر كأنّني كَسبتُ اثنين آخرين». ينظرُ إلى الأعلى بحدّة: «وأنا أعني ذلك، أيّها الشبّان. تبّاً! أعني ذلك بكلّ جديّة. يجب أن نُحقّق هنا ما يجعلنا فخورين بأنفسنا. التغلُّب على بِضع عُصبٍ أُخرى، والفوز بكلّ هذا الأمر المتبَّب؛ لأنّ والدي سيحتاج إلى ضُبّاط للسفن في أسطوله الحربيّ... إن كنتم

مهتمّين، هذا كلّ شيء. عائلة بيلونا لطالما كانت بحاجةٍ إلى قادة أسراب لجَعلِنا أقوى».

يقولُ الجزءَ الأخير بخوفٍ، كأنّ لدينا شيئاً آخر أفضل للقيام به.

أمسكُ بكتفه مرّةً أُخرى، وأومئ برأسي، حتّى مع تَحذلقِ روكي، وقوله شيئاً ما عن ميله إلى أن يكون سياسيّاً؛ لأنّه يُفضِّل إرسالَ الناسِ إلى حتفهم عن أن يذهبَ هو إلى حتفه. أبناء أريس سيَسيلُ لُعابهم إن أصبحتُ بريتوراً لعائلة بيلونا.

- «ولا تخشى يا روكي، سأذكرُ شِعركَ لأبي». يضحك كاسيوس: «لطالما أرادَ شاعراً مقاتلاً».

- «طبعاً». يقول روكي مُجمِّلاً: «تأكَّد مِن جعل إمبراطور بيلونا العزيز يعرف أنّني بارعٌ مع الاستعارة، وشرّير مع الجِناس».

- «روكي الشرّير... يا إلهي!». أضحكُ في أثناء قُدومِ سيفرو وكوين مع فتاةٍ، وهُم يركبون حصاناً مِن نوعٍ لم أره مِن قبل. الفتاة ترتدي كيساً على رأسها. كوين تقدّمها على أنّها رسولٌ مِن عُصبة بلوتو.

اسمها ليلاث، وقد وجدوها تنتظرُ بالقرب مِن طرف الغابة. تريدُ التحدُّثَ إلى كاسيوس.

كانت ليلاث ذات مرّة فتاةً بوجهٍ كالقمر، وخدودٍ مبتسمةٍ، لكنْ ليس الآن. إنّها مسحولةٌ، محروقةٌ حديثاً، مثقوبةٌ وقاسية. لقد خَبِرت الجوع، وفيها برودٌ لم أعهده. أنا مُرتاع! أشعر كأنّني ميكي عندما كان ينظرُ إليّ؛ كنتُ حينها شيئاً بارداً وهادئاً لم يكن يستطيعُ فَهمَه، وكذلك هي. إنّ الأمر أشبه بالنظر إلى سمكةٍ أُخرجَت مِن نهرٍ تحت الأرض.

كلمات ليلاث تأتي بطيئةً ومتلكّئةً في الهواء.

- أتيتُ مِن عِند الشغبر.

- «ناديه باسمه الحقيقيّ، لو سمحتِ». أقترح.

- «لم آتِ للحديثِ معك». تقول مِن دون أيّة ذرّة عاطفة: «أتيتُ لمقابلة كاسيوس».

حِصانها صغيرٌ وهزيلٌ. حوافرهُ مخدوشة. لديها ثيابٌ إضافيّة تجعلُ مِن سرجها ثخيناً. لا أرى أيّة أسلحةٍ أُخرى سوى قوس مُستعرِض. إنّهم عُصبةٌ جبليّةٌ؛ فالثياب الإضافيّة هي مِن أجل المناخ الأبرد، والأحصنة الصغيرة مِن أجل الطُرقِ الأكثر وعورة. إلّا في حال كان ذلك خدعة. أجعلُها تريني خاتمها. شعارهم شجرة الحِداد - سَروِ بلوتو، جذورها تخترق الأرض. لقد فقدَت اثنين مِن أصابعها. حروقٌ تُغلِق أماكنَ البَترِ. إذنْ، لديهم أسلحة أيونيّة. شعرها يخشخش، وهي تتحرّك. لا أعرف لماذا.

تتفحّصني بهدوء، كأنّها تقارنني بسيّدها.

مِن الواضح أنّني ناقص.

- «كاسيوس ذهبيّ بيلونا، سيّدي يُطالِب بالحصّاد». تتابعُ قبل أن يتمكّن أيّ منّا مِن التفوّه بحرف. إنّنا متفاجئون جدّاً: «حيّاً، أو ميّتاً. لا نكترث لذلك. في المقابل، ستحصلون على خمسين مِن هذا لِـ... جيشكم».

ترمي له بنصلين أيونيّين.

- «يمكنكِ إخبار سيّدكِ أنّ عليه أن يأتي لمواجهتي بنفسه». أقول.

- «لا أتحدّثُ إلى الفتيان الميّتين». تقول ليلاث في الهواء: «سيّدي وضعَ إشارةً على الحصّاد. قبل حلول الشتاء، سيكون ميّتاً. بطريقةٍ، أو بأُخرى».

- «تبّاً لكِ!». يردُّ كاسيوس.

ترمي لكاسيوس برزمةٍ صغيرة: «هذه كي تساعدكَ على اتّخاذ القرار».

لم تتحدّث مرّةً أُخرى. ترفعُ كوين حاجبيها، وتهزُّ رأسها للتخلّص مِن ارتباكها، وهي تقود ليلاث إلى الخارج.

أنظرُ إلى الرزمة الصغيرة التي يحملها كاسيوس بيديه. الريبةُ تجتاحني. ماذا يوجد في الداخل؟

– «افتحها». أقول.

– «لا. إنّها مجنونةٌ مثل البنفسجيّين». يضحكُ كاسيوس: «لا أريدُ أن تعدينا». مع ذلك يطوي الرزمة داخل حذائه. أردتُ أن أصرخَ عليه كي يفتحها، لكنّني أبتسم كأنّه لا يوجد شيءٌ أخشاه.

– «شيء ما ليس على ما يرام هنا. إنّها لا تبدو كإنسان». أقول على نحوٍ عَرَضيّ.

– «تبدو كأحد ذئابنا المتضوّرة جوعاً». يلوّح كاسيوس بالنصلِ الأيونيّ، مُصدراً صليلاً حادّاً: «على الأقلّ حصلنا على هذين الاثنين. الآن بوسعي تعليمك كيفيّة المبارزة على نحوٍ صحيح. هذا بوسعه اختراق الدرع المقوّى مباشرة. شيءٌ خطرٌ حقّاً».

الشغبر يعرفُ بأمري. الفكرة تجعلني أرتعش. كلماتُ روكي أسوأ.

– «هل لحظتم كيف يخشخشُ شعرها؟». يسأل، ووجهه أبيض: «ضفائرها مجدولة بالأسنان».

علينا أن نستعدَّ لمواجهة جيشِ الشغبر؛ هذا يعني تدعيمَ قوّاتي، والقضاء على ما تبقّى مِن تهديدات. أريدُ تدميرَ ما تبقّى مِن عُصبة ديانا في الغابة الكبرى، وأريدُ عُصبة سيريس. أُرسِل كاسيوس مع العَوّائين وعشرة فرسان لتدمير ما تبقّى مِن ديانا، وأعود مع بقيّة جيشي والعبيد إلى قلعتنا

للاستعداد لمواجهة الشغبر. لم أضع خطّةً بعد، لكنّني سأكونُ مستعدّاً لمواجهته إن أطلَّ برأسه.

- «بعد أن نام عَوّاؤونا داخل الأحصنة الميّتة، ستكون رائحتهم النتنة كافية على الأرجح لطرد أتباع ديانا من الغابة الكبرى». يضحكُ كاسيوس، وهو يَهمِز حصانه لينطلق بعيداً عن القافلة الرئيسة: «سأدع غوبلن يهاجمهم، وأعودُ قبل أن تَخلُد إلى النوم».

لا يريدُ سيفرو الذهاب مِن دوني. لا يفهم لماذا يحتاج كاسيوس مساعدته لتطهير ما تبقّى مِن ديانا. أخبره بالحقيقة.

- لدى كاسيوس رزمة في حذائه، تلكَ التي أعطتهُ إيّاها ليلاث. أريدُ منكَ أن تسرقها.

عيونه لا تُصدِر الأحكام، ولا حتّى هذه المرّة. هنالك أوقاتٌ أتساءلُ فيها ما الذي فعلته كي أستحق ولاءً كهذا، وهنالك أوقات أُخرى أحاول فيها ألّا أتمادى باستغلال حظّي، وانتقادِ هديّة القدر.

في تلك اللّيلة، بينما كان كاسيوس يَفرِض حِصاراً على ديانا في الغابة الكبرى، كان باقي جيشي يقيمُ وليمةً في المرتفعات خلف الأسوار العالية لقلعة مارس. البرجُ المُحصَّن نظيفٌ، والسعادة تعمُّ الساحة. حتّى العبيد يحصلون على ما أعدَّته جون مِن عنزة مشويّة بالزعتر، ولحم غزالٍ مرشوشٍ بزيت الزيتون. كلُّ هذا تحتَ إشرافي. العبيد يخفضون أنظارهم مِن شدّة حَرجِهم عندما أمرُّ بجانبهم، حتّى باكس أيضاً. الذئبُ العَوّاء على جبهته قد حطَّم كبرياءه. تاكتوس هو الوحيد الذي ينظرُ في عينَيّ. بَشرتهُ عسليّة داكنة مثل كوين، ولكنّ عيونه تذكّرني بأفاعي الحُفَر.

يغمزني.

بعد انتصاري على باكس، يبدو أنّ أتباعي مِن المختارين الأوائل أخيراً أقرّوا بزعامتي على نحوٍ كامل، حتّى أنطونيا. إنّ ذلك يذكّرني بالكيفيّة التي عاملوني بها في الشوارع بعد أن نحتني ميكي. أنا الذهبيّ هنا. أنا السُّلطة. إنّها المرّة الأولى التي أشعرُ فيها بهذه الطريقة منذ أن حكمتُ على تيتوس بالإعدام. قريباً سيهبطُ فيتشنير، ويأخذ يدَ العريف مِن الحجر، ويعطيني إيّاها، وكلّ شيءٍ سيكون على ما يرام.

روكي، وكوين، وليا، والآن بولوكس، يأكلون معي، حتّى فيكسوس وكاساندرا اللّذان عادةً ما يجلسان بصحبة أنطونيا، قد حضرا للتهنئة بالنصر. يضحكان ويربّتان على كتفي. سيبيو، دُمية أنطونيا، يُحصي عددَ العبيد. أنطونيا بنفسها لا تتجرّأ على القدوم إليّ، لكنّها تحني رأسها الذهبيّ في إشارةٍ على الموافقة؛ المُعجزاتُ تحدث.

أنا عريف. لديّ خمسة عيدان ذهبيّة. قريباً سيأتي فيتشنير ليمنحني هذا الشرف. في الصباح، ستسقط عُصبة سيريس. عددهم لا يتجاوز ثُلثَ عددنا. مع محاصيلهم لإطعام جيشي، وحصنهم كقاعدة للعمليّات، سأصبحُ بقوّة أربع عُصب. سنمسحُ أيّ شيءٍ قد بقي في الشمال، ومِن ثمّ سنهبط نحو الجنوب حتّى قبل أوّل سقوطٍ للثلج، بعدها سأواجه الشغبر.

يأتي روكي للوقوف إلى جانبي، ونحن نشاهد الوليمة.

– «كنتُ أفكّرُ بتقبيل ليا». يقول لي فجأةً! أراها تضحكُ مع بعض المختارين الأواسط بالقرب مِن إحدى النيران. لقد قصّت شعرها ليصبحَ قصيراً. ترمقنا بنظرةٍ خاطفةٍ، ثمّ تحني رأسها بغنجٍ عندما يبدأ روكي بالتحديق فيها. يحمرُّ هو أيضاً، ويشيحُ بنظره.

- «ظننتُ أنّها لا تعجبك؛ إنّها تَتبعُكَ في كلّ مكانٍ مِثلَ جَروٍ». أضحك.

- حسناً، نعم. في البداية لم تلفِت انتباهي؛ لأنّني اعتقدتُ أنّها تتعلّق بي كما يفعل المرء بـ... طَوق النجاة ليتوقّف عن الغرق. لكن... لكنّها نضجت...

نظرت إليه ورحتُ أضحك. لا أستطيع التوقّف عن الضحك.

نبدو كذئاب شُقر. نبدو أكثر نحفاً مِن لمّا بدأ المعهد، وأوسخ. شعرنا طويل. ولدينا ندوب. أنا أكثر مِن البقيّة. على ما يبدو أعتمدُ كثيراً على اللّحم الأحمر؛ فأحد أضراسي مقسوم، لكنّني أضحك. أضحك إلى أن لا يعود بوسعِ ضرسي تحمّل ذلك. نسيتُ بأنّنا بشرٌ، بأنّنا أطفالٌ نحبّ ونعشق.

- «حسناً، لا تُضيِّع القبلةَ الأولى». أقول: «هذه نصيحتي الوحيدة».

أخبرهُ بأن يأخذها إلى مكانٍ ما مميّز. الأخذ إلى مكانٍ ما هنا، المقصود به مكان ذو معنى له، أو لهما. أنا أخذتُ إيو إلى حفّاري. لوران وبارلو أطلقا النُكات حول ذلك. لقد كان مُطفأً، وفي نَفَقٍ مُهوّى؛ لذا لم يكن علينا أن نضع أغطية بِزّات الشواء، إنّما أن نَحذَر مِن أفاعي الحُفَر فقط. مع ذلك كانت تتعرَّقُ مِن الإثارة. الشعرُ مُلتصِق بوجهها، وبمؤخّرة رقبتها. أمسكَت بمعصمي بقوّةٍ شديدةٍ، وأفلتتهُ فقط عندما علمَت أنّها حصلَت عليّ؛ عندما قبَّلتُها.

أبتسمُ ابتسامةً عريضةً، وأصفعُ روكي على مؤخّرته مِن أجل الحظّ. عمّي نارول يقول بأنّ هذا تقليد. عندما فعلها بي استخدم الجانب المستوي للنصل المِنجَليّ. أعتقدُ أنّه كان يكذب.

أحلمُ بإيو في اللّيل. غالباً لا أنام مِن دون أن أحلُمَ بها. الأسِرَّة الطابقيّة

في برج القلعة العالي خاوية. روكي، وليا، وكاسيوس، وسيفرو، والعَوّاؤون جميعهم رحلوا، ما عدا كوين، جميع أصدقائي ليسوا هنا. أنا عريف، ومع ذلك أشعر بالوحدة. النارُ تُفرقِع. رياحُ الخريف الباردة قد أتت. إنّها تُصدِر أنيناً مثل رياحِ أنفاق المناجم المهجورة، وتجعلني أفكّر في زوجتي.

إيو. أفتقدُ دفئها في السرير إلى جانبي. أفتقدُ رقبتها. أفتقدُ تقبيلَ بشرتها الناعمة، شمَّ رائحة شعرها، تذوّق فمها، وهي تهمسُ كم تحبُّني.

ثمّ أسمع خَطوات؛ أمّا هي، فتتلاشى.

تقتحمُ ليا بابَ المَهجع. تتكلَّمُ بتوتّرٍ واهتياج. بالكادِ أستطيعُ فهمها. أنهضُ لأقفَ فوقها، وأضعُ يدي على كتفها لأهدّئها. إنّ ذلك مستحيل! عيونها المجنونة تنظرُ إليّ مِن خلفِ شعرها المقصوص.

- «روكي!». أخذت تنوح: «روكي سقطَ في الأخدود. ساقاه مكسورتان. لا أستطيع الوصول إليه».

أتبعها بسرعةٍ لدرجة أنّني حتّى لم أحضِر عباءتي، أو نصلي المِنجَليّ. القلعة نائمةٌ ما عدا الحُرَّاس. نندفعُ عبر البوّابة، ناسينَ الأحصنة. أصرخُ على واحدةٍ مِن الحُرَّاس كي تأتي لمساعدتي. لم أنظر لأرى إن أتت. ليا تجري أمامي، لتقتادني للأسفل عبر الوادي الطوليّ الضيّق، ومِن ثمّ إلى الأعلى فوق التلال الشماليّة إلى وديان المرتفعات العميقة، حيث أشعلنا نارنا الأولى كقبيلة. الضبابُ كثيف. اللّيل مُظلم. وأنا أدركُ كم أنّني أحمق.

إنهُ فخّ.

أتوقّفُ عن اللّحاق بليا. لا أخبرها. لا أعرف إن كانوا سيأتون مِن خلفي؛ لذا أستلقي على بطني، وأزحفُ إلى الخندق كي أضيعَ في الضباب. أغطّي نفسي بالسراخس. إنّني أسمعهم الآن. صوتُ السيوف،

والأقدام، والرماح الصاعقة. شتائم ولعنات. كم يبلغ عددهم؟ ليا تنادي اسمي بتوتُّر واهتياج. إنّها ليسَت وحيدة الآن. لقد قادتني إليهم. أسمعُ صوتَ فيكسوس الأحدب. أشمُّ رائحة زهور كاساندرا. دائماً ما تفركها على بشرتها لتخفي رائحة جسمها.

أصواتهم تنادي بعضها في الضباب. إنّهم يعلمون أنّني اكتشفتُ فخّهم. كيف بوسعي العودة إلى جيشي؟ لا أجرؤ على الحركة. كم يبلغ عددهم؟ إنّهم يبحثون عنّي. إن ركضت، هل سأنجو؟ أم سينتهي بي الأمر مغروزاً على رأس سيف؟ لدي سكّينان في حذائي. هذا كلّ شيء. أسحبهما.

- «أوه، يا حصَّاد!». تنادي أنطونيا مِن بين الضباب. إنّها في مكان ما فوقي: «أيّها القائد المِغوار. أوه يا حصَّاد! لا حاجة للاختباء يا عزيزي. لسنا غاضبين منكَ لإصدارِكَ الأوامر لنا كأنّك مَلِكُنا. لسنا ساخطين بما يكفي لنغرزَ سكّينين في عينيك. لسنا هكذا على الإطلاق. يا عزيزي».

يسخرون منّي، يلعبون على وتر غروري. لم أكن قطّ مغروراً، لكنْ لا يمكنهم فَهمُ ذلك. حذاء يخطو بالقرب مِن رأسي، وعيون خضراء تحدِّق عبر الظلام. أظنُّ أنّهم يرونني، لكنْ لا. إنّها نظّارات رؤية ليليّة. أحدهم أعطاهم نظّارات رؤية ليلية. أسمعُ صوتَ فيكسوس وكاساندرا. أنطونيا يزدادُ إحباطها.

- «يا حصّاد، إن لم تخرج للّعب سيكون هنالكَ عواقب». تصيح: «أيّة عواقب تسأل؟ يا لها مِن أحجية! سأقطع عنق ليا الصغيرة حتّى العظم». أسمعُ صُراخاً عندما يُمسَك شعر ليا: «حبيبة روكي...».

لن أخرج. اللّعنة! لن أخرج. حياتي ليست لي وحْدي. إنّها حياة إيو، حياة عائلتي. لا يمكنني رميها، ليس مِن أجل كبريائي، وليس مِن أجل ليا،

وليس مِن أجل تَجنُّب الشعورِ بألمِ فقدان صديقٍ آخر. هل لديهم روكي أيضاً؟

فَكِّي يتألّم. أعضُّ على أسناني. ضرسي يصرخ. أنطونيا لن تفعلها. لا يمكنها.

- «الفرصة الأخيرة يا عزيزي. كلّا؟». أسمعُ صوت قَطعٍ للّحم، يتبعهُ خرخرةٌ، وصوتُ ارتطامٍ، مع تَكوُّمٍ لجسم على الأرض: «يا للخسارة!».

أطلقُ صرخةً صامتةً، وأنا أرى الروبوت الطبيّ يطنُّ عبرَ ضباب اللّيل. على الرغم مِن كلّ القوّة التي في يدي، وفي جسمي، أنا عاجزٌ عن إيقافِ هذا، عن إيقافهم.

لا أتحرّك حتّى الصباح الباكر، عندما أتأكّد مِن رحيلهم. الروبوتات الطبيّة لم تأخذ جثّة ليا بعيداً. المُشرِفون تركوها كي أعرفَ أنّها ماتت، كي لا يبقى لديّ أملٌ بأنّها حيّةٌ بطريقةٍ ما. الأوغاد! جسدها هشٌّ، وهي ميّتة. مثل طائرٍ صغيرٍ سقطَ مِن العُش. أضعُ علامة قبرٍ فوقها. الأحجارُ عالية، لكنّها لن تبقي الذئاب بعيدة.

لا أعثرُ على جثّة روكي؛ لذا لا أعرف ماذا حصل له. هل صديقي ميّت؟

أشعرُ كأنّني شبحٌ، وأنا أتخيَّر طريقي على طول المرتفعات، أطوف حول القلعة لتجنُّب أنصار أنطونيا. أختارُ مكاناً على الطريق الذي سيسلكه كاسيوس لدى عودته مِن الغابة الكبرى، وأختبئ تحت الشجيرات لأبقى بعيداً عن الأنظار. كان النهار قد انتصف لدى عودته، وهو يترأس قافلةً صغيرةً مِن الأحصنة والعبيد. يُسرِع بحصانه نحو الأمام للترحيب بي، وأنا أخرجُ مِن بين الشجيرات.

- «أخي!». ينادي: «أحضرتُ لك هديّة!». يقفز مترجّلاً، ويعانقني قبل

أن يسحب واحداً مِن نجود ديانا، ويلفّه حول أكتافي. يبتعدُ عنّي: «إنكَّ شاحبٌ كشبح. ما الأمر؟». يلتقطُ ورقة مِن رأسي. ربّما حينها يرى الحزن في عيني.

سيفرو يلحق به، وأنا أخبرهما ماذا حدث.

- «العاهرة!». يدمدمُ كاسيوس. سيفرو يصمت: «ليا المسكينة. ليا المسكينة! لقد كانت لطيفةً ومحبوبة. أتظنّ أنّ روكي ميّت؟».

- «لا أعلم». أقول: «أنا لا أعلم فقط».

- «تبّاً!». يهزُّ كاسيوس رأسه.

- «لا بدَّ من أنّ المُشرِف قد أعطى أنطونيا نظّارات رؤية ليليّة». يخمِّن سيفرو: «أو أنّ الشغبر قد رشاها. هذا ممكن».

- «مَن يهتمّ لذلك الآن؟». يصرخُ كاسيوس، ملوِّحاً بذراعه: «قد يكون روكي مصاباً، أو ميّتاً في مكانٍ ما في العراء هنا يا رجُل. ألا تدرك ذلك؟». يُمسِك بمؤخّرة عنقي، ويقرِّب جبيني مِن جبينه: «سنعثرُ عليه يا دارو. سنعثرُ على أخينا».

أومئ برأسي، وأنا أشعر بخَدرٍ ينتشرُ في صدري.

أنطونيا لم تعد قطّ إلى قلعتنا، وكذلك أنصارها: فيكسوس، وكاساندرا. لقد أخفقا في قتلي فاضطرّا إلى الهرب. لكنْ إلى أين؟

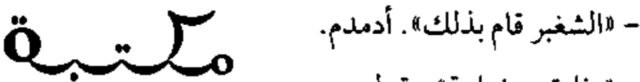
تلوِّح كوين بيديها عالياً في الهواء، وتصرخ علينا، ونحن ندخل عبر البوابة.

- «تبّاً! لم أعرف أين اختفى الجميع. العبيد كانوا يفوقوننا عدداً؛ أربعة مقابل واحد، إلى أن عُدتم. لكنْ لا بأس. لا بأس». تُمسِك بيدِ كاسيوس عندما نخبرها بالذي حدث. عيونها تغرورق بالدموع مِن أجل ليا، لكنّها

ترفض التصديق بأنّ روكي ميّت. تستمرّ بهزّ رأسها: «بوسعنا استخدام العبيد للبحث عن روكي. على الأرجح إنّه مصابٌ، ويختبئ في مكانٍ ما هناك. هكذا سيكون الأمر. هكذا يجب أن يكون».

لم نعثر عليه. الجيش بأكمله بحث عنه. بلا أيّ أثر. نَعقِد اجتماعاً في غرفة حربنا حول الطاولة الكبيرة.

- «إنّه ميّتٌ على الأرجح أسفل الخندق». يقول سيفرو في تلك اللّيلة. كدتُ أضربه، لكنّه على حق.



- «الشغبر قام بذلك». أدمدم.

- «دناءة ووضاعة». يقول.

- ماذا؟

- «لا يهمّ إن فعل ذلك، هذا ما قصده سيفرو. ليس بوسعنا القيام بأيّ شيءٍ ضدّ الشغبر الآن. حتّى لو حاول قتلك، فإنّنا لسنا بوضع يسمحُ لنا بإيذائه». تعلن كوين: «فلنتعامل مع جيراننا بدايةً».

- «غباء!». يدمدم سيفرو.

- «يا لها مِن مفاجأة! يبدو أنّ الغوبلن يعارض». ينفجرُ كاسيوس: «تكلّم بوضوح إن كان لديك ما تقوله أيّها القزم».

- «لا تستخفّ بي». يقولها سيفرو باحتقار.

يضحكُ كاسيوس ضحكة خافتة: «لا تبُل على قدمي إن كنت بالكاد تصل إلى ركبتي».

- «أنا نِدٌّ لكَ في كلّ شيء». النظرة التي ارتسمَت على وجهِ سيفرو جعلتني أنحني إلى الأمام فجأةً! مذعوراً مِن أنّ سكّيناً قد تُغرَز فجأةً في عين كاسيوس.

- «نِدٌّ لي؟ بماذا؟ بالمولد؟». يبتسمُ كاسيوس مُكشِراً: «أوه! انتظر، أنا عنيت بالطول، والمظهر، والذكاء، والمال. هل عليّ التوقّف؟».

تركلُ كوين كرسيّهُ بقوّةٍ بقدمها.

- «سحقاً ما هي مشكلتكَ؟». تنفجرُ في وجهه: «لا يهمّ. أغلِق فمكَ المتبَّب فقط».

ينظرُ سيفرو إلى الأرض. فجأةً! تجتاحني الرغبة بأن أضع يدي على كتفه.

- «ما الذي كنتَ تقوله يا سيفرو؟». تسألُ كوين.

- لا شيء.

- هيّا، كفاك ذلك!

- «قال: لا شيء». يضحكُ كاسيوس ضحكةً خافتة.

- «كاسيوس». صوتي وحده يُخرِسه: «سيفرو، أرجوك».

يتنهَّدُ سيفرو وينظرُ إليّ، وجنتاه محمرّتان مِن الغضب: «فقط فكَّرتُ بأنّه علينا ألّا نجلسَ هنا بدون فعل أيّ شيء، بينما الشغبر يفعل ما يحلو له». يهزُّ رأسه: «أرسلني إلى الجنوب، ودعني أسبِّبُ المشكلات».

- «مشكلات؟». يسأل كاسيوس: «ماذا ستفعل، تقتلُ الشغبر؟».

- «نعم». ينظرُ سيفرو بصمتٍ إلى كاسيوس: «سأغرزُ خِنجراً في حلقه، ومِن ثمّ سأحفرُ حفرةً إلى أن أرى فقرات ظهره».

الجوُّ المشحون يجعلني أشعرُ بالاضطّراب.

- «لا يمكن أن تكون جادّاً». تقول كوين بهدوء.

- «إنّه جادّ». يتجعَّدُ جبين كاسيوس: «وهو مخطئ. نحنُ لسنا

وحوشاً. لا أنا، ولا أنتَ على الأقلّ يا دارو. قادة أسراب بيلونا لا يَنحرون في اللّيالي. لدينا خمسمئة عام مِن الشرف علينا أن نحرسه».

- «تُرّهات وأكاذيب». سيفرو يَستنكِر كلامه بتلويحةٍ مِن يده.

- «إنّ هذا مغروسٌ بالتربية». كاسيوس يرفع أنفه قليلاً.

فم سيفرو ينثني بشدة: «إنّكَ قردٌ ماجنٌ إن كنت تُصدِّق كلّ هذا. أتظنّ أنّ أباكَ شقَّ طريقهُ ليصبح إمبراطوراً بكونه شريفاً؟».

- «سم ذلك فروسيّة، يا غوبلن». يسخرُ كاسيوس: «لن يكون مِن الصائبِ محاولة قتل أحدهم بدمٍ باردٍ، خاصّةً في المدرسة».

- «أتفقُ مع كاسيوس». أقول مُقاطعاً صمتي.

- «إنّها معجزةٌ صغيرة». ينهضُ سيفرو ليغادر فجأةً! أسأله إلى أين هو ذاهب.

- من الواضح أنّكَ لستَ بحاجتي. لديكَ كلُّ النُصحِ الذي بوسعكَ التعاملُ معه.

- سيفرو.

- «سأقومُ بالبحثِ في الخنادق مجدّداً. أراهن بأنّ ابن بيلونا لن يفعل ذلك. لن يجعل ركبةُ الثمينة تتّسخ». ينحني بسخرية لكاسيوس قبل أن يغادر.

أنا، وكوين، وكاسيوس نبقى في غرفة الحرب، إلى أن تثاءبَ كاسيوس متحدّثاً بشيءٍ ما عن إمكانيّة الوصول إلى مرحلة النوم مع حركة العين السريعة قبل بزوغ الفجر عند السادسة. أنا وكوين نبقى وحدنا. شعرها مقصوصٌ بطولٍ قصيرٍ، وشكلٍ مُحززٍ، مع أنّ الغُرَّة متدليّة فوق عينها الضيّقة. إنّها تنحني على نحوٍ صبيانيٍّ في مقعدها، وتنظّف أظافرها.

- «بمَ تفكّر؟». تسألني.

- «روكي... وليا». أسمعُ الخرخرة في عقلي. لتتردَّدَ معها كلّ أصواتِ الموت. طقطقة إيو، وصمتُ جوليان، وهو يختلجُ مُضرَّجاً بدمائه. أنا الحصَّاد، والموت هو ظِلّي.

- «أهذا كلّ شيء؟». تسأل.

- «أظنُّ أنّه علينا أن نحظى ببعض من النوم». أردُّ.

لا تقول أيّ شيء، وهي تراني أغادر.

33

الاعتذارات

يوقظني كاسيوس في منتصف اللّيل: «سيفرو عثر على روكي». يقول بهدوء: «إنّه في حالةٍ يرثى لها. تعال».

- أين؟

- في الشمال. لن يستطيعوا تحريكه.

نمتطي أحصنتنا، وننطلق مِن القلعة تحت ضوء القمرين التوأمين. ثلج الشتاء المُبكّر يملأ الهواء بالنُّدف المتراقصة. أصوات تشبه المَصّ تعلو مِن الوحل، ونحن نتّجه نحو ميتاس في الشمال. لا صوت سوى خرخرة الماء والرياح في الأشجار. أمسحُ النومَ عن عيوني، أنظرُ إلى كاسيوس. لديه سيفانا الأيونيّان، وفجأةً! أحسستُ بفجوةٍ قد فُتحَت في معدتي، وأنا أدركُ ما الذي قد يعنيه كلّ هذا؛ إنّه لا يعرف مكان روكي، لكنّه يعرف شيئاً آخر.

إنّه يعلم ما الذي فعلته.

إنّه فخٌ لا يمكنني الهروب منه. لحظات كهذه موجودة في الحياة. إنّها أشبه بالتحديق نحو الأرض، وأنت تسقط من الأعالي. رؤية النهاية،

وهي قادمة، لا تعني أنّه بوسعكَ تحاشيها، أو إصلاحها، أو إيقافها. نستمرُّ بالركوب لعشرين دقيقة أُخرى.

- «لم يكن ذلك مفاجئاً». يقول كاسيوس فجأةً!

- ماذا؟

- «علمتُ لأكثر مِن عامٍ بأنّ جوليان مقدَّرٌ له أن يموت». الثلجُ يسقطُ بصمتٍ، ونحن نتحرّك معاً عبر الوحل. الحصان الساخن يتحرّك بين ساقَيّ. خطوةً خطوةً عبر الوحل: «لقد أفسدَ اختباره كليّاً. لم يكن بارعاً قطّ، ليس بالطريقة التي يريدونها. أوه، كم كان لطيفاً وبارعاً بالعواطف! بوسعه استشعار الحزن والغضب مِن بُعد كيلومتر، لكنّ التعاطف هو خصلة بني الألوان الدنيا».

لا أتفوّه بأيّة كلمة.

- هنالك عِداءات لا يمكنُ تغييرها يا دارو. القططُ والكلاب. الجليدُ والنار. أوغوستوس وبيلونا. عائلتي وعائلة الحاكِم العام.

عينا كاسيوس مثبّتتان إلى الأمام على الرغم مِن تعثُّر حصانه، وأنفاسه التي تشكّل ضباباً في الهواء.

- لكنْ بصرف النظرِ عمّا هو مُتنبّئ به، كان جوليان متحمّساً لدى تلقّيه رسالة القبولِ الممهورة بالخَتم الشخصيّ للحاكِم العام. لم يبدُ ذلكَ صائباً لي، أو لإخوتي الآخرين. لم نتصوّر قطّ أنّ جوليان هو مِن ذلك النوعِ القادرُ على الوصولِ إلى هنا. أحببته، وجميع إخوتي، وأبناء عمومتي أحبّوه، لكنَّكَ قابلتَه. أوه! لقد قابلتَه. لم يكن الأذكى، لكنّه لم يكن الأغبى أيضاً؛ ما كان ليكون ضِمنَ الواحد بالمئة الدنيا. لا داعي لإقصائه مِن القطيع. لكنْ كان لديه اسم بيلونا. اسم يبغضهُ عدوُّنا؛ ولذا استغلّ عدوُّنا البيروقراطيّة،

واستغلَّ لقبهُ، وسُلطتهُ الممنوحة له حسبَ الأصول، ليقتل فتىً لطيفاً. رَفضُ دعوةٍ للمعهد هو تصرّفٌ غير قانونيٍّ، ولقد كان شديد الحماس. ونحن: أمّي، وأبي، وإخوتي، وأخَواتي، وأبناء عمومتي، والأحبّاء، وأنا، كنّا متفائلين جدّاً به. لقد تدرَّب كثيراً بجدٍّ.

يتّخذ صوته نبرةً ساخرة: «لكنْ في النهاية، أُطعِمَ جوليان للذئاب، أم عليّ القول: لذئبٍ واحد؟».

يسحبُ حصانه حتّى يتوقّف، ونظَرات عيونه تخترقني.

– «كيف اكتشفتَ ذلك؟». أسألُ، وأنا أحدِّق إلى الأمام نحو المياه الداكنة. نُدَفُ الثلج تختفي على السطح الأسود. الجبال ليست سوى تلال مظلّلة مِن بعيد. النهر يخرخر. لا أترجَّل عن صهوتي.

– «بأنّكَ قمتَ بالعمل القذر لأوغوستوس؟». يضحك بازدراء: «لقد وَثقتُ بكَ يا دارو؛ لذا لم أكن بحاجةٍ إلى رؤية ما الذي أرسلهُ إليّ الشغبر. لكنْ عندما حاول سيفرو سرقتهُ منّي، وأنا نائمٌ في الغابة الكبرى، علمتُ بأنّ هنالكَ خطباً ما». إنّهُ يلحظُ ردّ فعلي: «ماذا؟ أظننتَ بأنّكَ تعاشرُ الأغبياء؟».

– أحياناً، نعم.

– على كلِّ حال، شاهدتهُ اللّيلة.

عَرضٌ مُجسَّم.

مع كلِّ ما حدثَ لروكي وليا، نسيتُ أمرَ الرزمة. كان مِن الأفضل. كان مِن الأفضل أن أثقَ به، وألّا أرسلَ سيفرو ليسرقه. ربّما كان ليُتلفَها حينها. ربّما كانت لتكون الأمور مختلفة.

– «ماذا شاهدت؟». أسأل.

- عَرضاً مُجسَّماً يُظهِرك، وأنتَ تَقتُل جوليان، يا أخي.

- «الشغبر حصلَ على عَرضٍ مُجسَّم». أقولها مع خنفرة: «مُشرِفه أعطاهُ إيّاهُ إذنْ؛ هذا يعني أنّ اللُّعبة مُتلاعَبٌ بها على ما أعتقد. أخالُ أنّه غيرُ مهمٍّ بالنسبة إليك أنَّ الشغبر هو ابن الحاكِم العام، وأنّهُ يتلاعبُ بك لكي تتخلّصَ منّي».

يجفل.

- لم تكن تعرفُ بأنّ الشغبر هو ابنه، أليس كذلك؟ أحسبُ أنّكَ كنتَ لتتعرَّف إليه إن رأيته؛ ولهذا السبب أرسلَ ليلاث.

- «ما كنتُ لأتعرَّف إليه. لم أقابل ذريّة ذلك الوغد قطّ. لقد أبقاهمُ مخفيّين عنّا قبل المعهد، وعائلتي أبقتني بعيداً عنه بعد...». يخبو صوته بعد أن غاصَت عيناهُ في ذكرى بعيدة.

- بوسعنا التغلّبُ عليه معاً يا كاسيوس. لا داعي لأنْ نكون منقسمين...

- «لأنّك قتلت أخي؟». يبصق: «لا يوجد نحن، أيّها الخَريع الوَضيع. تبّاً لك! ترجَّل عن حصانك!».

أترجَّل، فيرمي لي كاسيوس بأحد السيوف الأيونيّة. أقفُ مواجهاً صديقي في الوحل. لا يوجد أحد يشهدُ على ذلك، سوى الغربان والقَمرين، والمُشرِفين كذلك. نَصْلي المِنجَليّ على السرج؛ إنّه مُقوَّسٌ على الأقلّ، لكنّه بلا جدوى أمام النصل الأيونيّ. كاسيوس سيقتلني.

- «لم يكن لدَيّ خيار». أخبره: «آمل أنّك تعرفُ ذلك».

- «ستتعفّن في الجحيم، أيّها الوغد الحقير المُتلاعِب». يصيح: «لقد سمحتَ لي بأن أناديكَ أخي».

- وماذا كنتَ تريدُ منّي أن أفعل؟ هل كان عليّ تركُ جوليان ليَقتُلني في أثناء العُبور؟ هل كان عليّ فِعلُ ذلك؟

جعله هذا يجمدُ في مكانه.

- «إنّها الطريقة التي قَتلتَه فيها». يصمتُ لبرهة: «أتينا كأمراء، وهذه المدرسة مِن المفترض أن تُعلِّمنا كيف نصبحُ وحوشاً. لكن أنتَ أتيتَ كوحش».

أضحكُ بمرارة: «وأين كنتَ عندما قطَّعتَ تيتوس إلى أشلاء؟».

- «أنا لستُ مثلكَ!». يصرخُ كاسيوس.

- تركتكَ تقتُله يا كاسيوس، حتّى لا تتذكّر العُصبة بأنّ عشرات مِن الفتية قد قضوا حاجتهم وبالوا على وجهك؛ لذا لا تعاملني كأنّني وحشٌ ما.

- «إنّكَ كذلك». يُكشّر باحتقار.

- أوه! أغلق فمكَ المتبَّب ودعنا نبدأ. منافق!

لم يكن النِزالُ طويلاً. كنتُ أتدرّبُ مَعهُ لأشهر. لقد شاركَ في نِزالاتٍ طِوال حياته. صدى النصلين يتردّدُ عبر النهر الجاري. الثلجُ يتساقط. الوحلُ يعلقُ بنا، ويتناثر مِن حولنا، ونحنُ نخوضُ فيه. نلهثُ والأنفاسُ تتحوّل إلى دخانٍ مُتمَوّج. ذراعاي ترتعشان مع صليلِ النصلين واحتكاكهما. أنا أسرعُ منه، وأكثر انسيابيّةً ورشاقة. أكادُ أتمكّنُ مِن فخذه، لكنّه يعرف حسابات هذه اللّعبة. مع ضربةٍ سريعةٍ وصغيرةٍ مِن مِعصمه يُبعِد سيفي جانباً، ويتقدّم إلى الأمام ليُقحِم نَصلهُ الأيونيّ عبر دِرعي إلى بطني. مِن المُفترض أن يَكوي الجرحَ على الفور، ويُتلِف الأعصاب، فيتركني بذلك مصاباً، ولكنّني حيّ، لكنّه كان قد فَصلَ الشُحنة الأيونيّة؛ لذا لم أشعر سوى باكتنازٍ فظيعٍ لدى اختراق معدنٍ غريبٍ لجسمي، وتَسرُّبٍ للدفء خارجه.

أنسى التنفُّس، ثمّ ألهث. جسمي يَختلِج. يُعانِق السيف. أشمُّ رائحة عُنقِ كاسيوس. إنّه قريب، قريب كما اعتاد أن يكون، وهو يُمسِكني مِن رقبتي، ويناديني أخي. شعرهُ مُزيَّت.

الكبرياء تَهجرُني، وبدأتُ أئنُّ كالكلب.

الألمُ الخفَّاق يتصاعد. يبدأ كضغطٍ، ثمّ يملأُ المعدن معدتي بشعورٍ مِن الشَبَع، ليتحوّل إلى رُعبٍ مِن الألمِ المُبرح. أرتعشُ كي أتنفَّس، أبلعُ الهواء. لا أستطيعُ التنفّس. هذا أشبه بحفرةٍ سوداء في أحشائي. أسقطُ على ظهري متأوّهاً. الألم شيءٌ، وهذا شيءٌ آخر تماماً. إنّه رعبٌ وخوف؛ فجسدي يدركُ بأنَّ الحياة تنتهي بهذه الطريقة. السيف المغروز يختفي، لتبدأ بعدها المعاناة البائسة. كاسيوس يتركني أنزفُ وأنتحبُ في الوحل. كلّ شيء كنتُ عليه يختفي، وبتّ الآن عبداً لجسمي. أبكي.

أصبحُ طِفلاً مجدّداً. أتكوّرُ حول الجُرحِ. يا إلهي كم هذا مرعب! لا أفهمُ الألمَ. إنّهُ يستهلكني. لم أعد رجُلاً؛ أنا مجرّد طفل. دعني أموت بسرعة. أغطسُ في البرد، في الوحلِ البارد. أرتعشُ وأنتحب. لا أستطيع منعَ نفسي. جسمي يقومُ بأشياء. إنّهُ يخونُني. المعدن اخترقَ أحشائي.

دمي يَتدفّق إلى الخارج. ومعه تتلاشى آمال الراقص، وتضحية أبي، وحُلمُ إيو. بالكاد أستطيع التفكيرَ بهم. الوحلُ داكنٌ وبارد. هذا مؤلمٌ جدّاً. إيو، كم أفتقدُها! أفتقدُ الديار. ماذا كانَت هديَّتها الثانية؟ لم أعثرُ عليها قطّ. أختُها لم تُخبِرني قطّ. الآن أعرفُ الألم. لا شيء يستحقُّ هذا. لا شيء. دعني أعودُ عبداً مِن جديد، دعني أرى إيو، دعني أموت. فقط خلِّصني مِن هذا.

الفصل الرابع

الحصَّاد

عجائز ليكوس قُلنَ: إنّه عندما يُعضُّ المرء مِن قِبل أفعى خُفَر،
كلُّ السُمِّ يجب أن يُسحَب مِن العضَّة، لأنَّ السُمَّ خبيثٌ وفظيع.
عندما عضَّتني؛ عمّي نارول تركَ
بعضاً منهُ عن قصد.

34

غابة الشمال

هنالكَ ألم.

ورهابٌ مِن ضيق المكان.

أنا مريضٌ وجريح.

الألمُ يغزو الأحلام.

إنّه في الظلام. في ثقب معدتي.

أستيقظُ وأصرخُ بين يدين لطيفتين.

ألمحُ أحداً ما.

إيو؟ أهمسُ باسمها، وأمدُّ يدي. يدي المتّسخة بالوحل تُلطِّخ وجهها. وجهها الملائكيّ. تأتي لتأخذني إلى الوادي. شعرُها تحوَّل إلى ذهبيّ. لطالما اعتقدتُ بأنّها يمكِن أن تكونَ ذهبيّة. شعار لونها هو الأجنحة الذهبيّة. لا وجودَ لشعار الحُمرِ على يديها. الموت كان ثمن ذلك.

أتعرَّقُ على الرغم مِن الأمطار والثلوج التي تعصف. شيءٌ ما يغطّيني. إنّني أرتعش قابضاً على عُصابة رأسي القرمزيّة. فقدتُ الهايمانتوس. مرّةً

أُخرى، متى كان هذا؟ في شعري وَحلٌ. تغسلهُ إيو. بلطفٍ تُمسِّد جبيني. إنّني أحبُّها. شيءٌ ما بداخلي ينزف. أسمع إيو، وهي تتحدّثُ إلى نفسها، إلى أحدٍ ما. لن يطولَ الأمر. هل لديّ وقتٌ أصلاً؟ هل أنا في الوادي؟ هنالكَ سديم. هنالكَ سماءٌ وأشجارٌ كبيرة. نار. دخان.

أرتعشُ وأتعرَّق. تعفَّن في الجحيم يا كاسيوس. لقد كنتُ صديقك. ربّما قتلتُ أخاك، لكنْ لم يكُن لديّ خيارٌ آخر؛ أمّا أنت، فكان لديك. تبّاً لكَ أيّها المتعجرف! إنّني أكرهُه. إنّني أكرهُ أوغوستوس. أتخيّلهما، وهما يَشنُقان إيو معاً. إنّهما يسخران منّي. إنّهما يضحكان عليّ. إنّني أكرهُ أنطونيا. إنّني أكرهُ فيتشنير. إنّني أكرهُ تيتوس. إنّي أكرهُ وأكره. إنّني أحترقُ، وأجنُّ، وأتعرّق. إنّني أكره الشغبر والمُشرِفين. إنّني أكره. إنّني أكرهُ نفسي لكلِّ ما فعلت. كلّ ما فعلت مِن أجل ماذا؟ كي أفوز باللّعبة. كي أفوز باللّعبة مِن أجلِ شخصٍ ما، لن يعرفَ أيّ شيءٍ عما قمتُ به. إيو، إنّها ميّتة. الأمرُ ليس كأنّها ستعودُ يوماً ما لترى كلَّ ما فعلتهُ لأجلها.

ميّتة.

أستيقظُ حينها. الألمُ موجودٌ هناك في أحشائي. يمرُّ مِن خلالي، لكنّني لم أعد أتعرَّق. لقد زالتِ الحُمَّى، وخطوط الالتهاب الحمراء الهائجة قد بَهُتت. أنا في مدخلِ كهفٍ. هنالكَ نارٌ صغيرةٌ، وفتاةٌ نائمةٌ على بُعدِ إنشاتٍ منّي فقط. الفرو يغطّيها. إنّها تتنفّس بلطفٍ الهواء الممزوجَ بالدخان. شعرُها أشعثُ وذهبيّ. إنّها ليست إيو... موستانغ.

أبكي بصمت. أريدُ إيو. لماذا لا يمكنني الحصولُ عليها؟ لماذا لا أستطيع بإرادتي إعادتها إلى الحياة مجدّداً؟ أريد إيو. لا أريد هذه الفتاة التي بجانبي. إنَّ هذا يؤلم أكثر مِن الجُرح. لا يمكنني أبداً إصلاحُ ما حدثَ

لإيو. لم أتمكّن حتّى مِن قيادة جيشي. لم أتمكّن مِن الفوز. لم أتمكّن مِن التغلُّب على كاسيوس، فما بالكَ بالشغبر! لقد كنتُ غطّاس الجحيم الأفضل، لكنّني لا شيء هنا. العالمُ كبيرٌ جدّاً وبارد. العالمُ يسبح، وأنا أغرق. أنا صغيرٌ جدّاً. العالم نسيَ إيو. نسيَ تضحيتَها بالفعل. لم يتبقَّ أيّ شيء.

أنامُ مجدّداً.

عندما أفقتُ، كانت موستانغ تجلسُ بجانب النار. تعرفُ أنّني مستيقظ، لكنّها تتركني أتظاهر عكسَ ذلك. أستلقي هناك مع عينين مغمضتين، أنصِتُ إلى دندَنتِها. إنّها أغنيةٌ أعرفها. أغنيةٌ أسمعُها في أحلامي. إنّها أصداء مَوتِ حُبّي. الأغنية التي غُنّيَت مِن قِبَلِ فتاةٍ يدعونها بيرسيفون، تدَندِنها ذهبيّة، كأصداءٍ لحُلمِ إيو.

أبكي. إن أحسستُ يوماً بوجودِ الربّ، فهو الآن، وأنا أستمعُ إلى مقاطِع الحِداد. زوجتي ميّتة، ولكنْ شيءٌ ما مِن أثرها ما زال باقياً.

أتحدّثُ إلى موستانغ في الصباح التالي.

- «أين سمعتِ تلكَ الأغنية؟». أسألها مِن دونِ أن أنهض.

- «مِن مُكعّب العرضِ المُجسّم». تقول، وهي تَحمرُّ خجلاً: «فتاةٌ صغيرةٌ غنّتها. إنّها تُدخِل السكينة والطمأنينة إلى القلب».

- إنّها حزينة.

- كمُعظمِ الأشياء.

لقد مرَّت أربعة أسابيع، تخبرني موستانغ. كاسيوس أصبحَ العريف. حلَّ الشتاء. سيريس لم تعد تحتَ الحصار. جنودُ جوبيتر يأتون في بعض الأحيان إلى الغابة. أصواتُ معركة تعلو بين القوّتين العُظميَيْن في الشمال:

جوبيتر، ومارس. جوبيتر إلى الغرب، ومارس إلى الشرق. منذُ أن تجمَّد النهر، بات بإمكانهما العبورُ والإغارة على بعضهما. صقورنا الحوَّامة كانت قد طارت مِن وِهادِها الشتويّة. الذئاب الجائعة تَعوي في اللّيل، وأسرابُ الغربان تتجمّعُ مِن الجنوب، لكنّ موستانغ في الواقع تعرف القليلَ فقط. بدأ صبري ينفد مِنها.

- «إبقاؤكَ تتنفّس كان قد صرفَ انتباهي قليلاً». تذكّرني. رأيتُها مَلقاةٌ تحت بطّانيّةٍ بالقُربِ مِن قدمي. إنّها آخر مَن تبقّى مِن عُصبة مينيرفا. حرّةٌ إلى الآن، ولم تستعبدني.

- «العبيد أغبياء». تقول: «أنتَ بالأصلِ مُقعَد. فلماذا أجعلكَ غبيّاً أيضاً؟».

تمرُّ أيّامٌ قبلَ أن أتمكّن مِن المشي مجدّداً. أتساءلُ أين هي تلكَ الروبوتات الطبيّة البارعة الآن. إنّها ترعى أحداً ما ممّن يروقونَ للمُشرِفين بكلِّ تأكيد. ظفرتُ بمنصب العريف، لكنّهم لم يعطوني إيّاه قطّ. الآنَ أعرفُ لماذا سيربحُ الشغبر. إنّهم يتخلّصون مِن مُنافسيه.

موستانغ تبقى معي في الغابة خلال الأسابيع القادمة. حركتي بطيئةٌ وثقيلةٌ عبرَ طبقة الثلج الثخينة، لكنّ قوّتي تعودُ إليّ بالتدريج. إنّها تنسبُ الفضلَ إلى الدواء الذي وَجدَتهُ مُلقى على نحوٍ لافتٍ تحتَ شجيرة. وضعه هناك مُشرِفٌ صديقٌ. نتوقّف عندما نلمح غزالاً. أسحبُ القوس، لكنّني لا أستطيع إيصالَ الوترَ إلى أذني. جُرحي يؤلمني. موستانغ تُراقبني. أحاولُ مجدّداً. أشعرُ بألمٍ عميقٍ في داخلي. أتركُ السهمَ يطير. أخطئ. نأكلُ تلكَ اللّيلة بقايا أرنب. مذاقهُ غريب، ويتسبّبُ لي بمَغص. كثيراً ما

أصاب بمَغص الآن؛ هذا بسبب الماء أيضاً. ليسَ لدينا أيّ شيءٍ لنغليه فيه. وليسَ لدينا يود. الثلجُ فقط، وجدولٌ صغيرٌ نشربُ منه. حتّى إنّنا أحياناً لا نتمكّن مِن إيقاد النار.

- «كان عليكَ أن تَقتُل كاسيوس، أو أن تُرسِله بعيداً». تقول موستانغ.

- «ظننتُ أنّكِ أنبلُ مِن ذلك». أقول.

- «أحبُّ الفوز. إنّها مِن خِصال العائلة. والغِشُّ أحياناً يكون مِن ضِمن القواعد». تَبتسِم: «تحصلُ على عودِ استحقاق في كلِّ مرّةٍ تستعيدُ فيها رايتك؛ لذا رتّبتُ أمرَ خسارتها لصالحِ عُصبة ديانا مِن قبلِ شخصٍ آخر عدَّة مرَّات، ثمَّ خرجتُ وحصلتُ عليها عدَّة مرَّات؛ لأنال منصبَ العريف خلال أسبوع».

- «هذا ماكر! لكنْ مع ذلك، فقد أحبَّكِ جيشُكِ». أقول.

- الكلُ يحبُّني. الآن أكمِل أكلَ أرنبكَ المتبّب. إنكَ هزيلٌ كالشفرة.

الشتاء يصبح أكثرَ برودة. نعيشُ في أعماقِ غابة الشمال، بعيداً إلى الشمال مِن سيريس، إلى الشمال الغربيّ مِن مرتفعاتي السابقة. لم أرَ حتّى الآن جنديّاً واحداً مِن أتباعِ مارس. لا أعرفُ ماذا سأفعل إن رأيته.

- «اختبأتُ مِن الجميعِ إلّا أنت». تقولُ موستانغ: «هذا ما أبقاني حيّةً، وأفعلُ ما أفعله».

- «ما خُطّتكِ؟». أسأل.

تضحكُ مِن نفسها: «أن أبقى حيّةً، وأفعل ما أفعله».

- إنّكِ أفضلُ منّي في ذلك.

- ماذا تَقصِد؟

- لا أحد مِن عُصبتكِ كان ليخونك.

- «لأنّني لم أحكم مِثلكَ». تقول: «عليكَ أن تتذكَّر، الناس لا يحبُّون أن يُقالَ لهم ما عليهم فِعله. بوسعكَ معاملةُ أصدقائكَ كخدم وسيحبّونكَ، لكنْ أخبرهُم بأنّهم خدمٌ، فسيقتلونك. على كلِّ حال، راهنتَ كثيراً على الهرميّة والخوف».

- أنا؟

- «ومَن غيركَ؟ كان بوسعي ملاحظةُ ذلكَ مِن بُعد ميل. كلّ ما كنتَ تهتمُّ لأجله هي مَهمَّتكَ، أيّاً كانت. إنّكَ أشبهُ بسَهمٍ مُندفِعٍ ذي ظِلٍّ شديدِ البؤس. في أوّلِ مرَّةٍ قابلتكَ بها، عَلمتُ بأنّكَ مُستعِدٌّ لنَحرِ عُنقي كي تَحصُل على ما تريد». تنتظرُ لبرهة: «بالمناسبة، ماذا تريد؟».

- «أن أفوز». أقول.

- أوه، أرجوكَ! أنت لستَ بهذه البساطة.

- «أتعتقدين أنّكِ تعرفينني؟». يُفرقِع الفحم في نارنا الصغيرة.

- أعرفُ أنّكَ تبكي في أثناء نومكَ مِن أجلِ فتاةٍ تُدعى إيو. أهي أختك؟ أم فتاة أحببتَها؟ إنّه اسم غيرُ مألوفٍ جدّاً بالنسبة إلى بني لوننا؛ مثل اسمك.

- أنا ريفيّ مِن كوكبٍ بعيد. ألم يخبروكِ؟

- «لم يخبروني بأيّ شيء. لم أكن أتردّدُ إلى الخارج كثيراً؛ فأبي مُتشدِّد». تلوّح بيدها: «على كلِّ حال، هذا غيرُ مهمّ. كل ما يهمّ هو أنّه لا أحد يَثِقُ بكَ؛ لأنّهُ مِن الواضحِ أنّكَ تهتمُّ بهدفِكَ أكثرَ مِن اهتمامِكَ بِهم».

- وهل أنتِ مختلفة في ذلك؟

- أوه! كثيراً جدّاً يا سيّد حصّاد. أنا أحبُّ الناسَ أكثرَ ممّا تفعل. أنتَ

الذئبُ الذي يَعوي ويَعضّ. أنا الموستانغ التي يداعِب أنفها الأيادي. الناسُ يعرفون أنّ بوسعهم العملَ معي؛ أمّا مَعك؟ فالأمرُ: اقتل، أو تُقتَل.

إنّها على حق.

عندما كانت لديّ قبيلة، كنتُ أقومُ بذلكَ على الوجه الصحيح. جعلتُ كلَّ فتى وفتاة يحبّونني. جَعلتُهم يَستحِقون قوّتهم. علّمتهم كيفَ يقتلون عنزةً، كأنّني كنتُ أعرفُ كيف. مَنحتُهم النار، كأنّني مَن خَلقَ أعوادَ الثِقاب. شاركتُهم السِّر: بأنّ لدينا طعاماً، وتيتوس لا يملكه. لقد رأوني بمنزلة أبيهم. أتذكَّر ذلكَ في عيونهم. عندما كان تيتوس حيّاً، كنتُ رمزاً للطيبة والأمل، لكنْ عندما مات... أصبحتُ هو.

- «أحياناً، أنسى أنّ على المعهدِ أن يعلّمني شيئاً». أقول لموستانغ.

الفتاة الذهبيّة تميلُ برأسها نحوي: «أليس علينا أن نعيشَ لما هو أكبرُ مِن ذلك؟».

كلماتها تصيبني في مَقتل. إنّها صدى يتردَّدُ عبر الزمن مِن شِفاهٍ أُخرى. العيشُ لما هو أكبر. أكبر مِن السُّلطة. أكبر مِن الانتقام. أكبر مما أُعطِي لنا.

عليّ تعلُّم أن أكونَ أفضلَ منهم، وليسَ التغلّبَ عليهم ببساطة فقط. بهذه الطريقة سأساعدُ الحُمر. أنا فتى. أنا أحمق. لكنْ إن تعلّمتُ كيف أصبحُ قائداً، سأكون أكثر مِن مُجرّد عميلٍ لأبناء أريس. بوسعي أن أمنحَ قَومي مستقبلاً؛ هذا ما كانت لتريدهُ إيو.

إنّها أكثرُ أوقات الشتاء قَساوة. الذئاب جائعةٌ الآن، وتَعوي في اللّيل. عندما نتمكّن أنا وموستانغ مِن قتل شيءٍ ما، نضطرُّ أحياناً إلى إخافتها وطردها بعيداً. لكنْ بعد قَتلِنا لرنّةٍ عند الغسق، يهبطُ قطيعٌ مِن الأراضي

الشماليّة. يأتي مِن بين الأشجار مثل أشباحٍ قاتمة. ظِلال. أكبرها بحجمي. فراؤهُ أبيض. فراءُ الآخرين رماديٌّ، لم يعد أسْود. هذه الذئاب تتغيّر مع تغيُّر الفصول. أراقبُ كيفَ يُطوِّقوننا. كلّ واحدٍ منهم يتحرّكُ بأسلوبٍ ماكرٍ فريد. ومع ذلك يتحرّكُ الجميع كأفراد قطيع.

- «هكذا يجبُ علينا أن نقاتل». أهمسُ لموستانغ، ونحن نراقبُ اقترابَ الذئاب.

- أيمكننا التحدّثُ عن ذلكَ لاحقاً؟

نقضي على قائد القطيع بثلاثة أسهم. البقيّة هربوا. أنا وموستانغ نقوم بسلخ الوحش الأبيض الكبير. وبينما تنسلُ سكّينها مِن تحتِ الفراء، تنظرُ إلى الأعلى مع أنفٍ أحمر مِن البرد.

- العبيد ليسوا جزءاً مِن القطيع؛ لذا لا يُمكِننا القتالُ مِثلهُم. ليس كأنّ للأمر أهميّة. الذئابُ أيضاً لا يقومون بالأمر بالشكل الصحيح. إنّهم يعتمدون كثيراً على قائد قطيعهم. اقطع الرأس، فينسحب باقي الجسد.

- «إذنْ، الحلُّ هو الاستقلاليّة». أقول.

- «ربّما». تعضُّ على شفتها.

لاحقاً في تلك اللّيلة، تتوسّعُ في شرحِ الأمر: «الأمر أشبه بيد». إنّها تجلس مرتاحةً قريبةً منّي، ساقُها تلامسُ ساقي. قريبة بما يكفي، كي يزحفَ الشعورُ بالذنبِ على طول ظهري. الرئةُ تُشوى، لتملأ الكهفَ برائحةٍ زكيّةٍ مُشبِعة. عاصفةٌ ثلجيّة عنيفة تَضربُ في الخارج، وفراء الذئب يَجِفّ فوقَ النار.

- «أعطني يدكَ». تقول: «أيٌّ من أصابعك هو الأفضل؟».

- جميعها الأفضل في أمور مختلفة.

- لا تكن عنيداً.

أخبرُها بأنّه إبهامي. تجعلني أحاولُ إمساكَ عصا بوساطة إبهامي وحده. تسحبها بسهولةٍ مِن قبضتي، ثمّ تجعلني أمسكها بوساطة الأصابع الأُخرى عدا إبهامي، فتحرّر العصا بثني اليد.

- تخيَّل أنّ إبهامك يُمثِّل أفراد عُصبتك، والأصابع هُم كلُّ العبيدِ الذين غَزوتَهم، والعريف، أو أيّ أحدٍ آخر هو العقل. تبّاً! كلُّ شيءٍ يعملُ بسهولةٍ تامّةٍ كما يجب، أليس كذلك؟

لا تستطيع سحبَ العصا من قبضتي. أضعها على الأرض، وأسألها عن المغزى.

- الآن، حاول القيام بشيءٍ أكثر مِن مجرّد الإمساك بالراية. فقط حرِّك إبهامك عكس عقارب الساعة، وأصابعك مع عقارب الساعة عدا الأوسط.

أفعلُ ذلك. تُحدِّق في يديّ، وتضحَك غيرَ مُصدِّقة. «أحمق!». أفسدتُ عرضها التوضيحيّ. غطّاسو الجحيم بارعون. أراقبُ يديها، وهي تحاول فعل ذلك أيضاً. بالطبع أخفقتْ. أستوعب ذلك.

- «إنّ اليد كالجمعيّة». أقول.

إنّها بُنية الجيوش في المعهد. الهرميّة جيّدةٌ لمهام بسيطة. فبعضُ الأصابع أكثرُ أهميّة مِن غيرها، وبعضها أفضلُ في أمورٍ معيّنة. جميعُ الأصابع يُتحكَّم بها مِن قِبَلِ أعلى مستوى: الدماغ. تَحكُّم الدِماغ ناجع. إنّهُ يجعلُ إبهامكَ وأصابعكَ يعملون معاً. لكنّ التحكُّم مِن قِبَلِ دماغٍ واحدٍ أمرٌ محدود. تخيَّل! كلّ إصبعٍ مِنَ الأصابع لديه دماغٌ خاصٌّ به، مُستقِلٌ،

يتواصلُ مع الدماغ الرئيس. الأصابعُ تطيعُ، لكنَّها تعملُ مُستقِلّة. ما الذي يمكنُ لليدِ أن تفعلهُ حينها؟ ماذا يمكنُ للجيش أن يفعله؟ أبرمُ العصا حولَ أصابعي بأشكالٍ معقّدة تماماً.

عيونها مُتسمِّرة في عيوني، وأصابعُها تُلامِس كفّي، وهي تَشرَح. أعرفُ أنّها تريدُ منّي أن أتجاوبَ مع لمَساتِها، لكنّني أُجبِر عقلي على التَشتُّتِ بأمورٍ أُخرى.

فِكرتُها هذه ليست جزءاً مِن دُروس المُشرِفين.

دُروسهم عن التطوّر مِن الفوضى إلى النظام. إنّها عن التحكُّم. عن التركيز المُمنهَج للسُّلطة، عن بُنية هذه السُّلطة، وعن كيفيّة بقائها. إنّها نموذجٌ لإظهار أنّ الحُكمَ الهرميّ هو الأفضل. الجمعيّةُ هي التطوّرُ الأخير، الجوابُ الوحيد. ببساطة لقد أطاحَت بهذه القاعدة، أو على الأقلّ أظهرَت محدوديّتها.

إن استطعتُ كسبَ الولاء الطوعيّ للعبيد، حينها سيكونُ الجيشُ المُشكَّل لا يشبهُ أيّ شيءٍ في الجمعيّة. سيكونُ أفضل. مِثلَ لو أنَّ حُمر ليكوس فكّروا بأنّهم قد يفوزون بالإكليل، حينها سيكونونَ أكثرَ إنتاجيّةً بكثير، أو لو تمكّنَ بريتور على مَتنِ طرّاده الفضائيّ، ليس مِن استخدام ذكائه فحسب، إنّما ذكاء طاقمه من بني اللّون الأزرق أيضاً.

استراتيجيّةُ موستانغ هي حُلمُ إيو.

إنّها أشبه بصعقةٍ كهربائيّةٍ تندفعُ عَبري.

– لماذا لم تحاولي فِعلَ ذلكَ مع العبيد الذين أسَرتِهم؟

تسحبُ يدها بعيداً عن يدي بعد أن امتنعتُ عن الاستجابة للَمساتِها.

- حاولت.

تظلُّ صامتةً لبقيّة اللّيل. وعندَ اقترابِ بُزوغِ الفجر تبدأ بالسُّعال.

خلالَ بضعة أيّام تمرضُ موستانغ. أسمعُ صوت سائلٍ في رئتيها. أُطعِمها حساءً مصنوعاً مِن نخاع العظام، ولحم الذئب، وأوراقٍ أغليها في خوذةٍ وجدتها. تبدو أنّها على وَشكِ الموت. لا أعرف ماذا أفعل. نقص الطعام لدينا؛ لذا أقومُ بالصيد. لكنّ الطرائد شحيحةٌ، والذئابَ جائعة. الفرائسُ هربَت مِن هذه الغابة؛ لذا نحاول البقاء معتمدين على الأرانبِ البريّة الصغيرة. كلُّ ما بوسعي فِعله هو إبقاؤها دافئةً، والصلاة كي تهبطَ الروبوتات الطبيّة مِن بين الغيوم. المُشرِفون يعرفون أين نحن. إنّهم يعرفون دائماً أين نحن.

في الأسبوع التالي أعثرُ على آثار بشرية في الغابة. أثران. أقتفيهما إلى موقعِ تخييمٍ مهجورٍ، آمِلاً أن يكونَ لديهم طعام بوسعي سرقته. هنالكَ عظامُ حيوانات، والجمرُ لا يزال حارّاً. لكنْ لا وجود لخيول. إذنْ، ليسا بمُستطلِعَين. على الأغلب إنّهما مِن ناقضي العهد، المنبوذين الذين نقضوا نُذورهم بعد استِعبادِهم. هنالكَ الكثيرُ منهم الآن.

أقتفي آثارهما عبر الغابة لساعةٍ قبل أن تزداد مخاوفي. إنّهم يستديران عائدَين، متّجهَين إلى مكانٍ ما مألوف. يتّجهان إلى كهفنا. كان اللّيل قد حلّ عند عودتي. أسمعُ صوتَ ضَحكٍ يصدر مِن البيت الذي أتشاركهُ مع موستانغ. أشعرُ بالسهم رفيعاً بين أناملي، وأنا أضعه على وتر القوس. عليَّ أن أركع كي أستجمعَ قِواي. جُرحي يؤلمني. ألهث. لكنّني لا أستطيعُ مَنحهُم المزيدَ مِن الوقت، ليس وموستانغ قد تكون في حَوزتِهم.

لا يستطيعان رؤيتي، وأنا أقفُ عند طَرفِ جلدِ الرنّة المُتجمّد، والثلج

المرصوص، الذي يَفصِل كهفنا عن الأنظار ويقينا مِن عَوامِل الطبيعة. النارُ تُفرقِع في الداخل. الدخان يرتفع عَبرَ فتحات التهوية، التي استغرقنا أنا وموستانغ يوماً كاملاً في صُنعِها. هنالكَ فَتيان يجلسان معاً يأكلان ما تبقّى مِن لحمنا، ويشربان ماءنا.

إنّهما قذران وأشعثان. شعرٌ كعُشبٍ دُهنيّ، وبشرةٌ ملطّخة، وبثور. كانا جميلين فيما مضى، أنا متأكّد. واحدٌ مِن الفتية يجلسُ على صدر موستانغ. الفتاة التي أنقذَت حياتي مُكمَّمَة، وترتدي ثيابها الداخليّة فقط. إنّها ترتعشُ مِن البرد. أحدُ الفتية ينزفُ مِن جُرحٍ من جرّاء عضَّةٍ على عُنقه. إنّهما يخطّطان لجعلِها تَدفعُ ثمن ذلكَ الجُرح. السكاكين تُسخَّنُ على النار حتى الاحمرار. مِن الواضح أنّ أحد الفتية يَستمتع بمنظرها، وهي عارية. إنّهُ يمدُّ يده ليلمسَ بشرتها، كأنّها دميةٌ الغرضُ منها إمتاعه.

أفكاري بدائيّة كذئب. إحساسٌ مُرعِبٌ يَجتاحُني، إحساسٌ لم أكن أعرفُ أنّني أكِنّه لهذه الفتاة. لم أعرفهُ قبلَ الآن. يَتطلَّب الأمرُ مدّةً كي أهدأ وأمنع يدَيّ مِن الرجفان. يدهُ تُلامِس فَخذَها مِن الداخل.

أصيبُ الفتى الأوّل في رضفتِه؛ أمّا الثاني، فأصيبهُ، وهو يحاولُ الوصولَ إلى السكّين. لا أجيدُ التَصويب، فأصيبهُ في كتفه عوضاً عن مَحجرِ عينه. أنسلُّ إلى داخل الملجأ مع سكّيني المخصّصة للسلخ، مستعدّاً للإجهاز عليهما، وهُما ينوحان مِن الألم. شيءٌ ما في داخلي، ذلكَ الجزءُ الإنسانيّ منّي قَد فُصِل، ولم توقفني إلّا رؤية عينَي موستانغ.

- «دارو». تقولُ بنعومة.

إنّها جميلةٌ حتّى وهي ترتعش. الفتاة الصغيرة المتبسّمة التي أعادتني إلى الحياة. الروحُ ذات العيون حادّة الذكاء التي تبقي أغنية إيو حيَّة. أنتفضُ

غضباً. لو أنّني تأخّرتُ في عودتي عشر دقائق، لحطّمتني هذه اللّيلة إلى الأبد. ليس بمقدوري تحمُّل مَوتٍ آخر، وخاصّةً موستانغ.

- «دارو، أبقِهما حيّين». تقول مجدّداً، وهي تَهمسُها لي مثلما كانت إيو لتهمسَ لي حُبَّها. تنفذُ إلى داخلي حتّى النخاع. لا أستطيعُ تحمُّل وَقع صوتها، غضبٌ عارمٌ يجتاحني.

فَمي لا يعمل. وَجهي مُخدَّر. لا أستطيعُ التخلُّص مِن تكشيرة الغضبِ التي تعلوه. أسحبُ الفتيين إلى الخارج مِن شعرهما، وأركلهما إلى أن انضمّت موستانغ إلينا. أتركهما ينتحبان في الثلج، وأعود كي أساعدها في ارتداء ملابسها. إنّها تبدو هشّةً جدّاً، وأنا أمرّرُ جلد الحيوان حول كتفيها الهزيلين.

- «سكّينٌ أم ثلج؟». تسألُ الفتيين، وهي ترتدي ملابسها. إنّها تحملُ السكاكين بيديها المرتعشتين وتسخّنها على النار. تَسعُل. أعلمُ بمَ تفكّر. إن تركناهما يذهبان، سيقتلاننا، ونحن نائمان. جِراحُ أيٍّ مِنهما لن تقتلهما. كانتِ الروبوتاتُ الطبيّة لتأتي لو أنّ هذه هي الحالة، أو ربّما لن يأتوا مِن أجل ناقضي العهد.

لقد اختارا الثلج.

أنا سعيد. موستانغ لا تريدُ استخدام السكّين.

نربطهما إلى شجرةٍ عند طرف الغابة، ونُشعِل ناراً كإشارةٍ، حتّى تعثرَ عليهما عُصبةٌ ما. تصرُّ موستانغ على مُرافقتي، تَسعُل طوال الطريق، كأنّها خائفةٌ مِن ألّا أقومَ بفعلِ ما طَلبَته. إنّها مُحقّةٌ في اعتقادها ذلك.

في اللّيل، بعدَ أن خلدَت موستانغ إلى النوم، أنهضُ لأعود وأقتل ناقضَيّ العهد.

إن عثَرَت عُصبتا: جوبيتر، أو مارس عليهما، سيُفشيان أمر مكاننا، وسيُقبَض علينا.

– «لا تفعل يا دارو». تقولُ، وأنا أسحبُ جلد الرئَة. ألتفتُ. وَجهُها يَرمقُني بنظَراتٍ مِن تحت دِثارنا.

– «سيكونُ علينا التحرُّك مِن هنا، إن بَقِيا على قَيدِ الحياة». أقول: «وأنتِ مريضة أصلاً. ستموتين».

لدينا دفءٌ هنا وملجأ.

– «إذنْ، سنتحرّكُ في الصباح». تقول: «أنا أصلبُ ممّا أبدو عليه».

هذا صحيحٌ أحياناً، لكنْ هذه المرّة لا.

أستيقظُ في الصباح لأجدها قد انتقلَت في اللّيل لتتكوَّر بجانبي بحثاً عن الدفء. جَسدُها هَشٌ جدّاً. يرتعش كورقةٍ في مهبِّ الريح. أشمُّ رائحة شعرها. إنّها تتنفّسُ بنعومة. آثارُ مِلح تعلو وجهها. أريدُ إيو. أتمنّى لو أنّهُ شعرها ودفئها. لكنّني لا أُبعِدُ موستانغ عنّي. أشعرُ بألمٍ عندما أُمسِكها، لكنّه آتٍ مِن الماضي، ليسَ مِن موستانغ. إنّها شيءٌ جديدٌ، شيءٌ يبعثُ على التفاؤل. كربيعٍ في أوجِ شتائيَ القارس.

مع حلول النهار نتحرّكُ أكثر نحو أعماقِ الغابة. نصنعُ مِن الأشجار الساقطة والثلجِ المُكدَّس ستاراً واقياً نسندهُ إلى صخرة. لا نعرفُ أبداً ما الذي حلَّ بناقضَيّ العهد، أو بكهفنا.

بالكاد تتمكّن موستانغ مِن النوم، إنّها تَسعلُ بشدّة. عندما نامَت تَكوَّرت في حضني. أطبعُ على رقبتها مِن الخلفِ قُبلةً ناعمة، بحيثُ لا تستيقظ. على الرغم مِن ذلك أتمنّى في سرّي، لو أنّها تعرفُ أنّني هنا فقط. بشرتها ساخنة. أدندنُ أغنية بيرسيفون.

- «لا أستطيعُ حفظَ الكلمات أبداً». تهمسُ لي. رأسها يرقدُ في كنفي اللّيلة: «أتمنّى لو أستطيع».

لم أغنِّ منذُ أن كنتُ في ليكوس. صوتي خَشنٌ وفجّ. شيئاً فشيئاً تبدأ الأغنيةُ بالظهور.

اسمع... اسمع
اسمع وتَذكَّر
أفولَ الشمسِ
مَوجَ القمحِ
سقطنا... سقطنا
وحينها رقصنا
مُرنّمين الألحان
أنشودة أحزان
في وداع
الحقِّ والباطل

و

تذكّر يا ولدي...
تذكّر السَعير
احتراقَ الأوراق
انقلابَ الفصول
سقطنا... سقطنا

وحينها أنشدنا
حَبكنا ونَسجنا
خلايا الصُمود
طوال الخريف

و
في أسفلِ الوادي
يُسمَع تَمايلُ الحصّادِ، تَمايلُ الحصّادِ
تَمايلُ الحصّادِ
في أسفلِ الوادي
يُسمَع الحصّادُ يغنّي
حكايةً عن شتاءٍ طويل.

فتاتي، يا فتاتي.
تذكّري البردَ القارس
عندما يتجمّدُ المطر ويقتُل الثلج
سقطنا... سقطنا
وحينها رقصنا
عبرَ جحيمٍ جليديّ
على ألحانِ
أغنيةِ شتائهم

يا حُبّي، يا حُبّي

تذكّر النداء
عندما قضى الشتاء ليبزغَ الربيع
إنّهُم يزأرون إنهُم يُزمجِرون
لكنّنا أخذنا البِذار
وزرعنا الوادي بأغانٍ من نار
تعاديهم تعادي الجَشع
تعادي الطَمع

يا ولدي، يا ولدي
تذكّر السلاسلَ والقيود
عندما حَكمَ الذهبيّون بالحديد
فُجِعنا وانتَحبنا
تأوّهنا وصَرخنا
لأجلِ حُلِمنا السعيد بوادٍ مجيد

و
في أسفلِ الوادي
يُسمَع تمايلُ الحصّادِ، تمايلُ الحصّادِ
تمايلُ الحصّادِ
في أسفلِ الوادي
يُسمع الحصّادُ يغنّي
حكايةً عن شتاءٍ يمضي

- «إنّهُ أمرٌ غريب». تقول.

- ما الأمر؟

- «أخبرني والدي أنّه سيكون هنالكَ اضطّرابات بسبب هذه الأغنية. أنّ الناس سيموتون. لكنّها ذاتُ لحنٍ لطيفٍ للغاية». إنّها تَسعُل مُخرِجة الدم في الفرو: «اعتدنا غناء الأغاني حول نار التخييم، في الريفِ خارجاً، حيثُ كان يبقينا بعيداً...». تَسعلُ مُجدّداً: «... بعيداً عن أنظار... العامّة. عندما... مات أخي... لم يغنِّ أبي معي مرّةً أُخرى أبداً».

ستموتُ قريباً. إنّها مسألةُ وقتٍ فقط. وَجهُها شاحب، ابتسامتها ضعيفة. هنالك شيءٌ واحدٌ فقط بوسعي القيام به، بما أنّ الروبوتات الطبيّة لم تأت. عليّ أن أتركها بحثاً عن دواء. لا بدَّ من أنّ إحدى العُصب قد عَثرَت، أو تَلقّت بعضَ الحُقنِ كمكافأة. عليّ أن أذهب سريعاً، ولكنْ يجب أن أُحضِر لها طعاماً أوّلاً.

أحدهم يتبعني في ذلك اليوم، وأنا أصيدُ وحيداً في شتاء الغابة. أرتدي عباءة الذئبِ الأبيض الجديدة. إنّهم مُموّهونَ أيضاً. لا أستطيع رؤيته كائناً مَن كان، لكنّهُ هناك. أتظاهرُ بأنّ وترَ قوسي بحاجةٍ إلى إصلاحٍ، وأختلسُ نظرةً إلى الخلف. لا شيء. هدوء. ثلج. صوت الريح على الأغصان الهشّة. ما زالوا يتبعونني، وأنا أتحرّك.

أشعرُ بهم خلفي. إنّه كإحساس الألم في جسمي الناجم عن جُرحي. أتظاهرُ برؤية غزال، وأندفعُ عبر أيكةٍ لأتسلّق بسرعةٍ شجرةَ صنوبرٍ طويلةً على الجانب الآخر.

أسمعُ فرقعة.

يمرّون مِن تحتي. أشعرُ بذلك على جلدي، وفي عظامي؛ لذا أهزُّ

الأغصان تحتَ ساقي، فيسقطُ الثلج المتكوّم إلى الأسفل. فراغٌ مُشوَّهٌ على هيئةِ رَجُلٍ يَتشكَّل في كومة الثلج. إنّهُ ينظرُ نحوي.

- «فيتشنير؟». أصرخُ نحو الأسفل.

علكتهُ تفرقعُ مجدّداً.

- «يمكنكَ النزولُ الآن يا ولد». ينبحُ فيتشنير. يعطِّلُ عباءة الشبح التي يرتديها، وحذاءه الثقاليّ، ويغطسُ في الثلج. إنّهُ يرتدي رداءً حراريّاً أسْود رقيقاً. الزِيُّ مُتعدِّدُ الطبقات، وجلدُ الحيوانِ ذو الرائحة النتنة، لا يُبقياني دافئاً بنصفِ دفئه.

لقد مضت أسابيع منذ أن رأيتهُ آخر مرّة. يبدو متعباً.

- «هل أتيتَ لتُنهيَ ما بدأهُ كاسيوس؟». أسألُ، وأنا أقفزُ نحو الأسفل.

يَتفحّصُني بنظَراته، ويبتسمُ بتصنّع: «تبدو في حالةٍ مزرية».

- «وأنتَ أيضاً. الفراشُ الطريّ، والطعامُ الدافئ، والنبيذُ، هل تسبّبُ لكَ الضيق؟». أشيرُ إلى الأعلى. بالكادِ يُمكِننا رؤيةُ الأوليمبوس من بين الأغصان الهزيلة العارية لأشجار الشتاء.

يبتسم: «القراءات تقول بأنّكَ خسرتَ عشرين باونداً».

- «دِهنُ الأطفال». أخبره: «سيفُ كاسيوس الأيونيّ اقتطعه». أسحبُ قوسي، وأوجّهُ نحوه. أسألُ نفسي: أيرتدي واقياً نبضيّاً؟ بوسعه إيقافُ أيّ شيءٍ عدا الأسلحة النبضيّة والشفرات. الصفيحة الصَّادة فقط يمكنها ردُّ تلكَ الأسلحة، وحتّى حينها لن تفعلها على نحوٍ جيّد: «عليّ أن أُطلِق عليك».

- لن تتجرّأ. أنا مُشرِفٌ يا ولد.

أطلقُ على فخذه، إلّا أنَّ السهمَ يَفقدُ سُرعته قبل أن يصطدم بالواقي

النبضيّ الخفيّ، الذي يلمعُ بلونٍ قزَحيّ، ليرتدَّ السهمُ بعدها إلى الأرض. إذنْ، إنهم يَرتدونهُ على الدوام، حتّى إن لم يرتدوا الدِرعَ الصّاد.

- «حسناً، لقد كان ذلكَ في منتهى الوقاحة». يتثاءب.

واقٍ نبضيّ، أحذيةٌ ثقاليّة، عباءة الشبح، يبدو كأنّ لديه قبضة نبضيّة أيضاً، إضافةً إلى تلكَ الشفرات المشهورة. الثلج يذوبُ عندما يلمسُ جلده. لقد رآني بين الأشجار؛ لذا أظنُّ أنّ عيونهُ محقونةٌ بعدساتٍ، ومزوّدةٌ برؤيةٍ حراريّةٍ وليليّةٍ بكلِّ تأكيد. وبها أدواتٌ ونظام تحليلٍ مُدمج أيضاً. لقد عرفَ وزني، وعلى الأرجح يعرفُ عددَ كريّاتي البيضاء أيضاً. وماذا بشأن تحليل الطيف؟

يتثاءبُ مجدّداً: «لا يوجدُ مؤخراً متّسعٌ مِن الوقت للنوم في أوليمبوس. أيّامٌ مزدحمة».

- «مَن أعطى الشغبر تسجيلاً مُجسّماً لي، وأنا أقتلُ جوليان؟». أسأل.

- حسناً، يبدو أنّكَ لا تهدِر الوقت.

يفعلُ شيئاً مع بداية تحدُّثي، ليجعل الصوتَ مُركّزاً، ويمنعهُ مِن الانتشار مِن حولنا. ليس بوسعي سماعُ أيّ شيء خارج فقاعةٍ غير مرئيّةٍ بحجمِ خمسة أمتار. لم أكن أعرف أنّ لديهم ألعاباً كهذه.

- «المُشرِفون أعطوه للشغبر». يخبرني.

- مَن منهم؟

- أبولو، جميعنا، لا يهم.

- أنا لا أفهم: «أفترضُ أنّهم فعلوا ذلك لأنّهم يُفضّلون الشغبر. هل أنا محقّ؟».

- «كالعادة». علكته تفرقع: «مع الأسف، ليس مسموحاً لكَ بكلِّ بساطة أن تفوز، وقد كان زخمكُ في ازدياد. لذاا...».

أطلبُ إليه أن يشرح. يقول بأنّه فعلَ من فوره. عيونه متعبة، ومحاطة بهالاتٍ على الرغم مِن الكولاجين وموادّ التجميل التي يَضعُها ليخفي تَعبه. معدتهُ مُتضخِّمة. ذراعاه ما تزالان هزيلتين. شيءٌ ما يُقلِقه، وليسَ مَظهرُه فقط.

- «مسموح؟». أردُّ مُكرّراً: «مسموح. لا أحد مسموح له بأن يفوز. تبّاً! كنتُ أظنُّ أنّ الغاية هي أن يقومَ كلٌّ منّا بحفرِ سُلّمه الخاصّ إلى القمّة. إذنْ، إن لم يكن مسموحاً لي الفوز، هذا يعني أنّ الشغبر مسموحٌ له».

- «أصبت». لا يبدو سعيداً جدّاً.

- «إذنْ، لا يوجد أيُّ مغزى لذلك. هذا يُفسِد كلَّ شيء». أقول بحماسة: «لقد كَسرتَ القواعد».

يُفترَض أن يصعدَ الأفضلُ مِن الذهبيّين، لكنّهم اختاروا الفائز مسبقاً. هذا لا يُدمِّر المعهدَ فحسب، إنّما يُدمِّر الجمعيّة أيضاً. الحُكمُ للأصلح؛ هذا ما يقولونه. الآن، خانوا مبادئهم بانحيازهم إلى طرفٍ في قِتالِ باحةِ المدرسة. إنّهُ الإكليلُ مجدّداً. نِفاق!

- «إذنْ، ما يكون هذا الولد؟ أمقدَّرٌ له أن يكونَ الإسكندر؟ قيصر؟ جنكيز خان؟ ويغين؟». أسأل: «تبّاً، هذا هُراء!».

- أدريوس، إنّهُ ابن الغالي الحاكِم العام أوغوستوس؛ هذا كلّ ما يهم.

- أجل، لقد أخبرتني بذلك، ولكنْ لماذا يُفترَض بِه أن يفوز؟ هل ببساطة لأنّ أباه مُهِمّ؟

- نعم، مع الأسف.

- كن أكثر وضوحاً.

يَتنهَّد: «الحاكمُ العام قامَ سِرّاً بإرهابنا، ورشوتنا، وترغيبنا جميعاً نحن الاثني عشر مُشرِفاً، إلى أن انتهى بنا المَطافُ إلى الموافقة على حقيقة أنّ ابنه يجبُ أن يفوز. لكنْ علينا أن نكونَ حذرين بتلاعُبِنا. المتقُون، رؤسائي الفِعليّون، يشاهدون كلّ حركةٍ مِن قُصورِهم وسُفنِهم، إلى آخره. إنّهم أناسٌ مُهمّونَ جدّاً أيضاً، وكذلك يوجدُ مجلسُ ضبطِ الجودة كي نقلقَ بشأنه، والحاكمةُ المُعظَّمة، وأعضاءُ مجلسِ الشيوخ، والحُكّام الآخرون أنفسهم؛ لأنّه حتّى مع وجودِ العديدِ مِن المدارس، يمكنُ لأيٍّ منهم مُشاهدَتك في أيّ وقتٍ يريد».

- ماذا؟ كيف؟

- ينقرُ على خاتم الذئب الذي ألبسه.

- نانو كاميرا بيومتريّة. لا تقلق! إنّها تعرضُ لهم شيئاً آخرَ الآن. قمتُ بتفعيلِ حقلِ تشويش، وعلى كلِّ حال، هنالكَ فارقٌ زمنيٌّ بمقدارِ نصف يومٍ لمُتطلّبات التحرير. في أيّ وقتٍ آخر، يمكنُ لأيّ مُنتَقٍ، أو لأيّ ذي ندبةٍ، أن يُشاهدكَ؛ ليرى إن كان يرغبُ بأن يَعرِضَ عليكَ فرصة التَّلمُذ لديه عندما ينتهي كلُّ هذا. أوه! إنّكَ تروقُهم فعلاً.

الآلاف مِن ذوي البريق الذهبيّ يشاهدونني.

أحشائي، الباردةُ أصلاً، تنكمش.

ديميتريوس ذهبيّ بيلونا، إمبراتور الأسطول السادس، والد كاسيوس وجوليان، مُنتَقي عُصبة مارس، شاهدَني، وأنا أقتلُ أحدَ أبنائه، وأخدعُ الآخر. هذا يخطفُ أنفاسي. ماذا لو أخبرتُ تيتوس أنّني كنتُ أعرفُ أنّه

أحمر لأنّني أحمرُ أيضاً؟ هل لحظوا أنّهُ يقول: «اللّعنة!»؟ هل قلتُ بأنّهُ كان أحمر بصوتٍ عالٍ، أم كان ذلكَ في رأسي فقط؟

- ماذا لو خلعتُ الخاتم؟

- «حينها ستختفي عن كلِّ شيءٍ عدا الكاميرات التي أخفيناها في ميدانِ القتال». يغمزني: «لا تُخبِر أحداً. الآن، إن اكتشفَ المُتقُون احتيالَ الحاكِم العام... سيفجِّرُ ذلكَ مشكلاتٍ لا حصرَ لها. بكلِّ تأكيد سيكونُ هنالكَ توتّرٌ بين عُصب المدرسة، لكن ما هو أهمُّ مِن ذلك بكثير، إمكانيّة اندلاعِ حربٍ دمويّةٍ بين عائلتَيّ: أوغوستوس، وبيلونا».

- وستكونُ في مأزقٍ إن اكتشفوا أمرَ الرشوة؟

- «سأكونُ ميّتاً». يحاولُ الابتسامَ، لكنّهُ يُخفق.

- لهذا تبدو بشكلٍ مُزرٍ هكذا. إنّكَ وَسْط ورطةٍ كبيرة. إذنْ، ما مكاني مِن كلّ هذا؟

يضحكُ بصوتٍ خافت وجاف.

- العديدُ مِن المُتقين معجبون بِك. أولئكَ مِن عُصبة مارس سيحقُّ لهم أن يكونوا أوّلَ مَن يُقدِّم لكَ عُروضَ تَتلمُذ، ولكنْ سيكون بإمكانكَ دِراسةُ عُروضٍ مِن خارجِ العُصبة. إن مُتَّ، سيكونون مُستائينَ جِدّاً، خاصّةً سَيف عُصبة مارس. اسمه لورن ذهبيّ أركوس؛ لا شكَّ أنّكَ سمعتَ به. إنّهُ بارعٌ جدّاً في استخدام شفرته.

- «ما.. مكاني.. مِن.. كلّ.. هذا؟». أكرّر.

- لا داعي لأيّ شيء. حافِظ على حياتك. ابقَ بعيداً عن طريقِ الشغبر. وإلّا فجوبيتر، أو أبولو سيقتُلانكَ، ولن يكونَ بوسعي فِعلُ أيّ شيء لإيقافِ ذلك.

- إذنْ، هُما كلبا حِراسته، أليسَ كذلك؟

- نعم، إضافةً إلى أمورٍ أُخرى.

- حسناً، إن قتلاني سيعلم المُنتقُون أنّ هنالكَ خَطباً ما.

- لكنّهم لن يعلموا؛ أبولو سيستخدمُ العُصبَ الأُخرى للقيام بذلك، أو سنقوم بذلك بأنفسنا، ونحذف اللّقطات مِن النانو كاميرات. أبولو وجوبيتر ليسا أحمقين؛ لذا لا تعبَث مَعهُما. دَعِ الشغبر يلعب، وسيكونُ لديكَ مُستقبَل.

- وكذلكَ أنتَ أيضاً.

- وكذلكَ أنا أيضاً.

- «أفهمُ ذلك». أقول.

- حسناً. حسناً. كنتُ أعلمُ أنّكَ ستعودُ إلى صَوابك. أنتَ تعلم، العديدُ مِن المُشرِفين مُعجبونَ بِك، حتّى مينيرفا. لقد كرِهتكَ في البداية، لكنْ بما أنّكَ تركتَ موستانغ تذهب، فقد مَكّنَها ذلك مِن البقاء في الأوليمبوس. لقد خَفّف ذلك مِن مدى الحرجِ كثيراً.

- «سُمِحَ لها بالبقاء في الأوليمبوس؟». أسألُ ببراءة.

- «طبعاً. إنّها قواعدُ المعهد: عندما تُهزَم عُصبتك، يتوجّهُ المُشرِف إلى الديار لتَحمُّل المسؤوليّة، وليشرحَ للمُنتَقين ما الخطأ الذي حدث».

ابتسامة فيتشنير تتشوّهُ قليلاً عندما يلمحُ البريقَ في عيني فجأةً!

- إذنْ، عندما تُدمَّرُ عُصبتهم عليهم أن يرحلوا؟ وأنت تقول بأنّ كلّاً مِن أبولو وجوبيتر يريداني ميّتاً؟

- «كلّا!...». يتوسلُ فجأةً لدى سماعهِ الوعيدَ في صوتي.

أميلُ برأسي: «كلّا؟».

- «لا... يمكنك!». ينفجرُ مرتبكاً: «لقد أخبرتكَ للتو بأنّ سيفَ عُصبة مارس المتبية يريدكَ كمُتتلمِذ، وهنالك آخرون أيضاً: أعضاء مجلسِ شيوخ، سياسيّون، قادة أسراب. ألا تريد أن يكونَ لكَ مُستقبَل؟».

- أريدُ اقتلاعَ خصيتَيّ الشغبر؛ هذا كلُّ ما أريد. بعدها سأجدُ مَن أتتلمَذُ عِنده. أتخيّل أنّ هذا سيكون مؤثّراً إن قمتُ بِه.

- دارو، كُن عاقلاً يا رجُل!

- يا فيتشنير، صديقاي: روكي، وليا ماتا بسببِ تَدخّلِ الحاكمِ العام. فلْنرَ كيفَ سيُحبُّ الأمرَ عندما أجعلُ مِن ابنه الشغبر عبداً لي.

- «أنتَ مجنونٌ كأحمر!». يقولها، وهو يهزُّ برأسه: «أنتَ تعبثُ بسُبلِ عَيشِ المُشرِفين. لا أحد راضٍ عن وضعِهِ الراهن. إنّهم يتطلّعونَ إلى التَرقّي أيضاً. إن هدّدتَ مُستقبَلهم، فأبولو وجوبيتر سيهبطان وسيقطعان رأسك».

- «ليسَ إن تمكّنتُ مِن تدمير عُصبتهما أوّلاً». أعبسُ: «ألن يتوجَّب عليهما المغادرة إن قمتُ بذلك؟ شخصٌ ما حكيم أخبرني بأنّ هذه هي القواعد». أضمُّ يدَيّ معاً مصفقاً: «الآن، لديّ صديقٌ آخرُ على وشكِ أن يموت، وسأحبِّذُ الحصولَ على بعضِ المضادّاتِ الحيويّة. سيكون رائعاً إن تمكّنتَ مِن إعطائي بعضاً منها».

أخذ يُحملِقُ بي: «بعدَ هذا كُلِّه، لمَ قد أفعلُ ذلك؟».

- لأنّكَ كُنتَ إلى الآن مُشرِفاً مُثيراً للشفقة. أنتَ مَدينٌ لي بمكافآت، ولديكَ مُستقبلكَ الخاصّ الذي عليكَ تَدبُّره.

يضحكُ مِن أنفه ضحكة انهزام: «هذا مُنصِف».

يأخذُ حُقنةً مِن الحقيبة الطبيّة على ساقه، ويناولني إيّاها. ألحظ أنّ الواقي النبضيّ لم يؤذني عندما لمسَت يدهُ بيدي. إذنْ، بوسعهم إطفاؤه.

أشكرهُ مربّتاً على كتفه بمودّة. يُقلّب عينيه. الدرعُ مُطفَأ على كاملِ جسده، ثمّ يعودإلى العمل. أسمعُ أزيزاً دقيقاً على خصره حيث الأداةُ مُثبّتة. الآن، وقد أصبحَ المُشرِفون أعدائي، فإنّه أمرٌ مِن الجيّدِ معرفته.

- «إذنْ، ماذا ستفعل؟». يسألُ فيتشنير.

- مَن الأكثرُ خطورة: أبولو أم جوبيتر؟ كُن صادقاً يا فيتشنير.

- كلاهما مُتوحّشان. أبولو أكثرُ طموحاً؛ أمّا جوبيتر، فبسيط، إنّه فقط يستمتعُ بلعبِ دَورِ الإله هنا.

- إذنْ، عُصبة أبولو أوّلاً، ومِن ثمّ سأسحقُ جوبيتر، وبعدَ أن أقضي عليهما مَن سيحمي الشغبر؟

- «الشغبر». يقول بصوتٍ جاف.

- عندها سنرى إن كان حقّاً يستحقُّ الفوز.

قبل أن أذهب، يرمي لي فيتشنير رُزمةً صغيرةً على الأرض.

- ليس كأنّ للأمرِ أهميّة الآن، لكنْ لقد أُعطِيتُ هذا، وأُخبِرتُ أن أقولَ بأنّ عليكَ أن تَعرِف أنّ أصدقاءكَ لم يتخلّوا عنك.

- مَن؟

- لا أستطيعُ البوحَ بذلك.

أيّاً كان مَن أعطاه الرُزمة، فهو صديق؛ لأنّ في داخل الصندوق يوجدُ البيغاسوس خاصّتي، وفي داخله بُرعُم زهرة الهايمانتوس الخاصّة بإيو. أضعُ قلادة البيغاسوس حولَ عنقي.

35

ناقضو العهد

أصدقائي معي. ما الذي يَقصِدونه بذلك؟ أيّ أصدقاء؟ أبناء أريس؟ أم إنّ الصديقَ الغامض مفهومٌ عامّ، يُلمح إلى أولئك الذين يدعمونَ فُرصِي في المعهد؟ هل يعلمونَ بأهميّة البيغاسوس؟ أم يجمعونني ببساطة بشيءٍ يعتقدون أنّني قد أفتقده؟

الكثيرُ مِن الأسئلة؛ أيٌّ منها غيرُ مُهِمّ. إنّهم خارج اللّعبة. اللّعبة. ماذا يوجد هناك أيضاً غَيرُ اللّعبة؟ كلّ الأشياء الحقيقيّة في العالم، كلّ علاقاتي، كلّ تَطلُّعاتي وحاجاتي، مرتبطة باللّعبة، مرتبطة بفوزي. كي أفوز، فأنا بحاجةٍ إلى جيش، لكنْ لا يُمكِن أن يكونَ مؤلّفاً مِن عَبيد. ليسَ مجدّداً. أنا الآن أحتاج -كما سوف أحتاج عندما سأكونُ على رأس التمرُّد- إلى أتباعٍ وليسَ إلى عبيد.

لا يمكن للمرءِ أن يتحرّر بالظلمِ نفسه الذي استَعبَده.

بعدَ مُضيّ أسبوعٍ على حقني لموستانغ، وشفائها مِن الحمّى، ننطلقُ نحو الشمال. قوّتها تزدادُ مع كلِّ تَحرُّك لنا. سُعالها تلاشى، وابتسامتها البشوشة عادت. إنّها بحاجةٍ إلى الراحة أحياناً، لكنْ قريباً ستكون قادرةً

على تجاوزي. إنّها تدعني أعرفُ ذلكَ أيضاً. نُحدِث جلبةً بقدر ما نستطيع في أثناء حركتنا؛ كي نجذبَ الطرائدَ إلينا. في اللّيلة السادسة مِن إشعالنا لنارٍ هائلة على نحوٍ فاضح، نحصلُ على أوّل المُهتَمّين.

ناقضو العهد يَتقدَّمون بمحاذاة الجدول، مُستَخدمين صوتهُ لتمويه حركتهم. أحببتُهم على الفور. لو أنّ نارنا لم تكُن فخّاً، لباغتونا على حينِ غرّة، لكنّها فخٌّ، ولمّا تقدَّم اثنان منهم نحو الضوء، كِدنا نُطبِق الفخّ. ولكنْ إن كانوا أذكياء ليتحرّكوا بمحاذاة الجدول، فسيكونون أذكياء كفايةً لتركِ أحدٍ ما في الظلام. أسمعُ صوتَ شدِّ سَهمٍ على القوس، ثمّ تنطلقُ صرخة. موستانغ تُصيب ذلك الموجودَ في الظلام، وأنا أصيبُ الآخرين. أنهضُ مِن كومة الثلج التي أنا فيها، يتساقطُ الثلج مِن عباءة الذئب التي أرتديها، وأنفضُ الثلج عن ظهري بذراع قوسي.

بعدئذٍ، يقوم ذلك الذي أصابتهُ موستانغ بمداواة عينه المتورّمة بالقرب مِن نارنا، بينما أتكلّمُ أنا مع قائدتهم. اسمها ميليا: إنّها طويلةٌ كشجر الصفاف، بوجهٍ طويلٍ كالحصان، وتحدُّبٍ بسيطٍ في كتفيها. خِرقٌ وفِراءٌ مسروق يغطّي جسدها الهزيل ببنيته العظميّة. الآخر غير المُصاب هو داكس: إنّه قصيرٌ ووسيمٌ، مع ثلاثة أصابع قضمها الصقيع. نعطيهم فِراءً إضافيّاً، وأعتقد أنّ هذا ما جعل المحادثة مختلفةً تماماً.

- «أتُدرِكون أنّه يُمكِننا استِعبادُكم؟». تسألُ موستانغ، وهي تلوِّح برايتها: «إذنْ، ستكونون ناقضي عهدٍ مرّتين، ومنبوذين مرّتين عندما تنتهي هذه اللّعبة».

لا يبدو أنّ ميليا تَكترِث لذلك، لكنّ داكس يَكترِث؛ أمّا الآخر، فيتبع ميليا فقط.

- «لا أبالي بذلك البتّة. لا فرق بين مرّةٍ، أو مرّتين». تقول ميليا. جميعهم يحملون علامة عبيد مارس. لا أتعرَّفُ إليهم، لكنّ خواتِمهم تقول بأنّهم من عُصبة جونو: «أفضِّل حملَ العارِ على أن أحملَ كدماتٍ على ركبتي. أتعرفُ مَن هو والدي؟».

- لا أكترثُ إلى مَن يكون والدك.

- «والدي». تصرُّ: «إنّه غايوس ذهبيّ تراكوس، قاضي قضاة نصف الكرة المريخيّة الجنوبيّ».

- ما زلتُ لا أكترثُ لذلك.

- ووالده كان..

- لا أكترثُ لذلك.

- «إذنْ، أنتَ أحمق». تتشدّق: «إنّك أحمق مُضاعف إن فكّرت أن تجعلَ منّي عبدةً لك؛ سأنحرُكَ في اللّيل».

أومئ برأسي نحو موستانغ. تنهضُ فجأةً مع الراية، وتضعها عند رأس ميليا. علامة مارس تتحوّل إلى علامة مينيرفا، ثمّ تقومُ بحذف علامة مينيرفا. تتّسعُ عينا داكس.

- «حتّى وإن حرّرتك؟». أسأل ميليا: «هل ستنحرينني؟».

لا تعرف ماذا تقول.

- «ميلي». يقول داكس بهدوء: «ما قولك؟».

- «لا عبوديّة». أشرح: «لا ضرب. إنْ حفرتِ حفرة نجاسةٍ للمخيّم سأحفر حفرتين. إن جَرحكِ أحدهم سأقطعه إلى أشلاء. إذنْ، هل ستنضمّين إلى جيشنا؟».

- «جيشهُ». تصحّحُ موستانغ. أنظرُ إليها متجهّماً.

- «ومَن يكون هو؟». تسألُ ميليا، وعيناها لا تفارقان وجهي.

- إنّه الحصَّاد.

يستغرق الأمر أسبوعاً لجمعِ عشرة ناقضي عهد. الطريقة التي أنظر فيها إلى الأمر، هي أنّ هؤلاء العشرة أظهروا على نحوٍ واضحٍ أنّهم لا يرغبون بأن يكونوا عبيداً؛ لذا ربّما سيحبُّون أوّلَ شخصٍ يمنحهم غايةً، وطعاماً، وفراءً، ولا يُطالِبهم بأن يلعقوا كعبَ حذائه. مُعظمُهم سمعوا عنّي، لكنْ جميعهمُ قد خابَ أملهم لأنّني لا أملكُ نصلي المِنجَليّ الشهير الذي استخدمتهُ لهزيمة باكس. مِن الواضح أنّه بات أسطورةً حقّاً. يقولون بأنّه حَملَ حصاناً مع فارسه، ورماه في أرغوس عندما قاتَلَ عبيدُ مارس عبيدَ جوبيتر.

مع ازديادِ أعدادنا بتنا نختبئ مِن الجيوش الأكبر. قد تكونُ مارس هي عُصبتي، لكنْ مع مَوتِ روكي، وتحوُّل كاسيوس إلى عدوّ، لم يبقَ لي مِن الأصدقاء سوى كوين وسيفرو، وربّما بولوكس أيضاً، لكنّه ينضمُّ دوماً إلى الطرف المتفوّق. وغدٌ حقير!

لا أستطيعُ أن أكونَ مع عُصبتي. لا مكان لي هناك. ربّما قد أكون قائدهم، لكنّني أتذكّر كيف كانوا ينظرونَ إليّ. والآن، باتَ مِن المُهمِّ جدّاً أن يعرفوا أنّني ما زلتُ حيّاً.

على الرغم مِن الحرب بين عُصبتَيْ: مارس، وجوبيتر، إلّا أنّ عُصبة سيريس القويّة تبقى صامدةً على ضفّة النهر، عَصيَّةً على الغزاة. ما تزال رائحة الخُبز تفوح مِن خلفِ أسوارهم العالية. فِرقُ المُحاربين مِن كلا الجيشين تجوب على أحصنتها السهولَ المحيطة بسيريس، عابرةً أرغوس

المُتجمِّد كما يحلو لها. إنّها تحملُ الآن سيوفاً أيونيّةً مُنخفِضة الشحنة؛ لذا بوسعها صعق بعضها، وإعاقة بعضها بمجرَّد لَمسةٍ مِن معدن. الروبوتات الطبيّة تصدحُ فوق ميدان القِتال مع تطوُّر مناوشاتٍ إلى عِراكٍ حادّ، لتعالجَ الطلّاب المصابين، وهُم ينزفون، أو يتأوّهون مِن عظامهم المكسورة. أبطالُ كلِّ جيش يرتدون درعاً أيونيّاً لحماية أنفسهم مِن الأسلحة الجديدة. الأحصنةُ تصطدم ببعضها، والأسهمُ الأيونيّة تطير. العبيد يتحرّكون على نحوٍ مُضطرِب، عبر السهل الواسع الذي يفصل المُرتفعات عن نهر أرغوس العظيم، مُنقضِّين على بعضهم بأسلحةٍ أقدم وأبسط؛ إنّه عرضٌ باهرٌ يستحقُّ المُشاهدة، لكنّه غبيٌّ... غبيٌّ جدّاً.

أراقبُ مع موستانغ وميليا كيف تنقضُّ فِرقتان مُدرّعتان مِن محاربي مارس وجوبيتر على بعضهما عبر السهول أمام برج فوبوس. رايات مثلّثة تُرفرِف. الأحصنة تدهسُ الثلج العميق. إنّه صدامُ المَجدِ المُدرَّع عندما تنهار موجتا المدِّ المعدنيّتان واحدة ضِمنَ الأُخرى. شرارةٌ مِن الكهرباء الصاعقة تتطايرُ مِن الرماح لحظة ملاقاتها للتروسِ العريضة والدروع. السيوفُ الباهرة تنهالُ بقوّةٍ على نصالٍ تكافئها. المختارون الأوائل يقاتلون أقرانَهم. العبيدُ يركضون بالعشرات ليسحقوا بعضهم، إنّهم بيادقُ في لعبة الشطرنج الهائلة هذه.

أرى باكس مرتدياً مجموعة تدريع قُرمزيّةً صدئة، تبدو قديمةً كبِزّة شِواء. أضحكُ منه، وهو يُعرقل حصاناً مع فارسه، لكنْ إن حَدثَ ووجدتَ يوماً ما صورةً عن الفارسِ المثاليّ، فلن تكون لباكس. كلّا! بل ستكونُ لكاسيوس. إنّني أراه الآن. درعهُ يَتوَهّج، وهو يصعقُ الخُصومَ واحداً تِلوَ الآخر. يعدو بحصانه مخترقاً الأعداء. سيفهُ يتأرجح بسهولةٍ يمنةً ويسرةً،

خفّاقاً مِثلَ ألسنة اللّهب. بوسعه القِتال، لكنّني صُعِقتُ كيف اختار بغباءٍ أن يَنقضَّ بنبلٍ على صفوفِ العدوّ بقوّةٍ مِن رُماة الرماح لتأسر الأعداء، ومِن ثمّ تُعيدُ القوّات الناجية تنظيمَ صفوفها، وتقومُ بفعلِ المِثلِ له. مراراً وتكراراً، لم يتمكّن أيّ طرفٍ مِن تحقيق أفضليّةٍ حاسمة.

- «يا لهم من حمقى!». أقول لموستانغ: «كلُّ تلكَ الدروع الجميلة والسيوف أعمتهم. أعلم. ربّما إن اصطدموا ببعضهم لثلاث، أو أربع مرّات أُخرى، لكان الأمرُ ناجعاً».

- «لديهم تكتيك». تقول: «انظُر، تشكيلُ الوَتدِ هناك. وخدعة هناك ستتحوّل إلى هجومٍ مِن الجناح».

- مع ذلك، أنا على حق.

- «مع ذلك لستَ مُخطئاً». تشاهدُ لبضعِ لحظات: «إنّها تشبه حربنا الصغيرة، تعادُ مرّةً أُخرى، ما عدا أنّك لا تركضُ في الأنحاء، وأنت تَعوي على الناس مثلَ ذئبٍ ممسوس». تتنهّدُ موستانغ، وتضعُ يدها على كتفي: «ياه! الأيام الخوالي الجميلة».

ميليا تراقبنا مع تكشيرةٍ على أنفها.

- «التكتيكاتُ تَكسَبُ المعارك. الاستراتيجيّة تَكسَبُ الحروب». أقول.

- «أوووووه! أنا الحصّاد. إله الذئاب. ملكُ الاستراتيجيّة». موستانغ تقرصُ خدّي: «إنّكَ جذّابٌ جدّاً ببساطة».

أصفعها لأبعدها عنّي. ميليا تُقلّب عينيها.

- «إذنْ، ما هي استراتيجيّتنا يا سيّدي؟». تسألني موستانغ.

كلّما ماطَلتُ وتجنّبتُ أيَّ صدامٍ مع العدوّ، أصبحَ لدى المُشرِفين

فرصة أكبر للقضاء عليّ. صعودي يجب أن يكونَ صاروخيّاً. لا أخبرها بذلك.

- «السرعةُ هي استراتيجيّتنا». أقول: «السرعة والانحيازُ المُطلَق».

في الصباح التالي، فرقة مقاتلي عُصبة مارس تعثر على جسرهم الموجود على ميتاس مسدوداً بوساطة أشجارٍ سقطتَ خلال اللّيل. كما هو متوقّع؛ فرقة المقاتلين تستدير وتعود أدراجها إلى القلعة، وهُم يخشون مِن وجودِ فخٍّ ما. حُرّاسهم في فوبوس وديموس لا يمكنهم رؤيتنا. إنّهم يُحدِّقون نحو الأسفل، ويرسلون إشاراتٍ دُخانيّةً بأنّه لا وجود لعدوٍّ عِندَ الغابة الفضيّة الجرداء المحيطة بالجسر. إنّهم لا يروننا؛ لأنّنا نستلقي على بطوننا في الغابة على مسافة خمسين ياردة مِن الجسر، متّخذين الوضعيّة نفسها منذُ الفَجرِ المظلم. كلّ واحدٍ من ناقضي العهد مِن أتباعي لديه عباءة ذئبٍ أبيض، أو رماديٌّ الآن. استغرقَ الأمرُ أسبوعاً للعثورِ على الذئاب، لكنْ ربّما كان هذا لمصلحتنا؛ فالصيدُ خَلقَ رابطاً. جنودي العشرة يشكّلون زُمرةً عدوانيّةً مشاكسة: فهُم كذّابون، ومُحتالون فظيعون، يفضِّلون تدميرَ مُستقبَلهم على أن يكونوا عبيداً في اللّعبة. إنّها زُمرةٌ عمَليّةٌ ومُعتدّةٌ بنفسها، لكنْ لا يمكنُ القولُ بأنّها شريفةٌ جدّاً. ببساطة، إنّها مجرّدُ الزمرةِ التي أحتاج إليها. وجوههم مُلوَّنةٌ باللّون الأبيض مع رَوثِ الطيور، وصَلصالٍ رماديّ؛ لذا يبدو مَظهرُنا -مع تحوُّلِ الأنفاسِ إلى دخانٍ متموّجٍ يتصاعدُ مِن ثغورنا ذاتِ الابتسامة العريضة- كأطياف وحوشِ الشتاء.

- «إنّهم يحبُّون أن يُقيِّموا مِن قِبَلِ أحدٍ مُرعب». أخبرتني ميليا اللّيلة الفائتة، صوتها باردٌ وحادٌّ مِثلَ دَلاةٍ جليديّةٍ مُتدليةٍ من أشجار الحور: «مثلما أحبُّ أنا أيضاً».

- «عُصبة مارس ستبتلع الطعم». تهمسُ لي موستانغ: «لم يتبقَّ الكثير مِن أصحابِ العُقولِ في العُصبة». ليسَ مع رحيلِ روكي. تختارُ مكاناً قريباً منّي في الثلج، قريباً إلى درجة استلقائها على بطنها، وساقاها ممدّدتان بالقرب مِن ساقَيّ، ووجهُها المُلتفُّ إلى الجانب يبعدُ بضعَة إنشاتٍ فقط عن وجهي تحتَ عباءتينا البيضاوين. عندما أستنشق الهواء يكون دافئاً أصلاً بسببِ نَفَسِها. أعتقدُ أنّ هذه هي المرَّةُ الأولى التي فكرتُ فيها بتقبيلِها. أطردُ الفكرةَ بعيداً، وأستحضِرُ منظر شفاه إيو العابثة.

عند متصف النهار، يرسل كاسيوس قوّاته ليزيلوا الأشجارَ الساقطة عن الجسر. مُعظمُهم مِن العبيد خوفاً مِن وجودِ كمين. في الواقع، كاسيوس أيضاً يلعبُ اللّعبة بذكاء؛ فمنذُ اعتقاده أنّهُ يحاربُ عُصبة جوبيتر، باتَ يفترضُ أنّ الكمينَ سيكون هجومَ فرسانٍ مفاجئاً حالما يُفتَح الجسر؛ لذا جعلَ فُرسانه يذهبون حول النهر، وذلك بالاتّجاه جنوباً عبر المرتفعات، والالتفاف حول الجانب البعيد مِن الجسر بالقرب مِن فوبوس، لينصبوا كميناً للفرسان الذين يُفترَض بهم القدومُ مِن السهول، أو الغابة الكبرى. ميليا، الفتاة الماكرة، تُعلِمني بأخبار تحرُّك الفرسان هذا بوساطة عُواءٍ مِن موقعها الذي يبعدُ قرابة ميلٍ واحدٍ، حيثُ تقومُ بواجبها كحارسةٍ مختبئةٍ في شجر الصنوبر العالي. حانَ الوقتُ للتَحرُّك.

لا نَعوي، أو نصرخ في أثناء ركضنا نحنُ العشرة، عبر أشجار الغابة عديمة الأوراق، نحوَ العبيد الكادحين. أربعة مختارين أوائل يراقبون العمل على صهوات أحصنتهم: أحدهم هو سيبيو. نُسرِع بالركض عبر الأشجار الجرداء، بحيث نأتي مِن جانبهم. إنّهم لا يروننا. ننتشر ويُسابِق كلٌّ منّا الآخر للقيام بالضربة الأولى.

أنا الرابح.

قافزاً إلى الأمام لمسافة خمسة أمتار في هذه الجاذبيّة الضعيفة، أطيرُ خارجاً مِن الغابة مِثلَ شيطانٍ مَمسوسٍ، وأضربُ سيبيو على كتفه بوساطة سيفٍ مُثلَّم. يسقطُ عن سرجه. الأحصنة تصهل. موستانغ تطيحُ بواحدٍ آخر مِن المختارين الأوائل بوساطة رايتها. تحتشدُ قوّاتي في الأمام، وهي صامتةٌ، ومظلّلةٌ بألوانٍ بيضاء ورماديّة. يقفز اثنان آخران مِن أتباعي مِن ناقضي العهد على أحصنة المختارين الأوائل، ويضربان الفرسين بالهراوات والفؤوس المُثلَّمة. أمرتُ بالامتناع عن القتل؛ ينتهي كلّ شيء خلال أربع ثوان. الأحصنةُ لا تعرفُ حتّى أين ذهبَ فرسانها. تنسابُ قوّاتي مِن بين الأحصنة، وتتّجه نحو العبيد، وهُم يقومون بإزالة الجذوع الساقطة عن الجسر. نصفهم؛ حتّى لا يسمعونا، إلى أن قامَت موستانغ بتحويل ستّةٍ منهم إلى عبيد مينيرفا، وأمرتهم بأن يساعدونا في إخضاع البقيّة. عندها تتعالى الصيحاتُ، ويوجّه عبيدُ مارس فؤوسهم ضدّ قوّاتي.

العبيدُ مِن أتباع مينيرفا يتعرّفون إلى موستانغ، فتُحرِّرهم بعد أن تُزيلَ علامة مارس عنهم. الأمر أشبه بمَدٍّ مُتحرّك. ستّة عبيدٍ أصبحوا لنا. إنّهم يعرقلون الآخرين مِن عبيدِ مارس، ويثبّتونهم على الأرض، بينما تَمرُّ بهم موستانغ، وتقومُ بتحويلهم. ثمانيةٌ بعمليّةٍ واحدة. عشرة، أحد عشر، إلى أن بقي واحدٌ فقط يُسبِّب المتاعب؛ إنّه الجائزة: باكس. لا يرتدي درعه، حمداً للربِّ! لأنّه هنا مِن أجلِ العمل، لكنْ مع ذلك يتطلّبُ الأمرُ سبعةً مِنّا كي نطيحَ به على الأرض. إنّه يزأرُ ويصرخُ باسمه. أنقضُّ عليه لأتلقّى لكمةً في وجهي. أبصقُ وأضحكُ، ونحن نتكدّسُ فوقه إلى أن أصبحنا اثني عشر، لنتمكّن مِن تثبيت هذا الوحش المُعدَّل وراثيّاً على الأرض. تخلّصه موستانغ مِن علامة مارس، فيتحوّل زئيره إلى ضحكٍ رنّان. إنّه أشبه بفتاة.

- «حرّرررررريّة!». يزأر. يقفزُ على قدميه باحثاً عن أحدٍ يشوّهه: «دارو ذهبيّ أندروميدوس!». يصيح بي، وهو يَستعِد لتحطيم وجهي، إلى أن صَرخت عليه موستانغ.

- «إنّه في صَفِّنا». تقولُ موستانغ.

- «حقّاً؟». يسألُ باكس. تَنفرِج أساريرُ وجههِ العملاق مبتسمة: «يا له مِن خبر!». يُقبِل عليّ مُعانقاً إيّاي كالدُّب: «الحريّة، يا إخوتي و... أخواتي. الحريّة الجميلة». نتركُ سيبيو والآخرين مِن المختارين الأوائل يئنّون على الأرض.

إشاراتُ الدخان تعلو مِن فوبوس وديموس، ونحنُ نركضُ عبرَ غابة الوادي نحوَ الجبال القَزميَّة في الشمال، قبل أن يتمكّنَ فرسان مارس مِن الالتفافِ حولَ الجسر المُغلَق لينقضُّوا علينا. شاهد الحرّاس كلَّ ذلك، ولا بُدَّ من أنّهم كانوا مَذعورين. حدثَ كلُّ شيءٍ في أقلّ مِن دقيقة. باكس لا يتوقّف عن الضحكِ كفتاة.

عُصبة مارس ستشعرُ بالارتباك من جرّاء التقويضِ المفاجئ لترتيبهم بين العُصب، لكنّني بحاجةٍ إلى أكثرَ مِن ذلك. أريدهم أن يستبدلوا بالنظرة التي لديهم عنّي أنّي أحدُ القادة الفاسدين، شيئاً خارقاً للطبيعة، شيئاً يفوقُ استيعابهم. أريدُ أن أكون كالشغبر: إنساناً خارقاً بلا اسم.

في تلك اللّيلة، أنزلقُ عبر الثلج شمال قلعة مارس. هنالك دوريّة فرسانٍ تحرسُ الوادي الطوليّ الضيّق. حوافرهم طريّةٌ على العشب في اللّيل. أسمعُ شكائمهم، وهي تخشخشُ في الظلام. إنّني لا أراهم. عباءة الذئب التي أرتديها بيضاء كالثلج المتساقط. أسحبُ رأسه إلى الأعلى؛ لذا أبدو كأحد المخلوقات الحارسة مِن المستويات الأبردِ للجحيم. الجانبُ

الصخريّ أكثرُ انحداراً ممّا أتذكّر. أكادُ أقعُ، وأنا أسحبُ جسمي على طول الجانب العَموديّ المُثلج. أبلغُ جدار القلعة. المشاعلُ تتلألأ على السور. الريح تجلدُ ألسنة اللّهب. موستانغ يجبُ أن تُشعِل النار في كلّ لحظة.

أخلعُ ثوبي وأكوّره. جلدي مَكسوٌّ بالفحم. أقحمُ الكلّاباتِ المعدنيّة في الفراغات بين الأحجار. إنّ الأمر أشبهُ بتسلّق حفّاري مجدّداً، عدا أنّني أقوى، ولا أرتدي بزّة شواء. هذا سهل. البيغاسوس يتأرجح مرتدّاً عن صدري، وأنا أسحبُ نفسي إلى الأعلى. حتّى إنّي لا ألهثُ لدى وصولي إلى القمّة بعد ستّ دقائق.

أصابعي تتشبّثُ بالحجارة الموجودة مباشرةً تحت السور. أتعلّقُ مُنصتاً إلى الحرسِ العابر. بالطبع إنّها عبدة، وليست غبيّة. تلمحني، وأنا أسحبُ نفسي مِن فوق السور، فتقحمُ رمحاً مُقابلَ حلقي. أحرّكُ يدي جاعلاً خاتمَ مارس الذي لديّ يَتوهّج، وأضعُ إصبعي عند شفتيّ.

– «ما الذي يمنعني مِن أن أصرخَ طلباً للنجدة؟». تسألُ. كانت مِن أتباع مينيرفا فيما مضى.

– هل أمروكِ بحراسة السور مِن الأعداء؟ أنا متأكّدٌ أنّهم فعلوا. لكنّني مِن عُصبة مارس. الخاتم يقول ذلك؛ لذا لا يمكن أن أكون عدوّاً، أليسَ كذلك؟

تتجهّم: «العريفُ طلبَ إليّ أن أراقبَ السور بحثاً عن دُخلاء، وأن أقتلَ، أو أصرخَ...».

– «هذه دياري. أنا العريفُ الشرعيُّ لعُصبة مارس. أنا سيّدكِ، وأطلبُ إليكِ الاستمرار بمراقبة السور بحثاً عن دُخلاء. هذا أمر». أغمزُ: «أقسِم أنّ فيرجينا ستكونُ سعيدةً إن نفّذتِ أوامركِ بالحرف».

تحني رأسها لدى سماعها اسم موستانغ الحقيقيّ وتتفحّصني.

- هل عريفتي حية؟

- «عُصبة مينيرفا لم تسقط بعد». أقول.

وجهُ الفتاة يكادُ يتقطَّع، إنّها تبتسمُ بشدّة: «حسناً... إذنْ... أعتقدُ أنّ هذه ديارك. لا يمكنني منعكَ مِن الدخول. مُلزَمة بقَسمِ الطاعة أنا. مهلاً... أنا أعرفكَ. لقد قالوا بأنّكَ ميّت».

- الفضلُ يعودُ إلى عريفتكِ في أنّني ما أزالُ أتنفّس.

أعلمُ مِنها أنّ أفراد العُصبة نيامٌ، بينما يحرسُ العبيدُ الحصنَ في اللّيل. هذه هي المشكلة مع العبيد: إنّهم يحرصون بشدّة على إيجاد طريقةٍ للتحايل على واجبهم، ومتحمّسون جدّاً لمشاركة الأسرار. أتركها ورائي، وأتسلّلُ إلى داخل الحصن مستخدماً مفتاحاً أسقَطتْهُ مصادفةً في يدي.

مُتسلّلاً عبر دياري، أشعرُ برغبةٍ في زيارة كاسيوس، لكنّني لستُ هنا لأقتله. العنفُ هو مخرجُ الحمقى. أحياناً أكون أنا الأحمق، لكنّني اليوم أشعرُ بالذكاء. وكذلك لم آتِ إلى هنا مِن أجل سرقة الراية. لا بدَّ من أنّهم يحرسونها. كلّا! أنا هنا لأذكّرهم بأنّهم كانوا يوماً ما خائفينَ منّي، وبأنّني أفضَلُهُم جميعاً، وباستطاعتي الذهاب أينما أريد، وفعل ما يحلو لي.

أبقى متخفّياً في الظلّ، على الرغم مِن أنّه بوسعي استخدام الحُجّة نفسها مع كلّ عبدٍ حارسٍ لديهم. عوضاً عن ذلك، أحفرُ علامة نصلٍ مِنجَليّ على كلِّ بابٍ في البرج المُحصَّن. أتسلّلُ إلى غرفة الحرب، وأحفر علامة نصلٍ مِنجَليّ على الطاولة الضخمة هناك لأخلق أسطورةً، ومِن ثمّ أحفرُ جمجمةً في كرسيّ كاسيوس، وأغرزُ سكّيناً عميقاً في مَسندِ الكرسيّ الخشبيّ لأخلقَ شائعة.

وأنا أغادرُ عائداً مِن الطريق الذي أتيتُ منه، أرى سفحَ التلّة شمالَ القلعة تلتهمهُ ألسنة اللّهب. الشجيراتُ الموضوعة على شكلِ نصلِ الحصَّادِ المِنجَليّ، تحترقُ بشدّة في اللّيل.

إن كان سيفرو لا يزال مع عُصبة مارس، فسيجدني. وقد أستفيدُ مِن مساعدة ذلكَ الوغد الصغير.

36

اختبارٌ ثانٍ

كي يُصبِح لديّ جيشٌ، عليّ أن أكونَ قادراً على إطعامه؛ لذا سأستولي على أفران عُصبة سيريس التي تتوقُ إليها كلٌّ مِن عُصبتَيْ: جوبيتر، ومارس كثيراً.

أعضاءُ فِرقتنا الجُدد مِن عُصبة مينيرفا يجدونَ أنّهُ مِن المَعقولِ جدّاً أن يعترفوا بسُلطَتي. لا أخدعُ نفسي. أجل، لقد انبهروا بإخفائي لعَوّائيَّ داخلَ الأحصنة الميّتة قبل أشهر مَضت، ويتذكّرون انتصاري على باكس، لكنّهم مطيعون؛ لأنّ موستانغ تثقُ بي فقط. نبقي على أولئكَ مِن عُصبة ديانا عبيداً الآن. أحتاجُ إلى أن أكسبَ ثقتهم. على نحوٍ غريبٍ، يبدو أنّ تاكتوس هو الوحيدُ الذي يثقُ بي. مِن ناحيةٍ أُخرى: هذا الشابّ قليلُ الكلام كان مبتهجاً عندما أخبرتهُ منذُ قرابة شهر بأنّني سأخيطهُ داخلَ حصانٍ ميّت. هنالك اثنان آخران مِن عصبة ديانا جعلتهما أيضاً يختبئان داخل أحصنةٍ ميّتة. باتَ البقيّةُ يُلقّبونهم بجماعة الأحصنة الميّتة، وكلٌّ منهم يضعُ ضفائرَ مِن شعر حصانٍ أبيض على رأسه. أعتقد أنّهم أصبحوا مختلّين عقلياً بعض الشيء.

إن احتوت الغابة والمرتفعات على شيءٍ ما بكثرة، فهي الذئاب بكلّ

تأكيد. إنّنا نصطادها لنُدرِّب مجنّدينا الجُدد على طريقتي بالقتال. مِن دونِ هجمات الفرسان الساحرة، وبلا رماحٍ لعينة! وبكلّ تأكيد، بلا أيّة قواعد اشتباك غبيّة. الجميع يحصلون على معاطف، إنّها أرديةٌ تفوحُ مِنها رائحةٌ عندما تجفّ وننزعُ عنها العَفن، الجميعُ عدا باكس؛ لم يصنعوا بعدُ ذئباً كبيراً بحجمه.

- «الحصار ليس بالأمر الجديد على عُصبة سيريس». تقول موستانغ. إنّها على حق. يبدو أنّ لديهم جنوداً مستيقظين ليلاً أكثر منه نهاراً. إنّهم يراقبون تحسُّباً لهجماتٍ انسلاليّة. رُزمٌ متوهّجةٌ مِن الصوفان تضيء قاعدة أسوارهم في اللّيل. بطريقةٍ ما، أصبحَ لديهم كلابٌ الآن، تتجوّلُ على طول الأبراج المُحصَّنة. الطريقُ القادمُ مِن منطقة المياه محروسٌ، منذُ أن حاولتُ فيما مضى إرسالَ سيفرو إلى الداخل عبر المراحيض، وذلكَ خلال هجومٍ انسلاليٍّ نظّمتهُ عندما كنّا في حربٍ مع مينيرفا. بالكاد غفرَ لي ذلك. طلّابُ سيريس توقّفوا عن الخروج. تعلّموا مخاطر قِتالِ عُصبةٍ أقوى في أرضٍ مفتوحة. سيختبئون خلال الشتاء، وعندما يُضعِف البردُ والجوعُ العُصب الأُخرى، سيخرجونَ مِن حصنهم في الربيع أقوياء، ومستعدّين، ومُنظَّمين.

لكنّهم لن يدركوا الربيعَ أبداً.

- «إذنْ، سنهجمُ خلال النهار؟». تفترضُ موستانغ.

- «بالطبع». أقول. أحياناً أستغربُ لماذا نُزعِج أنفسنا بالتكلُّم. إنّها تعرفُ أفكاري، حتّى المجنونة منها.

هذه الفكرة بالتحديد مجنونةٌ جدّاً. تدرّبنا على ذلك في فسحةٍ في الغابة الشماليّة طوال يومٍ كاملٍ، بعد أن أزَلنا الأخشاب منها بفؤوسنا. باكس يجعلُ الخطّةَ ممكنةً. نقيمُ مسابقةً لنرى مِن لديه أفضلُ توازنٍ على

الخشب. موستانغ تربح. وجه الحصان ميليا تحلُّ ثانيةً، وتشعرُ بمرارةٍ رهيبةٍ؛ لأنّها لم تتغلّب على موستانغ. أنا أحلُّ ثالثاً.

كما فعلنا عندما نصبنا كميناً لعُصبة مارس: تسلّلنا مُقترِبين على قَدرِ ما نجرؤ خلال اللّيلة الفائتة، ودفنّا أنفسنا في الثلج العميق. مرّةً أُخرى، نشكّل أنا وموستانغ زوجاً، نربضُ بقرب بعضنا تحت الثلج. تاكتوس يحاول تشكيلَ زوجٍ مع ميليا، لكنّها تخبرهُ أن يبتعد عنها.

- «إن نظرتِ إلى الأمر على نحوٍ صحيح، فأنا أحاولُ أنْ أسْدي لكِ خدمة». يتمتمُ متحدّثاً إلى ميليا، وهو يجثمُ تحتَ إبطِ باكس الذي تفوحُ منه الرائحة: «إنّكِ جميلةٌ بجمالِ بَشرةِ غرغول(*)؛ لذا متى ستسنحُ لكِ فرصة احتضانكِ مِن قِبل شخصٍ مثلي؟ يا لكِ مِن خنزيرة جاحدة!».

تضحك موستانغ وبقيّة الفتيات باستهزاءٍ مُصدرين نخيراً. بعدها أخذ هدوء اللّيل، وبرودةُ السهل المُتجمِّد المفتوح ينخران عظامنا؛ فالتزمنا الصمت.

في الصباح التالي، نرتعش أنا وموستانغ بجانب بعضنا، والثلجُ المُتساقِط الجديد يُهدِّد بإفساد خُطّتنا، دافِناً إيّانا في السهلِ على نحوٍ أعمقَ، لكنّ الريحَ يمكنُ تدبّر أمرها، ونُدَفُ الثلج لا تدفننا عميقاً، وهي تدور في الهواء. أنا أوّلُ مَن يستيقظ، على الرغم مِن أنّني لم أتحرّك. لم يطلِ الأمرُ مِن بعد طردي لآخر ذرّة نومٍ بتثاؤبي، حتّى بدأ جيشي بالاستيقاظ على نحو متناغم. فكلُّ طالبٍ يتقلّبُ ويتذمّرُ في وجه الآخر، إلى أن باتَ هنالك ثعبانٌ مِن الذهبيّين الذين يستنشقون ويسعلون مدفونين معاً في نَفَقٍ ضَحلٍ

(*) مخلوق خيالي قبيح ومرعب غالباً ما كان يظهر كمنحوتات في العمارة القوطيّة. (م).

تحت سطح الثلج. لا أستطيع رؤيتهم، لكنّني أسمعهم، وهُم يسيرون على الرغم مِن صوت رياح العاصفة الثلجيّة.

تشكلَّ الجليدُ مِن حولي خلال اللّيل خارج عباءتي الثخينة. يدا موستانغ داخل فرائي، تتدفأ مقابلي. أنفاسُها تُدفئ رقبتي. تتثاءبُ وتستقيم، وأنا أتقلّب، مبتعدةً قليلاً لتتمدّدَ كالقطّة تحتَ الثلج، فيسقطُ الثلج بيننا.

– «تبّاً! هذا مُزرٍ». يتمتمُ داكس زميلُ ميليا. ليس بوسعي رؤيته مِن نفقنا الثلجيّ.

تنكزني موستانغ. بالكاد يمكننا رؤية تاكتوس، وهو مُتكوّرٌ في حفرة إبط باكس. الرجلانِ يَحضُنان بعضهما ويستيقظان كعاشقين، ليجفلا مبتعدين عن بعضهما في اللّحظة التي يتمكّنان فيها مِن فَتحِ أجفانهما المَكسوَّة بالجليد.

– «أتساءلُ مَن هو روميو بينهما». تهمسُ موستانغ بصوتٍ خشن.

أضحكُ وأحفرُ حفرةً في سقفِ نفقنا، فأرى أنّ فرقتي ذاتَ الأربعة والعشرين مقاتلاً وحيدةٌ في السهول، ما عدا فرسان استطلاعٍ يجولون بعيداً في أثناء دوريّة الصباح الباكر. لن يُشكّلوا أيّة مشكلة. الريحُ تهبُّ مِن النهر الشماليّ، وتنخرُ عميقاً في وجهي.

– «هل أنتَ مُستعِدٌّ لذلك؟». تسألني موستانغ مع ابتسامةٍ عريضةٍ، وأنا أسحب رأسي إلى داخل ملجئنا: «أم تشعرُ بالبرد الشديد؟».

– «لقد كان الجوّ أكثر برودةً في البحيرة عندما خدعتكِ أوّلَ مرّة». أقول مُبتسماً: «آه، الأيّام الخوالي».

– «كلُّ ذلك كانَ جزءاً مِن خُطّتي العظيمة لكَسبِ ثقتك، أيّها الرجُل الصغير». تصطنعُ ابتسامةً عابثة. إنّها ترى القلقَ في عيني؛ لذا تمسكُ

بوركي وتقتربُ بحيثُ لا يتمكّن الآخرون مِن سماعها: «أتظنُّ أنّني كنتُ لأجثمَ معكَ هنا في الثلج لو أنّ هذه الخطّة ستُخفِق؟ طبعاً لا. لكنّ مؤخرتي تتجمّدُ، والريحُ تهدأ؛ لذا هيّا فلنتحرّك يا حصّاد!».

أعطي إشارة البدء لننهض، الثلجُ يتساقط مِن حولنا، الريحُ تلفحُ وجوهنا، ونجري مسافة مئة متر عبرَ السهول نحو الجدران. جميعنا، الأربعة والعشرون. صامتون مجدّداً. الريح تهبُّ على فترات. نحملُ شجرةً طويلةً بيننا، نلتصق بها تماماً مِثلَما فَعلنا في اللّيل عندما شاركتنا نَفقَنا. إنّها ثقيلة، لكنّنا أربعةٌ وعشرون، ووالدا باكس قد منحاهُ مورِّثات تمكّنهُ مِن طرحِ الأحصنة اللّعينة أرضاً. نلتقطُ أنفاسنا. أرجلنا تحترق. نُطبِق على أسناننا مُصدِرين صريراً بينما يغمرنا ثِقلُ الخشب على أكتافنا في الثلج العميق. إنّه مَسيرٌ مُجهد. صرخةٌ تأتي مِن عند الجدار. صرخةٌ وحيدةٌ جوفاء يتردّدُ صداها عبر الصباحِ الشتويّ الساكن. صَيحاتٌ أُخرى. ما تزالُ قليلة. نُباحٌ. ارتباكٌ. صفيرُ سَهمٍ يجتازنا، ثمّ آخر. مِن المدهشِ كَم يكونُ العالمُ هادئاً عندما تُبحِر السِهامُ حاملةً الموت! تهدأ الريحُ مجدّداً. تُطلُّ الشمسُ مِن خلفِ طبقةٍ مِن السُحبِ لنستحمَّ بدفء الصباح.

نبلغ الأسوار. تنتشر الصيحاتُ مِن وراء حجارة الحصن، ومِن أبراجهم. صوتُ بوق الإشارة يعلو، ونُباح الكلاب. الثلجُ يسقط مِن الدَّرايا في أثناء استلقاء الرُّماة على حجارة الأبراج المُحصَّنة. سَهمٌ يرتعشُ مُنغرِزاً في الخشب بالقربِ مِن يدي. أحدهُم يسقطُ مضرّجاً بدمائه؛ إنّهُ باكس. ثم يصيحُ باكس بكلمةٍ، وهو يزأر، ليأخذ هو وتاكتوس وخمسة مِن أقوى رجالنا العارِضة الخشبيّة الطويلة، التي قطعناها مِن جِذعِ الشجرة، مُقحِمين رأسها بكلِّ ما أوتوا مِن قوّةٍ في جدار السور. يُمسكونَ بها على

نحوٍ مائل. إنّهم يزأرون مِن وطأة ثقلها. ما تزال أقصرَ بخمسة أمتار مِن قمّة الجدار، لكنّني أجري صاعداً ذلكَ الانحدار الضيّق. يُصدر باكس قُباعاً كالخنزير، وهو يرفعُ كلّ هذا الثقل المائل. إنّهُ يصرخُ ويزمجر. تصعد موستانغ ورائي مباشرةً، وخلفها ميليا. أكادُ أنزلق. توازني ويدا غطّاس الجحيم يقونني قادراً على تَسلُّق الخشب المَعقود. مع فرائنا الذي نرتديه، نبدو كسناجب عوضاً عن ذئاب. يصفرُ سَهمٌ مُخترقاً عباءتي. أنا في مواجهة الجدار عند قمّة العارضة المتأرجحة. باكس وفِتيانه يزأرون مِن أعماقِ حَناجِرهم مِن فَرطِ التعب. موستانغ قادمة. أضمُّ يدَيّ. ترفعُ قدمها، وهي تجري، فأقذفُ بها إلى الأعلى، مُتجاوزةً آخِرَ خمسة أمتار، كي تقومَ بإخلاء البُرج المُحصَّن. تضربُ بوحشيّةٍ بسيفِها، وتصرخُ كأنّها بانشي(*)، ومِن ثمّ تنطلقُ ميليا بالطريقة نفسها مِن فوق يدَيّ، مع حَبلٍ ربطتهُ إلى خَصرِها يتدلّى مِن خَلفِها. تتثبّتُ في الأعلى، وأنا أستخدمُ الحبلَ لأسحبَ نفسي مسافة الخمسة أمتار الأخيرة. العارِضة الخشبيّة تهوي نحو الأرض مِن ورائي. أستلُّ سيفي. تختلط الجموع. لقد باغتنا عُصبة سيريس وفاجأناهم؛ غير مستعدّين، لم يسبق أن كان لديهم عدوٌّ داخلَ البُرج المُحصَّن. وهنالك ثلاثةٌ منّا يصرخون ويضربون. الغضبُ والحماسُ يملآني، فأبدأ برقصتي.

لديهم أقواسٌ فقط. لقد مرّت أشهرٌ على آخر مرّةٍ استخدموا فيها السيوف. سيوفنا ليست حادّةً، أو مشحونةً بالكهرباء، لكنْ يبقى تَلقّي الفولاذِ المُقوّى البارِدِ فظيعاً بأيّ شكلٍ كان. الكلابُ هي الأصعبُ إخضاعاً. أركلُ أحدها في رأسه، وأرمي الآخر مِن البرج المُحصَّن.

(*) امرأة جنية في الأساطير الأيرلندية تُنذِر بالموت عن طريق الصُراخ. (م).

ميليا في الأسفل. تعضُّ الكلب في عُنقِه، وتلكمُ خصيتيه حتّى ينسحبَ مُتأوّهاً.

تُعرقِل موستانغ أحدهُم، وتوقِعهُ مِن البُرج المُحصَّن. أنزلقُ مُعرقلاً أحدَ الرُماة، وهو يوجّهُ قوسهُ نحوها. في الخارج، باكس يصرخ منادياً كي أفتحَ البوّابات. في الواقع إنّه يبكي شوقاً للقتال.

أتبعُ موستانغ التي تهبطُ نحو ساحتِهم، قافزاً مِن الدرايا إلى الأسفل؛ حيثُ تُقاتِل طالباً ضخماً مِن عُصبة سيريس. أُجهِز على الفتى بمرفقي، وألقي أوّلَ نظرةٍ لي على خُبزِ الحصن. للقلعةِ تصميمٌ غيرُ مألوف: ففيها ساحةٌ تُفضي إلى عدّة أبنية، وبرجٌ مُحصَّنٌ ضخمٌ؛ حيث يُخبَز الخبز، يجعلُ معدتي تقرقر، لكنْ كلّ ما يهمّني هي البوّابة. نندفعُ إليها. الصرخات تعلو مِن خلفنا. إنّ عددهم كبيرٌ جدّاً كي نُقاتلهم. نَصلُ إلى البوّابة في اللّحظة التي يهرعُ فيها العشرات مِن طلّاب سيريس مِن برجهم المُحصَّن عبر الساحة ليلحقوا بنا.

- «أسرع!». تصرخ موستانغ: «أوه، أسرع!».

ميليا تُطلِق السهام على العدوّ مِن الدرايا.

عندها أفتحُ البوّابة.

- **باكس ذهبيّ تيليمانوس! باكس ذهبيّ تيليمانوس!**

يدفعني جانباً، وهو يصرخ. إنّه عاري الصدر، ضخمٌ، ذو بنيةٍ عضليّة، شعره مصبوغٌ باللّون الأبيض، ومُدبّبٌ نحو الأعلى بوساطة عُصارةٍ مُشكّلاً قَرنَين. يستخدم قطعة خشبٍ بطولي كهراوة. طلّابُ عُصبة سيريس يتراجعونَ مَذعورين. بَعضُهم يَسقُط، وبَعضُهم يَتعثّر. هنالك فتى يبدأ بالصراخِ مع اقتراب باكس وهديره المُتوعِّد.

- باكس ذهبيّ تيليمانوس! باكس ذهبيّ تيليمانوس!

إنّه لا يريدُ أيَّ لَقب، وهو يندفعُ إلى الأمام مِثلَ مينوتور(*) مجنون، ضارباً كتلةً مِن طُلّاب عُصبة سيريس مُحيلاً إيّاها إلى دمار. الفتيان والفتيات يطيرون في الهواء مِثلَ القَشّ في يومِ الحَصاد.

ما تَبقّى مِن جيشي يجري خلفَ الوغدِ المجنون، ويبدأون بالعُواء. ليسَ لأنّني طلبتُ إليهم ذلك، ولا لظنِّهم بأنّهم عوّاؤو سيفرو، ولكنْ لأنّه الصوتُ الذي سمعوه عندما شقَّ جنودي طريقهم مِن داخل بُطونِ الأحصنة. الصوتُ الذي جعلَ قلوبهم تنهارُ في أثناء تعرّضهم للغزو. الآن، يحينُ دورهم لكي يَعووا مع تحويلهم المعركةَ إلى عراكٍ مجنونٍ بالأيدي. باكس يصرخُ منادياً اسمينا، وهو يغزو القلعةَ بمفرده تقريباً. يلتَقط فتىً مِن ساقِهِ، ويستخدمهُ كهراوة؛ أمّا موستانغ، فتطوفُ في أرجاء ساحة المعركة مثل الفالكيري(**) تَستعبِدُ أولئكَ الذين صَرعَهم على الأرض.

خلال خمسِ دقائق، باتت الأفران والقلعة مُلكَنا. نغلقُ بوّاباتهم، ونَعوِي، ونأكلُ بعضَ الخبز اللّعين!

أحرّرُ عبيدَ عُصبة ديانا الذين ساعدوني في الاستيلاء على الحصن، وأمضي بِضعَ لحظاتٍ مع كلٍّ منهم نتشاركُ الضحك. يجلسُ تاكتوس على ظهرِ فتى مسكين، ويضفرُ شعر السجين على شكلِ ذَيلِ خِنزيرٍ بنّاتي، إلى أن وكزتهُ كي ينهضَ عنه. يصفعني على يدي.

- «لا تلمسني!». ينفجرُ في وجهي.

(*) مخلوق من الأساطير الإغريقية نصفه رجل ونصفه الآخر ثور. (م).

(**) حسب الأساطير الاسكندنافية، هي واحدة من العذارى المُحاربات، اللواتي يأتين إلى ساحة المعركة ويخترن أرواح الأبطال القتلى الذين سيأخذونهم إلى قاعة فالهالا، حيث يسكن الإله أودن مع الفالكيرات. (م).

- «ماذا قلت؟». أهذِرُ.

ينهضُ بسرعة، وأنفهُ بالكادِ يصلُ إلى ذقني، ويتكلّمُ بصوتٍ خافتٍ؛ بحيثُ لا يسمعهُ أحدٌ غيري: «اسمع أيّها الرجُل الكبير. أنا مِن عشيرة فالي. دمي الصافي يعودُ إلى أيّام الغزو. بوسعي شراؤكَ وبيعكَ بمعاشي الأسبوعي؛ لذا لا تقم بإهانتي في هذه اللعبة الصغيرة مِثلَ الباقين، يا ملك باحة المدرسة». ومِن ثمّ بصوتٍ عالٍ حتّى يسمعَ الآخرون: «أفعلُ ما يحلو لي، لأنّني استوليتُ على هذه القلعة مِن أجلك، ونِمتُ في بطنِ حصانٍ ميّتٍ لكي نتمكّنَ مِن الاستيلاء على مينيرفا. أستحقُّ الحصولَ على بعضِ المُتعة».

أقتربُ مُنحنياً: «ثلاثة بينتات(*)».

أخذ يُقلِّب عينيه: «عن ماذا تثرثر؟».

- هذه هي كميّة الدماء التي سأجعلكَ تبتلعها.

- «حسناً، الأقوى على حق». يضحكُ ضحكةً خافتةً، ويديرُ ظهره لي.

ومِن ثمّ محاولاً كَبحَ غضبي؛ أخبرُ أفرادَ جيشي بأنّهم لن يكونوا عبيداً في هذه اللّعبة مجدّداً، ما داموا يرتدونَ جلد الذئب العائد إليّ. إن لم تعجبهم الفكرة، فبإمكانهم الرحيل. لا أحد يفعلُ ذلك، لكنّ هذا مُتوقّع. إنّهم يريدونَ الفوز، ولكنْ كي ينصاعوا لأوامري ويفهموا أنّني لا أظنُّ نفسي إمبراطوراً عظيماً، على قلوبهم الفخورة أن تشعرَ بقيمتها؛ لذا أتأكّدُ مِن أن يشعروا بذلك. أوجّهُ لكلِّ طالبٍ مديحاً خاصّاً به، مديحاً سيتذكّرونه إلى الأبد.

حتّى وأنا أدمّرُ جمعيّتهم مترئّساً ملياراً مِن الحُمرِ الصارخين، سيخبرون أولادهم أنّ دارو مِن مارس قد ربّت على كتفِهم ذاتَ مرّةٍ ومَدحهم.

(*) البينت: وحدة حجم تعادل نصف ليتر تقريباً. (م).

الطلّابُ المهزومون مِن عُصبة سيريس ينظرون إليّ بأفواهٍ مفتوحةٍ، وأنا أحرّرُ عبيدَ جيشي. إنّهم لا يفهمونَ ذلك. قد تعرّفوا إليّ، لكنّهم لا يستوعبون لماذا لا يوجدُ أيّ طالبٍ آخر مِن عُصبة مارس، أو لماذا أنا صاحبُ السُّلطة، أو لماذا أظنُّ أنّهُ مِن المسموحِ تحريرُ العبيد. بينما ما تزال أفواههم مفتوحة، تقومُ موستانغ باستِعبادِهم بوساطة رَمزِ عُصبة مينيرفا، ليصبحوا مُرتبِكين على نحوٍ مضاعف.

– «اظفروا لي بحصن، وستنالونَ حُريّتكم أيضاً». أخبرهم. أجسامُهم مختلفة عنّا؛ أطرى مِن كثرة الخُبزِ وقِلّةِ اللّحم: «لكنْ لا بُدَّ من أنّكم تشتهونَ بعضاً مِن لحمِ الغزلان والحيوانات البريّة. غذاؤكم يخلو مِن البروتين على ما أظنّ». أحضرنا الكثير لنتقاسم.

نحرّرُ بِضعَةَ عبيدٍ أسِروا مِن قِبَلِ عُصبة سيريس قَبلَ بضعة أشهر. إنّهم قليلون، لكنّ مُعظَمهم مِن عُصبتَيْ: مارس، أو جونو. لقد وجدوا هذا التحالف الجديد غريباً، لكنّه أقلُّ غَضاضةً بعدَ قضاء أشهُرٍ مِن الكدح في الأفران.

لا تنتهي هذه اللّيلة بسلام؛ يجري إيقاظي بعدَ ساعةٍ مِن النوم. موستانغ تجلسُ على طرفِ سريري، وأنا أفتحُ عيوني. عندما أراها، أشعرُ بسَيلٍ مِن الرُّعب يجتاحني، معتقداً أنّها قد أتت مِن أجلِ شيءٍ آخر، وأنّ يدها على ساقي تعني شيئاً بسيطاً، شيئاً بشريّاً. عوضاً عن ذلك، تجلبُ لي خبراً تَمنّيتُ مِن قَبلُ ألّا أسمعهُ مُجدّداً.

تاكتوس انتهكَ سُلطتي، وحاولَ اغتصابَ عبدةٍ مِن سيريس خلال اللّيل. ميليا أمسكَت به، وموستانغ بالكادِ تمكّنَت مِن مَنعِها مِن تقطيع تاكتوس بألفِ طريقةٍ مختلفة. الكلُّ مُستنفِرٌ.

- «الأمر سيّئ». تقول موستانغ: «طلّابُ ديانا في عِنادهم يحاولون استعادتهُ مِن ميليا وباكس».

- أهُم مجانين حقّاً لدرجة قِتال باكس؟

- نعم.

- سأرتدي ملابسي.

- أرجوك.

ألتقي بها في غرفةِ حرب سيريس بعد دقيقتين. الطاولة مَنقوشٌ عليها نصلي المِنجَليّ. لم أفعل ذلك، فهو عَملٌ أشد إتقاناً ممّا كنتُ لأفعل.

- «أيّة أفكار؟». أجلسُ على الكرسيّ المُقابِل لموستانغ. إنّنا مَجلِسٌ مُكوّنٌ مِن اثنين. أوقاتٌ كهذه تجعلني أفتقدُ كاسيوس، وروكي، وكوين، والبقيّة، خاصّةً سيفرو.

- «عندما قام تيتوس بفعلِ ذلك، قلتَ بأنّنا نَضعُ قوانيننا، إن كنتُ أذكرُ الأمر جيّداً. لقد حكمتَ عليه بالإعدام. إذنْ، هل ما زلنا نفعلُ ذلك؟ أم سنقومُ بشيءٍ أكثرَ مُلاءمة؟». إنّها تسألني كما لو أنّها تظنُّ بأنّني سأدعُ تاكتوس ينجو بفِعلَته.

أومئ برأسي، مُفاجئاً إيّاها: «سيدفعُ الثمن». أقول.

- «هذا... يثير حنقي وحسب». تُنزِل قدميها عن الطاولة، وتنحني إلى الأمام لتهزَّ رأسها: «يفترضُ أن نكونَ أفضل مِن ذلك. هذا كلّ ما على الفريدين أن يكونوه، مُتعالين عن الرغبات التي...». ترسمُ علاماتِ اقتباسٍ ساخرةٍ في الهواء: «...تَجعلُهم يَستعبِدون بني الألوان الأضعف».

- «هذا لا يعبّر عن الرغبات». أطرقُ الطاولة بإحباط: «بل عن السُّلطة».

- «تاكتوس مِن عائلة فالي!». تصيحُ موستانغ مندهشة: «عائلته عريقة. كم مقدار السُّلطة التي يريدها هذا الوغدُ الأحمق؟».

- سُلطة عليّ، أقصد. أخبرتهُ بأنّهُ لا يستطيعُ فعل شيءٍ ما. الآن يحاولُ إثباتَ أنّ بوسعهِ فِعلُ ما يحلو له.

- إذنْ، هو ليسَ هَمجياً آخر مِثل تيتوس.

- لقد قابلته. بالطبعِ إنّهُ هَمجيّ. لكنْ لا. هذا يمتلك تكتيكاً.

- حسناً، الحُثالة المُتذاكي وَضعكَ في موقفٍ صعب.

أضربُ الطاولة: «لا أحبّ هذا. أحدٌ آخر يختارُ المعاركَ، أو أرضَ المعركة. هكذا سنخسر».

- في الواقع، لا يوجدُ سبيلٌ للفوز. لا يمكننا الخروجُ مِن ذلك متفوّقين. أحدٌ ما سيكرهكَ في كلا الحالتين؛ لذا علينا فقط أن نكتشفَ أيّها الأقلُّ ضرراً. أهذا جيّد؟

- «ماذا عن العدالة؟». أسأل.

يرتفعُ حاجباها إلى الأعلى: «ماذا عن الفوز؟ أليس هذا هو المهم؟».

- أتحاولينَ الإيقاعَ بي؟

تتجهّم: «أختبركَ فقط».

أعبسُ: «تاكتوس قتلَ تمارا، عريفته: قطعَ سرجها، ومِن ثمّ داسها. إنّهُ وَغدٌ شرّير. إنّهُ يستحقُّ أيّ عِقابٍ نُنزِلهُ بِه».

موستانغ ترفعُ حاجبيها، كأنّ كلَّ هذا كان متوقّعاً: «إنّهُ يأخذُ كلَّ ما يحلو له».

- «كم هذا جديرٌ بالإعجاب!». أدمدم.

تميلُ برأسها نحوي، عيونها المُفعَمة بالحياة باتت فوق وجهي: «نادر».

- ماذا يعني هذا؟

- كنتُ مخطئة بشأنك. هذا نادر.

- «هل أنا مخطئ بشأن تاكتوس؟». أسألُ: «هل هو وغدٌ شرّيرٌ حقّاً؟ أم مُتقدِّمٌ علينا فقط؟ أم يفهمُ اللّعبة على نحوٍ أفضلَ منّا فقط؟».

- لا أحد يفهمُ اللّعبة.

تضعُ موستانغ حذاءها المُلطَّخ بالوحل على الطاولة مرّةً أُخرى، وتتّكئ إلى الخلف. شعرها الذهبيّ ينسابُ على كتفيها بضفيرةٍ طويلة. النار تفرقعُ في المدفأة، عيونها تتراقصُ على وجهي. لا أفتقدُ أصدقائي القدامى عندما تبتسمُ هكذا. أطلبُ إليها أن تُوضِح.

- لا أحد يفهمُ اللّعبة؛ لأنّه لا أحد يعرفُ القواعد. لا أحد يتّبِع مجموعة القواعد نفسها. إنّها كالحياة. بعضُهم يظنّ أنّ الشرفَ عام. بعضُهم يظنُّ أنّ القانونَ مُلزِم. آخرون يحسنون صنعاً، لكنْ في النهاية، أليسَ كلُّ الذينَ يأخذونَ السيفَ بالسيفِ يَهلكون؟

أهزُّ كتفي: «ربّما في الحكايات؛ أمّا في الحياة، فغالباً لا يتبقّى أحدٌ لكي يَهلكَ بسيفه».

- عبيد عُصبة سيريس يتوقّعونَ العينَ بالعين. عاقِب تاكتوس، ستُغضِب أبناء ديانا. لقد استولوا على الحصن مِن أجلك. أنتَ تبصقُ عليهم مُقابِل ذلك. تذكّر، بالنسبةِ إليهم تاكتوس اختبأ في بطن حصانٍ لنصفِ يومٍ مِن أجلكَ عندما استوليتَ على قلعتي. الاستياءُ سيزداد مِثل بيروقراطيّة النُحاسِيّين، لكنْ إن لم تُعاقِبه، ستخسرُ كلّ سيريس.

- «لا يمكنني فعلُ ذلك». أتنهّد: «لقد أخفقتُ في هذا الاختبار مِن قبل. حَكمتُ على تيتوس بالموت ظنّاً منّي بأنّني أقيمُ العدالة. كنتُ مُخطِئاً».

- تاكتوس ذهبيٌّ فولاذيّ. دماؤهُ قديمةٌ قِدمَ الجمعيّة. إنّهم ينظرون إلى التعاطف، إلى الإصلاح، كمرض. إنّهُ مِثلُ عائلته: لن يتغيّر. لن يتعلّم. إنّه يؤمنُ بالسُّلطة. بنو الألوانِ الأُخرى ليسوا أناساً بالنسبة إليه. الأقلُّ ذهبيّةً ليسوا أناساً بالنسبة إليه. قدرهُ مَحتوم.

على الرغم مِن ذلك، أنا أحمرُ يتصرّفُ كذهبيّ. ليسَ لأحدٍ قَدرٌ مَحتوم. أعلم أنّني قادرٌ على تغييره، لكنْ كيف؟

- «ما الذي عليّ فِعلُه باعتقادكِ؟». أسأل.

- «ايه! الحصَّاد العظيم». تضربُ فخذها: «منذُ متى وأنتَ تكترثُ لما يعتقدهُ أيّ أحد؟».

- أنتِ لستِ أيّ أحد.

تومئ برأسها، وبعدَ بُرهة تتكلّم: «ذات مرّة أخبرني بليني قصّة: إنّه مُعلّمي، شخصٌ مريعٌ حقّاً، وسياسيٌّ الآن؛ لذا عليك أخذ كلّ هذا بتحفّظ. على كلّ حال: على كوكب الأرض، كان هنالكَ رجُلٌ مع جَمَلِه». أضحك. تُتابع: «كانا يُسافِران عبر تلك الصحراء الهائلة الزاخرة بكلّ أنواع الشرور. يوماً ما، بينما كانَ الرجُلُ يقيمُ مُخيّماً، يركلهُ الجملُ بلا سبب؛ لذا قامَ الرجُلُ بجلدِ الجَمَلِ. جِراحُ الجَمَلِ التهبت، فماتَ وتركَ الرجُلَ عاجزاً بلا حيلة».

- تارةً أيدٍ، وتارةً جِمَال. يا لاستِعاراتِكِ...!

تهزُّ رأسها: «مِن دونِ جيشكَ، أنتَ رجُلٌ عاجزٌ في الصحراء؛ لذا احذر أينَ تخطو يا حصَّاد».

أتكلّمُ مع نايلا: إحدى فتياتِ عُصبة سيريس، على انفراد. فتاةٌ هادئةٌ،

وحادّة الذكاء، لكنّ بُنيَتها ليست قويّة بأيّ شكلٍ مِن الأشكال. إنّها مِثلُ طائرٍ مُغرِّدٍ يختلج، مِثلُ ليا. شفتها مُدمَّاةٌ ومتورّمة. يجعلني ذلك أرغبُ بإخصاء تاكتوس. إنّها لم تأت إلى هنا فاسقةً كالآخرين، لكنْ مِن ناحيةٍ أُخرى: لقد اجتازَت مَرحلةَ العُبور.

- أَخبرَني بأنّهُ يريدُ منّي أن أدلّكَ كتفيه. وأَخبرَني بأن أفعل ما يقول؛ لأنّهُ سيّدي، ولأنّهُ بَذلَ الدماء للاستيلاء على القلعة، ثمّ حاولَ... حسناً... أنتَ تعرف.

مئاتُ الأجيالِ مِن الرجالِ يستخدمونَ هذا المنطقَ غيرَ البشريّ. الحزنُ الذي خَلَّفتهُ كلماتها في نفسي، يجعلني أفتقدُ الديار. لكنْ هذا يحدث هنالكَ أيضاً. أتذكّرُ الصرخات التي جَعلَت مِغرَفة الحَساءِ تَرتعِش في يدَي أمّي. أتذكّرُ كيفَ حصلَت ابنة عمّي على المضادّاتِ الحيويّة مِن عشيرة غاما.

تَطرِفُ نايلا، وتحدّق بعيونها إلى الأرض للحظات.

- أخبرتهُ أنّني عبدةٌ لموستانغ. عُصبة مينيرفا. إنّها رايتها، وليسَ عليّ أن أُطيعَه، لكنّهُ استمرَ بدفعي إلى الأسفل. صرختُ لكنّه لكمني، ثمّ أمسكَ بحلقي إلى أن بدأ كلُّ شيءٍ يخبو مِن حولي، وبالكادِ بِتُّ أشمُّ رائحة عباءة الذئب التي أرتديها، ومِن ثمّ قامت تلكَ الفتاة الطويلة، ميليا، بطرحه أرضاً على ما أعتقد.

لم تذكر أنّه كان هنالك جنودٌ آخرون مِن عُصبة ديانا في الغرفة. آخرون كانوا يراقبون. جيشي. مَنحتُهم السُّلطة وهكذا يستخدمونها. إنّه خطئي. إنّهم لي، لكنّهم فاسدون. هذا لن يُصلَح بمعاقبة واحدٍ منهم. يجب أن يرغبوا بأن يكونوا أخياراً.

- «ماذا تريدين أن أفعل به؟». أسألها. لا أقتربُ منها كي أواسيها. إنّها ليسَت بحاجةٍ إلى ذلك، حتّى مع اعتقادي بأنّني أنا مَن يحتاجُ إلى ذلك. إنّها تُذكِّرني بإيفي أيضاً.

تلمسُ نايلا ضفائرها المُتّسِخة، وتهزُّ برأسها.

- لا شيء.

- لا شيء! هذا غير كافٍ.

- «ليُصلِحَ ما حاول أن يفعلهُ بي؟ لجَعلِهِ صحيحاً؟». تهزُّ رأسها، ويداها مثبّتتان بجانبها: «لا شيء يكفي».

في صباحِ اليوم التالي، أجمعُ جيشي في ساحة سيريس. العشراتُ منهم يَعرجون؛ القليل فقط مِن عظام ذوي البريق الذهبيّ يمكنُ أن تُكسرَ حقّاً؛ وذلك بسببِ قوَّتها، لذا فمُعظمُ الإصابات التي تعرّضوا لها لدى الهجوم كانت سطحيّة. أشعرُ بالاستياء الصادر عن طلّابِ سيريس نحو طلّابِ ديانا. إنّهُ سرطانٌ ينهشُ في جسم هذا الجيش، لا يهمّ على مَن يُركِّز. باكس يُحضِر تاكتوس إلى الخارج، ويدفعهُ ليركعَ على ركبتيه.

أسألهُ إن حاولَ اغتصابَ نايلا.

- «القوانينُ تَصمتُ في زمنِ الحربِ». يَتشدّق تاكتوس.

- «لا تقتبِس لي كلام شيشرون». أقول: «لأنّكَ تُحاكَم وِفقَ معايير أعلى مِن سينتوريون يَنهَب».

-قد أصبتَ بهذا على الأقلّ. أنا مَخلوقٌ مُتفوِّقٌ، أنحدرُ مِن نَسلٍ فَخورٍ، وإرثٍ مَجيد. الحقُّ مع الأقوى يا دارو. إن كان بوسعي أن آخذ، فهو مَسموحٌ لي أن آخذ، وإن أخذت، فأنا أستحقُّ ذلك؛ هذا ما يؤمنُ به الفريدون.

- «يُقدَّرُ المرء بما يفعلهُ عندما تكون بيدِهِ السُّلطة». أقولُ بصوتٍ عالٍ.

- «دعكَ مِن ذلك أيّها الحصّاد». يردُّ تاكتوس، وهو واثقٌ مِن نفسه مثل كلّ أقرانه: «إنّها غنيمة حرب. سُلطتي هي التي أخذتها، وأمامَ القويّ ينحني الضعيف».

- «أنا أقوى منكَ يا تاكتوس». أقول: «لذا بوسعي أن أفعلَ بِك ما يحلو لي. أم لا؟».

يصمتُ مُدركاً بأنّهُ وقعَ في الفخ.

- أنتَ مِن عائلة أفضلُ مِن عائلتي، يا تاكتوس؛ والداي ميّتان، وأنا الفردُ الوحيدُ المُتبقّي مِن عائلتي، لكنّني مَخلوقٌ مُتفوّقٌ عليك.

يبتسمُ بتصنُّع عِندَ سماعه ذلك.

- «ألا توافقُ على ذلك؟». أرمي له بسكّين عند قدميه، وأستلُّ سكّيني: «أتوسّلُ إليكَ أن تُعبِّر عن مَخاوفِك». لا يلتقط نَصله: «لذا، بحقِ السُّلطةِ التي لديّ، يُمكنني أن أفعلَ بِك ما يحلو لي».

أعلنُ أنّ الاغتصابَ لن يكونَ مَسموحاً أبداً، ومِن ثمّ أطلبُ إلى نايلا أن تختارَ العقابَ الذي تُريد. كما أخبرَتني مِن قَبل، تقول بأنّها لا تريدُ أيّ عِقاب. أحرِصُ على أن يعلموا ذلك، حتّى لا تكون هنالك اتّهاماتٌ مُضادّةٌ ضِدَّها. تاكتوس ومؤيّدوه المُسلَّحون يُحدِّقون فيها مُتفاجئين؛ إنّهم لا يفهمونَ لماذا لا تُريدُ الانتقام، لكنّ ذلك لا يمنعهم مِن الابتسام كالذئابِ لبعضهم، مُعتقدينَ أنّ زَعيمَهم قد أفلتَ مِن العِقاب. بعد هذا أتكلّم.

- لكنّني أقولُ بأنّكَ ستنالُ عشرينَ جلدةً مِن سوطٍ جِلدِيٍّ يا تاكتوس. لقد حاولتَ أخذَ شيءٍ خارِجَ حُدودِ اللُّعبة. لقد استسلمتَ لغرائزِكَ الحيوانيّة المثيرةِ للشفقة. هنا هذا أمرٌ لا يُغتفَر أكثر مِن القَتل؛ أتمنّى أن

تَشعُر بالعارِ عندما تَسترجِع هذه اللّحظات بعدَ خمسينَ عاماً مِن الآن، وتُدرِك ضَعفَك. أتمنّى أن تخافَ مِن أن يَعرِف أبناؤكَ وبناتك ماذا فعلتَ لزميلةٍ ذهبيّة. حتّى ذلك الوقت، عشرونَ جَلدةً ستكونُ كافية.

بعضٌ مِن جنودِ ديانا يتقدّمونَ نحو الأمامِ غاضبين، لكنّ باكس يرفعُ فأسه على كتفه ليتراجعوا إلى الخلف مُحدِّقين فيّ. لقد مَنحوني حِصناً، وأنا سأجلدُ مُحارِبهم المُفضَّل. أرى جيشي يموت عندما تقومُ موستانغ بنزعِ قميصِ تاكتوس عنه. إنّه يُحدِّق فيّ كالأفعى. أعرفُ ما الأفكار الشرّيرة التي يُفكِّر بها. فَكَّرتُ بها أيضاً فيما يتعلّق بجلّادي.

أجلده عشرين مرّةً بقسوةٍ، لا شيء يَجعلُني أتراجع. الدِّماءُ تسيلُ على ظهره. باكس يضطرُّ تقريباً إلى صَرعِ أحدِ جنودِ ديانا ليتمكّنَ مِن مَنعِهم مِن الهجومِ لوَقفِ العِقاب.

بالكادِ يتمكّن تاكتوس مِن الوقوفِ مُترنحّاً على قدميه، الحنق يَشتعِل في عينيه.

- «كان هذا خطأ». يهمِسُ لي: «يا لهُ مِن خطأ!».

ثمّ أفاجئه؛ أَدسُّ السوطَ في يدهِ، وأقرِّبهُ منّي بوساطة ضَمِّ يدي خلفَ رأسه.

- «إنّكَ تَستحِق أن تُقطَع خِصيتاكَ، أيّها الوغدُ الأناني». أهمِسُ له: «هذا جيشي». أقولُ بصوتٍ أعلى: «هذا جيشي. سيّئاتهُ هي سيّئاتي، كما هي سيّئاتكم، كما هي سيّئاتُ تاكتوس. في كلّ مرّةٍ يقترفُ فيها أيٌّ مِنكُم جريمةً مِثل هذه، شيئاً بلا مسوّغٍ ومُنحرِفاً، ستحملونَ وِزرها، وسأحملُ وِزرها مَعكُم؛ لأنّهُ عندما تقومونَ بعملٍ شرّيرٍ سيؤذينا جميعاً».

تاكتوس يقفُ هناك كالأحمق. إنّهُ مُرتبِك.

أدفعهُ بِشدَّةٍ مِن صَدره. يَبتعدُ إلى الوراء مُتعثّراً. أتبعهُ، وأنا أدفعه.

- «ما الذي تنوي فِعلَه؟». أدفعُ يدهُ الممسكة بالسوطِ الجِلدِيّ، مُقحِمًا إيّاها في صَدره.

- «لا أعرفُ ماذا تَقصِد...». يدمدمُ، وأنا أدفعُه.

- هيّا، يا رجُل! لقد كنتَ تُريدُ إقحامَ قَضيبِكَ في أحدٍ ما مِن جيشي. لمَ لا تجلدني، وأنتَ تفعلُ ذلك؟ لمَ لا تؤذيني أيضاً؟ سيكونُ ذلكَ أسهَل، حتّى إنّ ميليا لن تُحاوِل طَعنَك. أعِدكُ.

أدفعهُ مُجدّداً. ينظرُ مِن حَولِه. لا أحدَ يتكلّم. أتجرّدُ مِن قميصي، وأركعُ على رُكبتي. الهواءُ بارد. رُكَبي على الحَجَر والثلج. عينايَ معلّقتانِ بعينَي موستانغ. تَغمزني، فأشعرُ كأنّني قادِرٌ على فِعلِ أيّ شيء. آمرُ تاكتوس أن يَجلدَني خمساً وعشرين جلدة. لقد تلقّيتُ ما هو أسوأ مِن هذا. ذِراعاهُ ضَعيفتان، وكذلكَ إرادتهُ لِفعلِ ذلك. إنّها تَلسَع، لكنّني نهضتُ بعدَ خمسِ جَلداتٍ، وأعطيتُ السُوطَ لباكس.

إنّهم يتابعونَ مِن العدّة السادسة.

- «أعيدوا مِن البداية!». أصيح: «وغدٌ مُغتصِبٌ صغيرٌ لا يستطيعُ التلويحَ بقوّةٍ تكفي لإيذائي».

لكنّ باكس اللّعين يستطيع.

جيشي يَصرُخ اعتراضاً. إنّهم لا يفهمون. الذهبيّون لا يفعلونَ هذا. الذهبيّون لا يُضحُّون مِن أجلِ بعضهم. القادةُ يأخذون ولا يَمنحون. جيشي يَصرخُ مُجدّداً. أسألهم: كيف يكون هذا أسوأ مِن الاغتصاب الذي كان الجميعُ مُتهاوِناً مَعه؟ أليستَ نايلا واحدةً منّا الآن؟ أليستَ جزءاً مِن الجسد؟

مثلما هُم الحُمر. مثلما هُم السجيّون. مثلما هي كلُّ الألوان.

يُحاوِل باكس ألّا يكونَ قاسياً، لكنّهُ باكس؛ لذا عندما يَفرغُ مِن الأمر يبدو ظهري كلحم ماعز مَمضوغ. أنهضُ. أفعلُ كلَّ ما بوسعي لأمنعَ نفسي مِن التَرنّح. إنّني أرى نجوماً. أريدُ أن أنتحِب. أريدُ البُكاء. عوضاً عن ذلك، أُخبِرهم أنّ أيّ أحدٍ يقومُ بأيّة سفالةٍ -وهُم يعرفونَ ما أقصد- سيتوجّبُ عليه أن يَجلدَني على نَحوٍ مُماثِلٍ أمامَ الجيشِ بأكمله. أشاهدُ كيفَ ينظرونَ إلى تاكتوس الآن، كيفَ ينظرونَ إلى باكس، كيفَ ينظرونَ إلى ظهري.

- أنتم لا تتبعونني لأنّني الأقوى، فباكس أقوى. أنتم لا تتبعونني لأنّني الأذكى، فموستانغ أذكى. أنتم تتبعونني؛ لأنّكم لا تعرفونَ أين أنتم ذاهبون، لكنْ أنا أعرف.

أشيرُ إلى تاكتوس كي يَقتربَ منّي. إنّه مُترَدِّدٌ، وشاحبٌ، ومُرتبِكٌ كَحمَلٍ حَديثِ الولادة. الخوفُ يغلبُ على وجهه. الخوفُ مِن المَجهول. الخوفُ مِن الألم الذي تَحمَّلته واجتزته بإرادتي. الخوف عندما يُدرِك كم هو مُختلِفٌ عنّي.

- «لا تخف». أقول له. أسحبهُ نحوي لأعانقه: «نحن إخوةٌ بالدم، أيّها الحقيرُ الصغير. إخوةٌ بالدم».

أنا أتعلَّم.

37

الجنوب

- «تبّاً!». أصرخُ، بينما تقومُ موستانغ في غرفة الحرب بدَهنِ ظهري بمَرهَم. تَصفعُني على ظهري بإصبعها: «لماذا؟». أتأوّه.

- «يُقدَّرُ المرء بما يفعلهُ عندما تكون بيدِهِ السُّلطة». تَضحَك: «إنّكَ تسخرُ مِنه بسبب شيشرون، ثمّ تَتكلّم كأفلاطون».

- أفلاطون أكبرُ سنّاً. إنّه يتفوّقُ على شيشرون. آه!

- وماذا كنتَ تعني بإخوة الدم؟ إنّها لا تعني أيّ شيءٍ على الإطلاق. يمكنكَ أن تقولَ أيضاً بأنّكم أبناء عمومة بكوزِ الصَّنوبَر.

- لا شيء يبني الروابطَ مِثلُ تَشاركِ الألم.

- «حسناً، إليكَ المزيدَ مِنهُ إذنْ». تَسحبُ بعضَ الجلد مِن الجُرح، فأصرخ.

- «تَشاركُ الألم...». أنتفض: «وليسَ المُفتَعل. مِن مُختلّة عقليّة... آه!».

- إنّكَ تتأوّهُ كفتاة. ظننتُ أنّ الشهداء أكثر صلابةً، لكنْ مِن ناحيةٍ أُخرى: كانَ مِن المُمكِن أن تَفقد عقلك. قد يكون ذلكَ بسبب الحُمّى

عندما طُعِنت. بالمناسبة، لقد أَصبتَ باكس بصدمة. إنّه يبكي. أحسنتَ صنعاً.

في الواقع، أسمعُ باكس، وهو يشهق مِن مُستودعِ الأسلحة.

- لكنّه فَعلَ فِعله، أليسَ كذلك؟

- «بالطبع أيّها المسيحُ المُخلِّص. لقد جعلتَ نفسكَ معبوداً». تسخرُ ببرود: «إنّهم يبنونَ الأصنامَ لك في الساحة. يركعون مبتهلين ويتضرَّعون لحكمتك. أوه أيّها الإلهُ القدير! سأضحكُ عندما سيكتشفونَ أنّهم لا يحبّونكَ، ويُمكنهم جَلدُكَ في كلِّ مرّةٍ يقومونَ فيها بفعل شيءٍ سيّئ. الآن، لا تتحرّكْ أيّها القِردُ الماجن، وتوقّف عن الكلام؛ إنّكَ تُزعِجني!».

- أتعلمين؟ عندما نتخرّج ربّما عليكِ التفكيرُ في التَحوُّلِ إلى وَرديّة؛ لمساتُكِ ناعمةٌ ولطيفةٌ للغاية.

تبتسمُ بتصنُّع: «أتريدُ إرسالي إلى حديقة الورود؟ههه! هذا سيجعل أبي يَتورَّدُ مِن الفرح. أوه! تَوقَّف عن الأنين. هذا التلاعبُ بالكلمات لم يكن بالمزحة السيّئة».

في اليوم التالي، أقومُ بتنظيم جيشي. أوكِلُ إلى موستانغ مهمّةَ اختيار ستّ فِرقٍ، تتكوّن كلٌّ مِنها مِن ثلاثة مُستطلِعين. لديّ ستّةٌ وخمسون جنديّاً. أكثر مِن نصفهم عبيد. أجعلُها تَضعُ واحداً مِن عُصبة سيريس في كلِّ مجموعة، الأكثر طُموحاً. يحصلون على ستّة أجهزة اتّصالٍ مِن أصلِ ثمانيةٍ وَجدتُها في غُرفةِ حرب سيريس. إنّها أشياء بدائيّة، بسمَّاعاتِ أُذنٍ مُفرقِعة، لكنّها تمنحُ جيشي شيئاً لم أملكهُ مِن قبلُ قطّ، شيئاً أكثر تطوّراً مِن إشارات الدخان.

- «إذنْ، أفترضُ أنّ لديكَ خُطَّة أكثر مِن مُجرَّد الذهابِ جنوباً مثل قبيلة مغوليّة...». تقول موستانغ.

- «طبعاً. سنذهبُ للعثور على عُصبة أبولو». ملتزماً بوعدي لفيتشنير.

المُستَطلعونَ مِن عُصبة سيريس ينطلقون تلكَ اللّيلة، مُنتشرين جنوباً في ستّة اتّجاهات. جيشي يتبعهمُ عِندَ الفجر، قبلَ بُزوغِ شمسِ الشتاء. لن أضيّع هذه الفرصة. الشتاءُ أجبرَ العُصب على اللّجوء إلى الحصون. الثلوجُ العميقة، والأفاجيجُ المَخفيّة، تَجعلُ مِن الفرسان الثقيلين البطيئين أقلَّ جدوى. اللّعبةُ باتت أبطأ؛ أمّا أنا، فلا. لا أكترثُ لقتال عُصبتَيْ: مارس، وجوبيتر فيما بينهما. سأعود للنيلِ مِنهما لاحقاً.

عندما يخيِّم اللّيلُ في اليوم الثاني مِن تحرُّكنا جنوباً، نرى حصن عُصبة جونو، وقد استوليَ عليهِ مِن قِبَل عُصبة جوبيتر. إنّهُ يَقعُ إلى الغربِ مِن رافدِ أرغوس. الجبال تحيط به. وخلفها توجد جدران وادي مارينير المتجمّدة، التي ترتفعُ إلى علوِّ ستّة كيلومترات. مُستطلِعيَّ يزوّدونني بأخبارٍ عن ثلاثة فرسانٍ مُستطلِعين للعدوّ يوجدون على أطراف الغابة الواقعة شرقاً. يعتقدون أنّهم مِن عُصبة بلوتو، رجال الشغبر. الأحصنةُ سوداء، وشعرُ فرسانها مَصبوغ باللّون نفسه. إنّهم يضعون عظاماً في شعرهم. أسمعُ خشخشتها، وهُم يركبون أحصنتهم، مثل دقّات الخيزران المتمايل مع الريح.

أيّاً كان أولئك الفُرسان، فهُم لا يقتربون أبداً. لا يقعون في فِخاخي أبداً. يُقال: إنّ فتاةً تقودهم. إنّها تمتطي حصاناً فضيّاً ملفوفاً برداءٍ جِلديٍّ مدروزٍ بعظامٍ شاحبة. مِن الواضح أنّ الروبوتات الطبيّة ليسَت بارعةً كفايةً في الجنوب. أعتقد أنّها ليلاث. تختفي مع مُستطلِعيها في الجنوب لدى

ظهور فِرقةٍ أكبر مِن المحاربين آتية مِن الجنوب الشرقيّ، وتسيرُ بمحاذاة الغابة الكبرى.

إنّها الآن جيوشٌ حقيقيّةٌ مِن الأحصنة ثقيلة التدريع.

يتقدّم فارسٌ واحدٌ إلى الأمام مِن فِرقة المحاربين الأكبر، يحمل راية الرامي المثلّثة لأبولو. شعره طويلٌ، وغير مَضفور، ووجهه خشنٌ من جَرّاءَ رياح الشتاء التي تهبُّ مِن البحر الجنوبيّ، ومع جُرحٍ قاطعٍ على جبينه كادَ أن يُكلِّفه كلِتا عينيه. عيناه اللّتان تُحدِّقان فيّ الآن، مِثل جمرتين مُتّقدتين مزروعتين في وَجهٍ مِن البرونز المَطروق.

أتقدّمُ إلى الأمام لمُقابلتِه بعدَ أن أمرتُ جيشي بأن يبدو بمَظهرٍ مُزرٍ وبائسٍ قدرَ الإمكان. باكس يجدُ صعوبةً في تدبّر ذلك. موستانغ تجعلهُ يركع على ركبتيه؛ لكي يكون مظهره طبيعيّاً نوعاً ما. إنّها تقف على كتفيه مِن أجل القيام بعرضٍ هزليّ، ومع اقتراب رَسولِهم تُفجّر معركةً بكُرات الثلج. إنّه عملٌ صاخبٌ وأحمق، ويجعلُ جيشي يبدو ضعيفاً وهشّاً على نحوٍ رائع!

أتظاهرُ بأنّني أعرج. أرمي بعيداً عباءة الذئب التي أرتديها. أتظاهرُ بأنّني أرجف. وأحرصُ على أن يبدو سيفي المُزري مِن الفولاذ المُقوّى كأنّهُ قطعة صَفيحٍ أكثر مِنه سلاحاً. أحني جسمي الطويل في أثناء تَقدُّمه، وألقي نظرةً إلى الخلف على جيشي الذي يَلهو. مَنظري المُحرِج تكادُ تُفسده ضحكة، لكنّني أكتمها.

صوتهُ أشبه بالفولاذ الذي يُجرُّ على حَجرٍ خشنٍ، بلا أيّ حِسٍّ فُكاهيٍّ، ومِن دون أيّ اعتبارٍ لكوننا جميعاً مُراهقين نَلعبُ لعبةً، وأنّ العالمَ الحقيقيّ لا يزال يسري خارجَ الوادي. في الجنوب، تحدثُ الأمور كي يجعلوهم

ينسون؛ لذا عندما بادرتهُ بابتسامةٍ خجولة، لم يردّ بأيّ شيء. إنّهُ رجُلٌ، وليس بصبيّ. أعتقدُ أنّها المرّة الأولى التي رأيتُ فيها أحداً قد تَحوَّل بالكامل.

- «وأنتم مُجرَّد بقايا رثّة مُهترِئة مِن الشمال». يقول نوفاس، عريف أبولو، مُستهزئاً، ومحاولاً تخمينَ العُصبة التي ننتمي إليها. أحرصُ على أن تكون رايةُ سيريس هي التي يراها. عيناه تلمعان. إنّه يريدها مِن أجل مَجدِه الشخصيّ، كما أنّه يلْحظُ بسعادة أيضاً أنّ أكثر مِن نصف جيشي البالغ ستّة وخمسين هُم مِن العبيد: «لن تصمدوا كثيراً في الجنوب. ربّما ستحبّون الحصولَ على ملجأ مِن البرد؟ وطعامٍ دافئٍ وفراش؟ فالجنوب قاسٍ».

- «لن أراهنَ بأنّهُ أسوأ مِن الشمال يا رجُل». أقول: «لديهم شفراتٌ ودِرعٌ نبضيٌّ هناك. المُشرِفون حجبوا نِعمَهم عنّا».

- «إنّهم ليسوا هناك لينعموا عليكم، أيّها الضعيف». يقول: «إنّهم يساعدون أولئكَ الذين يساعدون أنفُسهم».

- «لقد ساعدنا أنفُسنا بقَدرِ ما في وِسعنا». أقول بوداعة.

يبصقُ على الأرض: «يا لكَ مِن ولدٍ صغير! كُفَّ عن النحيب هنا. الجنوبُ لا يصغي إلى الدموع».

- «ولكنْ... لا يمكن أن يكون الجنوب أسوأ مِن الشمال». أخذتُ أرتجف، وأخبره عن الحصّاد مِن المُرتفعات. إنّه وحشٌ بهيميٌّ دمويٌّ شرّير. كائنٌ مجبولٌ على الشرّ.

يومئ برأسه لدى تَحدُّثي عن الحصّاد؛ إذنْ، لقد سَمِع بي.

- حصّادكم هذا ميّت. يا للعار! كنتُ أودُّ أن أختبرَ نفسي بمواجهته.

- «لقد كان شيطاناً!». أعترض.

- «لدينا شياطينُنا الخاصّة هنا أيضاً: وَحشٌ بعينٍ واحدةٍ في الغابة، ووحشٌ أفظع في الجبال إلى الغرب: الشغبر». يزدادُ ثقةً باعترافه، بينما يَستمرُّ برفعِ صوته. سيُسمَح لي بالانضمام إلى أبولو كمُرتزِقٍ، وليسَ كعبدٍ، ليسَ كعبدٍ أبداً. سيساعدُني على هزيمة الشغبر، ثمّ استعادة الشمال. سنكونُ حليفَين. إنّهُ يعتقدُ أنّني ضعيفٌ وغبيّ.

أنظرُ إلى خاتمي. مُشرِف أبولو سيعرفُ ماذا سأقولُ هنا. أريدهُ أن يعرفَ أنّني سأقومُ بتدمير عُصبته إن أرادَ مُحاولة مَنعي، فهذه هي الدعوة إلى ذلك.

- «كلّا!». أقول لنوفاس: «عائلتي ستنبذني. سأكونُ لا شيء إن انضممتُ إليك. كلّا، أنا آسف!». أبتسمُ في سرّي: «لدينا ما يكفي مِن الطعام لنعبرَ أراضيكم. إن تركتمونا نَعبُر، لن نَخرق أيّ...»

يَصفعُني على وجهي.

- «إنّكَ قِردٌ ماجن!». يقول: «كزَّ على شَفتِكَ المُرتعِشة. إنّكَ تَجلُب العار لبني لَونِك». يقتربُ منّي مُنحنياً مِن فوق قَربوسِ سرجه: «لقد عَلقتَ بينَ عملاقين، وستُسْحَق. لكنْ كُن رجُلاً قبل أن نأتي للنَيلِ مِنك؛ أنا لا أقاتِل الأطفال».

عندها ترمي موستانغ بكُرة ثلجٍ على رأسه؛ طبعاً، رميتها صائبة، وضحكتها عالية.

نوفاس لا يبدي أيّ ردّ فعل. كلُّ حركاته تتوجّه فقط إلى حصانه مِن تَحتِه ليستدير به عائداً إلى فِرقة مُحاربيه الجوّالة. أشاهدُ الرجُلَ، وهو يَبتعِد، وأشعرُ بالقلقِ يتسرّبُ إليّ.

- «عُد إلى بيتكَ أيّها الرامي الصغير». ينادي تاكتوس: «عُد إلى أمّك».

ينضمُّ نوفاس إلى فرسانه الثلاثين ثقيلي التدريع؛ أمّا نحن، ففرساننا الوحيدون هُم مُستطلِعونا. لا يمكنهم الصمودُ في وجه النِصال والرماح الأيونيّة عندما تُستَخدم بكامل قوّتها، حتّى مع وجود خنادق الثلج العميقة التي ستربك الأحصنة ثقيلة التدريع. تبقى أسلحتنا مُجرَّد فولاذٍ مقوّى، ودروعنا ليسَت أفضل مِن مُجرَّد صَفيحٍ مُقوّى، أو جِلدِ ذئب. حتّى إنّني لا أرتدي دِرعاً؛ لذا سيمرُّ وقتٌ قبل أن أُخطِّط لخوض معركةٍ سأحتاج فيها إليه. لم نَحصل على أيّة مُكافأةٍ بعد الاستيلاء على حصن عُصبة سيريس ورايتهم. المُشرِفون تخلّوا عنّي، لكنّ الطقسَ لم يفعل. عادةً، يتهاوى المشاة كالقمح اليابس أمام الفرسان، لكنّ الثلج وعُمقه الغدّار يحمينا.

نُعسكِر على الضفّة الغربيّة مِن النهر في تلك اللّيلة، أقرب إلى الجبال، بعيداً عن السهول المفتوحة مقابل الغابة الكبرى المظلمة. على فرسان أبولو ثقيلي التدريع أن يعبروا الآن النهر المُتجمِّد في الظلام، إن كانوا يريدون الإغارة على مُعسكرِنا، ونحن نيام. أعلم أنّهم سيحاولون عندما سيظنّون أنّنا ضِعافٌ، ونَضُجَ وقتنا ليستولوا علينا. سيخفقون إخفاقاً ذريعاً. إنّهم مغرورون. ومع حلول الغسق، أجعلُ باكس ورجاله الأقوياء يأخذون فؤوسهم ليُقلِّلوا مِن ثِخن جليد النهر الذي يَحدُّ مُعسكرَنا. فنسمعُ ليلاً صُراخَ الأحصنة، وصَوتَ غَطسِ الأجساد. الروبوتات الطبيّة تَهبط إلى الأسفل، وهي تَطنُّ لإنقاذ حياتهم. هؤلاء الفتيان والفيتات باتوا خارج اللّعبة.

نتابعُ المَسير جنوباً متّجهين حيث يَعتقِدُ مُستطلعِيَّ أنّه مَوقعُ قلعة أبولو. في اللّيل نأكل جيّداً. الحساءُ مُكوّنٌ مِن لحم الحيوانات وعظامها، التي جلبها المُستطلِعون معهم لدى عودتهم. الخبزُ يُحفَظ في حقائب مؤقّتة.

الطعام هو الذي يُبقي جيشي راضياً. فكما قال كورسيكيٌّ عظيمٌ يوماً ما: «الجيوش تزحف على بطونها». مِن ناحيةٍ أُخرى: هو نفسهُ لَم يُبلِ بلاءً حسناً في الشتاء.

موستانغ تسيرُ بجانبي، وأنا أقود القافلة. مع أنّها تَلفُّ نَفسَها بعباءة ذئبٍ ثخينةٍ مِثلَ عباءتي، لكنّها بالكاد تصل إلى كتفي. لدى سيرنا في الثلج العميق يكاد يكون مُضحكاً رؤيتها، وهي تحاول مواكبتي، لكنْ إن أبطأتُ مِن سرعتي، فإنّني أحظى بتكشيرةٍ مُتجهّمة. في أثناء سيرها تقفزُ ضفيرتها مرتدّةً عنها. لدى وصولنا إلى أرضٍ أيسَر، تتفحّصني بنظَراتِها. أنفها الجذّاب أحمر مِثلَ حَبّة الكَرزِ في البرد، ولكنّ عينيها بلون العَسلِ اللّاذع.

- «لم تنم جيّداً». تقول.

- ومتى فَعلت؟

- عندما نِمتَ بجانبي. بَكيتَ طِوالَ الأسبوعِ الأوّل مِن وجودِكَ في الغابة. بعدها نِمتَ كطفلٍ صغير.

- «أهذه دعوة مِنكِ كي أعود؟». أسألُ.

- «لم أطلب إليك المغادرة قطّ». تنتظر: «إذنْ، لماذا فعلت؟».

- «أنتِ تُشتّتينَني». أقول.

تَضحكُ بلُطفٍ قبل أن تنسحبَ إلى الخلفِ لتسير إلى جانب باكس. أُتركُ مُرتبِكاً مِن ردّي وكلماتها. لم أفكّر قطّ بأنّها ستكترثُ بأيّ شكلٍ مِن الأشكال لبَقائي، أو رَحيلي. ابتسامة غبيّة تَرتسِمُ على وجهي. يلتقطها تاكتوس.

- «مُتيّمٌ كطائر الحُبّ». يدمدم.

أرمي كمشةً مِن الثلج على رأسه: «إيّاكَ والتّفوّه بأيّة كلمةٍ أُخرى».

- «لكنّي أريدُ كلمةً أخرى، كلمةً جادّة». يقتربُ منّي، ويأخذ نفساً عميقاً: «هل تنال آلامُ ظَهرِكَ مِنكَ كما تَنالُ منّي؟». يضحك.

- هل كنت جادّاً ولو لمرّةٍ واحدةٍ في حياتك؟

عيناه الحادّتان تلمعان: «أوه! لا أنصحكَ برؤيتي جادّاً».

- وما رأيكَ بأن تكونَ مُطيعاً؟

يضمُّ يديه مُصفِّقاً: «حسناً، إنّكَ تعلمُ أنّني لستُ مِن أنصارِ فِكرَة الرسن».

- «هل ترى رَسَناً هنا؟». أسألُ مُشيراً إلى جَبهتِه، حيث كان ممكناً لعلامةِ عُبوديّتهِ أن تكون.

- وبما أنّكَ تعلمُ أنّني لَستُ بحاجةٍ إلى رَسنٍ، سيكونُ مِن الجيِّدِ أن تُخبرني عن وِجهتِنا؛ سأكونُ حينها أكثر... نجاعة.

لا يتحدّاني، بل يَتكلّم بهدوء. بَعدَ الجَلدِ الذي نِلناهُ كلانا، يتشبّثُ بي بوَلاءٍ مُثيرٍ للخَوف. بصرف النظر عن كلِّ الابتسامات، والسخرية، والضحك، أحصلُ على طاعته. وسؤالهُ صَريح.

- «نحن ذاهبون للقضاء على أبولو». أخبره.

- «لكنْ لماذا أبولو؟». يسأل: «هل نحن ببساطة نَتفقّد العُصب على نحوٍ عشوائيٍّ أم عليّ مَعرفةُ شيءٍ ما؟».

النبرة في صوته تجعلني أميلُ رأسي. دائماً يُذكِّرني بنوعٍ مِن أنواعِ القِطط العِملاقة. ربّما يعود ذلك إلى الطريقة غير المُبالية على نحوٍ مُرعِبٍ التي يَثِبُ فيها، كأنّهُ سيقتلُ شيئاً ما مِن دون حتّى أن تتقلّص عضلاته، أو ربّما لأنّني أستطيعُ تَصوّرهُ وهو مُتكوّرٌ على الأريكة، وهو يلعقُ نفسه مُنظِّفاً إيّاها.

- «رأيتُ أشياءَ في الثلج، يا حصّاد». يقول بهدوء: «طَبعَات في الثلج، كي أكونَ أكثر دِقَّة. وهذه الطَبعَات لم تُخلِّفها أقدام».

- مخالب؟ حوافر؟

- «كلّا! أيّها القائد العزيز». يقتربُ منّي: «طَبعَات خَطِّيّة». أفهمُ ما يعنيه: «أحذيةٌ ثقَاليّةٌ تَطيرُ على ارتفاعٍ مُنخفِضٍ جدّاً. هلّا أخبرَتني لماذا يَتبعُنا المُشرِفون؟ ولماذا يَرتدونَ عباءات الشبح؟».

- كلُّ هَمساتِه لا معنى لها بوجودِ خَواتِمنا، ولكنّهُ لا يعلمُ ذلك.

- «لأنّهم يخافونَ مِنّا». أخبره.

- «يخافون مِنكَ، تَقصِد». ينظرُ إليّ: «ما الذي تَعرِفهُ وأنا لا؟ ما الذي أخبرتَ بِهِ موستانغ، ولم تُخبِرنا إيّاه؟».

- «أتريدُ أن تَعرِف يا تاكتوس؟». لم أنسَ جرائمه، لكنّني أمسكتهُ مِن كَتفِه، وجذبتهُ نحوي مُقرِّباً إيّاه كأنّه أخٌ. أعرفُ قوّة اللمسة: «إذنْ، أطِح بعُصبة أبولو عن الخريطة المتبَّة وسأخبرك».

شفتاه تنثنيان لتظهرا ابتسامة حيوانٍ مفترس: «سيكون هذا مِن دواعي سروري يا حصّاد».

نبقى بعيدين عن السهول المفتوحة، ونَتمسَّكُ بالنهر، ونحن نتحرّكُ أبعد نحو الجنوب، نَستمعُ عَبرَ أجهزة الاتّصال إلى الفَواصِل الإخباريّة مِن مُستطلِعينا عن مَواقِع الأعداء. يبدو أنّ أبولو يسيطرُ على كلِّ شيء. كلُّ ما نراه مِن الشغبر هو مجموعةٌ صغيرةٌ مِن مُستطلِعيه. هنالكَ شيءٌ غريبٌ يَتعلَّق بجنوده، شيءٌ يُجمِّد القلب. لآلاف المرَّات أفكِّر بعَدوّي. ما الذي يجعلُ الفتى عَديمَ الوَجهِ مُرعباً إلى هذه الدرجة؟ هل هو طويل؟ نحيل؟

عريض؟ سريع؟ قبيح؟ وما الذي أكسَبهُ سمعته، اسمه؟ لا يبدو أنّ أحداً يعرف.

مُستطلِعو بلوتو لا يقتربون أبداً، على الرغم مِن الإغراء الذي نُقدِّمه لهم. أجعلُ باكس يرفع راية سيريس عالياً، بحيث يتمكّن كلّ فارسٍ مِن فرسان أبولو مِن رؤيتها، وهي تَلمَع مِن بُعد أميال. فِرقٌ مِن الفرسان تندفع نحونا، مع إدراك كلّ واحدٍ مِنهُم بوجود فرصةٍ لاقتناص المجد. المُستطلِعون يظنّون أنّهم يستطيعون الاستيلاء على فَخرِنا، وتأمين منزلةٍ لهم في عُصبتهم. إنّهم يأتون على نحوٍ غبيٍّ في جماعاتٍ مِن ثلاثة، أو أربعة فرسان، فنقضي عليهم بوساطة رُماة السهام مِن سيريس، أو رُماة الرماح مِن مينيرفا، أو بوساطة الحِراب المدفونة في الثلج. رويداً رويداً، نُطبِق عليهم كما يُطبِق الذئب على الإلكة. مع ذلك دائماً ما ندعهم يهربون. أريدهم أن يستشيطوا غضباً عندما نَصلُ إلى عتبتهم. فعبيدٌ مثلهم سيؤخّروننا.

في تلك اللّيلة، باكس وموستانغ يجلسان معي حول نارٍ صغيرةٍ، ويخبراني عن حياتهما خارج المدرسة. باكس مشاغبٌ كبيرٌ عندما يُترَك له العنان، فهو مُتحدِّثٌ مُفعَمٌ بالحيويّة على نحوٍ مُدهشٍ، مع وَلعٍ بمدحِ كلِّ شيءٍ في قصصه، حتّى الأشرار؛ لذا فمُعظم الوقت لا يعرفُ المرء مَن هو الجيّد، ومَن السيّئ. يخبرنا قصصاً عن كَسرِه لصَولجان أبيه إلى قسمين، وعن تلك المرّة التي اعتقدوا فيها خطأً أنّه سَبجيٌّ، وكادوا يرسلونه إلى أغوجيه، حيث يقومون بالتدرّب على القتال في الفضاء.

- «أعتقد أنّه يمكنكَ القول بأنّني لطالما حلمتُ بأن أكون سبجيّاً». يدمدم.

عندما كان صبيّاً، كان يتسلّلُ مِن قصر عائلته الصيفيّ في نيوزيلاندا،

كوكب الأرض، وينضمّ إلى السجيّين عندما كانوا يؤدّون الناغوجيه، وهو جزءٌ أساسيٌّ مِن تدريبهم اللّيليّ، حيث يَنهَبون ويَسلِبون لكي يعزّزوا حِصّتهُم الغذائيّة الزهيدة التي كانوا يَحصِلون عليها في أغوجيه. فيتعارك معهم ويتقاتل مِن أجل فُتاتِ الطعام. قال بأنّهُ كان يربحُ على الدوام إلى أن التقى هيلغا. موستانغ وأنا ننظر إلى بعضنا، ونحاول ألّا ننفجرَ ضاحكَين، وهو يُعظِّم على نحوٍ مُبالغٍ في تقاسيمها الكبيرة، وقبضتها الثخينة، وفِخاذها العريضة.

- «كان حبّهما كبيراً». أقول لموستانغ.

- «حُبٌّ يُزلزِل الأرض». تردّ.

في صباح اليوم التالي، يوقظني تاكتوس. عيناه باردتان مثل صقيع الفجر.

- «أحصنتنا قرَّرت الفرار، جميعها». يقتادنا إلى فتية سيريس وفتياتها، الذين كانوا يراقبون الأحصنة: «لم يرَ أيٌّ مِنهم أيّ شيء. في لحظةٍ ما كانت الأحصنة هناك، وفي اليوم التالي كانوا قد اختفوا».

- «لا بدَّ من أنّ الأحصنةُ المسكينة مُشوّشة». يقولُ باكس بأسى: «لقد كانت اللّيلة الفائتة عاصفة. ربّما هربوا إلى الغابة بحثاً عن الأمان».

تمسكُ مُوستانغ بالحبال التي كانت تقيّدُ الأحصنةَ في أثناء اللّيل. إنّها مقطوعةٌ إلى قسمين.

- «إنّها أقوى ممّا تبدو عليه». تقول مُتشكّكة.

- «تاكتوس؟». أومئُ برأسي نحو مكان الحادثة.

ينظرُ إلى باكس وموستانغ قبلَ أن يُجيب: «هنالكَ آثارُ أقدام...».

- لكن.

- «لماذا أهدرُ أنفاسي؟». يهزُّ كتفيه: «أنتم تعلمون ماذا سأقول».

المُشرِفون قطعوا الحبال إلى نصفين.

لا أخبر جيشي بالذي حدث، لكنّ الشائعات تَنتشِر بسرعةٍ عندما يَتجمَّع الناسُ معاً للحصول على الدفء. موستانغ لا تسأل أيّة أسئلة على الرغمِ مِن أنّها تَعلمُ أنّ هنالكَ شيئاً لا أخبرها به. في نهاية الأمر، أنا لم أعثر ببساطة على الدواء الذي أعطيتُها إيّاه في غابة الشمال.

أحاولُ النظرَ إلى هذه التعقيدات على أنّها اختبار. عندما سيبدأ التَّمرّدُ، أشياء كهذه ستَحدُث. كيفَ سأتصرّفُ ردّاً على ذلك؟ أنفِّسُ عن غضبي مع كلّ زفير. أخرجهُ وأمضي. قَولُ ذلكَ أسهلُ بالنسبة إليّ مِن فِعله.

نتحرّكُ نحو الغابة إلى الشرق. بدون أحصنةٍ لم يعد لدينا أيُّ دَورٍ نَقومُ به في السهول بالقرب مِن النهر. مُستطلعِيَّ يخبرونني أنّ قلعة أبولو قريبة. كيف سأستولي عليها مِن دون أحصنة؟ مِن دون أيّ عُنصرٍ مِن عناصر السرعة؟

مع هبوط اللّيل، تعقيداتٌ أُخرى تَكشِفُ عن نَفسِها. قُدور الحساء التي جلبناها معنا مِن سيريس لنَطبُخ بها على نيراننا مُتشقّقة جميعها، والخُبزُ الذي حافظنا عليه ملفوفاً على نحوٍ آمنٍ بورقٍ في حقائبنا مملوء بالسوس. إنّها تُقرمِش كبذورٍ ريّانة وأنا أتناولُ عشاءً مِن الخُبز. بالنسبة إلى المُنتقين، سيبدو ذلك تحوّلاً مؤسفاً في الأحداث، لكنّني أعلم أنّه دلالةٌ لما هو أكثرُ مِن ذلك.

المُشرِفون يحذّرونني كي أعودَ أدراجي.

- «لماذا خانكَ كاسيوس؟». تسألني موستانغ في تلكَ اللّيلة، ونحن

نائمان في حفرةٍ تحتَ الرُكامِ الثلجيّ. حرّاسنا مِن عُصبة ديانا يُراقِبون محيطَ الُمعسكر مِن الأشجار: «لا تكذِب عليّ».

- «في الواقع أنا مَن خانه». أقول: «أنا... لقد كان أخوه هو الذي عليّ أن أقتله في أثناء مَرحلِة العُبور».

تتّسعُ عيناها. وبعد برهةٍ تومئ برأسها: «لقد قتلوا أخي. إنّه... لم يكن ذلك مُشابِهاً، لكن... مَوتٌ كهذا يغيّر كلّ شيء».

- هل غيّركِ ذلك؟

- «كلّا!». تقول، كأنّها أدركتَ ذلك حالاً: «لكنّهُ غيّر عائلتي؛ حوّلهُم إلى أناسٍ بِتُّ لا أعرفهم أحياناً. إنّها الحياة، على ما أعتقد». تبتعد فجأةً: «لماذا أخبرتَ كاسيوس أنّكَ قَتلتَ أخاه؟ هل أنتَ ذلكَ الحصّاد المجنون؟».

- لم أنبس لهُ ببنتِ شفة. المُشرِفون فعلوا ذلك مِن خلال الشغبر؛ لقد أعطوه مُكعّب عَرضٍ مُجسّم.

- «فهمت». عيونها تصبحُ باردة: «إذنْ، إنّهم يغشّون لصالح ابن الحاكِم العام».

أتركها، وأتركُ دفء النار؛ كي أتبوّل في الغابة. الهواء باردٌ وقارس. البومُ يَنعبُ في الأغصان، يجعلني أشعرُ بأنّني مُراقَبٌ في اللّيل.

- «دارو؟». تقولُ موستانغ مِن بين الظلام. أستدير.

- «موستانغ، هل تبعتِني؟». دارو، وليس الحصّاد. شيءٌ ما ليسَ على ما يرام. شيءٌ ما في الطريقة التي تَلفظُ بها اسمي، وفي أنّها أصلاً تَلفظ اسمي. إنّه أشبه برؤية قِطّةٍ تموء، لكنّني لا أستطيعُ رؤيتها في الظلام.

- «اعتقدتُ أنّني رأيتُ شيئاً». تقولُ، وهي ما تزالُ في الظّل، والصوتُ يصدرُ مِن أعماق الغابة: «إنّه هنا. سيُذهلكَ هذا».

أتبعُ صوتها: «موستانغ، لا تغادري المعسكر. موستانغ».

- لقد غادرناه أصلاً يا عزيزي.

الأشجار مِن حولي تَرتفعُ إلى الأعلى بمنظرٍ يَدعو إلى الشؤم. أغصانُها تَطالُني. الغابة صامتة. ظلام. هذا فخّ! إنّها ليسَت موستانغ.

هل هم المُشرِفون أم الشغبر؟ أحدٌ ما يراقبني.

عندما يُراقبكَ شيءٌ ما، وأنتَ لا تعرفُ أين هو، هنالكَ أمرٌ واحدٌ مَنطِقيٌّ فقط يُمكنكَ فِعله: تغيير المَنظورِ الفِكريّ اللّعين! مُحاولاً جَعلَ الظروفِ مُساويةً للجميع. اِجعلهُ يضطرُّ إلى البحثِ عنك.

أنطلقُ مُتحرّكاً. أجري عائداً نحو جيشي، ثمّ أندفعُ إلى خلف شجرة، وأتسلّقُها، وأنتظرُ مُراقباً. أستلُّ السكاكين مُستعدّاً لرميها. العباءة مَلفوفةٌ مِن حولي.

يَسودُ الصَّمتُ.

ثمّ فَرقعة أغصان. شيءٌ ما يتحرّك عبر الغابة. شيءٌ ما ضخم.

- «باكس؟». أصرخُ نحو الأسفل.

لا أتلقّى ردّاً.

ثمّ أشعرُ بيدٍ قويّةٍ تَلمسُني على كتفي. الأغصانُ التي أربضُ فيها تغوصُ مع الوزنِ الجديد عندما يُبطِل الرجُلُ مَفعولَ العباءة الشبح، ويظهرُ خلالَ الهواء الرقيق. لقد رأيتهُ مِن قبل. شعرهُ الأشقر المُجعَّد ذو قصّةٍ قصيرةٍ، ومُلتصقٌ برأسه مُشكّلاً إطاراً لوجهه الإلهيّ المُكفَهر. ذقنهُ منحوتة مِن

المرمر، وعيونه تتلألأ على نحوٍ شرّير، لامعةً مِثل درعه: المُشرِفُ أبولو. الشيء الكبير يَتحرّكُ مرّةً أُخرى أسفلنا.

- «دارو، دارو، دارو». يُقبِقُ مِن فوقي بصوت موستانغ: «كُنتَ الدمية المُفضَّلة، لكنّكَ لا تَرقُص كما نشتهي. هل ستُصلِح ذلك وتتّجه نحو الشمال؟».

- أنا...

- «سترفض؟ لا يَهُم». يدفعني عن الغُصن بقوّة. أضربُ بواحدٍ آخر، وأنا أهوي. أسقطُ في الثلج. أشمُّ رائحة الوبر. رائحة الفراء، ومن ثمّ يزأرُ الوحش.

38

سقوط أبولو

الدبُّ ضخم. إنّهُ أكبر مِن حصان. كبيرٌ كمقطورة. أبيضُ كجُثّةٍ بلا دم. عيونه حمراء وصفراء. أسنانهُ سوداء كالشفرة، طويلة كساعدي. لا يشبهُ أيّ دُبٍّ شاهدتهُ في مُكعَّب العرضِ المُجسَّم. يمتدّ شريط مِن اللّونِ الأحمر على طول ظهره. مخالبهُ كالأصابع، ثمانيةٌ في كلِّ يَد. إنّهُ غيرُ طبيعي. صُنِع مِن قبلِ النّحّاتين للتسلية. لقد أُحضِر إلى هذه الغابة ليَقتل، لقتلي تحديداً. أنا وسيفرو سمعناه يسهف قبل أشهر، بينما كنّا ذاهبين لعَقدِ سلامٍ مع عُصبة ديانا. الآن، أشعرُ بلُعابِه.

أقفُ هناك كالأحمق لثانية، ثمّ يسهف الدبُّ مرّةً أُخرى، ويندفعُ إلى الأمام.

أتدحرج، أركض، أجري أسرع مِن أيّة مرّةٍ في حياتي. أنا أطير، لكنّ الدبّ أسرع، ولو أنّه أقلُّ رشاقة. الغابة ترتعشُ، وهو يندفعُ عبرها مصطدماً بالأجمات والأشجار.

أركضُ بجانبِ شجرة آلهة هائلة، وأغطسُ في العلّيق. الأرض تصدرُ صريراً تحت قدمَيّ، فأدرك مع تهاوي الأوراق والثلج مِن تحتي أين أقف.

أجعلُ مكان وقوفي، بيني وبين الدبّ، منتظراً الدبّ كي يشُقَّ طريقه عبر الشجيرات. يندفعُ متحرّراً منها ويقفزُ عليّ. أقفزُ إلى الخلف مبتعداً. بعدها يختفي ليزعَق، وهو يَهوي عبرَ أرضيّة الفخّ نحو فِراشٍ مِن الأوتادِ الخشبيّة. فرحتي كانت لتدومَ أطول لو أنّني لم أرقص إلى الوراء، وأخطو إلى الفَخّ الثاني.

الأرض تنقَلب. حسناً، أنا مَن ينقلِب. تُجذبُ ساقي إلى الأعلى لأطيرَ في الهواء مسحوباً مِن نهاية الحبل. أتأرجحُ لساعات، مذعوراً لدرجة امتناعي عن مُناداة جيشي خوفاً مِن المُشرِف أبولو. أشعر بوَخزٍ وحَكَّة في وجهي من جرّاء الدمِ المُندفِع نحو رأسي. حينها يقطع صوتٌ مألوفٌ اللّيلَ.

– «حسناً، حسناً، حسناً». يسخرُ مَن في الأسفل: «يبدو أنّ لدينا فروتين للسلخ».

يتسمُ سيفرو بِتصنُّعٍ عندما أخبرهُ أنّني تحالفتُ مَع موستانغ. في المُعسكر، حيثُ كانت موستانغ تُجهّز فِرقَ بَحثٍ لتُرسِلها بحثاً عنّي، سُمعتهُ تَسبقهُ بينَ أبناء الشمال. أتباعُ مينيرفا يخافون منه. مِن ناحيةٍ أُخرى: فإنّ تاكتوس والآخرين مِن جماعة الأحصنة الميّتة مسرورون.

– «ياه! أليس هذا برفيق البُطون؟». تاكتوس يتشدّق: «لماذا تَعرُج يا صديقي؟».

– «أمّكَ استنزفتني». يقول سيفرو مصدراً صوت نخير.

– إيه، سيكون عليكَ الوقوفُ على رؤوس أصابعكَ كي تتمكّن حتّى مِن تَقبيل ذَقنِها.

- لم يكن ذَقنُها الذي أحاولُ تَقبيله.

يضمّ تاكتوس يديه مُصفّقاً ضاحكاً، ويجذبُ سيفرو نحوه ليتعانقا عناقاً بغيضاً. كلاهما شخصان فريدان، لكنْ أفترضُ أنّ التَحاضُن في جثّة حصانٍ يَخلِق رابطاً. يَخلُق توأماً مِن نوعٍ رهيب!

- «أين كنت؟». تسألني موستانغ بهدوء على انفراد.

- «لحظة». أقول.

لدى سيفرو عينٌ واحدةٌ فقط الآن. إذنْ، هو الشيطان ذو العين الواحدة الذي حذّرني منه رسول عُصبة أبولو.

- «لطالما تساءلتُ أيُّ نوعٍ مِن الرفاق المجانين الصغار أنتم أيّها العَوّاؤون». تقولُ موستانغ.

- «صغار؟». يسأل سيفرو.

- أنا... لم أقصد الإهانة.

يَتجهّم: «أنا صغير».

- «حسناً، نحن في مينيرفا ظنّنا أنّكم أشباح». تربّتُ على كتفه: «أنتم لستم كذلك. وأنا لستُ موستانغ حقيقيّة إن كُنتَ تتساءل. لا يوجد ذَنَب، أترى؟ وكلّا». تقاطعُ تاكتوس: «لم أرتدِ سرجاً قَطّ، إن كُنتَ تريدُ السؤال عن ذلك».

كان يريد ذلك.

- «ستفعل». سيفرو يدمدمُ لي على انفراد.

- «إنّني مُعجبةٌ بهم». تقول موستانغ عن العَوّائين بعد بضع لحظات: «يجعلونني أشعر بأنّني طويلة».

- «رائع!». تاكتوس يلتقطُ فِراء الدبّ الدمويّ العملاق، وهو يَنخُر: «فلنرَ ماذا لدينا. لقد وجدوا شيئاً بحجم باكس».

قبلَ أن ننضمَّ إلى المجموعة عند النار الكبيرة التي أشعلها باكس، يأخذني سيفرو جانباً، ويعرضُ لي بطّانية في داخلها نصلي المِنجَليّ.

- «احتفظتُ بِه مِن أجلكَ بعد أن عثرتُ عليه في الوحل». يقول: «وجعلتهُ أكثرَ حِدَّةً؛ وقتُ استخدام النَصلِ المُثلَّم قد ولّى».

- «إنّكَ صديقٌ بِحق. أتمنّى أن تعرفَ ذلك». أربِّتُ على كتفه: «ليسَ مجرّد صديق في اللّعبة، بل صديق حقيقيَ الآن، عندما نخرجُ مِن هنا، أنت تعرفُ هذا، أليسَ كذلك؟».

- «لستُ أحمق». ومَع ذلك يحمرُّ خجلاً.

أعلمُ مِنه، ونحنُ حولَ نارِ المُخيَّم؛ أنّهُ هو، والعَوّائين، والشوكة، والمُتجهِّم، والمُهرِّج، والحشيشة، والحصوة -حُثالة عُصبتي القديمة- لم يبقوا أكثر مِن يومٍ واحدٍ بعد أن اختفيت.

- «قال كاسيوس بأنّ الشغبر قد أخذكَ». سيفرو يقول بفم مملوءٍ بالخُبزِ المسوّس: «مُكسَّرات لذيذة». إنّهُ يأكل كأنّهُ لم يرَ طعاماً منذُ أسابيع.

نجلسُ حول النار في الغابة الكبرى، يَغمُرنا ضوء الجذوع المُفرقِعة. موستانغ، وميليا، وتاكتوس، وباكس ينضمّون إلينا ليتّكئوا إلى شجرةٍ ساقطةٍ في الثلج. إنّنا مُتراصّون مَع بعضنا كالحيوانات. أجلسُ بالقرب مِن موستانغ. ساقها متشابكة مع ساقي تحتَ الفِراء. تفوح رائحة فراء الدبّ الدمويّ العملاق، ويُفرقِع فوق النار. الدّهن يَقطِر في ألسنة اللّهب. سيرتديه باكس عندما يَجِفّ.

بحثَ سيفرو عن الشغبر بعدَ أن كذبَ كاسيوس عليه. صديقي الصغير

لا يخوضُ في التفاصيل. إنّهُ يَكرهُ التفاصيل. يكتفي بالنَقرِ على محجِر عينه الفارغ، والقول: «لديَّ حِسابٌ عليّ تَصفيتهُ معه».

- «إذنْ، هل رأيته؟». أسأل.

- «كان الظلام مخيّماً. رأيتُ سكّينه. حتّى إنّني لم أسمع صوته. كان عليّ أن أقفز مِن الجبل، وأسقط سقوطاً كبيراً حتّى أصِلَ إلى بقيّة القطيع». يتحدّثُ عن الأمر ببساطةٍ كبيرة. مع ذلك فقد لحظت عرجه: «لم يكن بوسعنا البقاء في الجبال. رجاله... في كلّ مكان».

- «لكنّنا أخذنا جزءاً مِن الجبال معنا». تقول الشوكة مُربّتةً على فروات الرؤوس التي على خصرها مع ابتسامةٍ أموميّة. ترتعش موستانغ.

هنالك فوضى في الجنوب. أبولو، وفينوس، وميركوري، وبلوتو هُم كلّ مَن تبقّى، لكنّني سمعتُ أنّ عُصبة ميركوري قد تَقلّصت إلى قوّةٍ مِن الصعاليك الجوّالين. مع الأسف! كنتُ مُولعاً بمُشرِفهم. لقد كاد أن يختارني في عمليّة الانتقاء، لو كان بوسعه لفعلَ ذلك. أتساءلُ كيف كانت لتكونَ الأمورُ حينها.

- «سيفرو، مع تِلكَ الساق، ما السرعة التي يُمكنكَ أن تركضَ بها، فلنقل: كيلومترين؟». أسأل.

استغربَ الآخرون مِن هذا السؤال، لكنّ سيفرو يهزُّ رأسه: «إنّها لا تُبطئني. دقيقةٌ ونصف في هذه الجاذبيّة الضعيفة».

أسجّلُ ملحوظةً كي أخبرهُ بفكرتي لاحقاً.

- «لدينا أمورٌ أكثرُ أهميّة لنقاشها، يا حصَّاد». تاكتوس يبتسم: «الآن، سمعتُ أنّكَ كُنتَ مُعلّقاً رأساً على عقب في الغابة نتيجة هذا الفَخّ الذي هنا». يربّتُ على فَخذِ الشوكة الصغيرة، فتبتسمُ عندما يدعُ يدهُ هناك لفترةٍ

أطول. إنّها مجموعة فرواتِ الرأس التي أثارت عاطفته: «لم تعتقد أنّكَ كنتَ لتفلتَ مِن إخبارنا القصّة، أليس كذلك؟».

إنّه ليس بالأمر المُضحِك كما يعتقد.

أتلمَّسُ خاتمي. إخبارهم سيكون بمنزلة الحُكم عليهم بالموت. أبولو وجوبيتر يستمعان إليّ الآن. أنظرُ إلى موستانغ وأشعرُ بالفراغ. سأخاطرُ بخسارتها فقط كي أفوزَ بلُعبتِهم المُتلاعبِ بها. لو كنتُ شَخصاً جيّداً، كنتُ لأبقي الخاتم. كنتُ لأكبحَ لساني. لكنْ هنالك خِططٌ لجعلِ الآلهة تتراجع. أخلعُ خاتمي، وأضعهُ في الثلج: «دعونا نتظاهرُ للحظة بأنّنا لسنا مِن عُصب مختلفة». أقول: «دعونا جميعاً نتحدّث كأصدقاء مِن دون خواتم».

مِن دونِ أحصنة، ومِن دونِ القُدرةِ على التَّنقُل، ليس لديّ أيّة أفضليّة على عَدوّي في الأراضي المحيطة. درسٌ آخر لأتعلّمه. أوجِدُ أفضليّةً لنفسي، استراتيجيّةً جديدة. سأجعلُهم يخشونني.

تكتيكاتي هي تلكَ المبنيّة على التجزئة. أقسّمُ جيشي إلى ستِّ قِطعٍ مِن أصلِ عشر تحتَ قيادتي، وقيادة باكس، وموستانغ، وتاكتوس، وميليا، ونايلا، بناءً على تَوصيةٍ مُفاجئةٍ مِن ميليا. كنتُ لأعطيَ سيفرو وِحدتهُ الخاصّة به، لكنْ هو وعَوّاؤوه لن يفارقوني مجدّداً. إنّهم يلومون أنفُسَهم على النّدبةِ التي على بطني.

جيشي يَنقضُّ على مواقِع أبولو مِثلَ ذِئابٍ جائعة. إنّنا لا نَهجمُ على قَلعتِهم، لكنّنا نُغيرُ على حُصونِهم. نُشعِلِ النار في مخازنِ مؤنِهم. نرمي السِهامَ على أحصنتِهم. نُلوِّثُ مواردهم المائيّة، ونُخبِر السُجناء أخباراً

كاذبة، ونَجعلُهم يَهرُبون. نَذبحُ الماعز والخنازير التي لديهم. نُقطِّع قواربهم بالفؤوس. نسرقُ الأسلحة. لا أسمحُ بأسرِ أحدٍ إلّا في حال كان مِن طلّاب فينوس، أو جونو، أو باخوس المُستعبَدين مِن قِبَل عُصبة أبولو. نسمحُ لأيِّ أحدٍ آخر بالهروب. الخوف والأسطورة يجب أن ينتشرا. يَفهمُ جيشي ذلك أكثر مِن أيِّ شيءٍ آخر. إنّهم دوغمائيّون. يُخبِر بعضهم بعضاً بقصص عنّي، وهُم مجتمعون حَولَ نار المخيّم. باكس هو قائدهم؛ إنّه يعتقد أنّني مخلوقٌ مِن الأساطير. العديدُ مِن جنودي بدأوا بحفرِ علامة نصليَ المِنجَليّ على الأشجار والجدران. تاكتوس والشوكة يحفران علامةَ النصلِ المِنجَليّ في اللّحم، وأفراد جيشي الأكثر مهارةً يصنعون راياتٍ مِن فرو الذئب المُبرقَع التي سنرفعها على رؤوس الرماح، ونأخذها معنا إلى المعركة.

أفصلُ عبيدَ عُصبة سيريس عن غيرهم مِن العبيد؛ لأدمجهم في وِحداتٍ مُختلِفة. أعلمُ أنّ ولاءاتهم تتبدّل. خطوة فخطوة يتوقّفون عن الإشارة إلى أنفسهم بسيريس، أو مينيرفا، أو ديانا، ولكنْ بأسماء وِحداتهم. أضعُ أربعة مِن جنود سيريس، الأصغر حجماً بينهم، مع سيفرو والعَوّاثين. لا أعرفُ إنْ كان الخبّازون سيتحوّلون إلى محاربين مِن النخبة مثلما فعل حُثالة مارس، لكنْ إن وُجِدَ أحدٌ بوسعِهِ تخليصهم مِن دهون الأطفال تلك، فهو سيفرو.

الخوفُ ينخرُ في أتباع أبولو لأسبوع. صفوفنا تتضخَّم، وصفوفهم تتقلّص. العبيدُ المُحرّرون يخبروننا عن الرعب في القلعة، والخوفِ مِن أن أظهرَ مِن بين الظلال مُرتدياً عباءة الذئب المُدمَّى كي أحرِقَ وأشوِّه.

لا أخافُ مِن عُصبة أبولو؛ إنّهم حمقى ثقيلون لا يمكنهم التَّكيّفُ مع تكتيكاتي. مَن أخشاهم هُم المُشرِفون والشُغبر. بالنسبة إليّ هُم فريقٌ واحد. بعد مُحاولةِ أبولو المُخفقة للنيلِ منّي، أخشى أنّهم سيكونون

مُباشَرين أكثر. متى سأستيقظُ مع شفرة في ظهري؟ هذه هي لعبتهم. في أيّة لحظةٍ يمكن أن أموت. عليّ تدميرُ عُصبة أبولو الآن، إخراج مُشرِف أبولو مِن اللّعبة قبل فواتِ الأوان.

أنا ومساعدِيَّ نجلسُ حولَ نارنا في الغابة لمناقشة تكتيكات الأيّام القادمة. نحنُ على بُعدِ أقلِّ مِن ميلين مِن قلعة عُصبة أبولو، لكنّهم لا يتجرّأون على مُهاجمتِنا؛ نحن موجودون عميقاً في الغابة. إنّهم يتجمَّعون معاً خوفاً منّا. نحن أيضاً لا نهاجمهم. أعلمُ أنّ المُشرِف أبولو كان ليُحبِط حتّى أذكى هُجومٍ ليليّ.

قبل أن نتمكّن مِن البدء، نايلا تسألُ عن الشغبر. صوتُ سيفرو هادئٌ، وهو يتحدّثُ عمّا سَمعهُ في الجبال، ثمّ يعلو عندما يدركُ أنّنا جميعاً نُصغي إليه.

- «قلعته في مكانٍ ما في الجبال المُنخفِضة. إنّها مخفيّةٌ، ليست في القِمَم العالية. بالقُربِ مِن عُصبة فولكانوس. أتباعُ فولكانوس بدأوا بدايةً رائعةً وسريعة. في اليوم الثالث شنّوا هجوماً خاطفاً على بلوتو. إنّهم أوغادٌ كفاءتهم عالية. عُصبة بلوتو لم تكن مستعدّةً؛ لذا تولّى الشغبر القيادة، جعلهم يتراجعون إلى أنفاقهم العميقة. عُصبة فولكانوس أتت لتهجُم عليهم بوساطة أسلحةٍ متقدّمةٍ مِن كور حدادتهم. كلّ شيءٍ كان سينتهي. كان الشغبر ليكون عبداً منذ الأسبوع الأوّل؛ لذا قام بهدم النفق، بلا خطّةٍ، ولا مخرج، ليحافظ على فُرصِه بالفوز في اللّعبة، مسبّباً مَقتلَ عشرةٍ مِن عُصبته، والعديد مِن المُختارين الأوائل، والروبوتات الطبيّة لم تستطع إنقاذ أيّ أحد؛ وليحتجز أربعين مِن البقيّة في كهوفٍ مظلمةٍ؛ حيثُ الكثيرُ مِن الماء، ولا طعام. ظلّوا هنالك قرابة شهر قبل أن يتمكّنوا مِن

حَفرِ طريقهم إلى الخارج». يَبتسِم، فأتذكّر لماذا أطلق عليه فيتشنير اسم الغوبلن: «احزروا ما الذي كانوا يأكلونه؟».

إن وقعَ الشغبر في فَخٍّ، فسيعضُّ رجله. مَن أخبرني بذلك؟

النار تُفرقِع بيننا. كنتُ لأتوقّعَ أن تتلوّى موستانغ غيرَ مُرتاحةٍ في مكانها، ولكنْ عوضاً عن ذلك ما رأيته مِنها هو الغضبُ مع كلِّ انكشافِ للتفاصيل. غضبٌ خالص. فَكُّها يَنثني، ووَجهُها يفقدُ ظِلاله. أمسكُ بيدها مِن تحت البطانيّة، لكنّها لا تُمسِك بيدي.

- «كيف اكتشفتَ كلّ ذلك؟». يدمدمُ باكس.

ينقرُ سيفرو بظِفرِه على إحدى سكاكينه المقوّسة، مُطلقاً رنيناً ناعماً في هواء اللّيل. يتردّد صداهُ في الغابة مرتدّاً مِن الأشجار ليعودَ إلى آذاننا كعبارةٍ مفقودة، ثمّ أصبحُ غيرَ قادرٍ على سماع أيّ شيءٍ آتٍ مِن الغابة، ولا مِن وراء النار. قلبي يقفزُ إلى حلقي، وأنظرُ في عينَي سيفرو. عليه أن يجدَ تاكتوس.

حقلُ تشويشٍ يُغلّفُنا.

- «مرحباً يا أطفال». صوتٌ يأتي مِن الظلام: «نارٌ لامعةٌ كهذه خطرةٌ في اللّيل، وأنتم مِثل جراءٍ صغيرةٍ، تَحضِنون بعضكم مُلتمِسين الدفء؛ لا، لا تنهضوا». الصوت شَجيٌّ ولعوب. مِن الغريبِ سماعه بعد كلِّ هذه الشهور مِن العناء. لا أحد لهُ مِثلُ هذا الصوت. إنّه يَطوفُ بخفّةٍ، ويهبطُ بالقربِ مِن باكس؛ أبولو. هذه المرّة لم يَجلِب معهُ دبّاً، فقط رُمحاً كبيراً تتطايرُ مِن رأسه شراراتٌ أرجوانيّة.

- «المُشرِف أبولو، أهلاً بك». أقول. الحُرّاس في مواقعهم مِن على الأشجار فوقنا، يوجّهون سِهامَهم نحو المُشرِف. ألوّحُ مُبعداً فريقَ الكَمين،

وأسألُ المُشرِف لماذا هو هنا، كأنّنا لم نَلتقِ مِن قبل. حُضوره يُرسِل رسالةً بسيطةً جدّاً: أصدقائي في خطر.

- «لأخبركُم بأن تعودوا إلى موطنكُم يا أعزّائي البدْو». يفتحُ إبريقاً مِن النبيذ، ويمرّره بيننا. لا يشربُ أحدٌ سوى سيفرو. إنّهُ يُمسِك بالإبريق.

- «مِن المُفترضِ ألّا يتدخّلَ المُشرِفون بسَيرِ الأمور؛ هذا موجودٌ في القواعد». يقول باكس مرتبكاً: «بأيّ حقٍّ أتيتُم إلى هنا؟ هذه لعبةٌ قذرة».

موستانغ تضيفُ على سؤاله.

يتنهّدُ صاحبُ البريقِ الذهبيّ، لكنْ قبل أن يتمكّن مِن قَولِ أيّ شيء، ينهضُ سيفرو ويتجشّأ، ثمّ يسيرُ مُبتعداً.

- «إلى أين أنتَ ذاهب؟». ينفجرُ أبولو: «لا تبتعد عنّي».

- «أنا ذاهبٌ لأتبوّل. شَرِبتُ كلَّ نبيذك. أم تُفضِّل أن أتبوّل هنا؟». يَخفِضُ رأسهُ، ويَلمس مَعدتهُ الصغيرة: «ربّما أتغوّطُ أيضاً».

يُكشِّر أبولو مُظهراً التجاعيدَ على أنفه، ويَنظرُ نحونا، ثمّ يَصرِف سيفرو.

- «إنّه مجرّدُ تأثير، وهو بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن كونه لعبةً قذرةً، يا صديقي العِملاق». يشرح: «ببساطة، أنا فقط أهتم بمصلحتكم. أنا هنا في نهاية المَطاف، لأرشِدكُم خلال دراستكُم. سيكونُ مِن الأفضلِ لكُم جميعاً أن تعودوا إلى الشمال، هذا كلُّ شيء. فلْنقُل: استراتيجيّة أفضل. أَنهُوا معركتكُم هناك، استجمعوا قواكُم، ثمّ تَوسَّعوا. إنّها قواعدُ الحرب: لا تَكشِف نفسكَ عندما تكون ضعيفاً. لا تدفع عدوّكَ للقتال عندما تكون في وَضعٍ مُزرٍ. ليس لديكُم فُرسان، ولا ملجأ، وأسلحتكُم رديئة. أنتم لا تتعلّمون كما يجب».

يَبتسمُ ابتسامةً عريضةً مُرحِّبةً تَشقُّ وَجههُ الجميل مِثل الهلال، بينما يُدوِّر الخواتم على إصبَعهِ مُنتظراً ردَّنا.

- «إنّهُ لتصرُّفٌ لطيفٌ مِنكَ أن تهتمَّ بمصلحتنا». تردُّ موستانغ ساخرةً بلغة الطبقة العليا: «بل يمكنني القولُ بأنّهُ لطيفٌ جدّاً! ويَغمرُني شعورٌ مِن الدفء أن تولينا اهتماماً خاصّاً، مع العِلم أنّكَ مِن عُصبةٍ أُخرى. لكنْ أخبرني: هل يعرفُ مُشرِفي بأنّكَ هنا؟ مُشرِف مارس؟». تومئ برأسها نحو ميليا الصامتة: «هل يعلم مُشرِف جونو؟ هل تقومُ هنا بأفعالٍ سيّئةٍ أيّها السيّدُ النبيل؟ إن كنتَ لا تفعل، فلماذا إذنْ حَقلُ التشويش هذا؟ أم هناك آخرون يراقبون؟».

عيونُ أبولو تتسمّر على الرغم مِن بقاء ابتسامتهِ.

- كي أكونَ صريحاً، مُشرِفوكُم لا يعرفون ما الذي تتظاهرون بفعله، يا أطفال. لقد نلتِ فُرصتكِ يا فيرجينيا وخسرتِ. لا تجعلي مرارة ذلك تنالُ منكِ. دارو هنا تغلّبَ عليكِ على نحوٍ شرعيّ، وعن وَجهِ حق. أم أعماكِ قضاؤكما الشتاء معاً عن حقيقة أنّه لا يمكن أن يكون هنالك سوى عُصبةٍ واحدةٍ فائزة، وعريفٍ واحدٍ مُنتَصر؟ أحقّاً أنتم جميعاً لا ترون ذلك؟ هذا... الفتى لا يستطيعُ مَنحكُم أيّ شيء.

ينظرُ مِن حوله إلى كلٍّ منّا.

- عليّ أن أعيد، بما أنّ تلابيبكُم صَدِئة: فوزُ دارو لا يعني فوزكُم. لن يَعرِض أيّ أحدٍ عليكُم التَّلمُذَ؛ لأنّهم سيرونهُ مِفتاحَ نجاحكُم. أنتم ببساطة تتبعونه، مِثلَ الجنرال نيي(*)، أو أجاكس الصغير(**)، ومَن يتذكَّرُهم؟ هذا الحصَّاد ليسَ لديه حتّى رايته الخاصّة. إنّهُ يَستغلُّكُم. هذا كلّ شيء. إنّهُ

(*) ميشال نيي: دوق الشنغين، وأمير موسكفا، ومارشال الإمبراطورية الذي قاتل إلى جانب نابليون في حروب الثورة الفرنسية، والحروب النابليونية. (م).

(**) مِن أبطال الحروب الطروادية حيث كان قائد اللوكريانيين. (م).

يُحرِجكُم، ويُدمِّر فُرصكُم للحُصولِ على مَسيرةٍ مِهنيّةٍ خارجَ سَنتكُم الأولى هذه.

– «إنكَ مُزعِجٌ جدّاً، مع فائقِ الاحترام يا مُشرِف». تقول نايلا، مُتخلِّية عن لُطفِها المُعتاد.

– «وأنتِ ماتزالين عبدة». يُشيرُ أبولو إلى علامتها: «مناسبة لكلِّ أنواعِ الاستغلال».

– «فقط إلى أن أكتسبَ حقَّ ارتداء واحدةٍ مِن هذه». نايلا تُشيرُ إلى عباءة الذئب التي لدى موستانغ.

– ولاؤكِ مؤثِّرٌ، ولكن...

يقاطعهُ باكس: «تبّاً! هل ستسمحُ لي أن أجلدكَ يا أبولو؟ دارو فعل. دعني أجلدكَ، لأطيعكَ مِثلَ وَرديّ. أقسمُ على قبور أجدادي، أولئكَ مِن تيليمانوس و...».

– «إنّكَ مُجرَّد قِردٍ بيروقراطيٍّ ماجِن». تهسهسُ ميليا: «أسْدِ لنا خدمةً، واغرب عن وجهنا».

مساعديَّ مُخلصون، على الرغمِ مِن أنّني أرجفُ مِن التفكيرِ بما كان سيقولُ كلٌّ مِن تاكتوس وسيفرو لو كانا مُجتمعَين معنا حول النار. أنحني إلى الأمام لأحدِّقَ في أبولو. مع ذلك يجبُ أن أستفِزَّه.

– أسْدِ لنا خدمة، ايه؟ خُذ نصيحتكَ، وامسح بها مؤخّرتك، ثمّ اغرُب عن وَجهنا.

أحدٌ ما يضحكُ في الهواء مِن فَوقِنا. إنّها ضِحكةُ امرأة. باقي المُشرِفين يشاهدون مِن ضِمنِ حقلِ التشويش. أرى ظِلالَ أجسامٍ في الدُّخان. كم

عددُ الذين يشاهدون؟ جوبيتر؟ ربّما فينوس، وِفقاً للضحكة؟ هذا سيكونُ مُمتازاً.

النارُ تتوهّجُ على وَجهِ أبولو. إنّهُ غاضب.

- إليكُم المَنطِق الذي أعرفه: الشتاءُ قد يُصبِح أبرد يا أطفال. عندما يَبردُ الجوُّ في الخارج، تموتُ الأشياء، مِثل: الذئاب، والدببة، وأحصنة الموستانغ.

لديّ ردٌّ، وهو طويلٌ على نحوٍ مِثالي.

- أتساءلُ يا أبولو ماذا سيحدُث إن اكتشفَ المُنتقون بأنّكَ تُدبِّر أمرَ فَوزِ ابن الحاكِم العام؟ ولنقُل بأنّكَ كنتَ تتلاعبُ باللُّعبةِ مِثلَ زعيمِ مُجرمين في بازار؟

يتجمَّدُ أبولو في مكانه، ثمّ أتابع.

- عندما حاولتَ قتلي في الغابة بوساطة ذلكَ الدُبِّ الغبيّ؛ أخفقت. الآن، تأتي إلى هنا مِثلَ أحمق يائسٍ تريدُ تهديدَ أصدقائي، عندما لا يسيلُ لُعابُهم لفكرة خيانتي. هل حقّاً ستقتُلنا جميعاً؟ أعرفُ أنّكَ تستطيعُ تحريرَ ما تريد مِن اللّقطاتِ التي سيراها المُنتقون، ولكنْ هل ستفسِّرُ لكلّ المُنتقين الذين اختارونا كيف مُتنا جميعاً؟

مساعدِيَّ يتظاهرون بأنّهم مَصدومون.

أتابع.

- فرضاً لو أنّ إمبراتور الأسطول، أو الليغاتوس، أو أيَّ مُنتَقٍ مِن أيّة عُصبةٍ أُخرى، اكتشفَ أنّ الحاكِم العام كان يدفعُ للمُشرِفين ليغشُّوا ويتخلّصوا مِن المنافسين، كي يفوزَ ابنه، ويخسرَ أبناؤهُم. هل تظنُّ أنّهُ ستكونُ هُنالكَ عَواقِب لارتشاء المُشرِفين؟ للحاكِم العام؟ أتظنُّ أنّهُم

قد يَهتمّون لكون أبنائهم يموتون في لعبةٍ مُتلاعبٍ بها؟ أو أنّه قد دُفِع لكَ لتقوِّضَ النظامَ الميريتوقراطيّ؟ حيثُ يَجبُ أن يرتقي الأفضل، أم الأفضل هو ذو الصِلاتِ والمَحسوبيّاتِ؟

يتشنَّجُ فَمُ أبولو.

ينظرُ إلى الأعلى إلى بقيّة المُشرِفين. يبقون مَخفيّين بحِكمَة. لا بُدَّ من أنّهُ خَسِر في القُرعة حتّى اضطرّ إلى الهُبوطِ إلى هنا ليكون واجهة تلاعبهم. مساعِديَّ يبقون صامتين، وهو يتكلّم.

- «إن اكتشفوا ذلك يا أطفال، حينها ستكونُ هنالكَ عَواقِب على الجميع». أبولو يُهدِّد: «لذا لا تشعروا بالحَرجِ مِن صَونِ ألسِنتكُم، وهي ما تزالُ لديكُم».

- «وإلّا ماذا؟». تسألُ موستانغ بحدّة: «ماذا ستفعل؟».

- «أنتِ مِن بينِ الناسِ جميعاً يجبُ أن تَعرِفي». يقول. لا أفهمُ قَصده، لكنّ هذه التمثيليّة المُصطنَعة تَقترِب مِن نهايتها. أعدُّ الثواني مُنذُ لحظة مُغادرة سيفرو. المُشرِفون لم يفعلوا. ألتفتُ نحو موستانغ.

- كم مِن الوقتِ يحتاج سيفرو ليجري مسافةَ كيلومترين؟

- دقيقة ونصف في هذه الجاذبيّة، على ما أعتقد. ولو أنّه كذّابٌ صغيرٌ؛ لذا سيكون أسرع على الأرجح.

- وكَم تبعدُ قلعة أبولو؟

- أوه! فلنقُل: ثلاثة كيلومترات، ربّما أكثر قليلاً.

يقفزُ أبولو ليقفَ على قدميه، وينظرَ مِن حولِهِ باحثاً عن سيفرو.

- «رائع!». أقول: «أتعرفين يا موستانغ ما أكثرُ شيء أحبُّه في حقلِ التشويش؟».

- أنّهُ لا يُمكِن لأيّ صَوتٍ أن يَعبُر خارجه؟

- كلّا! بل إنّه لا يُمكِن لأيّ صَوتٍ أن يَعبُر إلى داخِله.

يلغي أبولو حَقلَ التشويش، فنسمعُ العُواء. إنّه يأتي مِن بعيد، مِن بُعدِ ميلين. مِن الأسوار. مِن قلعة أبولو. الروبوتات الطِّبيّة تتّجهُ بصفّاراتِها نحو الصرخات، راسمةً خطوطاً عبرَ السماء البعيدة.

- «فينوس! ألم تراقبيهم أنتِ؟ أيّتها الحمقاء...». أبولو يُزمجِر نحوَ الهواء الفارغ.

- «ذلك الصغير خَلعَ خاتمه». تصيحُ المرأة الخَفيّة: «جميعهُم خلعوا خواتمهم! لا يمكنني رؤية أيّ شيءٍ مِن دون خواتمهم، وليسَ في حقلِ التشويش».

- «لكنّهم جميعاً عادوا مُتّصِلين الآن». أقول: «لذا اسحب لوحكَ الرقميّ، وقل لي ماذا ترى».

- «أيّها الصغير...». يَشدُّ أبولو قبضته. أتراجعُ إلى الخلف. تتقدّم موستانغ لتقفَ بيننا، وكذلكَ باكس.

- «أوه، أوه!». ينفجرُ باكس، وهو يضربُ فأسهُ الكبيرة على صدره. الدرعُ تحتَ عباءة الذئب التي يرتديها يَدقُّ متناغماً مع الإيقاع: «أوه، أوه!».

الثلجُ يتطايرُ مع تحليقِ أبولو مُرتفعاً خارج الغابة، وبقيّة المُشرِفين في أثره. سيصلون بعدَ فواتِ الأوان. فليحرّروا اللّقطات كما يشاؤون، وليتدخّلوا كما يشاؤون، معركة عُصبة أبولو كانت قد بَدأت، وسيفرو وتاكتوس استولوا على الأسوار.

وصلنا أنا ومساعدِيَّ إلى أرض المعركة في الوقت المناسب، لرؤية تاكتوس، وهو يَتسلّق البرج الأعلى مع سكّين بين أسنانه. هنالكَ، واقفاً

على حافّة دريئةٍ بارتفاع مئة مترٍ مِثلَ بَطلٍ إغريقيٍّ غيرَ مُبالٍ، ينزعُ سِرواله، ويَبولُ على راية عُصبة أبولو. لقد زحفَ عبرَ البراز ليأخذَ تلكَ الراية. العبيدُ الذين أسرناهُم على مدى الأسبوع أخبرونا عن نقاطِ ضَعفِ القلعة: إنّها فَتحاتُ المراحيض الكبيرة؛ لذلك استغلّها كلٌّ من تاكتوس، وسيفرو، مع العَوّائين بوَقتٍ قصيرٍ للغاية. جنودُ عُصبة أبولو استيقظوا على وجودِ شياطين مَكسوّةٍ بالبراز. أوه، كم هي فظيعةٌ رائحةُ جنودي الغُزاة، وهم يَفتحون البوّاباتِ مِن أجلي! في الداخل هنالك كُتلةٌ مِن الفوضى.

القلعة عاليةٌ، وبيضاءُ، ومزخرفة. ساحتها دائريّةٌ، ولها سِتّة أبوابٍ ضخمة، تُفضي إلى ستّة أبراجٍ حلزونيّةٍ ضخمة. تتزاحم الخِرافُ والأبقارُ في حظائر مؤقّتة، في الجانبِ البعيدِ مِن الساحة. حُرَّاس أبولو انسحبوا إلى هناك. المزيدُ مِن حُلفائهم يَتدفَّقون مِن مداخل البُرجِ الذي خلفهم. إنّهم يتفوّقون على رجالي بنسبة ثلاثة إلى واحد، لكنّ رجالي أحرارٌ، وليسوا بعبيد. سيقاتلون على نحوٍ أفضل. مع ذلك، ليستِ الأعدادُ هي التي تُهدِّد بقلبِ مُجرياتِ الأمور ضِدَّ جيشي الغازي؛ إنّهُ عريفُ أبولو، نوفاس. لقد أعطاهُ المُشرِف سلاحهُ النبضيَّ الخاصّ: وهو رُمحٌ يلمعُ بشراراتٍ أرجوانيّة. يَلمسُ رأسهُ إحدى أتباعِ جماعة الأحصنة الميّتة مِن عُصبة ديانا، فتَرتدُّ الفتاةُ إلى الخلفِ مسافةَ عشرة أقدام، مِثلَ دُميةٍ مَكسورةٍ مُتشنّجةٍ على الأرض عندما تخرجُ تُروسُها مِن مَساربِها.

أجمعُ قوّاتي بالقربِ مِن البوّابة داخلَ الساحة. العديدُ مِنهم لا يزالون في الأبراج مِثلَ تاكتوس. لديَّ باكس، وميليا، ونايلا، وموستانغ، وثلاثون آخرون خلفي. مُشرِف العدوِّ يُعِدُّ قوّاتِه الخاصّة. سلاحهُ وَحْده بإمكانه أن يقضي علينا.

- «موستانغ، هل أنتِ مُستعدَّةٌ مع تلكَ الراية؟». أسألُ. أشعرُ بيدها على أسفل ظهري، تحت درع الصدر تماماً. لا أرتدي خوذة. شعري مربوط بقطعةٍ مِن الجلد. أضفيْتُ لوناً داكناً على وجهي باستخدام الهُبابِ. يدي اليُمنى تَحمِل نصلي المِنجَليّ، واليُسرى تَحمِل رُمحاً صاعقاً قصيراً. نايلا تَحمِل راية سيريس.

- باكس، نحن المِنجَل. يا فتيات، أنتنَّ جانياتُ المحصول.

رجالي في الأبراج يعوون، وهُم يركضون ويقفزون إلى الأسفل مِن مواقعهم العالية لينضمّوا إلى المعركة، يتدفّقون نحوَ الساحة مِن كلِّ الزوايا. عباءات الذئب المُبرقَع التي يَرتدونها تفوحُ منها رائحةٌ كريهة. حجارة الرَصفِ التي بين فرقتي وبين فرقة أبولو مُغطَّاةٌ بطبقةٍ ثخينةٍ مِن أكوامِ الثلجِ التي تصلُ إلى الكاحل. المُشرِفون يتلألؤون عالياً في الهواء، مُنتظِرين أن يتعاملَ الرُمحُ النَبضيُّ مع جيشي بسرعةٍ، ويقضي عليه بلَمحِ البصر.

- «نَلْ مِن عريفهم». تهمسُ موستانغ في أذني. إنّها تُشيرُ إلى فتى طويلٍ وصُلبٍ، وتَصفعُني على مؤخّرتي: «قُم بتَحدّيه».

- «باكس، عشرين متراً وتوقّف». يومئ ردّاً على أمري.

- «العريف لي!». أزأرُ نحو جيشي وجيشهم: «نوفاس، أيّتها العاهرة المتبَّبة. أنت لي. أيّها الحلزون آكل الروث. أيّها الأحمق الحقير!». مع صُراخِ الغازي الطويلِ المجنونِ ذي النَصلِ المِنجَليّ على عريفهم، تتراجعُ قوّاتُ أبولو على نحوِ غريزي: «استَعبِدوا البقيّة!». أعوي.

ثمّ نهجمُ أنا وباكس.

البقيّة يتدفّقون محاولين اللّحاق بي. أتركُ باكس يتقدَّم عليّ. إنّهُ يَصرخُ

مع فأسِهِ الحربيّة، ويَهجُم على نوفاس وفِرقَته مِن الحُرّاس الشخصيّين: فتيانٌ وفتياتٌ ذوو دروعٍ ثقيلةٍ مع طَبعاتِ يَدٍ قُرمُزيّةٍ على خُوَذِهم. إنّهُم يَقودون هَجماتِ العدو، يَتّجِهون مُباشَرةً نحو باكس، مُخفِضين رِماحَهم؛ ليوقِفوا هُجومَه المجنون. إنّهُم نَوعٌ بطولِ فارعٍ، قتلةٌ مُفعَمون بالحيويّة، تفاقَمت غَطرستُهم مُنذُ زَمنٍ إلى درجةِ أنّهُم لا يُدرِكون أنّهُم في خَطرٍ، أو لا يَشعُرون بالخَوفِ، وهُم يخطّطون لمُلاقاةِ باكس بأسلِحتِهم.

ثمّ يتوقّفُ باكس.

ومِن دونِ وَقفٍ للتَقدُّم، أقفزُ بحيثُ تُمسِك يَدُهُ بقَدمي، فأدفعُ نفسي، ويَقذِفني عشرةَ أمتارٍ في الهواء إلى الأمام. أعوي كلّ المسافة، مِثلَ شيءٍ اقتُلِعَ مِن كابوسٍ لَعين! إلى أن أرتطمَ بالحُرّاس الشخصيّين. ثلاثة يسقطون. رُمحٌ عشوائيٌّ يُصيبُني في معدتي، ويَحتكُّ على طولِ أضلاعي، فيُديرُني في اللّحظة التي يَخترِق فيها رُمحٌ ثُلاثيّ الشُعَبِ الهواء في المكانِ الذي كان فيهِ رأسي. أقفُ على قدمَيّ، أضربُ مُلوِّحاً على نحوٍ أفقيٍّ حاصداً الأرجُل. أستديرُ مُبتعداً عن الهجمة، وأضربُ نحوَ الأسفلِ على نحوٍ أفقيٍّ، وأنا عائدٌ مِن استدارتي، لأهشِّمَ عظمَ ترقوة أحدٍ ما طويل. رُمحٌ آخر آتٍ نحوي فأبعدهُ جانباً، ثمّ أركض بمُحاذاتِه، وأقفزُ لأقحِم ركبتي في وجه واحدٍ مِن المختارين الأوائل لعُصبة أبولو. يسقطُ إلى الخلف، فيأخذني معه، وتعلقُ ركبتي في واقي الوجه على خوذته. أضربُ بجنون، وأنا أخسرُ أفضليّتي، لأصعقَ ثلاثةَ آخرين مِن المختارين الأوائل بضرباتٍ دورانيّةٍ إلى أن أهوي إلى الأرض.

نسقطُ في الثلج. أنفُ ذلك الذي مِن المختارين الأوائل مَكسورٌ، وهو فاقدٌ لوَعيه، لكنّ ركبتي خَدرةٌ ومُدمّاةٌ مِن الصدمة، وأنا أنتزعُها مِن خوذته.

أتدحرجُ مُبتعداً، مُتوقّعاً رِماحاً تَختِرقني، لكنّها لا تفعل. حطَّمتُ طليعة جيش أبولو بهجمةٍ واحدةٍ مجنونة؛ باكس وجيشي يكتسحون المكان مِثلَ سِتارةٍ حديديّةٍ، إلى أن بقيتُ أنا ونوفاس في مركزِ الفوضى. إنّهُ طويلٌ وقويّ. ضربةٌ مُقوّسةٌ طويلةٌ مِن حربته تُحطِّم تِرسَ عَوّاء. يقذفُ ميليا إلى الخلف، ويمسكُ بباكس مِن ذراعه بوساطة الرُمح، مُطيحاً به إلى الأرض مِثل دمية، لكنْ أنا أطول وأقوى.

- «نوفاس، أيّتها الفتاة الصغيرة!». أصيح: «أيّها الوَرديُّ المُنتحِب».

عيناه تلمعان عند رؤيته لي، وأنا قادم.

ثمّ يحبسُ كلُّ مَن في المعركة أنفاسه، عندما ينعطفُ نحوي مِثلَ إلكةٍ تستديرُ نحو قائدِ قطيعِ الذئاب. يواجهُ كلٌّ مِنّا الآخر. يَطعنُ أوّلاً، فأتلافاها وأستديرُ على طولِ الرُمحِ إلى أن أصبحَ خلفه، ثمّ بضربةٍ هائلةٍ واحدةٍ، كأنّني أقطعُ شجرةً بنَصلي المِنجَليّ، أكسرُ ساقه، وآخذُ رُمحه.

إنهُ يَنوحُ كطفل. أجلسُ على صدره متكبّراً ويملؤني الرِضا، بأنّني لم أَنُح هكذا عندما كُسِرت ساقاي، وأعيدَ تَشكيلُهُما في مَتجرِ نَحتِ ميكي. أتثاءبُ على نحوٍ استعراضيٍّ على الرُّغم مِن الفوضى التي تُحيطُ بي.

موستانغ تتولّى زِمامَ المعركة.

يهرب واحدٌ فقط مِن أتباع عُصبة أبولو؛ إنّها فتاة، فتاةٌ سريعةٌ، لكنّها عضوٌ غير مُهمّ في عُصبتِهم. بطريقةٍ ما، تقفزُ مِن البُرج الأعلى، وتهبط بكلِّ بساطةٍ إلى الأرض مع راية عُصبتها. هذا أشبهُ بالسحر. لكنّني أرى تموُّجاً مِن حولها. المُشرِف أبولو يُحافِظ على مكانه في اللّعبة. تعثرُ الفتاة على حصانٍ، وتمتطيه مُبتعدةً عن جيشي الذي بلا أحصنة. باكس يرمي رمحاً نحوها مِن بعيد. تصويبهُ دقيقٌ، وكان ليتمكّن برميته مِن تَسميرِ الحصان مِن

رقبته إلى الأرض العشبيّة، لكنّ ريحاً عجيبةً تقذفُ الرمح بعيداً على نحوٍ إعجازيّ. في نهاية الأمر، موستانغ هي التي تأخذُ حصاناً مِن إسطبلات أبولو، وتطاردُ الفتاة مع العَوّائين، والشوكة، والحصوة. تُعيدها، وهي مُنحنيةٌ على رقبة حصانها، مع رايةٍ تصفعها على مؤخّرتها، وهو يعدو.

جيشي يزأرُ مع دخول موستانغ إلى ساحة القلعة التي جرى غزوها، وهي تخبّب حصانها. نحرّر عبيد عُصبة سيريس؛ لقد استحقوا مكاناً لهم في جيشي. ألوّحُ نحو الأسفل لموستانغ مِن موقعي بجانب سيفرو وتاكتوس على الأسوار العالية، أقدامنا تتدلّى مِن الحفّة غير آبهة. عُصبة أبولو تسقطُ في أقلّ مِن ثلاثين دقيقة، على الرغم من تَدخُّل أبولو مع الرمح النبضيّ.

المُشرِف أبولو يتشاور مع جوبيتر وفينوس في السماء. إنّهم يَلمعون في ضوء الفجر، كأنّ شيئاً لم يحدث. لكنّني أعلم أنّ عليه أن يُغادرَ اللّعبة؛ لأنّ الراية والقلعة قد استوليَ عليهما. لم يَعُد بإمكانه إيذائي بعدَ الآن.

– «لقد قُضيَ أمرك». أسخرُ مِن أبولو: «سقطتْ عُصبتكَ». يزأرُ جيشي مرّةً أُخرى. أستمتعُ بالصوت وهواء الشتاء في أثناء بُزوغِ الشمس مِن فوق الحافّة الغربيّة لوادي مارينير. مُعظَم هذه الأصوات كانت لتكون لعبيد. عوضاً عن ذلك، إنّهم يتبعونني بإرادتهم. قريباً، حتّى أولئكَ مِن عُصبة أبولو سيتبعونني.

أضحكُ ضِحكةً واسعة؛ فنارُ النصرِ تلتهبُ في عروقي. تغلّبنا على مُشرِفٍ واحدٍ، لكنّ جوبيتر ما زال بوسعه إيذاؤنا. عُصبته لم تَنحنِ، ولم تُهزم بعدُ، مع وجودها بعيداً في الشمال. غَضبٌ سريعٌ يَتملّكني، إضافةً إلى شعورٍ آخر قاتم. إنّه تكبُّر، حنق، تَكبُّر مجنون. أمسكُ بالرمح النبضيّ،

أثني ساعدي، وأرمي السلاح بكلِّ ما أوتيتُ مِن قوّةٍ نحو المُشرِفين المُجتمِعين. يشاهدُ جيشي هذا التصرّفَ الجسور. المُشرِفون الثلاثة يتفرّقون بعد أن عَبَر الرمح النبضيّ خلال واقيهم النبضيّ. يلتفتون لينظروا إليّ. النارُ تشتعلُ في عيونهم، لكنّ الشعور الذي في داخلي لم يُطفأ بمجرّدِ رمية رمح. أكره هؤلاء الحمقى المتآمرين. سأقضي عليهم.

- جوبيتر! أنتَ التالي. أنتَ التالي، أيّتها الحثالة الحقيرة!

عندها يصرخُ باكس مُنادياً اسمي، ومن ثمّ صوت تاكتوس يُكرِّره، ثمّ نايلا مِن البرج البعيد. لا يطولُ الأمرُ حتّى تهتفَ به مئاتُ الأصواتِ في أرجاء القلعة المَغزوّة، مِن الساحة حتّى الدرايا العاليّة والأبراج. يضربون سيوفهم، ورماحهم، وتروسهم، ومِن ثمّ يرمونها على المُشرِفين. مئاتُ الصواريخ تَضرِب على نحوٍ غير مؤذٍ بالواقي النبضيّ، والعديد مِن أفراد جيشي يضطرّون إلى التفرُّق؛ كي لا يُصابوا بالأسلحة، وهي تَسقُط، لكنّهُ منظرٌ جميل، صوتٌ جميلٌ لمطرٍ معدنيٍّ على حجارة الرصف. ومِن جديد يردّدون اسمي. إنّهم يهتفون ويهتفون اسم الحصّاد على سمع المُشرِفين؛ لأنّهم يعرفون مَن نُقاتِل الآن.

39

مكافأة المُشرِفين

جيشي نام جيّداً حتّى الصباح. لا أشعرُ بحاجةٍ إلى الراحة؛ لذا أقضي الوقت بصحبة سيفرو وبضعة رجالٍ آخرين على الأسوار. إنّهم يقفون قريبين منّي، كأنّ أيّة مسافة ستُشكّل فرصةً للمُشرِفين كي يقتلوني.

يُحرِّر سيفرو خمسةً مِن طلّاب ميركوري المُنتمينَ إلى مجموعة عبيد أبولو. يَتجمَّعون حوله على الأسوار ليلعبوا لعبةً تحتاجُ إلى السرعة. يَصفعون براجِم بعضهم ليروا مَن هو الأسرعُ بالتحرّك. أنا لا ألعب؛ لأنّني أربحُ بسهولةٍ شديدةٍ؛ لذا مِن الأفضلِ تَركُ الأطفال يستمتعون. بعدَ الاستيلاء على القلعة، وعلى الرغم مِن أنّ سيفرو وتاكتوس قاما بالعملِ الشاقّ، إلّا أنّ فتياني وفتياتي يظنّون أنّ ذلك يَجعلُني أشبهَ بأعجوبة. تقول لي موستانغ بأنّهُ شيءٌ نادر.

- الأمر كأنّهم يعتقدون بأنّكَ مِن زمنٍ آخر.

- لا أفهم!

- كأنّكَ أحدُ الغُزاة القُدماء، الذهبيّين القدامى الذين احتلّوا كوكب الأرض، ودمّروا أسطوله، وكلَّ ذلك. إنّهم يجعلون مِن الأمر عُذراً كي لا

يتنافسوا معك؛ لأنّهُ كيفَ لهيفيستوس التنافسَ مع الإسكندر، أو أنطونيوس مع قيصر؟

تتقلَّبُ أحشائي. إنّها مجرّدُ لعبة، وهُم يحبّونني إلى هذا الحدّ. حينما يندلعُ التمرُّد، هؤلاء الفتية والفتيات سيكونون أعدائي، وأنا سأستبدل بهم الحُمر. كم سيكون أولئكَ الحُمر مُتعصّبين حينها؟ وهل سيكونُ لذلكَ التعصُّب أيّة أهميّة في حال تَوجَّب عليهم الوقوفُ في وَجهِ مَخلوقاتٍ كسيفرو، وتاكتوس، وباكس، وموستانغ؟

أرى موستانغ تتسلَّلُ إليّ على طول السور. إنّها تَعرُج قليلاً من جرّاء كاحلٍ مُلتوٍ، مع ذلك فكلُّها عَظمَة. شعرها عبارة عن عُشٍّ مِن الأغصان. الهالاتُ تُحيط بعينيها. إنّها تبتسمُ لي. إنّها جميلة، مِثلَ إيو.

يمكننا من الأسوار رؤية ما وراء الغابة الكبرى، وأنْ نَلمحَ بداية مُرتفعاتِ مارس في الشمال. الجبالُ تُحدّق فينا عابِسةً مِن الغرب، إلى يسارنا. موستانغ تُشيرُ إلى السماء.

- مُشرِفٌ قادم.

حُرّاسي الشخصيّون يحيطونَ بي بإحكام، لكنّهُ ليسَ سوى فيتشنير. سيفرو يبصقُ مِن الأسوار: «إنّها عودة أبينا المُبذِّر».

يهبطُ فيتشنير مع ابتسامةٍ تُخبِرنا حكايةً عن الإرهاق، والخوف، وقليلٍ مِن الفخر.

- «أيمكننا التحدّث؟». يسألني، وهو يَنظرُ إلى أصدقائي المُتجهّمين.

نجلسُ أنا وفيتشنير معاً في غرفة حرب أبولو. موستانغ تُشعِلُ النار. فيتشنير ينظرُ إليها مُتشكّكاً، لا يروقُه وجودُها. لديه رأيٌ حولَ كلِّ شيء، مِثل شخصٍ آخر أعرفه.

- لقد خلقتَ بلبلةً كبيرةً يا غُلام.

- «دعنا نتّفقْ على ألّا تناديني بـ"غلام"». أقول.

يومئ برأسه. لا توجدُ علكة في فمه. لا يعرفُ كيف يَقولُ ما يريدُ إخباري به. إنّه القَلقُ في عينيه الذي يُشيرُ إليّ بذلك.

- «أبولو لم يُغادِر الأوليمبوس». أقول.

يَتجمَّدُ مُتفاجئاً مِن تخميني: «أصبت. إنّه لا يزال هنالك».

- «وماذا يعني هذا يا فيتشنير؟». تأتي موستانغ لتجلسَ بجانبي.

- «لا شيء سوى ذلك». يجيبُ فيتشنير، وهو يَنظرُ إليّ: «إنهُ لم يُغادِر الأوليمبوس كما هو واجبٌ عليه. هنالكَ فوضى عارمة. أبولو كان ليَحصُلَ على تعيينٍ مُميّزٍ لو فازَ الشغبر. الأمرُ نفسهُ بالنسبة إلى جوبيتر وبَعضِ الآخرين. كان هنالكَ حديثٌ عن أنّ مَنصِب بريتور فارس سيكون شاغراً في لونا».

- «والآن، هذه الإمكانيّة أخذَت تَفلِتُ مِن بين يديه». تقولُ موستانغ، وتنظرُ إليّ بابتسامةٍ مُتصنِّعة: «بسببِ الفتى».

- أجل.

أضحكُ، وحقلُ التشويش يَجعلُ للصوتِ صدى: «إذنْ، ما الذي يجبُ فِعله؟».

- «ما زلتَ تُريدُ الفَوزَ، أليسَ كذلك؟». يسألُ فيتشنير.

- نعم.

- «وهل هذا هو الهَدفُ مِن كلّ ذلك؟». يسألني، مع أنّهُ مِن الواضحِ أنّ شيئاً آخرَ يدورُ في ذِهنه: «ستحصلُ على عَرضِ تَتَلمُذٍ سواءً فُزتَ أم لا».

أنحني إلى الأمام، وأنقرُ بإصبعي على الطاولة: «تبّاً! الهدفُ هو أن نُريَهم أنّه لا يُمكنهُم أن يَغشُّوا في لُعبتِهم، وأنّ الحاكِم العام لا يُمكِنه أن يكتفي بقولِ: إنّ ابنه هو الأفضل، وإنّ عليهِ أن يَتغلَّبَ عليّ فقط لأنهُ وُلدَ مَحظوظاً. الأمرُ كلُّه يَدورُ حَولَ كَسبِ الاستحقاقات».

- «كلّا!». يقول فيتشنير، وهو ينحني إلى الأمام: «إنّهُ يَدورُ حَولَ السياسة». يحدِّقُ في موستانغ: «هلّا تُرسِلها إلى الخارج أخيراً؟».

- موستانغ، اِبقَي.

- «موستانغ». يقولها ساخراً: «حسناً يا موستانغ، ما رأيكِ في غشِّ الحاكِم العام بخصوصِ ابنه؟».

تهزُّ موستانغ رأسها: «اِقتُل، أو تُقتَل، غشّ أو سيغشُّونكَ؛ هذه هي القواعد التي رأيتُ ذوي البريق الذهبيّ يتّبِعونها، خاصةً الفريدين ذوي النُّدبة».

- «غشّ أو سيغشُّونكَ». ينقرُ فيتشنير على شَفتهِ العُليا: «هذا مُثيرٌ للاهتمام».

- «مِن المُفترضِ أنّكَ تَعرفُ القِسمَ المُتعلِّق بالغِشّ». تقول.

- عليكِ أن تدعينا أنا ودارو نتبادل أطرافَ الحديثِ يا موستانغ.

إنّها ستبقى.

- «لا بأس». تدمدمُ على نحوٍغيرِ مَفهوم. تضغطُ على كتفي، وهي تُغادر: «لقد ضَجِرتُ مِن مُشرِفك على أيّة حال».

بعد مغادرة موستانغ، أخذ فيتشنير يُحدِّق فيّ. يُدخِل يدهُ في جَيبهِ مُتردّداً، ثمّ يخرُج شيئاً ما منه: إنّها عُلبةٌ صغيرة. يُلقي بها على الطاولة، ويشير إليّ بأن أفتحها. بطريقةٍ ما أعرفُ ما بداخلها.

- «حسناً أيّها الأوغاد، إنّكم تَدينون لي ببعضِ المُكافآت». أضحكُ بشدّةٍ، وأنا أضعُ سكّينَ الخاتم، الذي أعطاني إيّاهُ الراقص، في إصبعي. أقومَ بثني المِفصَل ليقفزَ النَّصلُ ممتدّاً، وليتجاوزَ الإصبعَ بمسافة ثمانية إنشات. أثني المِفصَل مُجدّداً ليَنزلِق النَّصلُ مُتراجعاً إلى مكانه.

- أخذهُ السَبجيّون مِنكَ قبلَ ذهابكَ إلى مرحلة العُبور، أليسَ كذلك؟ أُخبِرتُ بأنّهُ كان لوالدك.

- «أحدهُم أخبركَ بذلك؟». أحفرُ بوساطة النَّصلِ في طاولة غرفة الحرب: «كم هذا غير دقيق مِن قِبَلِهم!».

- «لا داعي لأن تكون وَضيعاً يا غُلام». أرفعُ عينَيّ بسرعةٍ كي أنظرَ إلى عينَيّ فيتشنير: «أتيتَ إلى هنا كي تَفوزَ بعَرَضِ تَتَلمُذ. لقد نَجحتَ في ذلك، لكنْ إن استمررتَ في الضغط على المُشرِفين فسيقتلونك».

- أذكرُ أنّنا قد خُضنا هذه المُحادثة مِن قَبل.

- تبّاً يا دارو! لا يوجدُ أيّ معنى للذي تفعله؛ إنّهُ تَهوُّر!

- «لا يوجدُ معنى؟». أكرّر.

- إن تغلّبتَ على ابن الحاكِم العام، ماذا بعدها؟ ما الذي تحقّقه بذلك؟

- «كلُّ شيء». أنفجر، وأنتفضُ غاضباً، وأحدِّقُ في النار إلى أن أتمالك صوتي مرّةً أُخرى: «سيثبتُ ذلك أنّني أفضلُ ذهبيٍّ في المدرسة. وسيُظهِر أنّ بوسعي القيام بأيّ شيءٍ يستطيعون القيامَ به. لماذا عليّ أن أتحدّثَ إليكَ أصلاً يا فيتشنير؟ فعلتُ كلَّ هذا مِن دون مساعدةٍ منك. لا أحتاجُ إليك. أبولو حاولَ قتلي، ولم تفعل شيئاً. لا شيء على الإطلاق! إذنْ، بماذا أدينُ لك بالتحديد؟ ربّما هذه؟».

أجعلُ النَّصلَ يقفزُ إلى الخارج.

– دارو.

– «فيتشنير». أقلِّبُ عيوني.

يضربُ الطاولة: «لا تتحدّث إليّ كأنّني أحمق. انظُر إليّ. انظُر إليّ، أيها الأخرقُ الصغيرُ المُتعالي».

أنظرُ إليه. كِرشُ مَعدتِه تضخَّم. وَجههُ مُرهقٌ بالنسبة إلى ذهبيّ. شَعرهُ أصفرُ، ومُملَّسٌ إلى الخلف. لم يكن وسيماً قَطّ، لكنّه الآن أقبحُ مِن أيّ وَقتٍ مضى.

– انظُر إليّ يا دارو. كلُّ شيء لديّ اضطررتُ إلى القتالِ مِن أجله. لم أولَد في بيتِ حاكمٍ عام. هذا أبعدُ ما يمكن أن أصلَ إليه قطّ، مع أنّني يجبُ أن أذهبَ إلى أبعدَ مِن هذا بكثير. على ابني أن يذهبَ أبعد، لكنّهُ لا يستطيع، ولن يستطيع؛ سيموتُ إن حاول. كلُّ شخصٍ لديهِ حدودٌ يا دارو، حدودٌ لا يُمكنُه تجاوزها. حدودكَ أعلى مِن حدودي، لكنّها ليسَت بعلوِّ رَغبتِكَ المتبَّبة. إن تجاوزتها فسيطيحون بِك.

يحدِّقُ بعيداً كأنّه خَجِلٌ، وينظرُ بتجهُّمٍ إلى النار. ابنه. ياه! لونهما، الوجه، التقاسيم، الطريقة التي يتحدّث بها أحدهما للآخر. أنا غبيٌّ؛ لأنّني لم أقل ذلك بصوتٍ عالٍ مِن قَبل.

– «أنتَ والِدُ سيفرو». أقول.

لا يَردُّ لبَعضِ الوقت، وعندما يفعل، يكون هنالك تَوسُّل في صوته: «جَعلتَهُ يَعتقِدُ أنّ بوسعِهِ التَّسلُّق أعلى ممّا يستطيع. ستتسبَّبُ في قَتلِه يا صبيّ، وستتسبَّبُ في قَتلِ نفسك».

– «ساعدنا إذنْ». أُلِحُّ عليه: «أعطني شيئاً بوسعي استخدامهُ ضِدَّ

أبولو. أو أفضلَ مِن ذلك: قاتِلهُ معي. اجمعِ المُشرِفين الآخرين، وسنأخذُ المعركة إليهم».

- لا أستطيعُ يا صبيّ. لا أستطيع.

أتنهَّدُ: «لا، أعتقدُ أنّكَ لا تُريد».

- مَسيرتي المِهنيّة ستنتهي بلحظةٍ إنْ ساعدتُك. سيجعلني ذلك أُخاطِر بكلِّ الاستِعبادِ الذي قُمتُ به، وبالكثير مِن الأمور، بَل بكلِّ شيء. مِن أجلِ ماذا؟ فقط كي أقوم بإثباتِ وجهة نظرٍ ما للحاكِم العام.

- «الجميعُ خائفون مِن التغيير». أقولُ ذلك قبلَ أن أبتسم بصدقٍ في وَجهِ الرجُلِ المكسور: «إنّكَ تُذكِّرني بعمّي».

- «لن يكون هنالكَ أيّ تغيير». يتذمَّرُ فيتشنير، وهو ينهض: «إنّهُ لا يَحدثُ أبداً. اعرِف مَكانكَ المتبَّب، وإلّا لن تتمكّن مِن النجاة مِن هذا يا صبيّ». بدا كأنّهُ يريدُ أن يَمدَّ يدهُ، ويلمسَ كتفي، لكنّهُ لا يفعل: «سُحقاً! لقد نُصِبَ الفخُّ لكَ أصلاً. إنّكَ تَسيرُ نحوه مباشرة».

- أنا مُستعِدٌّ لِفخاخِ الشغبر يا فيتشنير، أو فِخاخِ أبولو، لا فَرقَ في ذلك؛ لن يستطيعوا إيقافَ ما هو قادمٌ للنيلِ مِنهُم.

- «كلّا!». يقول فيتشنير، مُتردِّداً للحظة: «ليسَت فِخاخُهم، إنّما فَخُّ تلكَ الفتاة».

أجيبهُ بطريقةٍ سيفهمها: «فيتشنير، لا تعاملني كأحمق مع كلِّ الكلامِ المُزعِج المُبهَم حمَّالِ الأوجهِ هذا. إنّ جيشي معي قَلباً وقالِباً. لا يُمكنهُم عِندَ هذه النقطة أن يخونوني، ولا أن أخونَهم. نحن شيءٌ لم تشهده مِن قبل؛ لذا تَوقَّف».

يهزُّ رأسه: «هذه مَعركتُكَ يا صبيّ».

- «أجل، إنّها مَعركَتي». أبتسم. الآن تَحينُ اللّحظةُ التي كُنتُ أنتظِرُها: «فيتشنير، مَهلاً». أقولُ، قَبلَ أن يَصِلَ إلى الباب. يَتوقَّفُ ويَنظرُ إلى الخلف. أركلُ مِقعدي، وأخطو إلى الأمام مُتّجهاً نَحوَه. يُحدِّقُ فيّ بفضول، ثمّ أمدُّ يدي: «بِصرف النَّظرِ عن كلِّ شيء، شكراً لك».

يَقبِضُ عَليها.

- «حظّاً موفّقاً يا دارو». يقول: «لكن اعتنِ بسيفرو. الوغدُ الصغير سيتبعُكَ إلى أيّ مَكانٍ، بِصرف النَّظرِ عمّا أقول».

- «سأعتني به، أعِدُك». قَبضة غطّاس الجحيم التي لديّ تُطبِقُ على يَدِه.

للحظةٍ، وإن كان للحظةٍ فقط، كنّا أصدقاء. ثمّ يَنتفِضُ مِن قوّة الضغط التي تُطبّقها يدي على يَده. يَضحكُ في البداية، ثمّ يُدرِكُ ما يَحصل، وتَتّسِعُ عيناه.

- «آسف». أقول.

وفي هذه اللّحظة، أكسِرُ أنفه، وأضربُ بمرفقي صَدغَه إلى أن يُصبِح عاجزاً عن الحركة.

40

المنظور الفكري



- «هل غادر فيتشنير؟». تسألني.

- «مِن النافذة». أقول.

أراقِبُ موستانغ على الجانب الآخر مِن الطاولة البيضاء لغرفة حرب أبولو. عاصفةٌ ثلجيةٌ تَهبُّ في الخارج، بلا أدنى شك الغَرَضُ مِنها إبقاء جيشي داخل القلعة حولَ نارهم الدافئة، وقُدورِ الحساء الساخنة. شَعرُها يَلتفُّ حَولَ كتفيها، ومُثبَّتٌ بوساطة رِباطٍ جلديّ. إنّها ترتدي عباءة الذئب كالآخرين، مع ذلك فعباءتها مُخطَّطة بلونٍ قُرمُزيّ. حذاؤها ذو المهاميز، والمُلطَّخ بالوحلِ، مَرفوعٌ على الطاولة. رايَتُها -وهي السلاحُ الوحيدُ الذي تُفضِّله- مَسنودةٌ على كُرسيٍّ إلى جانبها. وَجهُ موستانغ سَريعُ الانفعال. بسُرعةٍ يُظهِر ابتسامةً ساخرةً، وبسُرعةٍ يُظهِر عُبوساً جذَّاباً. تبتسمُ لي، وتسألني بمَ أفكِّر.

- «أتساءلُ متى ستخونيني». أقول.

تقطِّبُ حاجبيها معاً: «هل تتوقّعُ ذلك؟».

- «غشّ، أو سيغشُّونكَ». أقول: «ردَّدَتها شَفتاكِ».

- «هل ستقومُ بخيانتي؟». تقول: «كلّا! فما هي الأفضليّةُ التي ستحصلُ عليها؟ أنا وأنتَ تغلّبنا على هذه اللّعبة. يريدوننا أن نؤمنَ بأنّ المرء لن يَفوز إلّا على حِسابِ البقيّة. هذا ليس صحيحاً، ونحنُ نُثبِتُ ذلك».

لا أتفوَّهُ بأيّة كلمة.

- «حَصلتَ على ثِقَتي؛ لأنّهُ عندما رأيتني أختبئ في الوَحلِ بعد أن استولَيتَ على قلعتي، تَركتَني أهرُب». تَشرحُ بتَمعُّن: «وحَصلتُ على ثِقَتِكَ؛ لأنّني سحبتُكَ مِن الوَحلِ عندما تركَكَ كاسيوس لتموت».

لا أردُّ.

- «إذنْ، هذه هي الإجابة. ستقومُ بفِعلِ أشياء عَظيمةٍ يا دارو». لم تنادني دارو قطّ: «رُبّما ليسَ عليكَ أن تقومَ بفعلها وَحدكَ».

كلماتُها تَجعلُني أضحك، ثمّ أندفعُ واقفاً على قدمَيّ، فتَجفل.

- «اجمعي رجالنا». آمُرها.

أعرفُ أنّها تتطلّعُ إلى الراحة هُنا. وأنا أيضاً. رائحة الحَساءِ تُغريني، وكذلكَ الدِفء، والفِراشُ، وفِكرةُ تَمضِية لحظةٍ هادئةٍ معها، لكنْ ليس هكذا يَغزو الرجال.

- سنقومُ بمُفاجأةِ المُشرِفين؛ سنستَولي على جوبيتر.

«لا نستطيعُ مُفاجأتهُم». تَنقرُ على خاتمها. حقلُ التشويش الذي كان لدى فيتشنير قَدِ اختفى الآن. كُنّا لنَتخلّص مِن الخواتم نهائيّاً، لكنّها ضَمانُنا. قد يكونُ بوسع المُشرِفين تَحريرُ بِضعة أشياء هُنا وهُناك، لكنّ المَنطِق يَقول بأنّهم لا يستطيعون العبثَ باللّقَطاتِ كَثيراً كي لا يَشكَّ المُنتقون.

- «حتّى لو تَمكّنّا مِن فِعلِ ذلكَ خِلالَ هذه العاصفة، ما الذي سنَجنيهِ مِن الاستيلاء على جوبيتر؟». تسألُ: «إنْ لم يُغادِر أبولو لدى خَسارةِ

عُصبَته، لن يفعل جوبيتر ذلك أيضاً. كلُّ ما ستَجنيهِ هو استفزازهُم كي يَتدخَّلوا. علينا النَيلُ مِن الشغبر الآن».

أعرِفُ أنّ المُشرِفين يُشاهِدونني، وأنا أخطِّط لهذا. أريدُهم أن يعرفوا إلى أين أنا ذاهب.

- «لستُ مُستعدّاً لمواجهة الشغبر». أخبِرُها: «أحتاجُ إلى حُلفاء أكثر».

تَنظرُ إليّ، حاجِباها مَقطوبان مَعاً؛ إنّها لا تَفهم، لكنّ ذلك لا يهمّ. ستفهمُ ذلك قريباً جدّاً.

على الرغمِ مِن العاصفة الثلجيّة، يَتحرّكُ جيشي بسرعة. نُغلِّف أنفُسَنا بالعباءات، والفراء الثخينة إلى درجة نبدو فيها كحيوانات تتعثَّرُ في الثلج. في اللّيل نَتبعُ النجوم، نُتابع المَسير على الرغم مِن الرياح المُتعاظِمة، والثلج المُتكوِّم. جيشي لا يَتذمَّر؛ يعرفون أنّني لن أقودهم بلا غاية. جنودي الجُدد يضغطون على أنفسهم أكثر ممّا كنتُ أعتقد أنّهُ مُمكِن. لقد سَمِعوا بي. باكس تأكّد مِن حُدوثِ ذلك. وهُم يائسون ليُبهِروني. أصبحَ ذلك مشكلة؛ فحيثما أسير، يقوم الرَّكبُ مِن حولي بمُضاعَفة جُهودِه فجأةً! ما يَجعلُهم يتجاوزون مَن هُم أمامهم، أو يبتعدون جدّاً عن أولئكَ الذين وراءهم.

العاصفة الثلجيّة شديدة. باكس يَقفُ دوماً بالقُربِ مِنّا أنا وموستانغ، كأنّهُ يُريدُ أن يحمينا مِن الرياح. هو وسيفرو يدوسان دائماً على أصابع بعضهما ليكونا بالقُربِ منّي، مع أنّ باكس على الأغلب كان ليُشعِل لي النار، ويضعني في فراشي في اللّيل لو سمحتُ لهُ بذلك، بينما سيفرو كان ليقولَ لي بأنْ أغربَ عَن وَجهه. بِتُّ أرى مِقدارَ شَبهِهِ بوالده في كلِّ مرّةٍ

أنظرُ فيها إليه. يَبدو الآن أضعف بعد أن عَرفتُ عائلته. لا يوجد سببٌ يُسوّغ ذلك؛ لكنّني أظنّ أنّني فعلاً اعتقدت أنّه قَفزَ خارجاً مِن صُلبِ ذئبة.

أخيراً، يتوقّفُ الثلج، ويأتي الربيع بسرعةٍ وقوّة، الأمرُ الذي يؤكِّدُ شُكوكي. المُشرِفون يقومون بالألاعيب. العَوّاؤون يحرصون على أن تكون كلُّ الأعين مُتّجِهةً إلى السماء، في حال قرّر المُشرِفون التّحرّشَ بنا، ونحنُ نَشقُّ طريقنا. لا أحد يفعل. تاكتوس يراقب ظهورَ أيّ أثرٍ لهم، لكنّ الوَضعَ هادئ. لا نرى أيّ مُستطلِعين للعدوّ، ولا نَسمَع أبواقَ الحرب مِن بعيد، ولا نرى أيّ دُخانٍ يرتفعُ عدا ذلك الذي في الشمال في مُرتفعات مارس.

نَغيرُ على مخازن المؤن في القلاعِ المحروقة والمُدمَّرة لدى تَقدُّمِنا باتّجاه جوبيتر. هنالك أباريقُ مِن قلعة باخوس، أصابَت سيفرو بخيبة أمل عندما أكتشفُ أنّها ممتلئةٌ بعصير العنب عوضاً عن النبيذ، ولحمُ بقرٍ مُملَّح مِن سراديب جونو العميقة، وأجبانٌ مُتعفِّنة، وسَمكٌ مَلفوفٌ بالأوراق، وحقائبُ مِن لحم الحصان المُدخَّن الموجود في كلِّ مكان؛ كلّ ذلك يُبقي بُطونَنا مملوءةً، ونحن نتقدّم.

خلال أربعة أيّام شاقّة، وَصلتُ وحاصرتُ قلعة جوبيتر ذات الجدران الثلاثيّة في مضائق الجبال المُنخفِضة. الثلج يذوبُ بسرعةٍ كافيةٍ لجعل الأرض موحِلةً لأحصنتنا. الجداول تنسابُ عَبرَ مُخيّمِنا. لا أهتمّ بوَضعِ مُخطّطٍ للتَصرُّف. بكلِّ بساطة أخبرُ فِرقَ باكس، وميليا، ونايلا، بأنّ أيَّ أحدٍ مِنهُم يَستولي لي على الحصن سيربحُ جائزة. عدد المدافعين قليلٌ جدّاً، وجيشي يستولي على التحصينات الخارجيّة خلال يومٍ واحدٍ عن طريق صُنعِ مجموعةٍ مِن العوارض الخشبيّة تحت وابلٍ مُتقطّعٍ مِن رشقات السهام.

فرقي الثلاث الأُخرى تستَطِلِع الأراضي المحيطة بكامل قوّتها، في حال قرّر الشغبر إقحام أنفه في هذا. يبدو أنّ جيش جوبيتر الرئيس، الذي يقطعهُ أرغوس الذي لم يعد مُتجمّداً الآن، يَفرِض حِصاراً على قلعة مارس. إنّهم لم يتوقّعوا ذوبان جليد النهر بهذه السرعة. إلى الآن ليسَ هنالك أيّ أثرٍ لرجالِ الشغبر، أو المُشرِفين. أتساءل إن عثروا على فيتشنير محبوساً في واحدةٍ مِن زنزانات قلعة أبولو. تَركتُ له طعاماً، وشراباً، ووجهاً مملوءاً بالكدمات.

في اليوم الثالث مِن الحصار، عَلَمٌ أبيض يُرفرِفُ على أسوار جوبيتر. فتى نحيف، مُتوسِّط الطول، ذو ابتسامةٍ خجولةٍ، يتسلّلُ مِن البوّابة الخَلفيّة لقلعة جوبيتر. القلعة تقعُ على أرضٍ صَخريّةٍ مُرتفعةٍ، وهي مَحصورة بين جُرفَين صخريّين هائلين؛ لذا تنحني جدرانها الثلاثيّة إلى الخارج. قريباً، سأحاولُ إرسالَ رجالٍ إلى أسفل الجُرفِ الصخريّ. سيكون عملاً مُلائماً للعَوّائين، لكنْ لديهم ما يكفي مِن المَجد. هذا الحِصار يَخصُّ الجنود الذين أسرناهم، ونحنُ نُقاتل أبولو.

الفتى يَسيرُ مُتردّداً أمامَ البوّابة الرئيسة. ألتقي به هناك مع سيفرو، وميليا، ونايلا، وباكس. إنّنا نبثُّ الرعب حتّى بدون تاكتوس وموستانغ، على الرغم مِن أنّ موستانغ لا يمكن أبداً أن يُثيرَ مَنظرُها الرُّعبَ، ربّما يمكن وصفها بأنّها مفعمة بالحيويّة على أحسن تقدير. ميليا تبدو كشيءٍ خرجَ مِن كابوس، لقد بدأت تَرتَدي جوائزَ تِذكاريّة مِثلَ تاكتوس والشوكة. وباكس يقومُ بوَضعِ حُزوزٍ على طولِ فأسه العِملاقة لِكلِّ عَبدٍ أسره.

يبدو الفتى متوتّراً أمام مساعدِيَّ. ابتسامتهُ سريعة، كأنّهُ يخشى ألّا نَتقبَّله. الخاتمُ في إصبعه لجوبيتر. إنّه يبدو جائعاً؛ فالخاتم بالكاد يثبتُ على إصبعه.

- «الاسم هو لوسيان». يقول الفتى مُحاولاً أن يَبدوَ رُجوليّاً. يبدو أنّهُ يظنّ أنّ باكس هو القائدُ هنا. ينفجرُ باكس ضاحكاً، ويشيرُ إليّ وإلى نَصلي المنجَليّ. يجفلُ لوسيان، وهو ينظرُ إليّ. أعتقدُ أنّه كان يعرفُ جيّداً أنّني القائد.

- «إذنْ، هل نحن هنا لتَبادُل الابتسامات؟». أسألُ: «ماذا لديك؟».

- «لديّ جوع». يضحكُ على نحوٍ مُثيرٍ للشفقة: «لم نأكل شيئاً سوى الجُرذان والحبوب النيّئة المَنقوعة في الماء لمدّة ثلاثة أسابيع».

أكادُ أشفقُ على الفتى. شعره قذرٌ، وعيونهُ تَفيضُ بالدمع. إنّهُ يعرفُ أنّه يتخلّى عن فُرصةٍ للحصولِ على عَرضٍ تتلّمُذ. سينبُذونَه من جرّاء استسلامه لبقيّة حياته. لكنّهُ جائع. وكذلك هُم بقيّة المُدافِعين السبعة. الغريب في الأمر أنّ جميعُهم مِن جوبيتر، وليسوا عبيداً. عريفهم يتركُ خَلفهُ أضعفهم عوضاً عن العبيد.

الشرطُ الوحيدُ الذي لديهم لتسليم القلعة هو ألّا يُستَعبدوا. فقط باكس راح يتحدّثُ مُتذمّراً عن الشرف وما شابه، وأنّهم يجبُ أن يستحقّوا حريّتهم مِثلَ بقيّتنا، لكنّني أوافقُ على طلب الفتى. أطلبُ إلى ميليا أن تُراقِبهم. إن قاموا بأيّ تَمرُّد، ستَصنعُ مِن فِراء رؤوسهم جوائز تذكاريّة. نربط أحصنتنا في الساحة. الحجارة حصويّةٌ وقذرة. يمتدّ حصنٌ طويلٌ مُضلَّع الشكل نحو الأعلى، ونحو جدار الجُرفِ الصخريّ.

الظلامُ يتسرَّبُ مِن بين الغيوم. هنالك عاصفةٌ قادمةٌ إلى الممرّ الجبليّ؛ لذا أحضرُ قوّاتي إلى القلعة، وأغلقُ البوّابات. تبقى موستانغ مع قوّاتها خلفَ الجُدران، وسيعودون لاحقاً في المساء مع تاكتوس مِن مهمّة استِطلاع. نتحدّثُ مِن خلال أجهزة الاتّصال، وتاكتوس يَلعنُنا؛ لأنّ لدينا مكاناً جافّاً نلجأ إليه. مطر اللّيل غزير.

أتأكّدُ مِن أنّ محاربينا القدماء يحصلون على أولى الأَسِرَّة في مَهاجِع جوبيتر قبل أن نأكل. قد يكون جيشي مُنظَّماً، لكنّهم قادرون على ذَبحِ أمّهاتهم مِن أجلِ فِراشٍ دافئ. إنّها إحدى الأشياء التي لم يعتد مُعظمهم عليها قطّ؛ النوم على الأرض. فهُم يفتقدون مَفارِشهم وشراشِفهم الحريريّة؛ أمّا أنا، فأفتقدُ الغطاء الصغير الذي اعتدت مشاركته مع إيو. لقد مرَّ على موتها الآن وَقتٌ أكثر مِن الذي كنّا فيه متزوّجين. أتفاجأ كم هو مؤلمٌ أن تُدركَ ذلك!

أعتقدُ أنّني بَلغتُ الثامنة عشرة الآن، بمقياس كوكب الأرض. لستُ مُتأكّداً تماماً.

خُبزنا ولحمنا أشبه بالجنّة بالنسبة إلى المُدافعين مِن أتباع جوبيتر المُتضَوّرين جوعاً. لوسيان ومجموعته هزيلون كلّهم، وبأرواحٍ مُتعَبة، يأكلون بسرعةٍ إلى درجة أنّ نايلا تخشى أن يُمزّقوا أمعاءهم. إنّها تطوفُ بينهم، وتخبر كلَّ واحدٍ مِنهُم أنّ لحم الحصان المُدخَّن لن يَخبّ مُبتعداً إلى أيّ مكان. باكس ودبّه الدمويّ العملاق يرميان بين الحين والآخر العِظام على الوديعين مِن المجموعة. ضَحِكُ باكس مُعدٍ. إنّه يصدرُ عنه كأنّه انفجارٌ، ثمّ يتحوّلُ إلى شيءٍ أنثويٍّ بعد مُرورِ ثانيتين. لا أحد بوسعه الإبقاءُ على وجهه جادّاً عندما يُطلِق العنان لنفسه. إنّه يتحدّثُ عن هيلغا مُجدّداً. أبحثُ عن موستانغ كي نَضحكَ معاً على ذلك، لكنّها ستكون غائبة لبضعِ ساعات أُخَر. أفتقدُها، وأشعر ببعضِ الضيقِ في صدري؛ لأنّني أعرفُ أنّها ستتكوّرُ في فراشي هذه اللّيلة، ومعاً سنشخرُ مِثلَ عمّي نارول بعد الاحتفال بالانقلاب الشتويّ.

أنادي ميليا كي تأتي إلى رأس الطاولة. جيشي يرقدُ في أنحاء غرفة

حرب جوبيتر. إنّهم عَفويّون في غَزوِهم. خريطة جوبيتر مُدمَّرة. لا أستطيعُ معرفة ما الذي يَعرفونهُ.

- «ما رأيكِ بمُضيفينا؟». أسألُ ميليا.

- أقترحُ أن نُخضِعهم بوساطة الشعار.

أطقطقُ بلساني: «أنتِ لا تُحبّينَ الإيفاء بالوعود حقّاً، أليسَ كذلك؟».

تبدو شبيهةً جدّاً بالباز: وَجهٌ حادٌّ وقاسٍ، وصوتُها مِن صِنفٍ مُشابه: «الوعود مُجرَّد قُيود». تقولُ بخشونة: «كلاهما وُجِدا كي يُكسرا».

أطلبُ إليها أن تدعَ أتباع جوبيتر وَحدهم، لكنْ بعدها آمُرُها بصوتٍ عالٍ أن تَجلب النبيذ الذي جمعناه في طريقنا إلى مَعقِل جوبيتر. تأخذُ بعضَ الفتية، وتُحضِر البراميل مِن مَخزنِ باخوس.

أقفُ بغباءٍ على الطاولة: «آمُركم أن تَثمَلوا!». أزأرُ على جيشي، فينظرون إليّ كأنّني مجنون.

- «نثمل؟». يقولُ أحدهم.

- «نعم». أقاطِعهُ، قبل أن يتمكّن مِن قَولِ المَزيد: «أبوسعكُم تدبُّرُ ذلك؟ التّصرفُ كحمقى لمرّةٍ واحدة؟».

- «سنحاول». تصرخُ ميليا: «أليس كذلك؟». تتلقّى إجابةً مِن خلال الهُتافات. في وقتٍ ما لاحقاً، ونحن نشربُ مِن مخزون باخوس، أعرِضُ بعضهُ بصوتٍ عالٍ على أتباع جوبيتر. باكس يَتلَعثَم مُعترضاً على فكرة مُشاركة النبيذ الجيّد. إنّه مُمثِّلٌ رائع!

- «هل تُعارِضُني؟». أسألُ مُستجوباً.

يتردّدُ باكس، لكنّهُ يتمكّن مِن خَفضِ رأسه العِملاق.

أسحبُ نصلي المِنجَليّ مِن غمدِه الذي على ظهري، فيُصدِر صوتاً خشناً في هواء غرفة الحرب الرَطب. مئاتُ العيون تَنظرُ إلينا. الرعدُ يَقصفُ في الخارج. باكس يتقدَّم مُتأرجِحاً بخطواتٍ ضخمةٍ ثَمِلة. يَدهُ على قَبضةِ فأسه، لكنّهُ لا يَسحبُها. بعد لحظات، يهزُّ رأسه، ويركع على رُكبتَيه، مع ذلك لا يزال في مثل طولي تقريباً. أغمِدُ سيفي، وأسحبهُ إلى الأعلى كي ينهض. أخبرهُ أنّ عليه أن يَقومَ بدَوريّات.

- دَوريّات؟ ولكنْ... في العاصفة وتحت المطر؟

- لقد سمعتني يا باكس.

مُتذمّراً، والدبّ الدمويّ العملاق يتأرجحُ مِن خَلفِه، يَذهبُ ليُنفِّذَ عِقابَه. إنّهم جميعاً أذكياء بما يكفي ليكتشفوا أدوارهُم، حتّى وهُم لا يعرفون اللّعبة. «الانضباط!». أقول للوسيان مُتفاخراً: «الانضباط هو أفضلُ خِصالِ الجنس البشريّ، حتّى لدى مُتوَحّشين عَمالِقة مِثلَ هذا، لكنّهُ على حق؛ لن تحصلوا على نبيذِ هذه اللّيلة. إنّه شيءٌ عليكم أن تستحِقّوه».

في غياب باكس، أقومُ بمَراسِم مَنحِ عباءات الذئب لعبيدِ فينوس وباخوس الذين استحقّوا حريّتهم باستيلائهم على هذا الحصن. إنّها مُجرَّدُ مَراسِم؛ لأنّهُ لا وقتَ لدينا للعثورِ على أيّة ذئاب. يَسودُ ضَحكٌ ومَرح. إنّهم مُبتهِجون لمرّةٍ واحدةٍ، على الرغم مِن أنّ أحداً لا ينزع سلاحه. يجري إقناعُ نايلا كي تُغنّي أغنية. صوتها ملائكيّ. إنّها تغنّي في دار أوبرا المرّيخ، وكانَ مُخططّاً لها أن تؤدّي في فينّا إلى أن أتت فرصة أفضل لها على شكلِ معهد. فرصة العُمر. يا لها مِن تسلية!

يجلسُ لوسيان في زاوية غرفة الحرب مع سبعة مُدافِعين آخرين، يراقبون جنودنا، وهُم يقومون بعَرضِ الغَطّ في النوم على الطاولات، أمام

النار، بمُحاذاة الجُدران. بعضُهم يَنسلُّ بعيداً لسرقة أَسِرَّةٍ. صوتُ الشخير يُداعِب أذنَيّ.

سيفرو يبقى قريباً منّي، كما لو أنّ المُشرِفين يُمكِن لهم أن ينقضّوا إلى الداخل، ويقتلوني في أيّة لحظة. أطلبُ إلى سيفرو أن يَثمَل، ويَدعَني وشأني. يَنصاعُ، ولا يَطول الوقتُ حتّى يبدأ بالضحك، ومِن ثمّ يَشخرُ على الطاولة الطويلة. أسيرُ مُتعثّراً مِن فَوقِ جيشي النائم نحوَ لوسيان، مع ابتسامةٍ تَرتسِمُ على وجهي. آخِر مرّة ثَمِلتُ فيها كانت ما تزالُ زوجتي على قَيدِ الحياة.

على الرغم مِن وَداعةِ لوسيان، إلّا أنّني أجِدهُ غريباً. عَيناهُ نادراً ما تلتقيان بعينَيّ، كتفاه محنيّان. لكنّه لا يُدخِل يديه أبداً في جيوبِ سرواله، ولا يَبسطها أبداً لحماية نفسه. سألته عن الحرب مع عُصبة مارس. مثلما ظننتُ؛ لقد أوشكوا على الفوزِ فيها. يقول شيئاً ما عن فتاةٍ خانَت عُصبة مارس؛ تبدو لي كأنطونيا.

عليّ أن أتحرّكَ بسرعة. لا أعرفُ ما الذي يُمكِن أن يَحدُث إن استوليَ على قلعة عُصبتي ورايتها، حتّى مع امتلاكي لجيشٍ مُستقِلّ. تقنياً يُمكنني أن أخسر.

أصدقاء لوسيان مُتعبون؛ لذا أترُكهُم يَذهبون ليُحاولوا العُثورَ على أَسِرَّة. لن يُشكِّلوا مُشكلة. لوسيان يبقى ليتحدَّث. أدعوهُ إلى طاولة غرفة الحرب. مع مغادرة أصدقاء لوسيان، أسمعُ موستانغ في الرُدهة. تَدخلُ راقصةً إلى الغرفة. الرعدُ يَقصِف في الخارج. شعرها رَطبٌ وأشعث، عباءة الذئب مُبلّلةٌ تماماً، حذاؤها يَتركُ آثار وَحلٍ.

وَجهُها يصلحُ كنَموذجٍ للارتباك عندما تراني مع لوسيان.

- «عزيزتي موستانغ!». أصيح: «أخشى أنّكِ قد تأخّرتِ. لقد أجهزنا حالاً على مخزون باخوس!». أشيرُ إلى جيشي الذي يَشخرُ وأغمِز. ربّما بَقي قُرابة خمسين مِنهُم مُمدَّدينَ في وَضعيّاتِ نَومٍ مختلفةٍ في أرجاء غرفة الحرب الكبيرة، وثملين جَميعهم مثل نارول في عيد الانقلاب الشتويّ.

- «السُّكْرُ هكذا يبدو فكرةً رائعةً في وَقتٍ كهذا». تقولُ بغرابة. تَنظرُ إلى لوسيان، ثمّ إليّ. شيء ما لا يروقُها. أقدِّمُها للوسيان. يدمدمُ كم هي لطيفة مُقابَلتُها. تضحكُ مُخنِفِرة.

- كيفَ أقنعكَ بألّا تَستَعبِدهُ يا دارو؟

لا أدري إن كانت تَفهمُ اللّعبة التي ألعبها.

- «لقد أعطاني حصنه». ألوِّحُ بيدي المُضطَّربة مُشيراً نحو الخريطة الحجريّة نصف المُدمَّرة على الجدار. تقول موستانغ بأنّها ستنضمُّ إلينا. تبدأ بمناداة بعض رجالها مِن الرُدهة إلى الداخل، لكنّني أقاطعها: «كلّا، كلّا! أنا ولوسيان هنا، أصبحنا صديقين رائعين! لا فتيات. خُذي رجالكِ واذهبي للبحثِ عن باكس».

- ولكنْ...

- «اذهبي واعثري على باكس». آمُرُها.

أعرفُ أنّها مرتبكة، لكنّها تَثِقُ بي. تُدمدِمُ مودّعةً إيّانا أنا ولوسيان، وتُغلِق الباب. صوت كعب حذائها يخبو ببطء.

- «ظننتُ أنّها لن تُغادِر أبداً». أضحكُ مُتّجهاً نحو لوسيان. أستندُ إلى الكرسيّ. إنّهُ نحيفٌ للغاية، لا شيء فيه إضافيّ. شعرهُ أشقر مَقصوصٌ على نحو بسيط. يداهُ نحيفتان وبارعتان. إنّه يُذكِّرني بأحدهم.

- «مُعظَم الناس لا يريدون أن تُغادرَ الفتياتُ الجميلات». يقول لوسيان، وهو يضحكُ بلُطف. حتّى إنّه يحمرُّ خجلاً قليلاً عندما أسألهُ إن كان يعتقدُ أنّ موستانغ جميلة.

نتحدّث قرابة الساعة. يبدأ بالاسترخاء تدريجيّاً، ويجعلُ ثِقَتهُ تكبر، ولا يطول الأمرُ حتّى يبدأ باخباري عن طفولته، عن أبٍ مُتطلّب، عن عائلةٍ كُلّها تَوقُّعات، لكنّهُ ليس مثيراً للشفقة عندما يتكلّم عن ذلك. إنّه واقعيّ، وهي خصلَةٌ تعجبني. لم يَعُد بحاجةٍ إلى أن يَتجنّب النَظرَ إلى عينَيّ عندما يتحدّثُ إليّ. كتفاه لم يعودا منحنيين جدّاً مِثلَ السابق، وأصبح مُبتهِجاً ومُسلّياً أيضاً. أضحكُ بصوتٍ عالٍ بِضع مرّات. يتأخّرُ الوقت ليلاً، لكنْ ما زلنا نتحدّثُ ونمزح. إنّه يضحك من الحذاء الذي أنتَعلُه، والملفوفِ في فراء الحيوانات مِن أجلِ الدفء. إنّه دافئ الآن إلى درجة أنّ الثلج يذوب، لكنّني بحاجةٍ إلى انتعالِ الفِراء.

- لكنْ ماذا عنكَ يا دارو؟ نُثَرثِرُ ونُثَرثِرُ عنّي فقط. أعتقدُ أنّه حانَ دوركَ الآن؛ لذا أخبرني، ما الذي أتى بكَ إلى هنا؟ ما الذي يدفعُكَ؟ لا أظنّ أنّني سمعتُ عن عائلتك...

- ليسوا أناساً ستهتمُّ أن تَسمعَ عنهُم، كي أكونَ صريحاً، لكنّني أعتقدُ أنّ الأمرَ مُتعلّقٌ بفتاة، هذا كلّ شيء. أنا بسيط، وكذلك هي أسبابي.

- «الجميلة؟». يَحمرُّ لوسيان خجلاً: «موستانغ؟ بالكاد تبدو بسيطة».

أهزُّ رأسي.

- «أخبَرتُكَ كلَّ شيء!». يَعترضُ لوسيان: «لا تكن معي كأرجوانيٍّ مُبهَم. ادخُل في الموضوع مُباشرةً يا رجُل!». يَدقُّ على الطاولة وقد نفد صَبرُه.

- «حسناً، حسناً. القصّة الكاملة». أتنهّد: «هل ترى تلكَ الرُزمةَ بجانبك؟ هُنالكَ حَقيبة في داخلها. هل بوسعِكَ أن تَمدَّ يَدكَ وتأخُذها؟».

يسحبُ لوسيان الحقيبة ويرميها إليّ. إنّها تُصدِر خشخشةً على الطاولة.

- دعني أرى يدك.

- «يدي؟». يسألُ ضاحكاً.

- «نعم، فقط أخرِجها لو سمحت». أضربُ الطاولة بِلُطفٍ. إنّه لا يبدي أيَّ رَدِّ فِعل: «هيّا يا رجُل! هُنالكَ نَظريّة أعملُ عليها». أضربُ الطاولة بلُطفٍ، وقد فَقدتُ صبري. يُخرِج يده.

- «كيف سيفيد هذا بإخبار قِصَّتكَ، أو نَظَريّتكَ؟». ما تزال ابتسامتهُ على وَجهِه.

- إنّهُ أمرٌ مُعقَّد؛ مِن الأفضلِ أن أُريكَ إيّاه.

- هذا مُنصِف.

أفتحُ الحقيبة، وأفرِغُ مُحتَوياتِها. عُشرونَ خاتماً يَحمِلون شعاراتٍ ذهبيّة يَتدحرَجون على الطاولة. لوسيان يُراقِبها، وهي تتدَحرَج.

- «هذه كُلّها مِن الأولاد الميّتين؛ الأولاد الذين لم تتمكّن الروبوتات الطبيّة من إنقاذهم. فلنرَ». أقلِّبُ في كَومَة الخواتم: «لدينا جوبيتر، وفينوس، ونيبتون، وباخوس، وجونو، وميركوري، وديانا، وسيريس... ولدينا مينيرفا هنا». أتجهَّمُ، وأبحثُ مِن حولي: «همم. غريب! لا أستطيعُ العُثور على بلوتو».

أرفعُ رأسي وأنظرُ إليه. عيناه مختلفتان، ميّتتان، هادئتان.

- أوه، هذا واحد!

41

الشَّغبَر

يسحبُ يَدهُ مُنتفضاً إلى الخلف. إنّهُ سريع.

أنا أسرع.

أغرسُ خِنجري في يَدِهِ مُثبّتاً إيّاه في الطاولة.

فمهُ مَفتوحٌ يلهثُ مِن شدّة الألم. نوعٌ غريبٌ مِن الزفير، أشبهُ بهسهسة حيوانٍ مفترسٍ، يصدرُ مِن فمه، وهو يتحرّك للوصول إلى الخنجر. لكنّني أكبرُ مِنه، وقد غَرستُ الخنجر أربعة إنشات في الطاولة. أطرقهُ أعمق بوساطة إبريق. لا يستطيعُ سَحبَه. أستندُ إلى الخلف، وأراقبُ محاولاته. هنالكَ شيءٌ بدائيٌّ في هَلعِه الأوليّ المَسعور، ومِن ثمّ هنالك حتماً شيءٌ إنسانيٌّ في طريقة تعافيه، التي تبدو باردةً على نحوٍ وحشي أكثر بكثير مِن فِعلي العنيف. إنّهُ يُهدّئ نفسه أسرع مِن أيّ شخصٍ آخر رأيتهُ في حياتي. يتطلّبُ الأمرُ شهيقاً، وربّما ثلاثة، ليستند بعدها إلى الخلف في مِقعَده، كأنّنا نَحتسي الشراب.

– «حسناً، تبّاً!». يقولها بِفَمٍ مَضموم.

– «أعتقدُ أنّهُ علينا أن نتعرَّف إلى بعضنا على نحوٍ أفضل». أقول مُشيراً إلى نفسي: «أنا الحصَّاد يا شغبر».

- «لديكَ اسم أفضل». يجيب. يأخذُ نفساً، ثمّ آخر: «منذُ متى وأنتَ تعرف؟».

- أنّكَ الشغبر؟ هذا مجرّدُ تَخمينٍ مُتفائل؛ أمّا أنّكَ ستقومُ بشيءٍ خاطئٍ؟ فعرفتُ ذلك مِن قبل أن أدخُلَ القلعة؛ لأنّه لا أحد يستسلم مِن دونِ قِتال. واحِدٌ مِن خواتمكَ لم يكن على مَقاسِك؛ لذا قُم بإخفاء يديكَ في المرّة القادمة. المُنتحِبون القَلِقون دائماً يُخفون أيديهم، أو يَلعَبون بها. لكنْ حقّاً لم تكن لديكَ أيّة فرصة. المُشرِفون يَعرِفون أنّني كنتُ قادماً إلى هنا. لقد فكّروا بأن يجعلوا مِن ذلك فَخّاً لتدميري، إنْ أخبروكَ بقدومي؛ لتقومَ حينها بالتَّسلّلِ إلى هنا، مُحاولاً أن تُمسِك بي، وأنا مَكشوف. إنّهُ خَطؤهُم. إنّهُ خَطؤكَ.

يَنظرُ إليّ، ليُفزَع، وهو يَلتفتُ ليرى جنودي ينهضون مِن الأرض، وهُم بكامِلِ وَعيهِم. هُم خمسون جنديّاً تقريباً. أردتُ أن يروا هذه الحيلة.

- «أوه!». يَتنهّدُ الشغبر عندما يدركُ كم أصبحَ فَخُّهُ بلا جدوى: «وجنودي؟».

- مَن مِنهُم؟ أولئكَ الذين كانوا مَعكَ أم أولئكَ الذين خبّأتهم في القلعة. ربّما في الأقبية؟ أو ربّما تحت الأرض في النفق؟ لن أراهنَ على أنّهم يَضحكون ويَبتسِمون الآن يا رجُل؛ فباكس وحشٌ فظيعٌ، وموستانغ ستُساعِده إن اقتضى الأمر.

- إذنْ، لذلكَ طَلبتَ إليها المُغادرة.

- ولذلكَ لم تسأل مصادفةً لمَ نحن نتظاهرُ بأنّنا ثَمِلون مِن عصير العنب.

باكس سيعثرُ على مَخبئهم. الرعدُ لا يزال يَقصِف. أتمنّى أن يكون

الشغبر قد أشركَ قِسماً كبيراً مِن قوّاتِه في هذا الكَمين. إن لم يفعل، ستكون هُنالكَ مُشكلة؛ لأنّه في حال قد استولى على قلعة جوبيتر، فمِنَ المُرجَّح أنّ لديهِ جيش جوبيتر أيضاً، الذي لديهِ جيشُ جونو، وفولكانوس، وقريباً جيشُ مارس أيضاً. لكنّهُ في قَبضَتي.

الشغبر المُثبَّت يَنزفُ، وهو مُحاطٌ بجيشي. كَمينهُ لم يَكتمِل. لقد خسر، لكنّه ليسَ بعاجز. لم يعد لوسيان. كأنّ يَدهُ ليسَت مُخوزَقة تقريباً. صوتهُ لا يَرتعِش. ليس غاضباً، إنّما هو مُرعِبٌ على نحوٍ فظيع! إنّهُ يُذكّرني بنفسي قبل أن أستشيطَ غضباً: هادئٌ، ومتأنٍّ. أريدُ لجنودي أن يَروهُ، وهو يتلوّى، لكنّه لا يفعل؛ لذا أطلبُ إليهم المغادرة، وأبقي على العَوّائين العشرة فقط، القدامى والجُدد منهم.

- «إن كنّا سنخوض حديثاً، فأخرج هذا الخِنجرَ مِن يدي رجاءً!». يقول لي الشغبر: «صدِّق، أو لا تُصدِّق، إنّهُ مؤلم». إنّهُ ليسَ لَعوباً كما توحي كلماته، فعلى الرغم مِن عزيمته إلّا أنّ وَجههُ شاحبٌ، وجِسمهُ بدأ بالارتجاف مِن الصدمة.

أبتسم: «أين بقيّةُ جيشك؟ أين تلكَ الفتاة، ليلاث؟ إنّها مدينةٌ لصديقي بعين».

- دعني أذهب، وسأقدمُ لكَ رأسها على طبق، إنْ أردت. وإنْ أعرتَني تفّاحةً، فإنّني سأضعُها في فَمِها أيضاً؛ كي تَبدوَ مِثلَ خِنزيرِ العيد. إنّهُ خيارك.

- «هو ذا! إذنْ، هكذا حصلتَ على اسمك، أليسَ كذلك؟». أقولها مع تَهليلٍ ساخر.

الشغبر يطقطقُ بلسانه مُتأسّفاً: «ليلاث أحبَّت وَقعَه، فعَلِقَ بي؛ لهذا كُنتُ لأضعَ تُفّاحةً في فَمِها. أتمنّى لو بمقدوري أن أكون شيئاً أكثرَ... مَلَكيّةً

مِنَ الشغبر، ولكنّ السمعةُ تَجنَحُ إلى خَلقِ نَفسِها بنَفسِها». يومئ برأسه إلى سيفرو: «مِثلَ الغوبلن الصغير هناك، وفُطور عيش الغراب التي لديه».

- «ماذا تقصد بفُطورِ عيش الغراب؟». تسألُ الشوكة.

- هذا هو الاسم الذي نُطلِقه عليكم؛ فُطورُ عيش الغراب، كي يَجلسَ عليها الحصَّادُ والغوبلن. لكنْ إن أحببتُم الحُصولَ على اسم أفضل خارجَ هذه اللّعبةِ الصغيرة، عليكُم بِكلِّ بساطةٍ أن تقتلوا الحصَّادَ الشرّيرَ الكبيرَ هُنا. لا أن تُفقِدوه وَعيَه، بلْ أن تقتلوه. اغرزوا سيفاً في فقرات ظهره، وستصبحون قادة أساطيل، أو حُكَّاماً، أو أيّ شيءٍ آخر. والدي سيُسعَدُ لتَحقيقِ ذلك. إنّهُ أمرٌ في غاية البساطة. خِدمةٌ مُقابِلَ أُخرى.

يَستلُّ سيفرو سكّينه، ويُحدِّقُ في عَوّائيه: «ليسَ بهذه البساطة».

الشوكة لا تتحرَّك.

- «كان أمراً يَستحقُّ المُحاولة». يَتنهّدُ الشغبر: «أعترفُ بأنّني سياسيٌّ، ولستُ مُقاتلاً؛ لذا إن كُنتَ تُريدُ التحاور، فعليكَ أن تَقولَ شيئاً ما يا حصَّاد. إنّكَ تبدو كالتِّمثال، وأنا لا أتحدَّثُ إلى تماثيل». جاذبيّته باردة. ماكرٌ ويَقِظ.

- هل حقّاً أكلتَ أفرادَ عُصبتك؟

- بعدَ أشهُرٍ في الظلام، ستأكلُ أيّ شيءٍ يَقعُ فَمُكَ عليه، حتّى لو كان لا يزال يَتحرَّك. إنّهُ ليسَ أمراً باهراً حقّاً؛ أقلُّ إنسانيّةً ممّا أودُّ، وأشبهُ بالحيوانات أكثر. أيّ أحدٍ كان ليقومَ بذلك. لكنّ نَبش ذكرياتي البَشِعة ليسَ طريقاً للتّفاوض.

- نحن لا نتفاوض.

- البشرُ يَتفاوضون دائماً. هذه ماهيّةُ المقايضة: أحدٌ ما لديهِ شيءٌ ما، أو يَعرفُ أمراً ما، وأحدٌ ما يُريدُ شيئاً ما. ابتسامتهُ لَطيفةٌ، ولكنّ عينيه... هنالكَ خَطبٌ ما بِه. يبدو أنَّ روحاً مُختلفةً قد مَلأت جَسدهُ مُنذُ أن كان لوسيان. لقد رأيتُ مُمثّلين... لكنّ هذا مُختلِف. يبدو الأمرُ كأنّهُ عَقلانيٌّ إلى درجةٍ غَيرِ بشريّة.

- يا حصَّاد، سأجعلُ أبي يُعطيكَ ما تُريد: أسطولاً، جيشاً مِن الورديّين لتُضاجِعهم، غُرباناً كي تَغزو بِهم، أيَّ شيء. ستكونُ لديكَ منزلةٌ مُمتازةٌ، إن فُزتُ أنا بهذه السنةِ الدراسيّة السخيفة؛ أمّا إن فُزتَ أنت، فسيكونُ هُنالكَ المَزيدُ مِنَ الدراسة، والمَزيدُ مِن الاختبارات، والمَزيدُ مِن المَشقّة. سَمعتُ أنّ عائلتكَ ميّتةٌ وفقيرةٌ، سيكونُ مِن الصَّعبِ عليكَ أن ترتقي بمُفردِك.

كِدتُ أنسى أنّ لديّ عائلةً مُزيَّفة.

- سأصنعُ إكليلي الخاصّ بي.

- «حصَّاد، حصَّاد، يا حصَّاد، أتظنُّ أنّ هذه هي النهاية؟». يُصدِر صوت طقطقةٍ مُقرِفة بلسانه: «لا. لا يا سيّد. لكنْ إن تركتني أذهب، حينها فالمشقّة...». يقوم بحركةِ كَنسٍ بيَدِه الحُرَّة: «ستزول. والذي سيُصبح راعِيك. حينها أهلاً بالقيادة، وأهلاً بالشهرة، وأهلاً بالسُّلطة. فقط قُل وداعاً لهذا». يشيرُ إلى السكّين: «ودَع مُستقبَلكَ يبدأ. كُنّا أعداءً كأطفال، فلنكن الآن حُلفاء كرجال. أنتَ السَّيفُ، وأنا القلم».

كان الراقِصُ ليُريدَ منّي أن أقبلَ هذا العرض. كان ليَضمنَ نجاتي. ليَضمنَ صعودي المكّوكيّ. سأكونُ داخلَ أروقةِ قَصرِ الحاكِم العام. سأكون بالقُربِ مِن الرَّجُلِ الذي قَتلَ إيو. أوه! أريدُ أن أقبل، ولكنْ حينها سيتوجَّبُ عليّ تَركُ المُشرِفين ليهزموني، وسيكونُ عليّ أن أدعَ هذا العاهرَ

النَّجسَ الصغيرَ يربح، وأدعَ والدهُ يَبتسمُ ويَشعرُ بالفَخر، وسيكون عليّ أن أرى هذه الابتسامة المُتعجرِفة تَنتشِرُ على وَجهِهِ اللّعين. تبّاً لذلك، سأجعلهم يشعرون بالألم!

يُفتَحُ البابُ، وينحني باكس ليَدخُل عبْره إلى الغرفة. تعلو وجهه ابتسامة.

- «طابَت ليلتُكَ المتبَّة يا حصَّاد!». يَضحك: «أمسكنا بأولئكَ الحُقراء الصِّغار في البئر. هُم خمسون. يبدو أنّ لديهم أنفاقاً طويلةً هنا في الأسفل كالجُرذان؛ هكذا يبدو أنّهم استولوا على القلعة». يَضرِبُ البابَ، ويجلسُ على حافّة الطاولة ليَقضِم قِطعةَ لَحمٍ مُتبقّية: «كان عملاً رطباً. هيه! جعلناهم يخرجون لتكونَ مجزرةً في قِمَّةِ الروعة، أوكِّدُ لكَ ذلك. في قِمَّةِ الروعة! لأعجبَ ذلكَ هيلغا. جميعهم عبيدٌ الآن. موستانغ تَستعبِدُهم الآن، ونحن نَتحدَّث. لكنْ يااااه، إنّها بمزاجٍ غريب!». يَبصُق عظمة: «هيه! هذا هو إذنْ؟ الشغبر؟ إنّهُ يبدو شاحباً كمؤخّرة الحُمر». يقتربُ ممعناً النظر: «سحقاً! لقد قُمتَ بتَسميره».

- «أظنُّ أنّكَ قد قَضيتَ على رَوثٍ أكبرَ مِنهُ يا باكس». يضيفُ سيفرو.

- بكلِّ تأكيد. وكانوا مُلوَّنين أكثرَ مِن هذا أيضاً. إنّهُ أسمر كالبُنّيين.

- «صُنْ لسانكَ أيّها الأحمق!». يقول الشغبر لباكس: «فليسَ مِن الضرورة أن تبقى محتفظاً به».

- «ولا بقضيبكَ أيضاً إن لم تتوقّف عن الثرثرة. هيه! أهو صغيرٌ أيضاً مِثلك؟». يهدرُ باكس.

لا يحبُّ الشغبر أن يَسخرَ أحدٌ مِنه. يُحدِّق بصمتٍ في باكس قبل أن يُحرّكَ عينيه نحوي مِثلما تُحرّكُ الأفعى لسانها.

- «هل تعرف أنّ المُشرِفين كانوا يساعِدونك؟». أسألُ: «وأنّهم حاولوا قتلي؟».

- «طبعاً». يقولها، وهو يهزُّ رأسه: «مكافأتي تكون... فوق المتوسّط».

- «ولا مُشكلةَ لديكَ مع الغِشّ؟». أسألُ.

- غُشّ، أو سيغِشّونكَ، أليسَ كذلك؟

مألوف.

- «حسناً، لم يعودوا يُساعِدونكَ بعد الآن. لقد فاتَ الوقتُ كثيراً على ذلك. الآن، حانَ الوقتُ لتُساعِد نَفسَكَ بنَفسِكَ». أغرزُ سكّيناً أُخرى في الطاولة. إنّهُ يَعرفُ مِن أجلِ ماذا.

- سَمعتُ مرّةً أنّه عندما يَقعُ الشغبر في فَخّ، فسيعضُّ رجلهُ كي يُحرّرَ نفسه. هذه السكّين ستكون أسهل مِن استخدام الأسنان.

ضحكتهُ سريعةٌ وقصيرةٌ، مِثلُ نُباحِ جَروٍ: «إذنْ، إن قَطعتُ يدي فبوسعي المُغادرة؟ أحقّاً هذا كلُّ ما في الأمر؟».

- البابُ هناك. باكس، أبقِ السكّينَ في الأسفل كي لا يَغُشّ.

حتّى لو كان قد أكلَ الآخرين، لكنّه لن يفعلَ هذا. بوسعِهِ التضحيةُ بالأصدقاء والحُلفاء، ولكنْ ليسَ بنَفسِه. سيخفق في هذا الاختبار. إنّهُ ذو بريقٍ ذهبيّ. ليس بأحدٍ نخشاه. إنّه صغير. إنّه ضعيف. إنّه تماماً مِثلُ أبيه. أعثرُ على خاتم بلوتو الخاصّ به في حذائه، وأضعهُ حولَ إصبَعهِ كي يتمكّن المُنتقون الذين قاموا باختياره ووالده مِن رؤية مَوضِع فَخرِهم وبَهجتِهم، وهو يَستسلِم. سيعرفون أنّني أفضل.

- ربّما يقومُ المُشرِفون بدَفعي، لكنّه لا يزال عليّ أن أستحقّ ذلك يا دارو.

- إنّنا ننتظر.

يَتنهَّد: «أخبرتُكَ: أنا شيءٌ مُختلِفٌ عنك. اليَد، إنّها أداةُ المُشاة؛ أمّا أداةُ الذهبيّ، فهي عَقلُه. لو أنّكَ مِن عُصبةٍ أفضل، لكُنتَ عَرفتَ أنّ هذه التَضحية تعني القليل جدّاً بالنسبة إليّ».

ومِن ثمّ بدأ يَقطَع. الدموعُ تَنهمِرُ على وَجههِ مع أوّل تَدفُّقٍ للدم. إنّه يَنشُر، وباكس لا يستطيعُ حتّى أن يُشاهِد ذلكَ. كان الشغبر قد اجتازَ النِصفَ عندما رفعَ رأسه، ونَظرَ نحوي مع ابتسامةٍ مجنونةٍ تؤكّد لي جنونه المُطلَق. أسنانهُ تصطكّ. إنّهُ يَضحكُ منّي، ومن هذا، ومن الألم. لم أقابِل أحداً مِثلَه. الآن عرفتُ كيفَ شَعرَ ميكي عندما قابَلني. إنّهُ وَحشٌ في جِسمِ إنسان.

الشغبر يَستعدُّ لكَسرِ مِعصَمه؛ ليجعلَ الأمرَ أسهل، عندها أخذَ باكس يَشتُم، وأعطاهُ نَصلاً أيونيّاً. سيخترقهُ بضربةٍ واحدة.

- «شكراً لكَ يا باكس». يقول الشغبر.

لا أعرفُ ماذا أفعل. كلّ شيءٍ في داخلي عِبارةٌ عن إحساسٍ صارخ. عليّ أن أقتلهُ الآن. أن أغرزَ نَصلاً في حَلقِه. إنّهُ شخصٌ لا يمكنُ تَركهُ يَذهَب. إنّهُ شَخصٌ لا تستفزّه، ثمّ تُعيدُه إلى البريّة. لقد تجاوزَ كاسيوس بمراحل، إنّهُ يَجعلُني أرغبُ بالضَّحِك. مع ذلك، أخبِرهُ بأنّ بإمكانه أن يَرحَل إن قامَ بالقَطعِ، وهو يَقطَع. يا إلهي!

- «تبّاً، يا لكَ مِن مجنون!». يتنفّسُ باكس.

الشغبر يدمدمُ شيئاً ما عن الحمقى. «إنّها مُجرَّدُ يَد». يقول. يدي هي كلُّ شيءٍ بالنسبةِ إليّ. بالنسبةِ إليه هي لا شيء.

عندما فرغ مِن الأمر، جلس هنالكَ مع جَدعةٍ مَكويّةٍ تقريباً. وَجههُ

كالثلج، لكنّ حِزامهُ مَربوطٌ على شكل عقدة لوقف النزف. هُنالكَ لحظاتٌ مُشتركةٌ بيننا حينما يعلم أنّني لن أدعهُ يغادر.

عندها أرى تَشوّهاً يتحرّك عبر النافذة المَفتوحة. أتى المُشرِفون كما أمِلتُ، لكنّني مُشوَّشٌ، وغيرُ مُستعِدٍّ. وعندما أرى مُفجّراً صوتيّاً صغيراً يُقرقِعُ على الطاولة، والشغبر يلتقطهُ بيَدِهِ الوحيدة، أعرِفُ أنّني اقترفتُ خطأً كبيراً. مَنحتُ المُشرِفين وقتاً كي يُساعِدوه. كلُّ شيءٍ يتباطأ، لكنْ ليسَ بوِسعي سوى أن أراقِب.

باليَدِ نفسها التي تُمسِكُ بالمُفجِّر الصغير، يَضرِبُ الشغبر نحو الأعلى بوساطة النَصلِ الأيونيّ لباكس. إنّهُ يَغرِزُ النَصلَ في حَلقِ صديقي الكبير. أصرخُ، وأندفعُ إلى الأمام، عندها يضغطُ الشغبر على زِرِّ المُفجِّر.

انفجارٌ صوتيٌّ يَندفِع مِن الجهاز، مُلقياً بي عَبرَ الغُرفة. العَوّاؤون يرتطمون بالجدران. باكس يَنقلبُ على الباب. الكؤوس، والطعام، والمقاعد: تتبعثرُ مِثلَ الأرُزِّ في الريح. أنا مُمددٌ على الأرض. أهزُّ رأسي مُحاولاً استعادة إحساسي بما حولي، بينما يتقدّم الشغبر نحوي. باكس يَقِفُ على قدميه مُترنِّحاً، الدمُ يَقطِر مِن أذنيه، ومِن حلقه. يقول لي الشغبر شيئاً ما، مُمسكاً بالنصل، ثمّ يندفع باكس إلى الأمام، ليسَ نحو الشغبر، إنّما نحوي. يَسحَقُني بِثقلِه، وجِسمُه يغطّيني. بالكادِ أستطيعُ التَّنفُّس. لا أرى ماذا يَحدُث، لكنّني أشعرُ بِهِ مِن خِلالِ جِسمِ باكس: اختلاجٌ وتَشنُّج، ثمّ عَشرُ صدمات في أثناء طَعنِ الشغبر لباكس مُحاولاً بشراسةِ الوُصولَ إليّ، كأنّهُ حيوانٌ ضارٌّ يَحفرُ في الأرض، يَحفرُ عَبرَ باكس ليقتلني، وأنا ساقط.

ومِن ثمّ لا شيء.

الدم يَقطرُ على وجهي، مُدفِئاً جِسمي. إنّهُ لصديقي.

أحاولُ تحريكَ باكس. أتمكّنُ مِن الانزلاقِ مِن تحته. الشغبر يهربُ، وباكس يَنزفُ حتّى الموت. نَحيبُ بانشي يصدحُ في أذنَيّ. المُشرِفون يرحلون أيضاً. العَوّاؤون يَنهضون مُتعثّرين على أقدامهم. عندما أنظرُ إلى الخلفِ نَحوَ باكس، إنّه ميّت. قد رسمَ فمه ابتسامةً هادئة. الدمُ يسيلُ على الحجارة. أشعرُ بضيقٍ في صدري، وأسقطُ على ركبتَيّ، وأنا أشهق.

لم يكن لديه أيّة كلمةٍ أخيرة. لم يكن لديه أيّ وَداع.

رمى بنفسه عليّ، ليُمزَّق.

مَيِّت.

باكس الوَفيّ. أمسِكُ برأسه الضخم. مِن المؤلمِ رؤية عملاقي يَسقُط. لقد خُلقَ لما هو أكثرُ مِن ذلك. قلبٌ رقيقٌ كهذا في جِسمٍ صَلب. لن يضحكَ مُجدّداً. لن يَقفَ على مِنصّةٍ مُدمرة. لن يرتدي قِباءَ الفُرسان، أو يَحمِل صَولجانَ الإمبراتور. مَيِّت. ما كان يجبُ أن تحدُثَ الأمورُ على هذا النَحو. إنّهُ خَطئي؛ كان عليّ أن أنهي الأمورَ بسرعة.

أيّ مُستقبَلٍ كان بانتظاره!

سيفرو يقفُ خَلفي بوَجهٍ شاحب. العَوّاؤون ينهضون على أقدامِهم ويستَشيطون غَضباً. أربعة يبكون بصَمت. الدمُ يَقطِرُ مِن آذانهم. العالمُ بلا صوت. ليسَ بوسعنا أن نَسمع، لكنّ قَطيع الذئاب ليسَ بحاجةٍ إلى الكلِماتِ ليَعرِفَ أنّهُ حانَ وَقتُ الصيد.

لقد قتَلَ باكس، والآن سنَقتُله.

آثار دماء الشغبر تَقودُ إلى أحدِ الأبراجِ المُدبّبةِ الصغيرة للحصن. مِن هنالكَ تختفي في الساحة؛ قد أزالها المطر. قَطيعُنا المُؤلّف مِن أحد عشر

فرداً يَقفِزُ مِن البُرجِ المَدبّبِ نحوَ جِدارٍ مُنخفِضٍ، ونَتدحرجُ لدى اصطدامنا به، ثمّ نَنزلُ نحوَ الساحة، وسيفرو، مُقتَفي الآثار فينا، يَقودُنا عَبرَ البوّابة الخلفيّة نحو الجبال المُنخفِضة الوعرة.

اللّيلةُ قاسية. المَطرُ والثلجُ يَجرفانِنا جانباً. البَرقُ يومِضُ، والرَّعدُ يَقصِفُ، لكنّني أسمعهُ كأنّني في حُلُم. أركضُ مع العَوّائين في صَفٍّ مُتعرِّج. نَتدحرجُ فوق صخورٍ قاتمةٍ، على طول مُنحدَراتٍ شاهقةٍ؛ بحثاً عن طريدتنا. حذائي الملفوفُ يُبطئني، لكنْ يجبُ أن يبقى مُغطّى. ما زال مِن المُمكِنِ أن تَنجَح خُطّتي، حتّى بعد كلِّ هذا.

لا أعرفُ كيفَ يَقودُنا سيفرو. أنا تائهٌ في هذه الفَوضى. أفكّر في باكس. ما كان يَجِبُ أن يَموت. لقد حاصرتُ الشعبر وأرغمتهُ على عَضِّ طَريقِه نَحوَ الخارج. أذكرُ كيفَ نَظرَت موستانغ إليه. كانت تَعلَمُ مَن يكون. كانت تَعلَمُ، وكانت تُريدُ التَّحدّثَ إليّ على انفراد. مهما كان ما يَربطهما، إلّا أنّ وَلاءها كان لي. ولكنْ كيفَ كانت تَعرِفه؟

يأخذنا سيفرو إلى مَضائِق الجبال المُرتفعة؛ حيثُ الثلجُ لا يزال مُكدَّساً إلى ارتفاعِ الرُكبة. آثارٌ هُنا. أمواجٌ مِن الثلجِ مِن حَولِنا. أنا مُتجمِّد. عباءتي مُتشرِّبة بالماء. النَّصلُ المِنجَليّ يَرتدُّ عن ظهري. حذائي مُبلَّل. الدَّمُ يَقطِرُ على الثلج. نركضُ إلى أعلى التلّةِ عَبرَ مَمرٍّ مَكسوٍّ بالثلج بين قِممٍ وَعِرة. أرى الشعبر. إنّهُ يَمشي مُتعثّراً على بُعدِ مئة متر. يَقعُ على الثلج، ثمّ يَنهضُ مُجدّداً. إنّهُ صلبٌ كالفولاذِ لتَمكُّنِهِ مِن بُلوغِ كلِّ هذه المسافة البعيدة. سنقبضُ عليه، وسنقتلهُ لما فَعلهُ بباكس. ما كان عليه أن يَطعنَ عِملاقي. قَطيعي يبدأ بالعواء على نحوٍ حَزين. ينظرُ الشعبر إلى الخلفِ، ويُتابِع التقدُّمَ مُتعثّراً. لن يتمكّن مِن الفرار.

نجري بسرعةٍ إلى أعلى المُنحدَر الثلجيّ. ليلٌ وظلامٌ دامس. الريحُ تَجرفُنا جانباً. أنا أعوي، لكنْ على نحوٍ مَكتومٍ بعدَ الانفجار الصوتيّ، كأنّ الصوتَ قد غُلِّفَ بالقُطن. ثمّ يشوّه شيءٌ غريبٌ هيئةَ الثَلجِ أمامنا، جِسمٌ غَيرُ مَرئيّ، جِسمٌ غَامِضٌ مُشكَّلٌ بالثلج المُتساقِط؛ إنّهُ المُشرِف. أحسُّ كأنّ حجراً قد سقطَ في معدتي. هُنا سيقتلونني. هذا ما حذَّرَني فيتشنير مِنه.

يُطفئ أبولو عباءته. إنّهُ يَبتسمُ لي مِن خلال خوذَتِه، وهو يقولُ شيئاً ما. لا أستطيعُ سَماعَ ما الذي يَقوله. ومِن ثمّ يُلوِّحُ بقبضةٍ نبضيّةٍ ليَتبعثَر سيفرو والعَوّاؤون لدى إطاحَةِ انفجارٍ صوتيٍّ صغيرٍ بخمسةٍ مِن قطيعِنا إلى أسفلِ التلّة. طبلتا أذنَيّ تتأوّهان. لن تعودا إلى سابق عَهدِهما أبداً. القَبضة النبضيّة مُجدّداً. أسقط بعيداً. الألمُ يُقطِّعُ قَدَمي. يَقلبني. بعدها يتلاشى الألم. أنهضُ وأركضُ خلفَ أبولو. قبضتهُ تُصدِر نَبضةً مِن الطاقة المُشوَّهة نحوي. أتفادى ثلاثة انفجارات. أنقلِبُ وألتفُّ بسرعة، ثمّ أقفزُ، وأهوي بسيفي على رأسه، فيَتجمَّدُ في مكانه. إنّهُ الواقي النبضيّ، عندما يكون فعّالاً لا يمكن أن يُختَرَق بأيّ شيءٍ سِوى الشفرة. كنتُ أعرفُ ذلك، لكن يجب أن يكونَ هنالكَ بَعضُ الاستعراض.

أبولو ينظرُ إليّ، وهو مُحصَّنٌ في دِرعه. قطيعي أطيحَ بِه إلى أسفلِ التلّة. أرى الشغبر يُكافِح على سَفحِ الجبل. يبدو أقوى الآن. هنالكَ تَشوُّه يَتبَعُه، مُشرِفٌ آخر ما يَمنحُه القوّة؛ فينوس على ما أعتقد.

أصرخُ مُطلقاً كلَّ الغضبِ الذي تَجمَّعَ في داخلي مُنذ أن وَضعتُ نَفسي تحتَ سكّين ميكي.

أبولو يقولُ شيئاً لا أستطيعُ سَماعَه. أشتمهُ وألوِّحُ بنَصلي مُجدّداً. يَلتقِطهُ ويَقذِفهُ إلى الثلج. الطبقة الخفيّة مِن الواقي النبضيّ حول قَبضَته

تَضرِب وَجهي. لا تَلمسني، ومع ذلكَ تُرسِل ألماً مُبرِّحاً يَجتاحُ الأعصاب. أصرخُ وأقَع، ثمّ يُمسِك بي مِن شعري، ونَرتفِعُ نَحوَ العاصفة. إنّهُ يُحلِّقُ بوساطة الأحذيةِ الثقاليّة إلى أن أصبحنا على ارتفاع ثلاثمئة متر؛ إنّني أتأرجحُ بينَ يديه. الثلجُ يُشكِّل دَوّاماتٍ مِن حَولنا. إنّهُ يَتكلّمُ مُجدّداً، مُعدِّلاً بَعضَ التردّدِ؛ بحيثُ تتمكّن أذناي المُتضرّرتان مِن سماعه.

- سأستخدمُ كلماتٍ بسيطةً كي تتمكّن مِن فَهم ذلك. موستانغ الصغيرة في قبضتنا. إن لم تَخسَر في مواجهتكَ القادمة مع ابن الحاكِم العام؛ بحيثُ يَتمكَّن المُنتقون جميعاً مِن أن يشهدوا على ذلك، فسأقضي عليها.

موستانغ!

أوّلاً باكس، والآن الفتاة التي غَنَّت أغنية إيو بالقُربِ مِن النار. الفتاة التي سَحبَتني مِن الوَحل. الفتاة التي كانت تتكوّرُ بجانبي، والدُّخانُ يَعلو بدوّاماتٍ في كَهفِنا الصغير. موستانغ الرائعة، التي تَبعَتني بإرادتها، وهذا الذي أوصَلتُها إليه. لم أتوقّع ذلك. لم أخطّط لهذا. إنّها في حَوزتهم.

أشعرُ بمعدتي تَسقُط. ليسَ مُجدّداً. ليسَ مِثل أبي. ليسَ مِثل إيو. ليسَ مِثل ليا. ليسَ مِثل روكي. ليسَ مِثل باكس. لن يقتلوها أيضاً. ابنُ العاهِرة هذا لن يقتل أيّ أحد.

- سأقتلعُ قلبكَ اللّعين مِن جِسمك!

يضربني في بطني، وهو لا يزال مُمسكاً بي مِن شعري. وَجههُ غريبٌ، كأنّهُ يُحاولُ إيجادَ تَفسيرٍ لكلمة لَعين. إنّنا نَطوفُ في الهواء الآن، عالياً، عالياً جدّاً. أتأرجحُ مِثل رَجُلٍ مَشنوقٍ عندما يَضرِبني مُجدّداً. أتأوّه. وأنا هكذا، أتذكَّرُ شيئاً واحداً تعلّمتُه مِن فيتشنير عندما رَبَتُّ على كَتِفه في الغابة. إن كان أبولو يُمسِك بشعري، وأنا لا أشعرُ بواقيه النبضيّ، إذنْ، فإنّهُ

غَيرُ مُفعَّل. وهو غَيرُ مُفعَّل على كلّ جِسمه. إنّه يَرتَدي دِرعاً صادّاً يُغطّيه من كلِّ مكان، عدا مَكانٍ واحد.

- «إنّكَ دُميةٌ صَغيرةٌ غبيّةٌ، إنّني أدركُ ذلكَ الآن». يقولها بِفُتور: «دُميةٌ صغيرةٌ هائجةٌ مَجنونة. لن تقوم بما أخبرتُكَ به، أليسَ كذلك؟». يَتنهَّد: «سأجِدُ طريقةً أُخرى. حانَ الوقتُ لِقَطعِ حِبالكَ».

يُسقِطني.

ولكنّني أطفو هناكَ على بُعدِ إنشات مِن يَدِه الممدودة.

لا أذهبُ إلى أيِّ مَكان؛ لأنّني، تحتَ الفَرو والجوخ؛ أنتعِلُ حذاءً ثقالياً سرقتهُ مِن فيتشنير عندما هَجمتُ عليه في غُرفة حرب أبولو. وواقي أبولو غَيرُ مُفعَّل. وقد استفزّني. يُحدِّقُ فيّ ببلاهةٍ مُرتبِكاً. أثني مِفصَلي ليَقفِزَ نَصلُ سِكّينِ الخاتمِ إلى الخارجِ، وألكمهُ في وَجهِه، مُقحماً النصلَ -مُخترقاً واقي خوذته- في مَحجرِ عينِه أربعَ مرّات، وأنثُرُ يَدي إلى الأعلى كي يَموت.

- «إنّكَ تَحصدُ ما تزرع!». أصرخُ في وَجهِه، وهو يَخبو. كلُّ الغَضبِ الذي شَعرتُ بأنّهُ يتأجّجُ بي، يُعميني ويَملؤني بِحقدٍ نابضٍ مَلموسٍ يَتلاشى فقط عِندما يَنطفِئ الحذاءُ الثقاليّ لأبولو، ويَهوي نحو الأسفلِ عَبرَ العاصفة الهادرة.

أعثرُ على العَوّائين حَولَ جَسدِه. الثلجُ أحمر. إنّهم يُحدِّقون فيّ، وأنا أهبِط، سكّينُ خاتمي مُبلَّلٌ بدمٍ فَريدٍ ذي نُدبة. لم أكن أنوي قَتلَه، لكنْ ما كان عليهِ أن يأخُذَها، وما كان عليهِ أن يُناديني بالدُّمية.

- «لقد أخذوا موستانغ». أخبرُ قطيعي.

ينظرون بِصمتٍ. لا يعود الشغبر مُهِمّاً بعدَ الآن.

- إذنْ، سنَستولي على الأوليمبوس الآن.

الابتساماتُ التي يتبادلونها مَع بَعضِهم باردةٌ مِثلَ الثلج.

يقهقهُ سيفرو.

42

حَربٌ في الجنَّة

لا وقتَ لدينا لنضيِّعهُ في العودة إلى الحصن. لديّ الفتيان والفتيات الذين أحتاجُ إليهم. لديّ الأصلَبُ مِن بين كلِّ الجيوش. الصغار، والأشرار، والمُخلِصون، والسريعون. أسرقُ دِرعَ أبولو الصّاد. الصَّفيحة الذهبيّة تُغلِّفُ أطرافي كأنّها سائل. أُعطي حِذاءهُ الثقاليّ لسيفرو، لكنّهُ كبيرٌ بالنسبة إليه على نحوٍ مُضحِك. أخلعُ حذائي، حذاء والده، كي يتمكّن مِن انتعاله، فلقد كان يضغطُ على أصابع قدمي على نحوٍ فظيع، وأنتعلُ حذاء أبولو عوضاً عنه.

- «لمن هذا؟». يسألُ سيفرو.

- «للبابا». أخبِرُه.

- «إذنْ، قد حَزرت». يضحكُ سيفرو.

- إنّهُ مَحبوسٌ في زنازين أبولو.

- «القرد الماجن الأحمق!». يضحكُ مُجدّداً. لديهما علاقةٌ غريبة.

أحتفظُ بشفرة أبولو، وخوذتِهِ، وقبضتِهِ النَّبضيّة، وواقيه النَّبضيّ، إضافةً

إلى درعِهِ الصَّاد. سيفرو يأخذُ العباءة الشَّبح. أطلبُ إليه أن يلحق بي، ويكون بمنزلة ظِلّي، ومِن ثمّ أخبرُ عَوّائيَّ بأن يربطوا أحزمتهم معاً.

الأحذية الثقاليّة بوسعها أن ترفعَ رجُلاً يرتدي بدلةً فضائيّةً واقيةً، وهو يحملُ فيلاً في كلِّ يَد. إنّها قويّةٌ بما يكفي كي ترفعني مع عَوّائيَّ، المُعلَّقين بذِراعي وقدمي بوساطة مَرابِط مِن الأحزمة، بينما أطيرُ بنا عبر العاصفة الثلجيّة الهادرة مُحلِّقاً إلى الأعلى، والأعلى، حتّى بلوغ الأوليمبوس. سيفرو يَحملُ البقيَّة.

المُشرِفون كانوا يلعبون ألعابهم. يضغطون ويستفزّون منذ مدّةٍ طويلة. لقد عرفوا أنّني شيءٌ خطرٌ، شيءٌ مُختلِف. وعاجلاً أم آجلاً، سيكونُ عَليهِم مَعرِفة أنّني سأنفجرُ وآتي للقضاء عليهم، أو ربّما يظنّون أنّني ما زلتُ طِفلاً. يا لهم مِن حمقى! كان الإسكندر طِفلاً عندما أطاحَ بأوّلِ أُمَّةٍ وقفت في طريقه.

نُحلِّق مرتفعين عَبرَ العاصفة لنَطيرَ فوق سفوح الأوليمبوس. إنّه يطفو على ارتفاع ميلٍ فوق أرغوس. لا وجودَ لأبوابٍ، ولا لمنصّات هبوط. الثلج يغطّي السفوح، والغيوم تحجبُ قمّتهُ المُتلألئة. أقودُ العَوّائين إلى قلعة عاجيَّة اللّون على قمّة سفحٍ شديد الانحدار. إنّها تبرزُ مِن الجبل أشبه بسيفٍ مِن المَرمَر. كلّ زوجٍ مِن العَوّائين يَفكُّ أحزمتهُ، ويسقطُ إلى الأسفل نحو الشُرفة الأعلى.

نجثمُ فوق مَصطبةٍ حجريّة. مِن هنا يمكننا رؤية أرض عُصبة مارس الضبابيّة، والحقول والتلال الصخريّة لعُصبة مينيرفا، والغابة الكبرى لعُصبة ديانا، والجبال؛ حيثُ يقوم جيشي بحراسة أتباعِ جوبيتر. كنتُ لأكون هنالكَ في الأسفل، لو أنّ هؤلاء الحمقى تركوني وشأني.

ما كان عليهم أن يأخذوا موستانغ.

أرتدي درعاً صادّاً مِن الذهب. إنّهُ بمنزلة جلدٍ ثانٍ. وجهي هو المكشوف فقط. آخذُ رماداً مِن أحد العَوّائين، وأرسمُ به خطوطاً عبر وجنتَيّ وفمي. عيناي تشتعلان غضباً، والشعر الأشقر ينسدِل على الكتفين غيرَ مربوط. أسحبُ نصلي المِنجَليّ وأمسكُ بإحكامٍ القبضة النبضيّة ذات المَوجات القصيرة بيدي اليسرى. الشفرة مُعلَّقة على خصري، فأنا لا أعرف كيفيّة استخدامها. هنالك أوساخٌ تحت أظافري مع قَضمةِ صَقيعٍ على الخنصر والإصبع الوسطى ليدي اليسرى. رائحتي نتنة. عباءتي نَتِنةٌ، وتَفوحُ مِنها رائحةٌ كريهةٌ كرائحة الشيء الميِّتِ التي هي عليه. إنّها مُعلَّقةٌ على ظهري بلا حراك. البياضُ مُبقَّعٌ بدم المُشرِف. أسحبُ القُلنسوَة. جميعنا نفعل ذلك. نبدو كالذئاب، وتَفوحُ منّا رائحة الدم.

يُستحسَن أن يَستَمتِع المُنتقون بهذا العَرضِ، أو سينتهي أمري.

– «نُريدُ جوبيتر». أقول لعَوَّائيَّ: «اعثروا لي عليه. قوموا بتحييد البقيّة إن اعترضوا طريقنا. خذي حذائي الثقاليّ يا شوكة وأحضري الدعم. اذهبي».

حافيَ القدمين، أفتحُ الباب مُحطّماً إيّاه بوساطة القبضة النبضيّة. نَعثرُ على فينوس مُستلقِيةً في السرير، مُرتَديةً قميصاً حريريّاً، ودرعُها لا يزال يَقطِر ثلجاً مِن منصَبِهِ قُربَ النار، فلقد عادَت في الحال مِن مساعدة الشغبر. العِنبُ، وكعكعة الجُبنِ، والنبيذُ موجودٌ على المنضدة. يقومُ العَوّاؤون بتثبيتها. أربعة مِنهم، ليكون ذلك مؤثّراً. نربط فينوس إلى أعمدة السرير. عيناها الذهبيّتان مُتّسِعتان بفعل الصدمة. بالكادِ تستطيعُ التكلّم.

– «لا يُمكنكُم فِعلُ ذلك! أنا مِن ذوي النُّدبة! أنا مِن ذوي النُّدبة!». هذا كلُّ ما تَمكّنَت مِن قَولِه. إنّها تقولُ بأنّ هذا غَيرُ قانونيّ، وبأنّها مِن المُشرِفين

ومِن غَيرِ المسموح لنا أن نُهاجِمهُم. كيف وصلنا إلى هنا؟ كيف؟ مَن ساعدنا؟ دِرعُ مَن أرتدي؟ أوه، إنّهُ لأبولو. إنهُ لأبولو. أين أبولو؟! هنالك لِباسٌ رجاليٌّ ناعِمٌ في الزاوية؛ إنّهما حبيبان: «مَن ساعدكَ؟».

- «أنا ساعدتُ نفسي». أخبرها مُربّتاً بالخنجر على يدها البرّاقة: «كم تبقّى من المشرفين؟». لا تنبس ببنت شفة. ليس مِن المُفترضِ حدوث هذا. لم يحدث هذا قطّ. الأطفال لا يستولون على الأوليمبوس، لم يحدث في تاريخ جميع الكواكب أن جرى مجرّد التفكير في الأمر. نُكمِّمُها على أيّة حال، ونتركها مُقيّدةً، ونِصف عاريةٍ، مع نافذةٍ مفتوحةٍ كي تَشعُر بِطَعمِ البرد.

نَتسلّلُ أنا والعَوّاؤون عَبرَ البرج المُدبَّب. أسمعُ الشوكة، وهي تُحضِر التعزيزات. تاكتوس سيكون هنا ليَجلِب نَوعهُ الخاصّ مِن الغضب. وميليا ونايلا ستأتيان قريباً. جيشي يَنتفِض مِن أجلِ موستانغ، مِن أجلي، مِن أجلِ المُشرِفين الذين غشّونا، وسمّموا طعامنا وشرابنا، وحرّروا أحصنتنا. نذهبُ مِن غرفةٍ إلى أُخرى، مُفتّشين الفريجيداريوم(*)، والكالدريوم(**)، وغُرفَ البُخار، وغُرفَ الثلج، والحمّامات، وقُمراتِ المُتعة الممتلئة بالوَرديّين، وأحواضَ الانغِماسِ في الواقع الافتراضيّ؛ بحثاً عن المُشرِفين. نُطيحُ بجونو في الحمّامات. العَوّاؤون يَنقضّون عليها، والماء يَتناثرُ مِن حولهم ليتعاركوا معها ويخرجوها. ليس لديها أسلحة، لكنّ سيفرو المرتدي لعباءته يَضطرّ إلى صعقها بوساطة حَرّاقٍ مسروقٍ، بعد أن كسرت ذِراعَ المُهرِّج، وراحَت تُحاوِل إغراقهُ بساقِها. مِن الواضحِ أنّها لم تُغادر أيضاً كما كان يجبُ عليها أن تفعل. كلُّ خارقي القواعد هؤلاء.

(*) غرفة مع بركة باردة كبيرة في الحمّامات الرومانيّة. (م).

(**) غرفة مع حمّام مغطس ساخن في الحمّامات الرومانيّة. (م).

نَعثرُ على فولكانوس في غُرفةِ الانغماس في الواقع الافتراضيّ، النار تُطقطِق في الزاوية. إنّه حتّى لا يرانا، ونحن قادمون، إلى أنْ أطفأنا الآلة. كان فولكانوس يشاهد كاسيوس، وهو يقف على حافّة البرج المُحصَّن، والقذائفُ المُشتعِلة تَحفر السماء الممتلئة بالدخان. لقد أعطوهم مَنجنيقات مُتشظّية. هنالك شاشةٌ أُخرى تُظهِر الشغبر، وهو يَسيرُ مُتعثّراً عَبرَ الثلج نحو مَدخلِ كهفٍ جبليّ. ليلاث تستقبلهُ هناك مع عباءةٍ حراريّةٍ، وروبوتٍ طبيّ.

أسألُ المُشرِفين إلى أين أُخِذَت موستانغ. يقولون بأنْ أسأل أبولو، أو جوبيتر؛ فالأمر لا يعنيهم، ولا يجبُ أن يعنيني. مِن الواضح أنّ رأسي سيتدَحرجُ عن جسمي. أسألهُم بماذا سيلوِّحون؛ «فكلُّ الفؤوس لديّ».

يَربط جيشي المُشرِفين، ونأخذهُم معنا لدى هبوطنا، ونحن ننزلُ إلى المستوى التالي، والذي بَعدَه، مِثلَ طوفان مِن أشباه الذئاب المجنونة. نصادفُ في طريقنا حُمراً عُلويّين، وخَدماً بُنيّين، ووَرديّين للبيوت. لا أكترثُ لهم، ولكنّ جيشي في خِضمِّ حماسِهِ المَسعور ينقضُّ على كلّ ما يراه. إنّهم يطيحون بالحُمرِ أرضاً، ويمسحون كُليّاً أيّ رماديٍّ يقترفُ خطأ مُحاولةِ قِتالِنا. كان على سيفرو أن يَخنق فتى مِن عُصبة سيريس يجلسُ على صدر أحمر، ويَضربهُ على وَجههِ بقبضاتٍ مجروحة. يُقتلُ رماديّان بوساطة تاكتوس عندما حاولا إطلاق النار عليه. يتفادى حرّاقيهما، ويَكسِر عنقيهما. جماعة مَن سبعة رماديّين تحاولُ الإطاحة بي، ولكنّ واقيَّ النبضيّ يحميني مِن حرّاقاتهم. قد أعاني فقط في حال ركّزوا نيرانهُم، وارتفعت حرارة الواقي. أتفادى نيرانهم، وأجهِزُ عليهم بوساطة نصلي المِنجَليّ.

ينسابُ جيشي أوّلاً إلى الداخل ببطءٍ، لكنّ المزيدَ يأتي كلَّ أربع دقائق.

أنا مُتوتِّر. هذا ليس سريعاً كفاية. قد يُدمِّرنا جوبيتر، وكذلك بلوتو، وأيٌّ كان مِمّن تبقّى. جيشي مُبتهِجٌ لأنّني مَعهُ؛ يظنّونني خالداً، ومِن غَيرِ المُمكِن إيقافي. لقد سمعوا حالاً بأنّني قتلتُ أبولو. أسمعُ ألقاباً تتموّجُ مِثلَ تيّاراتٍ عَبرَ جيشي، ونحن نَتزاحمُ عَبرَ القاعة الذهبيّة الضخمة. ذابِحُ الإله. قاتِلُ الشمس. إنّهم مُعجبون بي، لكنّ المُشرِفين يسمعون هذه الأشياء أيضاً. أولئكَ الذين قبضنا عليهم، وحتّى أولئكَ الذين استمتعوا قليلاً بفكرة أنّ الطلّابَ يغزون الأوليمبوس، ينظرون الآن إليّ بوَجهٍ شاحب. إنّهم يُدرِكون أنّهم جزءٌ مِن لعبةٍ ظنّوا أنّهم فرّوا منها مُنذُ عِدَّة سنوات؛ ولذلك لا يُوجدُ روبوتات طبيّة تتّجهُ نحو الأوليمبوس. إنّهُ أمرٌ مُسلٍّ: مُشاهدةُ الآلهة، وهي تدركُ في نهاية الأمر أنّها كانت طِوال الوقت فانية.

أرسلُ عشرات المُستطلِعين عَبرَ القصر، وقد أخبرتُهم عمّا أريدُهم أن يبحثوا. ومنذ الآن أستطيعُ سَماعَ خُطّتي، وهي تُطبَّقُ في القاعات مِن تحتي. لم يبقَ سوى جوبيتر، وبلوتو، وميركوري، ومينيرفا. إنّهم قادمون للنيلِ منّي، أم أنا قادمٌ للنيلِ مِنهُم؟ لا أعرف. أحاولُ أن أشعُرَ كمُفترِسٍ، لكنّني لا أستطيع. غضبي يهدأ. إنّهُ يتباطأ ويُفسِح المجال للخوفِ مع تتالي القاعات. لديهم موستانغ؛ أذكِّرُ نفسي برائحة شعرها. هؤلاء هُم ذوو النُّدبة الذين يَتلقَّون الرِّشا مِن الرجُل الذي قتل زوجتي. الدم يُضخُّ بسرعةٍ أكبر. غضبي يعود.

ألتقي بميركوري في الردهة. إنّهُ يَضحكُ على نحوٍ هيستيريٍّ هاتفاً بأغاني سُكْرٍ بذيئةٍ مِن مكعّب العرضِ المُجسّم، وهو يواجهُ بِضعةً مِن جنودي. إنّهُ يرتدي رِداءَ استحمامٍ، لكنّهُ يرقصُ مِثلَ مجنونٍ متفادياً طعناتِ سيوفِ ثلاثةٍ مِن جماعة الأحصنة الميّتة. لم أرَ رشاقةً كهذه سوى في

المناجم. إنّهُ يتحرّكُ بخِفّةٍ وسُرعةٍ تُشبِه ما كنتُ أفعلهُ، وأنا أنقّب. الغيظُ في توازُنٍ مع الفيزياء. ركلةٌ، وسَحقُ مِرفَقٍ، وتطبيق قوّةٍ لخَلعِ رضفة.

إنّه يَضرِب بيده واحداً مِن جنودي على وَجهه، ويَركلُ آخر في فرجه، ثمّ يقوم بشقلبةٍ مِن فَوقِ إحدى الفتيات، مُمسكاً بشعرها، وهو في وَضعيّةٍ مَقلوبةٍ رأساً على عقب، ليَهبطَ على الأرض ويضربها بعُنفٍ على الحائطِ مِثلَ دُميةٍ مِن القِماشِ المَحشوّ، ثمّ يضربُ فتى في وَجههِ بوساطة رُكبتهِ، ويَقطعُ إبهامَ فتاةٍ كيلا تتمكّن مِن حَملِ سيفها، ويحاولُ أنِ يَضربني بظاهِرِ يَدِه قبل أن يَرقصَ مُبتعداً، لكنّني أسرعُ منه وأقوى، على الرغم مِن مَوهبتِهِ التي لا تُصدَّق في استعمالِ الشفرة؛ لذا ومَع تحرُّكِ يَدِه نحوَ وَجهي، ألكُمُ ساعِدهُ بكلِّ ما أوتيتُ مِن قوّةٍ؛ لأكسِرَ عَظمَه. إنّهُ يصرخُ، ويحاولُ أن يرقصَ إلى الخلف، لكنّني أمسكُ بيَدِهِ وأضربهُ على ذراعهِ بقبضتي إلى أن تنكسِر.

ثمّ أدعهُ يدورُ حولَ نفسهِ مُبتعداً ومصاباً.

نحن في الرُدهة، وجنودي مُنتشِرون مِن حَوله. أصيحُ بالبقيّة كي يتراجعوا، وأرفعُ نصلي المِنجَليّ. ميركوري أشبه بملاكٍ بريء: إنّه صغيرٌ وبدينٌ مع وَجهٍ طفوليّ. لوَجنتيهُ لَونٌ وَرديّ. لقد كان يَشرب. شَعرهُ الذهبيّ المَلفوفُ مُنسدِلٌ أمامَ عينيه. يُرجِعهُ إلى الخلف. أتذكّرُ كيفَ كان يريدُ أن يختارني لعُصبته، لكنّ المُنتقين الذين يَتبعُ لهم اعترضوا. الآن، يُلوِّحُ بشَفرتهِ في الهواء مِثلَ شاعرٍ بيَراعِهِ، لكنّ يَدهُ المَرخيّة عَديمة النَفعِ بعد أن لكَمتُها.

- «إنّكَ مَخلوقٌ مُتوَحّش!». يقول متألّماً.

- كان عليكَ أن تختارني لعُصبتكَ.

- أخبَرتهُم ألّا يستَفِزّوكَ. لكنْ هل أنصتوا؟ لا وألفُ لا. كم كان أبولو سخيفاً؛ فالتكبُّر يعمي!

- وكذلكَ السيوف.

- «أباختراقها للعيون؟». ينظرُ ميركوري إلى دِرعي: «إذنْ، هو ميّت؟». يصرخُ أحدهُم كي أقتله: «ياه، كم هُم جائعون! هذه المبارزة ستكون مُمتِعة».

أنحني.

وميركوري يَنحَني احتراماً.

هذا المُشرِف يَروقُني، لكنّني لا أريدُ أيضاً أن يَقتُلني بشَفرَتِه.

لذا أغمِدُ سيفي، وأطلِقُ على صَدرِه مِن قبضتي النبضيّة التي ضَبطتها على وضعيّة إفقادِ الوَعي، ثمّ نُقيّدُه. إنّه لا يزال يضحك، لكنْ بعيداً، ووراءه في أسفلِ الردهة، أرى جوبيتر، الإنسان الإله، مُرتدياً دِرعه الكامل، وهو يَندفِع نحونا مع رمح نبضيٍّ مقوَّسٍ وشفرة. هنالك مُشرِفٌ آخر مُدرَّعٌ معه؛ إنّها مينيرفا على ما أعتقد. نَتراجَع، ومع ذلك يحطّمان قوّاتي. يتقدّمان مُباشرةً إلينا عَبرَ الرُدهة الطويلة، وهُما يُطيحان بالفتيان والفتيات أرضاً مِثلَ صخور تَتدحرجُ في حقلٍ مِن السنابل. لا يمكننا إيذاؤهما. يفرُّ جنودي عائدين مِن الطريق الذي أتينا مِنه، عَبرَ الأدراجِ، ثمّ الطوابقِ العُليا؛ حيثُ نَجتاحُ قطعاناً جديدةً مِن التعزيزات. نَتدافعُ فيما بيننا، لنَسقُطَ على الأرض الرُخاميّة، نَركضُ عَبرَ الأجنحة الذهبيّة لنَهرُبَ مِن جوبيتر ومينيرفا، وهُما يصعدان الدرج. جوبيتر يَخورُ مِن الضحك، بينما ترتدُّ سيوفنا ورماحنا البسيطة مِن دِرعه.

أسلحتي فقط من بوسِعها إيذاؤه، لكنّها لا تكفي. شفرة جوبيتر تخترقُ

واقيَّ النبضيّ، وتَنزلِق على دِرعي الصّاد فوقَ فَخذي. أهسهسُ مِن الألم، وأطلقُ القبضة النبضيّة عليه. يتلقّى واقيه النبضة ويحتويها، لكنْ بصعوبة، ثمّ يضربني بالشفرة ضربةً سريعةً، كأنّها سوط. إنّها تلامسُ جفني، وتكادُ تُصيبُ عيني. الدم يسيلُ مِن الجرح الصغير، وأنا أزأرُ مِن الغضب. أنقضُّ عليه، مُجتازاً مينيرفا، ومُحطِّماً قبضتي النبضيّة على فَكِّه. يُحطِّمُ ذلك سلاحي وقبضتي، لكنّهُ يَبعجُ خوذته الذهبيّة ويجعلهُ يَدورُ مُترنِّحاً. لا أمنحهُ الوقت كي يستعيدَ توازنه. أصرخُ وأضربُ بحركاتٍ قَوسيَّةٍ مُلتفَّةٍ مِن نصلي المِنجَليّ، وأطعنُ مُستخدِماً شفرتي بطريقةٍ اعتباطيّة. إنّها رقصةٌ مَجنونة. أصيبهُ في رُكبتِه بوساطة الشفرة غَيرِ المألوفة لي. يُصيبُني بِجرحٍ قاطعٍ في فَخذي مستخدماً شفرته. الدِرعُ يَنغلِق حَولَ الجُرحِ، ضاغِطاً عليهِ، وحاقناً لجُرعاتٍ مِن مُسكِّناتِ الألم.

نبلغُ حافّة درجٍ دائريٍّ بعد أن جعلتهُ يَتراجعُ تحت ضغطي. نَصلهُ الطويل يُصبح رَخواً، لينزلقَ مُلتفّاً حَولَ ساقي مِثلَ أنشوطةٍ توشِكُ على التقلُّصِ لتقَطع ساقي مِن الورِك، فأندفعُ بكلِّ ما أوتيتُ مِن سرعةٍ نحوه، ونهوي عبر الدرج حتّى نبلغ أسفله، ليَتدحرجَ بعدها ويَنهَض، فأهجمُ عليه مُعرقلاً إيّاهُ ليتعثَّرَ نحوَ الخلف، ودِرعي مُلاصِقٌ لدِرعه.

نندفعُ إلى داخلِ غرفة الانغماس في الواقع الافتراضيّ مُحطِّمَين ما حولنا. الشراراتُ تتطاير. أواصِلُ الصُّراخَ والضَّغطَ عليه كيلا يتمكّن مِن قَطعِ ساقي بشفرَتِه، التي ما تزالُ رَخوةً ومُلتفَّةً حَولَ اللّحمِ والعظمِ. يَتراجعُ قليلاً فاقداً توازنهُ، عندها أنقضُّ عليهِ لنَخترقَ نافذةً، ونَسقطُ في الهواء. كلانا لا يَنتعلُ حذاءً ثقاليّاً؛ لذا نَهوي مسافة مئة قَدمٍ لننتهي في رُكامٍ ثلجيٍّ على سَفحِ الجبل، ثمّ نتدحرجُ فوقَ السفحِ شديدِ الانحدار إلى الأسفل، نحوَ الحافّة التي تطفو على عُلوِّ ميلٍ فوقَ أرغوس المُتدفِّق.

أتشبَّثُ بالثلج، وأتمكّن مِن النهوض. لا أستطيعُ رؤيته. أظنّ أنّني أسمعُ نَخيرهُ مِن بعيد. نَتوهُ عن بعضنا بين الغيوم. أجثمُ وأنصِتُ، لكنّ سَمعي لم يتعافَ بعْدُ مِن مواجهة أبولو.

- «ستموتُ بسبب هذا، أيّها الفتى الصغير». يقول جوبيتر، كأنّ صوتهُ يأتي مِن تحت الماء.

- أين هو؟

- كان عليكَ أن تعرفَ مكانكَ. هُنالكَ نظامٌ لكلِّ شيء. إنّكَ قريبٌ مِن القمّة، لكنّكَ لستَ الأميرَ، أيّها الفتى الصغير.

أقول شيئاً بليغاً عن أنّ كَسبَ الاستحقاقات لا يعني الكثير.

- لا يُمكنكَ إنفاقُ الاستحقاق الذي كَسِبته.

- إذنْ، الحاكِم يَدفعُ لكَ مُقابلَ القيام بهذا؟

أسمعُ عُواءً مِن بعيد؛ إنّهُ ظِلّي.

- «ماذا تظنُّ أنّكَ فاعل، أيّها الفتى الصغير؟ هل ستقتلنا -نحن المُشرِفين- جميعاً؟ هل ستجعلنا ندعكَ تربح؟ هذه ليسَت الطريقة التي تسيرُ عليها الأمورُ أيّها الفتى الصغير». جوبيتر يبحثُ عنّي: «لن يطولَ الأمرُ، وستأتي غربانُ الحاكِم بسفنها، وسيوفها، وأسلحتها. الجنود الحقيقيّون أيّها الفتى الصغير: أولئكَ الذين لديهِم نُدوبٌ لم تَحلُم بها، سبَجيّون يقودهم ليغاتوس، وفرسانٌ ذهبيّون. أنتَ تلعبُ فقط، لكنّهم سيظنّون أنّكَ جُننتَ، وحينها سيأخذونكَ، ويؤذونكَ، ويقتلونكَ».

- «ليسَ إنْ ربحتُ قبلَ قُدومِهم إلى هنا». هذا مفتاحُ كلِّ شيء: «قد يكون هنالكَ تأخيرٌ في بثّ العروضِ المُجسّمة قبل أن يُشاهِدها المُنتقون،

لكنْ كم ستكون مدّة التأخير هذه؟ ومن سيُحرِّرُ مقاطعَ العروضِ المُجسَّمة المتبَّة، وأنتَ تُقاتِل؟ ستتأكّدُ مِن وصولِ الرسالة الصحيحة».

أخلعُ عُصابة رأسي الحمراء، وأمسحُ العَرقَ عن وَجهي، ثمّ أربطها حولَ رأسي مَرّةً أُخرى.

جوبيتر صامت.

- لذا سيشاهد المُنتقون هذه المُحادثة. سيشاهدون الحاكِم، وهو يدفعُ لكَ كي تَغشَّ. سيشاهدون أنّني أوّلُ طالبٍ في التاريخ يغزو الأوليمبوس، وسيرون كيفَ سأصرعُكَ، وآخذُ دِرعكَ، وأستعرِضُكَ في مَوكِبٍ احتفاليٍّ، وأنتَ تمشي عارياً في الثلج، إن استسلمت، وإلّا، سأرمي بجثّتكَ مِن الأوليمبوس، وأجعلُ البَولَ يَهطِلُ عليها مِثلَ مَطرٍ ذهبيّ.

تنقشعُ الغيوم، وجوبيتر يقفُ أمامي مُرتدياً البياض. قطراتٌ حمراء تقطر مِن دِرعه الذهبيّ. إنّهُ طويلٌ، ونحيفٌ، وقويّ. هذا المكان هو داره ومَلعبُه. الأطفالُ هُم ألعابُه إلى أنْ ينالوا نُدوبَهم. إنّهُ مِثلُ أيّ طاغيةٍ تافهٍ في التاريخ: عَبدٌ لِنزَواتِه، سيّدُ لا شيء سوى الأنانيّة. إنّه تجسيدٌ للجمعيّة. وَحشٌ يَنضحُ بالانحطاط، لكنّهُ لا يرى شيئاً مِن نِفاقِه. إنّهُ يرى أنّ كلَّ هذه الثروة، وكلَّ هذه القوّة هي مِن حَقِّه. إنّهُ مَوهوم. جَميعُهم كذلك. لكنّني لا أستطيعُ صَرعهُ مِن الأمام. لا، لا أستطيعُ مَهما كان قِتالي جيّداً. إنّهُ قويٌّ جِدّاً.

شفرتهُ تتدلّى مِن يَدِه كالثُّعبان. بكَبسةِ زِرٍّ تَتصلَّب، وتُصبح بطولِ متر. دِرعهُ يَلمَع. يبزغُ الفجرُ، ونحن نواجِهُ بعضنا. ابتسامةٌ تَعلو شفتيه.

- كنتَ لتغدوَ ذا شأنٍ في عُصبتي، لكنّكَ فتى صغيرٌ أحمق، حانِقٌ ومِن عُصبة مارس. لا يُمكنكَ بعد أن تَقتل مِثلي، لكنّك مع ذلكَ تتحدّاني. غَضبٌ خالِص. حماقةٌ خالِصة!

- «كلّا! لا أستطيعُ أن أتحدّاك». أرمي بنصلي المِنجَليّ وشفرتي بين قدميه: «بالكادِ أجيدُ استخدام الشفرة على أيّةِ حال؛ لذا سأغشُّ». أخفضُ رأسي: «انطلِق يا سيفرو».

ترتفعُ الشَّفرَة عن الأرض نحو الأعلى، ثمّ تَتصلَّب، وتخترقُ عراقيبَ جوبيتر، وهو يَستدير. يَجلِدُ، لكنّهُ يُخطئ بارتفاع قدمين، فقد اعتاد قِتال الرجال. سيفرو المتخفّي يجرحُ ساعدَيّ جوبيتر، ويأخذُ أسلحةَ الرجُل. الدِّرعُ الصَّادُ يَتدفَّقُ نحوَ الجِراحِ ليوقِفَ نَزيفها، لكنّ الأوتارَ المقطوعة بِحاجةٍ إلى عملٍ أكثر.

عندما يَصمتُ جوبيتر، يخلعُ سيفرو بلَمحِ البَصرِ عباءة الشبح التي لأبولو. نأخذُ أسلحة جوبيتر. لن يناسب دِرعهُ أي أحدٍ سوى باكس. باكس المسكين! كان ليبدو أنيقاً مع كلِّ هذه الزينة. نسحبُ جوبيتر إلى أعلى السفح.

في الداخل، كانت رياحُ المعركة قد تَبدَّلت. يبدو أنّ مُستطلعِيَّ عثروا على ما أخبرتهم أن يبحثوا عنه. ميليا تهرعُ نَحوي مع ابتسامة الرِضا تَعلو وَجهَها الطويل. كالعادة، صوتها عبارة عن تشدُّقٍ مُنخفِضٍ، وهي تُطلِعُني على الأخبار الجيّدة.

- وجدنا مستودع أسلحتهم.

جيشٌ مِن أفرادِ عُصبة فينوس، حُرّروا حالاً مِن استعبادِهم، يَمرّونَ بقربي مُصدِرين صوتاً كالرَّعد. قبضاتُهم النبضيّة، ودُروعُهم الصَّادة تتلألأ. لقد استَولينا على الأوليمبوس، وعثرنا على موستانغ.

الآن، حققنا كلَّ مأربِنا.

43

الاختبارُ الأخير

أجِدُها نائمةً في جَناحٍ بجانبِ جَناحِ جوبيتر. شَعرُها الذهبيّ مفرود. عباءتها أوسخُ مِن عباءتي. إنّها مُعلَّقةٌ، ولونها بُنّيٌّ ورماديٌّ، وليسَ أبيض. تفوحُ مِنها رائحة الدُّخانِ والجوع. لقد دمَّرتِ الغرفة، قَلبَت طَبَقَ الطعام، غَرزَت خِنجراً في الباب. الخدمُ البُنّيون والوَرديّون مذعورون مِنها ومنّي. أراقبهُم كيف يتفرَّقون مُبتعِدين بسرعة. إنّهم أبناء عُمومَتي البعيدون. أراهُم وهُم يتحرّكون، إنّهم غريبو الأطوار. مِثلُ النَّمل. بلا مشاعر. أشعرُ بوَخزَة. المَنظورُ مَخلوقٌ شرّير. هكذا كان أوغوستوس يرى إيو، وهو يَقتلُها. مِثلَ نملة. كلّا! لقد نَعتَها بـ«العاهرة الحمراء». لقد كانت مِثلَ كلبةٍ في نَظرِه.

– «هل الطعام مَخلوطٌ مع شيءٍ ما؟». أسألُ واحداً مِن الوَرديّين. الفتى الجميل يُدمدِم شيئاً ما، وهو يَنظرُ إلى الأرض: «تكلَّم كرجُل!». أصيح.

– «مُهدِّئات يا سيّدي». إنّهُ لا يَنظرُ إليّ. لا ألومُه، فأنا ذهبيٌّ، وأطوَلُ بقدم، وأقوى على نحوٍ لا يُصدَّق، وأبدو مجنوناً على نحوٍ إيجابيّ. كم يظنّ أنّني شرّير؟! آمرهُ بالانصراف. «اختبئ» جيشي لا يَستمِع إليّ دائماً عندما آمرهم بألّا يلعبوا مع بني الألوان الدنيا».

السريرُ هائِلُ الحجم، بمُلاءٍ مِن الحرير، ومَفارِشَ مِن الريش، وقوائمَ مِن العاج، والأبنوس، والذهب. موستانغ تنامُ على الأرض في الزاوية. لمدّةٍ طويلةٍ كان علينا أن نُخفيَ مَكان نَومِنا. لا بُدَّ من أنّها شعرَت بخَطبٍ ما، وهي مُستلقيةٌ في قِمّة الرفاهية، حتّى مع وجودِ المُهدِّئات في جِسمِها. لقد حَاولَت كَسرَ النافذة أيضاً. أنا سعيدٌ لأنّها لم تتمكّن مِن ذلك. إنّها سَقطةٌ عالية.

أجلسُ بجانبها. النَّفَسُ مِن أنفها يُحرِّكُ خُصلةَ شَعرٍ مَلفوفَةٍ واحدة. كم مرّة راقبتُها، وهي نائمةٌ من جرّاء الحُمّى. كم مرّة فَعلَت هي الشيء نَفسَه! لكنْ ليس هنالك حُمّى الآن، ولا زُكام. لا ألم في مَعِدتي. جُرحُ كاسيوس قد شُفيَ. الشتاء قد انتهى، فأرى في الخارج براعِم الأزهارِ الأولى. ألتقطُ إحداها على سفح الجبل. إنّها في جزءٍ مخفيٍّ مِن عباءتي. أردتُ أن أعطيَها لموستانغ. أردتُ أن تستيقِظَ، والهايمانتوس قُربَ شَفتَيها، لكنْ عندما أخرِجُها، يَنسلُّ خِنجَرٌ إلى قلبي، أسوأ مِن أيّ نَصلٍ مَعدِنيّ. إيو. الألمُ لن يَزولَ أبداً. لا أعلم إن كان يجبُ أن يزول، ولا أعلم إن كان هذا الشعورُ بالذَّنبِ الذي أشعرُ بِه مُستحقاً. أقبِّلُ الهايمانتوس، وأعيدُه إلى مكانِه المَخفيّ. ليسَ بَعد. ليسَ بَعد.

أيقِظُ موستانغ بِلُطفٍ.

ابتسامتها تَرتسِم حتّى قبل أن تفتحَ عينيها، كأنّها تَعرِف أنّني بِجانِبها. أنطقُ اسمها، وأزيحُ الشعرَ عن وَجهِها. عيناها تُفتَحان مع ارتعاشٍ للجُفون. نُدفٌ ذهبيّةٌ تَلتفُّ في قزحيّتِها. غريبٌ جِدّاً وجودها بجِوارِ أصابِعي القذرة ذاتِ البُثور والأظافِر المُتشقِّقة. تَحتكُّ بيدي، وتَتمكَّن مِن الجلوس. تَتثاءب. تَنظرُ مِن حَولِها. أكادُ أضحكُ، وأنا أراها وهي تَستوعِب ما الذي حدث.

- «حسناً، أردتُ إخباركَ عَن حُلم راوَدَني عَن التَّنانين. كانَت أرجوانيّةً، وجميلةً، وتُحبُّ غِناءَ الأغاني». تَنقُرُ بإصبعِها على دِرعي فيُصدِر رنيناً: «أهذه طريقة لسَرِقة الأضواءِ مِنّي؟ أحمَق! ما الذي حدَث؟».

- لقد جُنِنت.

تتأوّه: «أصبحتُ العذراء التي في خَطر، أليسَ كذلك؟ تبّاً، كم أكرهُ أولئك الفتيات!».

أخبِرُها بالمُستجِدّات: قوّات الشغبر مُنقسمة. جيشهُ يُحاصِر مَعقِل مارس، بينما يختبئ هو وليلاث في الجبال العميقة. ستتمكّن مِن إيجاده بسهولة.

- إن كنتِ ترغبين، يُمكنكِ أخذُ جيشنا، واجتثاث ذلك الوغد.

- «اتّفقنا». تبتسمُ بتصنُّع، وترفعُ حاجباً: «لكنْ هل تَثِقُ بي؟ ربّما، سأرغبُ بأن أكون العريف العظيم لهذا الجيش الغريب».

- يُمكِنني الوثوقُ بِكِ.

- «كيف تعرفُ ذلك؟». تقول مُجدّداً.

عندها أقبّلُها. لا أستطيعُ أن أعطيَها الهايمانتوس. إنّها قلبي، وهي مِن المرّيخ، واحدةٌ مِن الأشياء الوَحيدة التي تَنبُت في التربة الحمراء، وما تزالُ مُلكاً لإيو، لكنّ هذه الفتاة، عندما أخذوها... كنت سأفعلُ أيّ شيءٍ لكي أرى ابتسامتها المُتصنّعة مُجدّداً. ربّما يوماً ما سيكون لديّ قلبان لأمنحهُما.

مَذاقُها مِثلُ رائحتها: دخانٌ وجوع. لا نبتعدُ عن بعضنا. أصابعي تتخلّلُ شَعرها. أصابعُها تتلمّسُ فكّي، وعُنقي، وتخدش فَروة رأسي مِن الخلف. هنالك سرير، وهنالك وَقت، وهنالك سَديم، وهنالك جوعٌ مُختلِفٌ عن ذاك الذي كان حين قَبّلتُ إيو لأوّل مرّة، لكنّني تذكّرتُ عندما أخذَ داغو

غطّاس جحيم غاما نَفَساً عميقاً مِن سيجاره، ليتوهّج، ثمّ ينطفئ في بِضعِ لحظات سريعة، وقال حينها: هذا أنت.

أعلم أنّني مُندفِعٌ ومُتسرِّعٌ، لكنّني أتعاملُ مع الأمر، كما أنّني مُثقلٌ بالعديدِ مِن الأشياء: بالشغفِ، والندمِ، والذنبِ، والأسفِ، والاشتياقِ، والغضبِ. في بعضِ الأحيان تُسيطِر عليّ، ولكنْ ليسَ الآن، وليسَ هنا. انتهى بي الأمر مُعلَّقاً على مِشنَقةٍ بسبب الشغفِ والأسف، وفي الوَحلِ بسببِ الذنب. كُنتُ لأقتُلَ أوغوستوس مِن أوّل نظرةٍ؛ بسببِ غضبي. لكنْ الآن أنا هنا. لا أعلمُ شيئاً عن تاريخ الجمعيّة، لكنّني أعلمُ أنّني أخذتُ ما لم يَقُم أحدٌ آخر بأخذِه. أخذتهُ بالغضبِ والحيلة، بالشغفِ والاغتياظ. لن آخُذَ موستانغ بالطريقة نَفسِها؛ فالحبُّ والحَربُ ميدانا قِتالٍ مُختلفان تماماً.

لذا، على الرُّغمِ مِن الجوع، أبتعدُ عن موستانغ. إنّها تعرف بمَ أفكّر مِن دون أن أنطُقَ بأيّة كلمة، وهكذا أعلمُ بأنّني على حق. تَندفِع نحوي مِن أجلِ قُبلةٍ أُخرى. تَستغرِق أكثر ممّا ينبغي. بعدها ننهضُ مَعاً ونُغادر. نُمسِك بأيدينا حتّى الباب، ثمّ ألتفتُ إليها.

– أحضِري لي راية الشغبر يا موستانغ.

– «أجل، يا سيّدي الحصّاد». تقوم بانحناءةٍ ساخرةٍ، وغَمزةٍ صغيرةٍ، ثمّ تذهب.

أصبح المكان مَسرحاً للسَلبِ والنَّهبِ. في خضمّ كلِّ هذه الفوضى، سيفرو يعثرُ على جهاز بَثِّ العَرضِ المُجسَّم. إنّه يحتوي على تجاربنا الحسيّة مُخزَّنةً على أقراصِه الصُّلبة، ومُرتَّبةً استعداداً لإرسالها إلى المُنتقين أينما كانوا. إنّه ليس بثّاً مُباشراً؛ لذا فالمُنتقون لم يحصلوا بعد على أحداثِ اليوم. هنالك تأخيرٌ بمقدار نِصفِ يوم. سيكون ذلك كافياً. أعطي سيفرو

التَّعليمات، وأجعلهُ يَعملُ على حَبكِ القصَّة التي أريدُ قَولها. لن أثِقَ بأحدٍ غيره.

أجعلهُم يحضرون لي فيتشنير مِن زنزانات قلعة أبولو. إنّه يجلس مُتّكئاً على كرسيٍّ في قاعة عشاء الأوليمبوس. وَجههُ أرجوانيٌّ في المكان الذي ضربتهُ فيه. الأرضيّة مصنوعةٌ مِن الهواء المُتكاثِف، بحيثُ نكون مُعلَّقين فَوقَ هاويةٍ بعُمقِ ميل. قدماه على الطاولة، وفَمهُ مُنثنٍ ليرسم ابتسامة.

- «ها هو الفتى المجنون». ينادي، وهو يَلمِسُ ذقنه: «عَرِفتُ أنّ فُرصتكَ كبيرة».

أمنحهُ تحيّةً بوساطة إصبعي الوسطى: «كاذب!».

يبادلني التحيّة: «تافِهٌ حقير!». يَمدُّ يَدَه إلى يدي: «لا تَقُل لي بأنّكَ ما تزالُ حانقاً بسببِ التَّسميم، والمرضِ، ومَكيدةِ كاسيوس، والدِّببةِ في الغابة، والتِّقنيّاتِ التَّافِهة، والطَّقسِ السيّئ، ومُحاولةِ الاغتيال، والجاسوس».

- الجاسوس؟

- أتلاعبُ بِكَ. هيه! ما تزالُ طِفلاً. بالحديثِ عن ذلك، أين جنودك؟ هل يركضون في الأنحاء، ويُتخِمون أنفسهم، ويستَحِمون، وينامون، ويُضاجِعون، ويَلعبون مع الوَرديّين؟ هذا المكان عبارة عن مِصيَدةٍ مِن النَّعيم يا ولدي، مِصيَدة ستجعلُ مِن جيشكَ عديم الجدوى.

- إنّكَ في مزاجٍ أفضل.

- «ابني في أمان». يقولها مع غمزة: «الآن، ما الذي تَنوي فِعلَه؟».

- أرسلتُ موستانغ حالاً كي تتصرَّفَ مع الشغبر، وبعد ذلك سأتوجّهُ نَحوَ عُصبة مارس، وبعدها سينتهي كلُّ شيء.

- «أووووه! عدا أنّ هذا لن يحدث». يُفرقِع فيتشنير العلكة المألوفة ويُكشِّر. تتركُ أثراً على فكِّه يجعلني أضحك. كنتُ أشعرُ بحاجةٍ إلى الضحكِ مُنذُ أن قام سيفرو بالقضاء على جوبيتر. ساقي تنبضُ بالألم بسببِ ذلك الرجُلِ المتبَّب. حتّى مع مُسكِّناتِ الألم، بالكادِ أستطيعُ المَشيَ.

- بلا ألغاز، لماذا لن ينتهي الأمر؟

- «الثلاثة أشياء». يقول فيتشنير، ووَجههُ الطويل يَتفحَّصُني لبُرهَة: «إنّكَ مَخلوقٌ غريب. كلاكما أنتَ والشغبر. الجميعُ يريدون الفَوزَ دائماً، لكنْ أنتما الاثنان تختلفان، إنّكما شاذّان. الذهبيّون لن يموتوا كي يربحوا. لحياتنا قيمة كبيرة لدينا؛ أمّا أنتما، فلا. مِن أين أتى ذلك؟».

أذكِّرهُ بأنّهُ سَجيني، وعليه أن يُجيبَ عن أسئلتي.

- «ثلاثة أشياء لم تنتهِ بَعد. إليكَ هذا. سأخبركَ ما هي إن أجبتني عن سؤالي: ما دافِعُكَ؟». يَتنهَّدُ: «الشيء الأوّل يا سيّدي هو كاسيوس؛ عليه ببساطة أن يَخوضَ نِزالاً مَعكَ إلى أن يَصرعَ أحدكما الآخر، أيّها الأحمقان، ويموت».

كنت أخشى ذلك. أجيبُ عن سؤال فيتشنير.

أخبِرهُ بأنّ الشغبر أرادَ مَعرِفة الشيء نَفسِه؛ ما دافعي. الإجابة المباشرة هي الحَنَق. مِن نقطة إلى أُخرى إنّهُ الحَنَق. إن حدثَ شيء ما، وإن كنتُ لا أتوقَّعُه، أقوم بردِّ فعلٍ عنيفٍ كالحيوان، لكنّ الإجابة المُتعمّقة هي الحُبّ، الحُبُّ هو دافعي؛ لذا عليّ أن أكذِبَ قليلاً عليه.

- «كان لدى أمّي حُلمٌ بأنّه باستطاعتي أن أكون أعظمَ مِن أيِّ أحدٍ في عائلتي، أعظمَ مِن أندروميدوس؛ اسم والدي». والدي المُزيَّف. عائلتي المُزيَّفة. الفكرة تبقى ذاتها: «أنا لستُ مِن عائلة بيلونا، ولا مِن

عائلة أوغوستوس، ولا حتّى أوكتافيا ذهبيّة لونا». أبتسمُ عليه نحوٍ شرّير، إنّه شيءٌ بوسعهِ تقديره: «لكنّني أردتُ أن يكونَ بوسعي الوقوفُ فوقهُم، والتّبوّل على رؤوسهم المتبّبة».

يُحبُّ فيتشنير ذلك. لطالما أرادَ فِعلها، لكنّه اكتشف أنّه مِن دون عَراقةٍ، لن يكون كسبُ الاستحقاقات كافياً أبداً، وأنّ اليأسَ هو مَآلُه.

– «الشيء الثاني الذي لم ينتهِ هو هذا». يلوِّحُ فيتشنير بيديه مِن حَولِه. أدركُ ذلكَ، لم يَكشِف أيّ شيءٍ جديد. لقد قَتلتُ مُشرِفاً. لديّ دليلٌ بأنّ الحاكِم العام يرشو الآخرين، ويهدّدهم كي يَتمكّن ابنهُ مِن الفَوز. المَحسوبيّة والتّلاعُب بالمدرسة المُقدَّسة، هذه ليسَت أخباراً مُناسِبة. إنّها حتماً ستُقوِّضُ شيئاً ما. ربّما حتّى قد تُطيحُ بالحاكِم العام مِن مَنصِبه. اتّهامات، عِقاب؟ المُنتقِون سيريدون أن تُسالَ الدماء: «والحاكِم العام سيريدُ دَمكَ. كلّ هذا سيَضعهُ في مَوقِفٍ حرِجٍ، وعلى الأرجَح سيُفسَحُ المَجالُ أمامَ حاكِمٍ عامٍ مِن عائلة بيلونا؛ ربّما والد كاسيوس».

فيتشنير يسألني لماذا أثِقُ بجنود جيشي الذين كانوا عبيداً.

– إنّهُم يَثِقون بي؛ لأنّهُم رأوا كيف كان سيكون حالهُم لو أنّني لَم آتِ. أتعتقدُ أنّهم سيريدون الشغبر سيّداً لهُم؟

– «حسناً». يقول فيتشنير: «إنّكَ تَثِقُ بهم جميعاً. رائع! إذنْ، لا توجدُ هنالكَ إشكاليّة ثالثة؛ أنا مُخطِئ». أضغط عليهِ لأعرفَ ماذا يَقصِد، عندها يَتنهَّدُ ويَلين: «آوه! كل ما في الأمر أنّكَ أرسلتَ موستانغ ونِصفَ جيشكَ للتَصرُّفِ مع الشغبر».

– وماذا في ذلك؟

– لا شيء حقّاً. إنّكَ تَثِقُ بها.

- كلّا! أخبرني ماذا تقصد؟

- حسناً إذنْ. إن كان لا بُدَّ لكَ مِن مَعرفةِ ذلك، وإن كان ببساطة لا مَفرَّ لي مِن إخبارِكَ، فعليكَ أن تَعرِف أنّها الأختُ التوأمُ للشغبر.

فيرجينيا ذهبيّة أوغوستوس، أختُ الشغبر، التوأم، وريثة عائلةٍ عَظيمةٍ؛ عشيرة أوغوستوس، الأبنة الوحيدةُ للحاكِم العام نيرو ذهبيّ أوغوستوس، الرجُلُ الذي كان السببَ وراء حُدوثِ كلِّ هذا. أُبقِيَت مَعزولةً وبعيدةً عن مرأى العامّة لتفادي محاولات الاغتيال، تماماً مِثلَ أخيها؛ لهذا لم يكن كاسيوس يعرف ابنة الخصمِ الأكبر لعائلته، لكنْ عندما جَلستُ إلى الشغبر، كانَت موستانغ تَعلمُ مَن يكون. إنّهُ أخوها. هل كانَت تَعلَم مِن قَبل هويّةَ الشغبر؟ لا شيء يُمكِنهُ تَفسيرُ صَمتِها إن كانَت تَعلَم مَن يكون ولم تَقُل شيئاً. لا شيء سوى أنّها فعلت ذلك لأجل العائلة، التي يكون الولاءُ لها أعلى مِن الصداقة، وأعلى مِن الحُبِّ، وأعلى مِن قُبلةٍ في زاوية الغُرفَة. أرسلتُ نِصفَ جيشي إلى الشغبر. أعطيتهُ دِرعاً صادّاً، وأحذيةً ثقاليّةً، وعباءات الشبح، وشفرات، وأسلحةً نبضيّةً، وتِقنيّاتٍ تَكفيه لأن يَستوليَ على الأوليمبوس. اللعنة!

جميعُ المُشرِفين يَعلمون. ولدى مروري بجانبهم، وأنا أركض، يَضحَكون. إنّهمُ يَضحَكون من غبائي. الحَنَق يَتعاظَم في داخلي. أريدُ أن أقتلَ شيئاً ما. أجهّزُ قوّاتي. إنّهُم مُنتشِرون في أنحاء القلعة، يأكلون طَعامَها، ويَستمتِعون بمَلذّاتِها. حمقى! إنّهُم مُجرَّدُ حمقى! أفضلُ من لديّ مَوجودون حيثُ أريدُهُم. سيفرو غادرَ للقيامِ بعَمَلِه. هذا أهمُّ شيء. آمرُ تاكتوس بأن يَصطادَ مَن تبقّى مِن أتباع فينوس وميركوري في الأراضي

المُنخفِضة الجنوبيّة ويَستعبِدَهم، وأجعلُ ميليا تُعِدُّ بَقيّةَ الجيشِ مَع نايلا. أريدُ الذهابَ إلى عُصبة مارس الآن. لا يُمكِنني انتظارُ احتشادِ جنودي. أريدُ أجساماً نشيطةً؛ لأنّهُ عندما يَعودُ توأما أوغوستوس، ستكون لديهما أسلحةٌ وتِقنيّاتٌ تُضاهي التي لَديّ، وقَد يكونُ لديهما جنودٌ أكثر. اللّعبة تَغيَّرت. لم أستعِدَّ لذلك. أشعرُ بالغباء. كيف قُمتُ بتَقبيلِها؟ قلبي غارقٌ بالظلام. ماذا لو أعطيتُها الهايمانتوس حينها؟ أمزِّقهُا إلى شرائط، وأنا أقفِزُ عن حافّة جبل أوليمبوس بحذائي الثقاليّ، وأتركُ بَتلاتِها تَسقُط.

آخذُ العَوّائين معي فقط، مُتجاوزين البَتلاتِ، ونحنُ نَهبطُ إلى الأسفل.

إنّنا ننتَعلُ الأحذية الثقاليّة، ونَرتدي الدُّروعَ، ونَحملُ القبضاتِ والنِّصالَ النبضيّة. لقد تلاشى الثلج عن أرض عُصبة مارس. التربةُ الموحِلةُ المُخضخَضةُ بوساطة أقدامِ الغُزاة حَلَّت مَحلَّه. الأراضي المُرتفِعة يَلفّها الضباب. تَفوحُ مِنها رائحةُ الأرضِ والحِصار. بُرجانا: فوبوس، وديموس، تحوَّلا إلى أنقاض. المنجَنيقاتُ التي أُهديَت للمُحاصِرينَ قد قامَت بعَملِها هُناك. بهذه الطريقة أيضاً تَقدَّموا نحو جُدرانِ قلعتي القديمة. الواجهةُ الأماميّةُ تحوَّلت إلى أنقاضٍ مَكسوَّةٍ بالسِّهام، وبقايا خزفيّة مَكسورة مِن جِرارِ القارِ، والسيوفِ، والدروعِ، وبعض الطلّاب.

تقريباً، مئة رَجُلٍ قَويٍّ يُحاصِرون مَعقل مارس. مُعسكرُهم بالقُربِ مِن خَطِّ الأشجار، لكنّهم بنوا سوراً مُحيطاً بقلعة مارس؛ لمَنعِ أيّة هَجماتٍ آتيةٍ مِن الحصن. لقد كان شتاءً طويلاً على كلا الجانبين، مع أنّني لمَحتُ قُدورَ طَبخٍ على الطاقة الشمسيّة، وسخّاناتٍ مَحمولَة، ورُزمَ غذاء قوّاتِ الشغبر المُحاصِرة، والمُكوَّنة مِن جوبيتر، وأبولو، ورُبعِ عُصبة بلوتو. هنالك عِدَّةُ صُلبانٍ مَغروسَة أسفلَ السَّفح. إنّها تواجِهُ القلعة. هُنالك ثلاثة أجسادٍ على

الصلبان. الغربانُ تُخبِرُني بحالِتهم. علامة المُقاوَمة الوَحيدة التي أراها مِن عُصبة مارس، هي عَلَمُنا المهترئ الذي يَحمِلُ شعار ذئب مارس، ويتدلّى بتَثاقُلٍ في الريح الضعيفة مع آثار احتراقٍ باديَةٍ عليه.

نهبطُ أنا والعَوّاوُون مِن السماء مِثلَ آلهةٍ ذهبيّة. عباءاتنا البالية تُرفرِفُ مِن خَلفِنا. لكنْ إن تَوقَّع المُحاصِرون أنّنا مُشرِفون نَجلِبُ لهُم المَزيدَ مِن الهدايا، لن يكون الصوابُ قد جانبَهُم بمِثلِ هذا القَدرِ قَطّ. نَحطُّ بقوّةٍ على الأرض. العَوّاوُون أوّلاً، ومِن ثمّ أحطُّ أنا عِندَ مُقدِّمتِهم، ومَع مُلامَستي للأرض يتفرَّقُ العدوّ مِن أمامي في رُعبٍ مُطلَق.

الحصّادُ عادَ إلى دياره.

أجعلُ العَوّائين يَفتِكون بالأعداء على تُرابِنا. هذه أقربُ مسافةٍ مِن دياري، مِن ليكوس، تَمكّنتُ مِن بُلوغِها خِلالَ أشهُر. أنحني إلى الأسفل، وآخذُ حفنةً مِن تُرابِ عُصبة مارس، بينما يؤدّي رجالي عَملي مِن حَولي. مارس. الديار. لقد رَفعتُ عَلماً مُختلفاً، لكنّني أفتقد عُصبتي. يركضُ الأعداء لمُهاجمتي. إنّهم يرون نَصلي فيعرفون مَن أنا. أسيرُ مُحصَّناً. دِرعي النَّبضِيُّ هو تِرسي. سيفرو والعَوّاوُون يُمثّلون سَيفي.

أمشي نحو الصُلبانِ الثلاثة، وأنظرُ إلى الأعلى لأرى كلّاً مِن أنطونيا، وكاساندرا، وفيكسوس.

الخونة. ما الذي فعلوه هذه المرّة؟

أنطونيا ما تزالُ بالكادِ على قيدِ الحياة، وفيكسوس أيضاً. أجعلُ الشَّوكةَ تُنزِلهم وتأخُذهم إلى الروبوتات الطبيّة في الأوليمبوس. سيكون عليهِم العَيشُ مع حقيقة أنّهم نحروا عُنقَ ليا. أتمنّى أن يؤلمهم ذلك. أقفُ للحظاتٍ في أسفلِ التلّة. أنادي عليهم ليعرفوا مَن أنا، لكنّهُم يعرفون مُسبقاً؛ لأنّ عَلمَ

مارس قد أُنزِلَ، ورُفِعَت مَكانهُ مُلاءةٌ مُتّسخةٌ مَع نَصلٍ مِنجَليٍّ مَرسومٍ على عَجلٍ يَتقوَّسُ عَبرَها.

- «الحصَّاد!». يصيحون كأنّني خَلاصُهم: «العريف!».

المُدافِعون قَذِرون، وهَزيلون، وذوو هَيئةٍ رَثَّة. بَعضُهم ضعيفٌ إلى درجة أنّنا نَضطرُّ إلى حَملِهم مِن أنقاضِ القلعة. مَن يستطيع، يأتي لتحيّتي، أو التربيت على رأسي، أو تقبيل وَجنَتي. مَن لا يستطيع، يَلمس يدي لدى مروري بجانبه. هنالك أرجُلٌ مَكسورةٌ، وأذرعٌ مُهشَّمةٌ ستُعالَج. نَحمِلهم إلى الأوليمبوس. عُصبة مارس لن تكون ذات فائدةٍ في المعركة القادمة؛ لذا سأستعمِلُ المُحاصِرينَ مِن عُصَبِ: بلوتو، وجوبيتر، وأبولو. أجعلُ المُهرِّج والحَصوَة يقومان باستِعبادِهم جميعاً بوساطة راية مارس. فتى نحيلٌ بالكادِ تعرَّفتُ إليه يُحضِرها لي، لكنْ عندما يَأخذُني بالأحضان مع عِظامه البارزة، ويُعانقُني بشدّة إلى درجةٍ آلمتني، أعرفُ مَن يكون.

نحيبٌ صامتٌ يتردّدُ صَداهُ في صدري.

إنّهُ يُعانقُني بِصمت، ثمّ يَختلِجُ جِسمهُ كما اختلجَ جِسمُ باكس، وهو يموت، عدا أنّ هذه الاختلاجات سببها الفرحة وليس الألم.

روكي، إنّهُ حيّ.

- «أخي». يَنتحِب: «يا أخي».

- «ظننتُ أنّكَ مَيّت». أقولُ له، وأنا مُمسكٌ ببُنيَتِهِ الهشَّة: «روكي، ظننتُ أنّكَ مَيّت». أحتَضِنهُ. شعره ناعمٌ للغاية. أشعرُ بعظامِهِ مِن خلال ملابسه. إنّهُ مِثلُ خِرقةٍ رطبةٍ حَولَ ذِرعي.

- «أخي». يقول: «عَرفتُ أنّكَ ستعود. عَرفتُ ذلك في قلبي. هذا

المكان كان فارغاً مِن دونك». يُكشِّرُ نَحوي بِفخرٍ كبير: «انظُر كيفَ مَلأتَهُ الآن».

مُشرِف عُصبة ديانا كان على حقّ؛ عُصبة مارس أشبه بحريق غاباتٍ جامِحٍ، ويَتضوّرُ جوعاً. لدى روكي نُدبٌ على وَجهِه. يهزُّ رأسه، وأعلمُ أنّ لديهِ قِصصاً ليَرويها: أين كان، وكيف عاد. لكنْ فيما بعد، يَعرجُ مُبتعِداً. كوين متعبةٌ، وبأذنٍ واحدة، تذهبُ مَعهُ. تَلفظُ شُكراً، وتضعُ يدها أسفلَ ظَهرِ الشاعرِ الهَزيلِ بطريقةٍ تَجعلُني أعرِفُ أنّها تَركَت كاسيوس.

- «أخبرنا أنّكَ ستعود». تقول: «روكي لم يَكذِب قطّ».

بولوكس لا يزال مَزوحاً عندما ألتقيه. صوته خَشنٌ، ويَجذبُني مِن ذراعي. قال بأنّ كوين وروكي أبقيا على العُصبة موحّدَةً؛ أمّا كاسيوس، فقد تخلّى عن ذلك مُنذُ زَمنٍ بَعيد. إنّه يَنتظِرُني في غرفة الحرب.

- «لا تَقتلهُ... أرجوكَ! إنّ ذلك يَقضُّ مَضجَعه، يا رجُل. ما فَعلهُ بِكَ يُثقِلُ كاهِلهُ جدّاً. جميعنا نَعرفُ ذلك؛ لذا دَعهُ فقط يَحصلُ على بَعضِ الوقت بعيداً عن هذا المكان، يا رجُل. إنّ كلَّ هذا يؤثِّرُ على عَقلِكَ. يَجعلُكَ تنسى أنّهُ ليسَ لدينا خيار». بولوكس يَركلُ قِطعةَ وَحلٍ: «أتعرف؟ الأوغادُ وَضعوني مع فتاةٍ صغيرة».

- في أثناء العُبور؟

- «جَمعوني مع فتاةٍ صغيرة. حاولتُ أن أقتُلها بطريقةٍ ناعمة... لكنّها لم تَمُت». بولوكس يُهمهِم شيئاً ما، ويُربِّتُ على كتفي. يُحاولُ الابتسامة بمرارة: «لقد ذُقنا الأمرّين، لكنْ على الأقل لسنا بحُمرٍ، أليسَ كذلك؟».

أصبت.

يُغادِر وأبقى وحيداً في قلعتي القديمة. تيتوس مات في المكان الذي

أقِفُ فيه الآن. أنظرُ نحوَ البُرجِ المُحصَّن. إنّه الآن أسوأ ممّا كان عليه في وقته. كلّ شيء أسوأ الآن، بطريقةٍ ما.

اللعنة! لماذا كان على موستانغ أن تَخونَني؟ كلُّ شيء قاتمٌ الآن مُنذُ أن عَرفتُ ذلك. ظِلٌّ يُخيِّمُ على الحياة. كان بِوسعِها أن تُخبرني أكثرَ مِن مرّة، لكنّها لم تفعل ذلكَ قطّ. أعرفُ أنّها كانت تُريدُ التكلُّم معي عندما كنتُ مع الشغبر، لكنْ على الأرجح فقط كي تقولَ لي شيئاً تافهاً، هُراءً ما. أم ستخونُ دَمها مِن أجلي؟ كلّا! إن كانَت تُريدُ فِعلَ ذلك، لكانَت أخبرتني قبل أن أعطيَها نِصفَ جيشي. أخذَت رايتَها أيضاً، وراية عُصبة سيريس. لماذا ستحتاجُ إلى كلِّ هذا إن لم تكن تريدُ شَنَّ حَربٍ ضدّي؟ يجعلني هذا أشعرُ كأنّها هي مَن قَتلَت إيو. كأنّها هي مَن وَضعَت الأنشوطة هناك، وأنا سَحبتُ القَدمَين. هي ابنة والدها.

أشعرُ بتلكَ الطَقطَقة الصغيرة تَسري في يَدي. لقد خُنتُ إيو.

أبصقُ على الحجارة. فمي جافٌّ؛ لم أشرب شيئاً طوالَ الصباح. رأسي يؤلمني. إنّه وَقتُ إظهارِ ما في جُعبَتي، كما اعتادَ عمّي نارول أن يقول. إنّهُ وَقتُ لِقاء كاسيوس.

يَجلِسُ، ونَصلهُ الأيونيّ مَوضوعٌ على طاولة عُصبة مارس. يَجلِسُ في المقعد الذي حَفرتُ عليهِ شِعاري. العلمُ القديمُ للعُصبة مُلقى على ركبتيه. يَدُ العريفِ مُعلَّقةٌ حَولَ رقبته. مَرَّ وَقتٌ طويلٌ مُنذُ أن أقحمَ ذلك السَّيفَ في بطني. السِّلاحُ يبدو سخيفاً الآن؛ أشبه بلعبةٍ، أو تِذكار. إنّني بَعيدٌ في هذه الغرفة، بَعيدٌ عن نَصلِه، بَعيدٌ عن مَداه، لكنْ مع ذلك فعيناهُ تَجعلان قَلبي يَتوقَّف. الذَّنبُ أشبهُ بعُصارةٍ مَعِديّةٍ عالِقةٍ في حَلقي، تَملأ صدري، وتستنزِفُني.

- «أنا آسفٌ بخُصوصِ جوليان». أقولُ له.

شَعرهُ عبارة عن ضَفائِر ذهبيّة، لكنْ يتخلَّلُها حُبيباتُ رَملٍ خَشِنة وشَحم. البراغيث استوطنَت فيها. إنّهُ لا يزال جميلاً، أكثرُ وَسامةً ممّا يُمكن أن أكون عليهِ أبداً، لكنّني الرجُلُ الأعظَمُ. البريقُ في عَينِه أصبحَ باهِتاً. روحهُ تحتاجُ إلى وَقتٍ ومكانٍ بعيدٍ عن هذا المكان. أشهرٌ مِن الحِصار. أشهرٌ مِن الغَضبِ والهزيمة. أشهرٌ مِن الفُقدان والذَّنبِ استنفَدتهُ مِن كلِّ ما يَجعلهُ كاسيوس. يا لها مِن روحٍ مِسكينة! أشعرُ بالأسى مِن أجله. أكادُ أضحك. بعد أن أقحمَ سيفاً في بطني، أشفِقُ عليه. إنّهُ لم يَخسَر معركةً مِن قَبل. إنّهُ الوحيدُ مِن بين كلِّ العُرفاء الذي يُمكِنهُ قَولُ هذا. مع ذلك، يأخذُ الشارةَ، ويَقذِفُها إليّ.

- «لقد رَبحتَ، لكنْ هل كان يَستحِقُّ كلَّ ذلك؟». يسألُ كاسيوس.

- نعم.

- «بلا أيّ تَردد...». يومئ برأسه: «هذا هو الفَرقُ بيني وبَينكَ».

يَضعُ الراية وسيفهُ جانباً، ويمشي قريباً منّي، إلى درجة أنّني أستطيعُ شَمَّ رائحة نَفسِه الكريهة. أعتقدُ أنّهُ سيقومُ بمُعانقتي. أريدُ مُعانقَتهُ؛ كي أعتذرَ وأتوسَّلَ للحُصولِ على مَغفِرته. عندها يَقتلِعُ جُلبَةً مِن جُرحٍ على بَراجِمِه، ويَمتصُّ الدم مِنها، ثمّ يبصقهُ في وَجهي، ما يُذهلني.

- «هذا ثأرُ دم». يهسهِسُ بلُغةِ الطَّبقةِ العُليا: «إن حَدثَ والتقينا مُجدّداً، سأنالُ مِنكَ، أو ستَنالُ منّي. إن حَدثَ وتَنفَّسنا الهواء في الغُرفةِ نفسها، ستنقَطعُ أنفاسُ أحَدِنا. اسمعني الآن أيّها الحقير الوَضيع: سيكونُ كلٌّ مِنّا شَيطاناً للآخر إلى أن يَتعفَّنَ واحِدٌ مِنّا في الجَّحيم».

إنّهُ إعلانٌ رَسميٌّ وبارِدٌ بحاجةٍ إلى شيءٍ واحدٍ مِنّي. أخفضُ رأسي

أنا، ويُغادِر هو. أرتعِشُ، وأنا أقِفُ لِبضعِ لحظاتٍ بعدَ رحيله. قلبي يَخفِقُ بشدّةٍ في صدري. يا لكُلِّ هذا الألم! ظَننتُ أنّنا سنَتجاوزُ الأمر، لكنْ لا كلُّ الجِراحِ تَندَمِل، ولا كلُّ الخَطايا تُغتَفَر.

آخذُ عَلمَ مارس، وأثبّتُ على صدري شارة العريف. أنظرُ إلى الخريطة على الجدار. عَلمُ نَصلي المِنجَليّ يُرفرِفُ فوقَ كلِّ قلعةٍ هناك؛ لأنّ رجالي قاموا بتأمين البقيّة حتّى مع قيام تاكتوس بتجهيز الأوليمبوس لمواجَهة هُجومِ موستانغ. الآن تلك القِلاعُ لي، وليسَت لعُصبة ذئاب مارس. نصْلي المِنجَليّ يبدو أشبه بحرف L مِن لامبدا؛ إنّها عشيرتي، المكان حيثُ يعمل أخي، وأختي، وعمّي، وأمّي، وأصدقائي بكَدٍّ حتى الآن. أشعرُ أنّهم بعيدون جدّاً عنّي، ومع ذلك فرَمزُهم رَمزُ تمرُّدِنا -أداةُ عَملٍ حُوِّلَت إلى سِلاح حَربٍ- يُحلِّقُ فَوقَ كلِّ عُصبةٍ مِن عُصَبِ ذوي البريق الذهبيّ عدا واحدة: بلوتو.

أغادرُ القلعة عبر البُرج المُدبّب. أنا غطّاس جحيمٍ أحمر مِن ليكوس. أنا العريفُ الذهبيّ لعُصبة مارس. وأنا ذاهبٌ إلى آخر معركةٍ لي في هذا الوادي اللّعين! بعد ذلك تبدأ الحربُ الحقيقيّة.

44

الصُعود

تولّى تاكتوس القيادة خلال غيابي. الرجُل وَحشٌ قاسٍ، لكنّه وَحشيَ القاسي، وبوجوده في صفّي، قوّاتي مُستعدّةٌ لسَفكِ الدماء. دروعنا تتلألأ. قوّةٌ مِن ثلاثمئة رجُلٍ، وتسعين عبداً جديداً، لن تسنحَ لهم فرصة استحقاق حُريّتِهم. ليسَ هُنالك ما يكفي مِن الأحذية الثقاليّة للجميع، أو ما يكفي مِن دُروع، لكنْ لدى كلّ واحدٍ شيء ما. جماعةُ الأحصنة الميّتة والعَوّاؤون يجتمعون معاً بالقُربِ مِن حافّة جبل الأوليمبوس. يشكّلون قوساً رفيعاً مِن الذهب، ويُحدِّقون إلى الأرض على بُعد ميلٍ في الأسفل. أعداؤنا في الجبال. عندما سيأتي كلٌّ مِن موستانغ والشغبر مِن القِممِ الثلجيّة، سيكونان في وَضعٍ ضعيف. لدينا ميزة الأرض المرتفعة. بقيّةُ قوّاتي - فِرقةُ باكس السابقة وفِرقةُ نايلا- يَحرِسون الحصن الذهبيّ والمُشرِفين. العبيدُ هنالكَ أيضاً. أتمنّى لو أنّ باكس إلى جانبي. لطالما أحسستُ بالأمان أكثر، وأنا في ظِلّه.

بَعثتُ بنايلا وميليا مع بَعضِ الجنود، وهُم يَرتدونَ عباءات الشبح؛ لاستِطلاعِ الجبال عن تَحرُّكات الشغبر. مَن يدري ما المعلوماتُ

الاستخباراتيّة التي أعطتها موستانغ لأخيها؟ سيعلمُ نقاطَ ضعفِنا، واستعداداتِنا؛ لذا قُمتُ بخَلطِ كلِّ شيءٍ قَدرَ المُستطاع. كلُّ ما كانَت تَعرِفهُ سيكون بلا جَدوى. تَعديلُ المَنظورِ الفِكريّ. أتساءلُ إنْ كان بِوسعي هزيمتها بلا رحمة مِثلما هَزمتُ فيتشنير. الفتاة التي دَندنَت أغنية إيو؟ أبداً. ما زلتُ أحمرَ في القلب.

- «أكرهُ هذا الجزء المتبّب!». يتنهَّدُ تاكتوس، ويَنحني بجسمه ذي الأعصابِ البارزة مِن فوقي، كي يُلقي بنظرةٍ عَبرَ حافَّة الجبل الطافي: «الانتظار، يا له مِن أمرٍ مُقرِف! إنّنا بحاجةٍ إلى بَعضِ العَدسات».

- ماذا؟

- «عدسات!». يقولُ بصوتٍ عالٍ.

سَمعي مُتذبذِبٌ. إنّ طبلات الأذن المثقوبة لأمرٌ بَغيض.

يقول شيئاً ما عن موستانغ، وأنّه كبدايةٍ سيقطعُ إبهاميها. لا أتمكّن مِن سماعِ مُعظم ذلك، وعلى الأرجح لا أريد أيضاً؛ لأنّ هذا الكائن مِن النوع الذي يَصنعُ جدائل مِن أحشاء أحدهم: «هناك!». حينها نرى طيّاراً ذهبيّاً يخترقُ السُحب. ثلاثة آخرون يتبعونه: نايلا... ميليا، موستانغ... وشيء آخر.

- «انتظر!». أنادي على سيفرو وعَوّائيه. يكرّرون أمري مع اقتراب موستانغ، وهي تَحملُ شيئاً غريباً.

- «هيه، يا حصَّاد». تناديني موستانغ. أنتظرها كي تَحطّ. حذاؤها يُنزِلها بسرعةٍ إلى الأرض.

- هيه يا موستانغ.

- «إذنْ، تقول ميليا بأنّكَ اكتشفتَ الأمر». تنظرُ مِن حولها مع ابتسامةٍ فضوليّة: «إذنْ، كلّ هذا يجبُ أن يكون لأجلي؟».

- «طبعاً». أشعرُ بالارتباك: «ظننتُ أنّه قد يقعُ عِراكٌ بين أوغوستوس وأندروميدوس».

- «لا عِراكَ هذه المرّة. أحضرتُ لكَ هديّة. دعني أقدِّمُ لكَ أخي، أدريوس ذهبيّ أوغوستوس، شغبر الجبال، مع رايته. وهو...». تنظرُ إليّ مع ابتسامةٍ قاسيةٍ، وهي تُدرِكُ أنّني ظننتُ أنّها خانتني: «...مُجرَّدٌ مِن سِلاحه».

تُلقي بالشغبر مُقيَّداً، ومُكمّماً، وعارياً.

- «تبّاً لي!». يهسهسُ تاكتوس.

لقد ربحت.

موستانغ تقف بجانبي لدى قُدومِ سُفن الإمداد إلى الأوليمبوس. أخبرتني بألّا أشعرَ بالذّنبِ لأنّني شككتُ بوَلائها. فقد كان عليها أن تُخبرَني بروابطها العائليّة، حتّى مع عَدمِ اعترافها بالشغبر كأخٍ لها مِن الناحية الروحيّة. أخوها الحقيقيّ، أخوها الأكبر، قُتلَ مِن قِبَلِ أحد إخوة كاسيوس، وَحش يدعى كارنوس. أوغوستوس وبيلونا. الثأر الدمويّ بين هاتين العائلتين يعودُ إلى زمنٍ طويلٍ، وأشعرُ بتداعياته عليّ.

مع ذلك يبقى السؤال: هل موستانغ هي ابنة أبيها؟ أم الفتاة التي دَندَنَت أغنية إيو؟ أعتقدُ أنّني أعرفُ الإجابة: إنّها ما يُمكِن، وما يَجبُ أن يَكون عليهِ الذهبيّون، لكنّ أباها وأخاها هُما ما الذهبيّون عليه. إيو ما كانت لتتوقّعَ قطّ أن يكون الأمرُ بهذا التعقيد. هنالكَ خَيرٌ في الذهبيّين؛ لأنّهم

من نواحٍ كثيرة أفضلُ ما يُمكِن للبشريّة أن تُقدِّمه، لكنّهم الأسوأ أيضاً. ماذا سيفعلُ هذا بِحُلمِها؟ الزمن وَحدهُ سيُخبِرنا بذلك.

أتوَسَّطُ مساعدِيَّ: موستانغ، ونايلا، وميليا، وتاكتوس، وسيفرو، حتّى روكي وكوين. نتركُ مكاناً لباكس وليا أيضاً. جيشي يحيط بهم مِن الجوانب. لا داعي لإحراج طلّاب بلوتو. أريدُ ذلك، لكنّني لن أفعل. أدعهم يقفون مُنتشِرين بين وِحداتي الستّة. ننتظرُ في ساحةٍ واسعةٍ مُقابِل مِنصّاتِ الهبوط. إنّهُ يومٌ رَبيعيٌّ؛ لذا يذوب الثلج بسرعة.

سيفرو بجانبي. أرى اختلافاً طفيفاً في عينه عندما يَنظرُ إليّ. المحادثة التي أجريناها عندما انتهى مِن تحرير الأشرطة كانت قصيرةً ومُرعبة. إنّها تتردّدُ في أذني.

- «الصوت في العاصفة كان مُشوَّشاً». قال: «لم أستطِع فَهمَ الكلمات الأخيرة التي قُلتَها لأبولو؛ لذا قُمتُ بحَذفِها».

إحدى كلماتي الأخيرة كانت اللعنة!

ما الذي يَعرفهُ سيفرو؟ ما الذي يَظنّ أنّهُ يَعرفهُ؟ إنّ حقيقة قيامهِ بحذفها تعني اعتقادهُ بأنّها مُهمّة بما يكفي كي يَتستَّرَ عليها.

الحاكِم العام أوغوستوس، والإمبراتور بيلونا، والإمبراتور أدرياتوس، وضيوفٌ آخرون مِن النّخبَة يَبلغُ عددهم قرابة المئتين يخرجون مِن السُّفنِ، كلٌّ مِنهم مع كادرٍ مِن حاشيَته. المُديرة تتفقّدُنا، وتضحكُ من حال المُشرِفين. تَركتُهم مُقيّدين ومُكمَّمين. لا مكان للشَفقةِ هنا. أيّ خَوفٍ مِن العِقاب قد تبخّر. فقط فيتشنير يَقفُ غَيرَ مُقيّد. إن كانت هنالك أيّة جوائز تُمنَح للمُشرِفين، فمن المُفترضِ أن يَحصدها كلّها. مِن المُفترضِ الآن أنّهم قد أتمّوا مشاهدة التجاربِ المُجسَّمة. سيفرو بَذلَ جهدَهُ كي

تكون جيّدة. إنّهُ يَعرِفُ جيّداً القصّة التي أريدُ إخبارها. قمتُ فقط ببعض التعديلات.

المديرة كلينتوس امرأةٌ صغيرةٌ مع وَجهٍ حازمٍ مُدبّب. تتدبّرُ أمرَ إطلاقِ نُكتةٍ، بأنّ هذه هي المرَّة الأولى التي يُقيمون فيها الحفل في مِثلِ هذا المكان المُرتفع، لكنّها تَظنُّ أنّها ستكون المرَّةَ الأخيرة. إنّها ليسَت الطريقة التي يجبُ أن تُلعبَ بها اللُّعبَة، مع أنّها تَشهدُ على إبداعي ومَكري. يَبدو أنّها مُعجبةٌ بي كثيراً، وتتحدّثُ عنّي بِودٍّ مُستخدِمةً لَقبَ «الحصَّاد». في الواقع يبدو أنّ الجميع يحبّونني كثيراً، وإنّ بوسعي رؤية التَّحفظِ على وجوه بعضهم؛ عادةً ما يميل الحُكّام إلى كُرهِ مَن يكسرون القواعد.

- «المُنتقون مِن كلّ العُصبِ يسعون إلى ضمِّكَ يا ولدي. سيكون لديكَ ما تختارُ منه، على الرغم مِن أنّ عُصبة مارس لديها حقُّ تقديم العَرضِ الأوّل. سيكون الأمرُ عائداً إليك. خياراتٌ كثيرةٌ للحصَّاد!». تقول كلينتوس، وهي تضحكُ ضحكةً خافتة.

بيلونا وأوغوستوس أعداءٌ حتّى الموت، كلاهما يُراقباني مثلما تُراقبُ أفعى؛ قتلتُ أحدَ أبنائهم، وأحرجتُ آخر. أعتقدُ أنّ هذا قد يصبح مُحرِجاً.

هنالك احتفاليّة صغيرة. الخدم يَنشطون في الأنحاء. إنّهُ مُجرَّدُ أمرٍ شكليّ. الاحتفاليّة الحقيقيّة ستقامُ في أجيا؛ حيثُ سيكون هنالك مَهرجانٌ ضَخمٌ، حَفلٌ لإطلاق ألعاب ناريّة في السماء، وحُضورٌ مُجسَّمٌ للحاكمة المُعظَّمة بنفسها، وسيكون هنالك شرابٌ، وراقصون، ومتسابقون، ونافثو نيران، وعَبيدٌ للمُتعة، ومُعزّزات، وغبار الذُروَة، وسياسيّون؛ هذا ما قالتهُ لي موستانغ على الأقلّ. يبدو مِن الغَريبِ أن تفكّرَ بأنّ الآخرين يهتمّون بما يحدثُ لنا هنا، مِن الغريب أن تفكّرَ بأنّ العديدَ مِن الذهبيّين هُم مَخلوقاتٌ

تافهة، لا يعلمون شيئاً عمّا يعنيه أن تنالَ علامة الفريدِ ذي النُّدبة، وأن تَضرب فتى حتّى الموتِ في غُرفةٍ حَجريّةٍ باردة. لكنّهُم يحتفلون بنا. للحظات نَسيتُ مِن أجلِ مَن كنّا نُقاتِل. نَسيتُ أنّه عِرقٌ يُقاتِل بضراوةٍ ليَكسبَ أشياءهُ التافهة؛ لأنّه يُحبُّ هذه الأشياء كثيراً. لا أفهمُ هذا الدافِعَ! أفهمُ المَعهدَ. أفهمُ الحَربَ. لكنّني لا أفهمُ ماذا يَحدثُ في أجيا، أو ما الذي سيحدثُ بعدَ ذلك. ربّما هذا بسببِ أنّني أُشبِهُ أكثر الذهبيّين الفولاذيّين، نُخبَة الفَريدين: أولئكَ الذين يُشبِهون الأسلاف، أولئكَ الذين قصفوا بالسِّلاحِ النوويّ كوكباً انتفضَ في وَجهِ حُكمِهم. أيّ مَخلوقٍ أصبحتُ أنا عليه!

بعد انتهاء كلِّ ما يَجبُ قَولهُ وفِعلُه، تَقومُ المُديرة كليتوس بتقليدي شارةً ما. تَغمزُني وتُربِّتُ على كتفي، ومِن ثمّ ننتَشِر. هكذا بكلِّ بساطة تنتهي اللّعبة، ويُخبرونا بأنّ سُفنَ إمدادٍ ستَحطُّ كي نَرحلَ إلى ديارنا؛ حيثُ ينتظرنا الأهلُ ليثنوا علينا، أو يَتبرّأوا مِن أبنائهم وبناتهم المُخيِّبين للآمال. هكذا بكلِّ بساطة. حتّى ذلك الوقت نَتجمّعُ هنا، شاعرين بالغباء مع كلِّ تلك الدُّروعِ والأسلحة التي جَمعناها، والتي فقدت قيمتها الآن. أنظرُ إلى نَصلي المِنجَليّ، وأتفاجأ كم أصبح عديمَ نَفعٍ الآن! يَبدو كأنّهُ مِن المُفترضِ أن نُهنّئ بَعضنا، ونَبتهِج، أو نقوم بشيءٍ ما مُماثِل، لكنّ الصَّمتَ فقط هو الذي يُخيِّم. صَمتٌ فارغ للجميع: للمُنتصِرين، والخاسِرين.

أنا فارغ.

ماذا أفعلُ الآن؟ لطالما كان هنالك خَوفٌ، وقَلقٌ، وسَببٌ لتخزين الأسلحة والغذاء، وطَلَبٌ، أو اختبار. الآن، لا شيء. فقط رياحٌ تجتاحُ أرضَ معركتنا. أرضَ معركةٍ فارغةٍ مملوءةٍ بأصداء أشياء فقدناها، أو تعلّمناها فقط. الأصدقاء. الدُّروس. قريباً ستصبحُ مُجرَّدَ ذكريات. أشعرُ

كأنّ حبيباً لي قد مات. أتوقُ إلى البُكاء. أشعرُ بالفراغ. بلا هَدف. أبحثُ عن موستانغ. هل ما زالتَ تهتمُّ لأمري؟ وعندها يأخذني الحاكِم العام أوغوستوس مِن مِرفَقي فجأةً! ويَقتادُني بعيداً عن باقي الفِتية المَذهولين.

- «أنا رجُلٌ كثيرُ الأشغالِ يا حصَّاد». ينطقها ساخراً: «لذا سأكون مُباشراً: لقد خَلقتَ تَعقيداتٍ في حياتي».

لمستهُ تجعلني أرغبُ بالصُّراخِ. فَمهُ الرقيق لا يُبدي أيّ انفعال. أنفهُ مُستَقيم. عيناهُ تُشِعّان بالازدراء كأنّهما مَصنوعتان مِن جَمرَتين مِن شَمسٍ مُحتضِرة. إنّهُ فَريدٌ جدّاً، ومع ذلك ليسَ جميلاً. وَجههُ يَبدو كأنّهُ مَنحوتٌ مِن الغرانيت مع وَجنتين عَميقتين. تَغلبُ عليه بشرةٌ قاسيةٌ غَيرُ برَّاقة، مِثلَ أولئكَ الحمقى في مُكعَّبِ العَرضِ المُجسَّم، أو القُرودِ المَاجِنة التي تتسكّعُ في النوادي الليليّة. تَفوحُ مِنهُ رائحةُ القوّة كما تَفوحُ مِن الوَرديّين رائحةُ العطر. أريدُ أن أجعلَ وَجههُ يَبدو كأحجيةٍ مُحطَّمة.

- «أجل». هو كلّ ما أقوله.

لا يَبتسِمُ ابتسامةً طبيعيّةً، أو مُتَصنِّعة: «زوجتي ترجو. إنّها تَستَجديني كي أساعِدَ ابنها على الفَوز».

- «مهلاً! هل تَلقّى مُساعدة؟». أسألُ.

فمه يَنزاحُ على شكل ابتسامةٍ ناعمة، تلكَ المُخصّصة للتَسلّي البَسيط: «أفترِضُ أنّكَ لم تُشارِكْ أمرَ تَدخُّلي مَع الآخرين».

أريدُ أن أكسِره. بعدَ كلِّ هذا الذي حَصل، إنّهُ يتوقّعُ منّي أن أتعاون، كأنّهُ شيءٌ يُمكِنهُ المُطالبة بِه، كأنّ لديهِ الحقَّ بأن أساعِدَه. أرخي قبضتَيّ. ماذا كان يُريد الراقِصُ منّي أن أقول؟

- «إنّكَ بخَير». أتدبَّرُ قولَ ذلك: «ليسَ بوسعي مُساعدتك على الجبهة الداخليّة، لكنّني لن أخبرَ أيّ مَخلوقٍ بأنّ الشغبر تَلقّى مُساعَدةً مِن والده».

تَرتفعُ ذقنهُ: «لا تُنادِهِ بهذا الاسم. رجالُ عائلة أوغوستوس أُسُودٌ، وليسوا آكلي جُثثٍ جُرب».

- «لا فرق، كان عليك أن تُنفِق أموالكَ على موستانغ». أقول قاصداً ألّا أستعملَ اسمها.

- «لا تُعلِّمني عَن عائلتي يا دارو». يَنظرُ إليَّ باستعلاء: «السؤال الآن هو: كَم تُريدُ مُقابلَ سُكوتكَ؟ لا أقبلُ الهدايا. لا أدينُ لأحد؛ لذا سأهتمُّ بِكَ مُقابلَ شَرطٍ واحد».

- أن أبقى بعيداً عن ابنتك؟

- «كلّا!». يضحكُ بحِدَّة، يُفاجئني: «العائلاتُ الغبيَّة هي التي تَكترثُ للدم. لا أكترثُ على الإطلاق لنَقاء العائلة، أو الأجداد. هذا أمرٌ تافه! أكترثُ للقوّة فقط، ما يستطيعُ الرجُلُ أن يَقومَ به للرجال والنساء الآخرين، وهذا شيءٌ تَملكهُ: السُّلطَة، والقوَّة». ينحني نحوي مُقترِباً، وفي حَدقتَيه أرى مَوتَ إيو: «لديَّ أعداء. إنّهُم أقوياء. إنّهُم كُثُر».

- إنّهُم بيلونا.

- «وآخرون. لكنْ أجل، فلدى أشقّاء الإمبراطور تيبيريوس ذهبيّ بيلونا وشقيقاته أكثرُ مِن خمسين ابناً وبنتاً. لديهِ تِسعة أولاد، مِنهُم ذلك العِملاقُ كارنوس الأكبرُ سنّاً، وكاسيوس المُفضَّلُ لَديه. بِذرَتهُ قويّة؛ أمّا بِذرَتي... فأقلُّ قوّة. كان لديَّ ابنٌ يَفوقُ عائلة تيبيروس بأسرِها، لكنّ كارنوس قَتلَه». يَصمتُ لبُرهة: «الآن، لديَّ ابنتا أختٍ، وابن أختٍ، وابنٌ، وابنة، وهذا كلّ شيء؛ لذا أقومُ بِجمعِ المُتَلمِذين. شَرطي هو أن أعطيكَ ما تُريد مُقابلَ

سُكوتك. سأشتري لكَ الوَرديّين، والسَّبجيّين، والرماديّين، والخُضر. سأدعمُ تقديمَ طلبكَ إلى الأكاديميّة، حيث ستتعلّمُ قيادة السُّفنِ التي تغزو الكواكب. سأزوّدكَ بالتَّمويلِ ومُتطلَّباتِ الرِّعاية. سأقدّمكَ للحاكِمة المُعظَّمة. سأقومُ بكلِّ تلكَ الأشياء مُقابلَ سُكوتكَ إن أصبحتَ واحداً مِن فُرساني الرمّاحين، مُرافقي العسكري، فرداً مِن أسرتي».

إنّهُ يَطلبُ إليّ أن أخونَ اسمي. أن أنحّيَ عائلتي مِن أجلِ عائلتِه. عائلتي مُزيَّفة، أندروميدوس، عائلةٌ وجِدَت للخِداع، ومع ذلك، فجزءٌ منّي يتألّم.

كنتُ أتوقّعُ حُدوثَ ذلك، لكنّني لا أعرفُ ماذا أقول: «أحدُ جنودِ ابنك قد يقولُ شيئاً ما عن تَورّطِكَ يا سيّدي».

يُصدِر نخيراً: «أنا قَلقٌ أكثر مِن مُساعِديكَ».

أضحك: «قِلّةٌ مِن جيشي تَعرفُ الحقيقة، وأولئكَ الذين يَعرِفون لن يَتفوَّهوا بحرف».

- ثِقةٌ كبيرة.

- «أنا عريفُهم العام». أقولها ببساطة.

- «هل أنتَ جاد؟». يسألُ حائراً، كأنّني أسأتُ فَهمَ شيءٍ ما أساسيٍّ كالجاذبيّة: «يا فتى، الوَلاءاتُ ستَنهارُ حالما نَصعدُ على مَتنِ السفينة. بَعضٌ مِن أصدقائكَ سيُنقَلون إلى لوردات القمر. آخرون سيذهبون إلى حُكّامِ العمالقة الغازيّة. حتّى القليلُ سيذهبُ إلى لونا. سيتذكّرونكَ كأسطورة شبابهم، لكنْ هذا هو كلُّ شيء. والأسطورة لا تَحتمِلُ أيَّ وَلاء. قد وَقفتُ في مَكانكَ مِن قَبل بعد أن رَبِحتُ دُفعَتي، لكنّ الوَلاء لن تَعثُر عليهِ في هذه القاعات؛ هكذا تسري الأمور».

- «هكذا كانَت تسري الأمور». أقول بقسوةٍ مُفاجِئاً إيّاه، لكنّني أؤمنُ

بما أقول: «أنا شيءٌ مُختلِف. حَرّرتُ المُستعبَدين، وجعلتُ المَعطوبين يُعالجون أنفسهم. مَنحتُهم شيئاً أنتم -الأجيال الأكبر- لا تستطيعون فَهمَه».

يضحكُ بصوتٍ خافت. الأمر الذي استفزّني: «هذه هي المُشكِلة مع الشباب يا دارو. أنتُم تَنسون أنّ كلَّ جيلٍ كان يُفكّر بالطريقة عَينِها».

- «لكنْ بالنسبة إلى جيلي، هذا صحيح». لا تهمّ ثِقتُه، أنا على حقّ. إنّهُ مُخطئ. أنا الشرارة التي ستُشعِل العالم. أنا المِطرقةُ التي ستُحطِّم القيود.

- «هذه المدرسة ليسَت الحياة». يُلقي عليَّ كلماته مُحاضِراً: «إنّها ليسَت الحياة. أنتَ مَلكٌ هنا؛ أمّا في الحياة، فلا وجودَ للمُلوك. هنالك الكثيرُ ممّن يَطمحون إلى أن يكونوا مُلوكاً. لكنّنا -نحن الفَريدين- نُبقي طُموحاتِهم مُنخفِضة. الكثيرون مِن قبلكَ قد فازوا في هذه اللُّعبة، وهؤلاء الكثيرون يتفوّقون الآن خارجَ هذه المدرسة؛ لذا لا تتصرَّف كأنّكَ ستُصبِح مَلِكاً عِندَ تَخرُّجكَ، وسيكون لديكَ أتباعٌ مُخلِصون. لا، لن تكون كذلك. ستحتاجُ إليّ. ستحتاجُ إلى ركيزةٍ، إلى داعِمٍ ليُساعِدكَ على الصُّعود. لن يكون هنالك أحدٌ أفضل لكَ منّي».

ليسَت عائلتي هي التي سأخونها، إنّما هُم قَومي. المدرسة شيء، ولكنّ الذهابَ تحتَ جناحِ التنّين... وجَعلَه يُعانقُني عن قريب، والجُلوسَ في رَفاهيةٍ بينما يكدح أهلي، ويَموتون، ويَتضوَّرون جوعاً، ويَحترِقون... إنّهُ كافٍ لاقتلاعِ قلبي مِن مَكانِه.

وَلداهُ الذهبيّان كلاهما يَنظُران إلينا. كذلكَ يَفعلُ كاسيوس ووالِده بعد أن احتضنا بعضهما. هنالك دموعٌ مِن أجلِ جوليان. أتمنّى لو أنّني مع عائلتي عوضاً عن كوني هنا. أتمنّى لو أستطيعُ الشُّعورَ بيَدِ كيران على كتفي، والشُّعورَ بيَدِ ليانا في يدي، ونحن نُشاهِد أمّنا، وهي تُعِدُّ العشاء

أمامنا، هذه هي العائلة: إنّها الحُبّ؛ أمّا هؤلاء الناس، فهُم مَشغولون فقط بالمَجدِ، والنَّصرِ، وفَخرِ العائلة، لكنّهُم لا يعرفون شيئاً عن الحُبِّ، ولا أيّ شيءٍ عن العائلة. إنّها عائلاتٌ مُزيّفة. إنّهُم مُجرّدُ فِرَق، فِرَق تَلعبُ لُعبةَ الفَخرِ الخاصّة بها. الحاكِم العام لم يُرحِّب بأولاده أصلاً. هذا الرجُلُ الحقيرُ يَهتمُّ بالحديثِ إليّ أكثر.

- «هذا مضحك». أقول.

- «مضحك؟». يسألُ مُهدّداً.

أختَلِقُ شيئاً ما: «المضحك هو كيف أنّ كلمةً واحدةً يُمكِنها أن تُغيِّر كلَّ شيءٍ في حياتك».

- هذا ليس بمُضحكٍ على الإطلاق. الفولاذ هو السُّلطة. المال هو السُّلطة. لكنْ مِن بين كلِّ الأشياء في كلِّ العوالم، الكلماتُ هي السُّلطة.

أنظرُ إليهِ لبُرهة. الكلماتُ سِلاحٌ أقوى ممّا يَعتقِد، وحتّى الأغاني أقوى بكثير. الكلماتُ تُوقِظ العَقلَ، واللّحنُ يوقِظ القَلبَ. أتيتُ مِن شَعبٍ يهوى الرقص والغناء؛ لا أحتاجُ إليه كي يُخبِرني عن قوّةِ الكلمات، لكنْ مع ذلك أبتسم.

- ما إجابتُك؟ نعم أم لا؟ لن أسألَ مرّةً أُخرى.

ألقي نَظرةً على عَشرات الفَريدين ذوي النُّدبة الذين يَنتظِرون ليَتبادلوا الحديث مَعي، كي يعرضوا عليّ الرعاية، أو التَتلمُذ بلا أدنى شك. العجوز لورن ذهبيّ أركوس هنا. أتعرّفُ إليه حتّى مِن دون قناع المُتقين الذي يحمله. إنّه الفارس الغاضب، الرجُلُ الذي أرسلَ إليّ قلادة البيغاسوس، وخاتم الراقص؛ رجُلُ الشَّرفِ العالي، وقائدُ ثالث أقوى عائلةٍ على المرّيخ، رجُلٌ يُمكِن لي أن أتعلَّم منه.

- هل ستصعدُ معي؟

أنظر نَحوَ الوَريدِ الوداجي للحاكِم العام. نَبضُ قَلبِه قويّ. أتخيّلُ تَرنيمَة الأفولِ عندما ماتت إيو. لكنْ عندما سأشنقهُ، لن ينالَ أُغنيَتنا. لن يكون هنالك صدى لحياته يَتردّد، إنّما بكلّ بساطة ستتوقّف.

- «أعتقدُ -يا سيّدي- أنّ هذا سيُمثّلُ فُرصاً مثيرةً للاهتمام». أنظرُ إلى الأعلى في عينيه، آملاً أن يخطئ باعتقاده أنّ الانفعالَ الغاضِبَ تأثُّر.

- «هل تَعرفُ الكلمات؟». يسألني.

أومئ برأسي.

- إذنْ، عليكَ أن تقولها. الآن هنا، بحيثُ يَشهدُ الجَميعُ على أنّني حَصلتُ على أفضلِ مَن في المدرسة.

كِبرياؤهُ تفوحُ مِنه. أكزُّ على أسناني، وأقنِعُ نفسي بأنّ هذا هو الطريقُ الصحيح. سأصعد معه. سأرتادُ الأكاديميّة. سأتعلّمُ قيادة الأساطيل. سأفوز. سأشحذُ نفسي جاعلاً مِنها سَيفاً. سأهبُ روحي. سأغطسُ في الجحيمِ على أمَلِ أنّهُ يوماً ما سأصعدُ نحو الحُريّة. سأضحّي. سأنمّي أسطورتي وأنشُرها بينَ الناس مِن جَميعِ العَوالِم إلى أن أصبحَ جاهزاً لقيادة الجيوش التي ستُحطّم قُيودَ العُبوديّة؛ لأنّني ببساطة لستُ مُجرَّدَ عَميلٍ لأبناء أريس. لستُ ببساطة مُجرَّدَ تكتيكٍ، أو أداةٍ في مَكائدِ أريس. أنا أملُ قَومي، أملُ كلِّ مَن هو تحتَ العُبوديّة.

لذا أركعُ أمامهُ، كما هي العادةُ لديهِم. وكما هي العادةُ لديهِم، يَضعُ يَديهِ على رأسي. الكلماتُ تَتسلّلُ ببطءٍ مِن فَمي، ووَقعُ صداها أشبهُ بزجاجٍ مَكسورٍ في أُذنيّ.

- سأتخلّى عن أبي وأهجر اسمي. سأكون سَيفكَ يا نيرو ذهبيّ أوغوستوس، وسأجعلُ مِن مَجدِكَ غايةً لي.

أولئكَ الذين يشاهدون يلتقطون أنفاسهم من جرّاء هذا الإعلان المفاجئ. آخرون يَلعَنون هذا التصرُّف غير الملائم، وجرأة أوغوستوس. ألا يوجد لديهِ أيّ حِسٍّ باللّباقة؟ سيّدي يُقَبِّلُ أعلى رأسي، ويَهمِسُ بكلماتِهم، وأنا أبذلُ جهدي لألجمَ الغضبَ الذي جَعلَني مخلوقاً أحدَّ مِن الأحمر، وأقسى مِن الذهبيّ.

دارو، يا أيّها الفارسُ الرمّاحُ لعائلة أوغوستوس، انهَض! فهنالك واجباتٌ عليكَ أن تؤدّيها. انهَض! فهنالكَ تَشريفاتٌ عليكَ أن تَنالها. انهَض! لأجلِ المَجدِ والسُّلطة، لأجلِ الغَزوِ والهَيمَنةِ على رجالٍ أدنى مِنكَ شأناً. انهَض يا بني، انهَض!

بيرس براون

مواليد (1988).

إعلاميٌّ وكاتبُ خيالٍ علميٍّ أمريكيّ.

عاش براون طفولةً غنيّةً؛ بسبب انتقاله مع عائلته للعيش على امتداد سبع ولاياتٍ أمريكيّةٍ؛ حيث اعتاد أن ينصب الفخاخ والكمائن لأولاد عمومته. تخرّج في الجامعة عام 2010 بعد أن تخصّص في مجال العلوم السياسيّة والاقتصاد، لكنّه لم يرغب بإكمال مساره الأكاديميّ. ولأنّه كما يقال: لم يولد، وفي فمه ملعقة من ذهب، توجّه إلى مزاولة مهنٍ مختلفة، إلى جانب ولعه في الكتابة؛ حيث عمل خبير سوشيال ميديا في شركة تكنولوجيا صاعدة، وعمل في استديوهات ديزني ضمن قناة .(ABC).

كتب براون حتّى الآن ستّ روايات، ومن ضمنها: سلسلة «انتفاضة الحمر» التي رُفضت من 120 دار نشر قبل الموافقة على نشرها، لتحقّق بعد ذلك شهرةً كبيرة. واليوم، يعيش براون في لوس أنجلس؛ حيث يتبع شغفه الحقيقيّ في الكتابة عن سفن الفضاء، والغيلان، وشتّى الكائنات الأُخرى الغريبة والمتخيّلة، التي غذّت مخيّلته، وهو طفلٌ صغير.

رامي البيروتي:

من مواليد عام 1982 بدمشق، حائز على ماجستير في أمن النظم

المعلوماتيّة من الجامعة السلوفاكيّة التقنيّة في براتسلافا. يعمل في مجال الترجمة من اللّغتين: الإنجليزيّة، والسلوفاكيّة منذ عام 2006.

من ترجماته:

أمير الروح والمنارة المفقودة.

حديث ليلي.

الحصان.



إصدارات دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع



هل سيتغير البشر مع الزمن؟ كيف سيكون الصراع على السُّلطة بعد سبعمئة عام من اليوم؟ من أين ينبع الذلّ: من استعباد الآخر لك أم من خضوعك لفكرة أن تكون عبداً؟ وماذا سيتغيّر في موازين الخير والشر لو أتيحت لك الفرصة لتكون في مكان أعدائك: تعيش بينهم، وترى الحياة من منظارهم؟

أسئلة كثيرة يثيرها بيرس بروان في رؤيته لعالم المستقبل الذي يبدو أشدّ قسوةً، لكنّه لا يختلف في قوانينه عن عالمنا الحالي، فيحكي بداية قصة دارو المنتمي إلى طبقة الحمر، أدنى طبقات مجتمع المستقبل المرسوم بالألوان. ومثل أبناء طبقته، يعمل كلّ يومه لجعل سطح المرّيخ مكاناً صالحاً للحياة، يمضي حالماً بمستقبلٍ أفضل لأبنائه، معتقداً أنّ طبقات هذا المجتمع جميعها، بما فيها القادة الذهبيون؛ يعملون لأجل هذا الحلم، لكنّه سرعان ما يكتشف الخيانة التي تعرّض لها قومه، والوهم الذي يعيشون من أجله. وبدافعٍ من ألم حُبٍّ مفقودٍ ينطلق لخوض رحلة انتقامٍ في سبيل إسقاط أعدائه، لا يردعه فيها حتّى أن يصبح واحداً منهم.



تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق





